

العولمة

وأثرها على العالم العربي والإسلامي

حقوق الطبع محفوظة للدار

الطبعة الأولى

1437 هـ - 2016 م

ISBN: 978 - 9933 - 500 - 72 - 6



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 13414

هاتف: +963 11 224 24 30

فاكس: +963 11 225 10 36

www.kotaiba.com

E-mail : dar@kotaiba.com

كتبنا متوفرة على موقع: www.neelwafurat.com

العولمة

وَأَثَرُهَا عَلَى الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ

رِسَالَةُ أَلْفِ عُمُرٍ لِنَيْلِ دَرْجَةِ الْمَاهِجَةِ

هَلْ دَوَّكِي إِلَيْكَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بطاقة شكر

أُتقدم بالشكر الجزيل إلى إدارة مجمع الشيخ أحمد كفتارو، كما أُتقدم بالشكر إلى عميد كلية الدعوة، وجميع الكادر التعليمي فيها من مدرسين ومدرسات، فهم من زرع في داخلي حب العلم وتعاليم الإسلام الصحيحة ونهج القرآن الكريم، كما أتوجه بالشكر لقسم الدراسات العليا في المجمع، والتابعة للكلية الأم في جمهورية السودان الشقيقة في أم درمان، وأخص بالشكر الدكتور محمد شيخاني المشرف على رسالتي، والذي تعجز كلماتي عن شكره لما قدمه لي من مساعدة وملاحظات وتوجيهات قيمة، سائلة المولى أن يجزيه عني كل خير.

وأخيراً أُتقدم بالشكر إلى من قدّموا لي كل الدعم والتشجيع، ولهما من الفضل عليّ ما لا يعلمه إلا الله سبحانه، والدائيّ الحنونين . . . وإلى من سار على نهجهما بالدعم والتشجيع والمساعدة . . . زوجي الغالي .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية البحث:

لقد اجتاحت العولمة منذ الستينات العالم بأمره، الأساس الذي استخدمته أمريكا فيما يسمى بحرب الكلمات، وذلك من أجل السيطرة الكاملة حيث كانت السلاح على العالم، فهي بتلك الحجج كانت قادرة على إراقة الدماء وإبادة الجيوش الوطنية وتقويض استقرار شعوب بأكملها.

وقد تعاضم دور العولمة وتأثيرها على أوضاع الدول والحكومات وأسواقها وبورصات⁽¹⁾ ومختلف الأنشطة الاقتصادية فيها، حيث أضحت ظاهرة العولمة المهاجم الطاغية في المجتمعات المعاصرة فهي تستقطب اهتمام الحكومات والمؤسسات ومراكز البحث ووسائل الإعلام.

لقد ظهرت العولمة من خلال الشركات المتعددة الجنسيات العابرة للقارات لتصل اليوم إلى نظام التجارة الحرة الذي اعترف به دولياً، وقرر التعبير عنه مؤسسياً ضمن قوانين تعمل على تحطيم الحواجز الجمركية لصالح حرية انتقال السلعة ورؤوس الأموال فيها وذلك بإشراف منظمة دولية تحمل اسم "الجات"⁽²⁾ كان جزاء كل دولة خرجت عن إطارها ورفضت الانخراط فيها العزلة الاقتصادية، وقد كانت العولمة إحدى الآليات التي استخدمت في عمليات الضغط والإضعاف التي تستهدف عالمنا الإسلامي من أجل

(1) البورصة: هي المكان الذي يتم فيه التعامل على حاصلات أو صكوك أوراق مالية، تحت إشراف السلطة العامة، وهي عبارة عن سوق مستمرة يتم العمل من خلالها على الأوراق المالية في أوقات العمل الرسمية www.mawdoo3.com

(2) الجات - GATT: هي اختصار عن اللغة الانكليزية (General Agreement on Tariffs and Trade) الاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة وعقدت في تشرين الأول 1491 م، بين عدد من البلدان تستهدف التخفيف من قيود التجارة الدولية وبخاصة القيود الكمية مثل تحديد كمية السلعة المستوردة وهو ما يعرف بنظام الحصص وقد تضمنت خفض الرسوم الجمركية على عدد من السلع، وقد تطورت لتصبح اليوم إلى ما يعرف بمنظمة التجارة العالمية www.wikipedia.com WTO .

زعزعة استقراره وتعطيل مؤهلاته حتى لا يبقى أمامه سوى الاندماج السلبي في آليات العولمة.

والعولمة بالمفهوم المعاصر (الأمركة) لم تقتصر على النواحي السياسية أو الاقتصادية بل وصلت إلى أبعد من ذلك وهي الناحية الثقافية وهنا تكمن الخطورة، حيث امتدت لتطال ثقافات الشعوب والهوية القومية الوطنية، وترمي إلى تعميم أنموذج من السلوك وأنماط من القيم وطرائق العيش، وهي بالتالي تحمل ثقافة غربية أمريكية تغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى ولا يخلو ذلك من توجه استعماري جديد يعتمد على زعزعة القيم الدينية وإخلال العقل والتفكير وجعله يعمل وفق أهداف الغازي ومصالحه، فالعولمة تعمل على هيمنة الثقافة الغربية المسيحية وترفض الآخرين بكل ثقافتهم وخصوصاً الثقافة الإسلامية حيث قاموا بالهجوم على الإسلام عن طريق تشويهه وبث الشبهات فيه وتصويره بأنه دين راعٍ للإرهاب، كما يتهمون النبي العربي صلى الله عليه وسلم بالنبي المقاتل.

وبالرغم من الانتشار الكبير لمفهوم العولمة، وتداوله بين الكثير من الناس بمختلف شرائحهم، العلمية وغير العلمية والثقافة وغير الثقافة، إلا أنه مازال هناك غموض في مفهوم العولمة ومعناها لدى الكثير من الناس وحتى المثقفين منهم.

الدراسات السابقة:

وباعتبار مفهوم العولمة هو مفهوم شامل لكافة مناحي الحياة، فإنه بالتأكيد يندرج ضمن عدة اختصاصات، ولذلك تعددت فيه الأبحاث وكثرت، ولكن قلما نجد بحثاً يتحدث عن أنواعه كلها، وإن كنت أتخفظ عن ذكر كلمة أنواع، فمن خلال بحثي وجدت؛ أن هناك بعض الكتب تعمقت بالعولمة من الجانب الاقتصادي وشرحته شرحاً وافياً، ولكنها كانت مقلة بشرح الجانب السياسي، ولم تتطرق للجانب الثقافي أبداً، مع أن الجانب الثقافي لا يقل أهمية أبداً عن الجانب الاقتصادي، ومثال ذلك كتاب: مشروع الشرق الأوسط الكبير للمؤلف: يوسف مرشدة.

وبعض الكتب اهتمت بالجانب الثقافي للعولمة مع ذكر بعض آثاره على اللغة والدين، دون التعرض للناحية السياسية والاقتصادية، ومثال ذلك: كتاب ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة للمؤلف أسعد السحمراني.

وبعض الكتب تخصصت بالجانب السياسي من العولمة، وخصوصاً بموضوع الحرب على الإرهاب ومن تلك المؤلفات العولمة والديمقراطية والإرهاب، للمؤلف إيريك هوبزباوم، وكتاب أعمال ندوة، الإرهاب والعولمة، مركز الدراسات والبحوث في الرياض. غير أن كثيراً من الأبحاث والدراسات السابقة في العولمة اكتفت بذكر الظاهرة وشرحها دون التعرض لآثارها بشكل واضح، وخصوصاً الآثار السلبية على العالم الإسلامي، وذلك من كافة جوانب الحياة، مع العلم بأن ذلك لا ينتقص من القيمة العلمية لتلك الكتب.

تساؤلات البحث:

وبأتي هذا البحث للإجابة عن عدة تساؤلات هي:

- ما العولمة؟ وما هو مفهومها؟
- متى نشأت العولمة؟
- ما العولمة الاقتصادية؟ وما هي أهم مؤسساتها؟
- ما هي الشركات المتعددة الجنسيات؟ وما هي آثارها؟
- ما المقصود بالعولمة السياسية؟ وما علاقتها بالحرب على الإرهاب؟
- ملامح السياسة الأمريكية في ظل العولمة؟
- ما هي أدوات العولمة الثقافية أو الغزو الثقافي.
- ما هي آثار العولمة على العالم الإسلامي؟

منهج البحث:

وأستطيع القول: إن جزئيات هذا البحث كثيرة ومتناثرة في الكتب فجمعت جزئيات هذا الموضوع لأتكلم عنه بشكل واضح، وخصوصاً الآثار السلبية للعولمة على العالم الإسلامي، محاولةً سد الثغرات الموجودة في الأبحاث السابقة، متبعةً المنهج الاستقرائي الناقص المتبع في الأبحاث العلمية، مقسمةً بحثي إلى أبواب وفصول،

صعوبات البحث:

لابد من وجود صعوبات عند كتابة أي بحث، وفي البحث عن العولمة يوجد صعوبة في اعتماد تعريف دقيق عنها، وذلك لكثرة وجود تعريفات حولها، حتى لا تكاد تجد بحثاً عن العولمة لم يذكر على الأقل عشرة تعريفات في العولمة، ولكن مما أعجبني أنه في

كتاب العولة ما لها وما عليها ذكر الباحث ما أسماه بطرائف التعريفات، سأذكر منها على سبيل المثال:

- "العولة هي الكلمة السحرية التي تفتح بها الشعوب أبواب الثروة والمعرفة.
- العولة هي موضة عالمية حالياً ستنتهي مع انتهاء الحاجة إليها أو مع بروز موضة عالمية جديدة.

- العولة هي فكرة لا جذور لها بل هي فكرة مختلفة لإلهاء الشعوب الكادحة.
- العولة هي الفارس المقدم الذي سيخلص الإنسانية من شقائها، فهي الوسيلة لتحقيق الأمن والاستقرار العالمين والعدالة بين الدول، والديمقراطية داخل المجتمعات والقضاء على فقر الفقراء ويؤس البؤساء.

- العولة هي مرحلة اتفق فيها العالم على اتباع منهج اقتصادي وثقافي وسياسي واحد لتنظيم الشأن الإنساني⁽¹⁾.

ومن الصعوبات أيضاً تحديد نشأة مصطلح العولة، ولكن من خلال البحث وجدت أن معظم الباحثين اعتمدوا المنهج الذي اعتمده الباحث رولاند روبرتسون، ولذلك اعتمدت هذا المنهج أيضاً.

ومن الصعوبات أيضاً: التمييز بين كل نوع من أنواع العولة وتقسيم آثار العولة إلى مباحث ومطالب، وذلك بسبب التداخل والترابط الكبير بين كل نوع من أنواع العولة فمثلاً:

- العولة الاقتصادية بمؤسساتها وقوة الشركات المتعددة الجنسيات يمكن أن تؤثر على القرارات الحكومية في الدول، وبالتالي خرقاً للسيادة الوطنية، وكذلك بعض مؤسسات العولة السياسية كمجلس الأمن والأمم المتحدة يمكن أن تؤدي إلى تراجع السيادة الوطنية، ومن آثار الشركات متعددة الجنسيات أيضاً البطالة وانخفاض الأجور، وبالتالي الفقر، وهذا يمكن أن يندرج تحت الآثار الاقتصادية أو الاجتماعية، وإن البطالة والفقر تؤدي إلى ارتفاع معدلات الجريمة، كما تؤدي إلى انتشار تعاطي المخدرات والإدمان والتجارة بها.

- ومن أمثلة التداخل أيضاً: إن العولة السياسية تستخدم العولة الإعلامية بكافة وسائلها من صحف وفصائيات ومواقع الكترونية لتروج لخير ما وتلقي الضوء على

(1) العولة ما لها وما عليها، محمد عبد القادر حاتم، الصحيفة 22.

حدث من الأحداث لتؤثر على الرأي العام وذلك وفقاً لمصالحها، كما فعلت أمريكا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) حيث جعلت من تلك الأحداث وبواسطة الإعلام مسوّغاً لاحتلال دولة إسلامية (أفغانستان) بحجة القضاء على تنظيم القاعدة الذي اعتبرته هو الفاعل الحقيقي للأحداث، كما أن العولمة الاقتصادية استخدمت كلاً من العولمة الإعلامية والعولمة التقنية للترويج لبضائعها، وبالتالي لفرض ثقافة استهلاكية جديدة والتي لها آثار اجتماعية واقتصادية، والعولمة التقنية لزيادة الإنتاج والإقلال من اليد العاملة المستخدمة وذلك عن طريق إبدال اليد العاملة بالآلات الحديثة والكمبيوترات، والتي أدت أيضاً إلى البطالة..

وإن كلاً من انتشار النمط الاستهلاكي وانتشار التكنولوجيا السريعة التطور وازدياد معدلات البطالة وانتشار الفقر ووجود التفاوت الطبقي وانتشار الفضائيات والمواقع الالكترونية التي تبث المواد الإباحية والعنف كان لها آثار اجتماعية تربية سلبية على شريحة الشباب والأطفال سواء من الناحية النفسية أو الدينية.

ومن الصعوبات التي واجهتني أيضاً: الحصول على إحصاءات دقيقة حول آثار الحروب التي شنت على العالم الإسلامي من قبل الدول التي أوجدت العولمة -أمريكا-، وخصوصاً الحروب التي تسميها "الحرب على الإرهاب".

ومن أهم الصعوبات: عدم إتقان اللغات العالمية والتي هي اللغة الإنكليزية والفرنسية، وبالتالي عدم العودة للكتب الأجنبية الأصلية بل العودة إلى ترجمتها.

ولكن بعون الله ورعايته حاولت جاهدةً تخطي جميع الصعوبات، وكتابة البحث بدقة وأمانة علمية محاولةً تتجاوز الأخطاء التي يقع فيها الباحثون قدر الإمكان، كما حاولت تبسيط مفهوم العولمة والإحاطة بآثارها كلها على العالم الإسلامي، بذكر كل أثر ضمن عنوان مستقل لتكون هيكليّة بحثي على الشكل الآتي:

هيكل البحث:

الباب الأول: العولمة ومبادئها الاقتصادية والسياسية والثقافية

الفصل الأول: تعريف العولمة ونشأتها وتاريخها

المبحث الأول: تاريخ العولمة ونشأتها.

المبحث الثاني: تعريف مصطلح العولمة.

المبحث الثالث: العولمة والحداثة.

المبحث الرابع: تعريف العالم الإسلامي.

الفصل الثاني: العولمة الاقتصادية

المبحث الأول: مؤسسات العولمة الاقتصادية.

المبحث الثاني: الشركات المتعددة الجنسيات.

المبحث الثالث: آثار مؤسسات العولمة الاقتصادية.

الفصل الثالث: العولمة السياسية

المبحث الأول: العولمة السياسية وعلاقتها بالعولمة الاقتصادية.

المبحث الثاني: مؤسسات العولمة السياسية.

المبحث الثالث: العولمة التشريعية.

الفصل الرابع: العولمة الثقافية

المبحث الأول: العولمة الثقافية.

المبحث الثاني: ثقافة العولمة.

المبحث الثالث: عولمة التقنية.

الباب الثاني: آثار العولمة

الفصل الأول: الآثار الاقتصادية للعولمة

المبحث الأول: التعامل التجاري في ظل العولمة.

المبحث الثاني: القطاع الصناعي في ظل العولمة.

المبحث الثالث: القطاع الزراعي في ظل العولمة.

المبحث الرابع: تخفيض أجور الأيدي العاملة.

المبحث الخامس: البطالة.

المبحث السادس: الفقر.

المبحث السابع: العولمة والبيئة.

الفصل الثاني: الآثار السياسية للعولمة

المبحث الأول: تجارة الأسلحة والإنفاق العسكري.

المبحث الثاني: النظام العالمي الجديد.

المبحث الثالث: بروز مفهوم الحكم كبديل للحكومة.

المبحث الرابع: تراجع قوة الدول القومية وتضاؤل دورها.

المبحث الخامس: تراجع مبدأ السيادة الوطنية.

المبحث السادس: الحرب على الإرهاب.

الفصل الثالث: الآثار الثقافية للعولمة

المبحث الأول: الهوية الثقافية في ظل العولمة.

المبحث الثاني: أثر العولمة على المثقف.

المبحث الثالث: المثاقفة.

المبحث الرابع: أثر العولمة على اللغة العربية.

المبحث الخامس: أثر العولمة على التربية والتعليم.

المبحث السادس: العولمة والتخطيط السلبي ضد الدين.

المبحث السابع: أثر العولمة على الإعلام.

المبحث الثامن: الاتجاه نحو نشر ثقافة الاستهلاك

المبحث التاسع: ثقافة الاختراق.

الفصل الرابع: الآثار الاجتماعية للعولمة

المبحث الأول: العولمة الاجتماعية.

المبحث الثاني: عولمة الجريمة.

المبحث الثالث: أثر العولمة على الأسرة.

المبحث الرابع: أثر العولمة على الشباب.

المبحث الخامس: أثر العولمة على الطفل المسلم.

الفصل الخامس: الموقف المطلوب من العولمة

المبحث الأول: اتجاه القبول التام.

المبحث الثاني: اتجاه الرفض المطلق.

المبحث الثالث: الاعتدال.

الفصل السادس: العالمية في الإسلام

المبحث الأول: الأدلة من القرآن والسنة.

المبحث الثاني: الفرق بين العولمة والعالمية.

الخاتمة.

الفهارس.

الباب الأول

العولمة ومبادئها الاقتصادية والسياسية والثقافية

الفصل الأول:
تعريف العولمة ونشأتها وتاريخها

الفصل الثاني:
العولمة الاقتصادية

الفصل الثالث:
العولمة السياسية

الفصل الرابع:
العولمة الثقافية

الفصل الأول

تعريف العولمة ونشأتها وتاريخها

المبحث الأول: تاريخ العولمة ونشأتها

المبحث الثاني: تعريف العولمة

المبحث الثالث: العولمة والحدثة

المبحث الرابع: تعريف العالم الإسلامي

المبحث الأول

تاريخ العولمة ونشأتها

إن تحديد بدايات العولمة ونشأتها تتقاسمه وجهتا نظر مختلفتان وهما: "الأولى: ترجع الكوكبة إلى بداية هذا العقد الأخير رابطة إياها بانتهاء الحرب الباردة وانحيار الاتحاد السوفيتي وتفكك دول المنظومة الاشتراكية وما عقب ذلك من انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم كقطب وحيد في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية من جهة وفاهمة إياها بمعنى الأمركة حصراً من جهة أخرى، وفي الصيغ الأكثر شعبية قد تربط بأطروحات من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية مثل بوش أو غيره، وما يؤكد أن الظاهرة وُجدت ووُعت قبل التسعينات استخدام الرئيس ريغان ذاته مصطلح "الكوكبية الجديدة" new globalism في منتصف الثمانينات، مما يدل أن الظاهرة أقدم من ذلك"⁽¹⁾.

والثانية: تعطي العولمة تسلسلاً تاريخياً قديماً وكأنها عبارة عن تاريخ للمراحل التي مرت بها البشرية عبر العصور، وأذكر أمثلة لهذا الرأي:

1- "إن العولمة تعتبر ظاهرة قديمة قدم الإنسانية، حيث نجدها قبل العصور الحديثة أيضاً، عندما ننظر مثلاً إلى انتشار بعض الديانات الكبرى كالمسيحية مثلاً، فهذه عولمة في حد ذاتها في أشكال أخرى وعصور أخرى، وربما تكون العولمة قد بدأت بالتشكل وفق معطيات جغرافية سياسية تعاملت معها الحضارة الإنسانية، وأول تطبيقاتها كانت على يد الفينيقيين⁽²⁾، الذين طوروا وسائل النقل البحري والكتابة والتجارة وأنشؤوا أول قوة عالمية يعرفها التاريخ قائمة على التجارة والمواصلات والمعرفة. وتواصلت بعد حضارة الفينيقيين حضارات عالمية أخرى، مثل حضارات اليونان والرومان والفرس والصين⁽³⁾ والهند والحضارة العربية

(1) العولمة الكوكبية وجوها وأبعادها، د. معن النكري، الصحيفة 19.

(2) الفينيقيون: هم أحد الشعوب السامية القديمة التي سكنت لبنان وسورية، وأنشأت ممالك صغيرة مثل عكا وجبيل وصيدا وصور وفي الفترة ما بين 1000-700 ق.م أنشؤوا مستعمرة لهم في قرطاج وكانوا قوة مهيمنة في العالم القديم حتى 146 ق.م إثر سقوطها عقب -حروب بونية الثالثة. (www.wikipedia.com).

(3) جمهورية الصين الشعبية: تقع في قارة آسيا، مساحتها 9597000 كم، عدد سكانها: 1284304000 نسمة، عاصمتها: بكين، اللغة الصينية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 91).

الإسلامية، ثم ظهرت القوة العالمية الأوروبية بدءاً بإسبانيا⁽¹⁾ والبرتغال⁽²⁾ ثم هولندا⁽³⁾ وفرنسا وبريطانيا وألمانيا والاتحاد السوفيتي وأخيراً أمريكا التي كسبت جولة مهمة في الصراع العالمي في أواخر الثمانينات، وما زالت هي الدولة الأكثر قوة وتأثيراً في العالم منذ ذلك التاريخ⁽⁴⁾.

ومثال ذلك: "مع بدايات الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر الميلادي شهدت أوروبا ما عرف بظاهرة الإنتاج الكبير، حيث أدت مكنته العمليات الإنتاجية إلى زيادة متنامية في حجم الإنتاج، الأمر الذي استلزم فتح أسواق جديدة في مختلف أنحاء العالم لتصريف فائض الإنتاج المتراكم، وكذا البحث عن مصادر جديدة للمواد الخام لمواجهة الزيادة في متطلبات العملية الإنتاجية، ذلك فضلاً عن إتاحة فرص جديدة لاستثمار فوائض رؤوس الأموال الأوروبية المتراكمة، والإفادة من المزايا النسبية المتوافرة في مناطق مختلفة من العالم كوفرة المواد الخام ورخص الأيدي العاملة والقرب من منافذ التسويق، وقد أدت كل هذه التطورات إلى زيادة القوة الصناعية الأوروبية مما هبها المجال لظهور ظاهرة السيطرة الاستعمارية.

ومنذ نهايات القرن التاسع عشر وعلى امتداد القرن العشرين حدثت تطورات هائلة في مجال التكنولوجيا، وفي مجالي الاتصالات والمواصلات الدولية بحيث بات مفهوم الكونية يبدو قابلاً للتحقق لأول مرة في تاريخ البشرية بشكل ملموس⁽⁵⁾.

2- إن الكثير من الباحثين يعطون العولمة تسلسلاً تاريخياً قديماً يعود جذوره إلى عصر الفراعنة عندما امتد نفوذهم واتسعت اهتماماتهم بالبلاد المجاورة من خلال

(1) إسبانيا: تقع في قارة أوروبا، مساحتها 504782 كم، عدد سكانها 40077100 نسمة، عاصمتها مدريد، لغتها إسبانية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).

(2) البرتغال: تقع في قارة أوروبا، مساحتها 92391 كم، عدد سكانها 10084245 نسمة، عاصمتها لشبونة، لغتها برتغالية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 90).

(3) هولندا: تقع في قارة أوروبا، مساحتها 41526 كم، عدد سكانها 1667754 نسمة، عاصمتها أمستردام، لغتها هولندية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).

(4) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى، 2006م، الصحيفة 71.

(5) العولمة وآثارها رؤية تحليلية إضافية، د. عبد المنصف حسين رشوان، المكتب الجامعي الحديث، 2006م، الصحيفة 20.

فتوحاتهم ورحلاتهم، وإلى عصر الكنعانيين⁽¹⁾ الذين غزوا أوروبا وكونوا حضارة في جزيرة كريت⁽²⁾ ألب. وأن أول أشكال العولمة تمثلت في أثناء وجود الإمبراطورية الرومانية وإمبراطورية فارس القديمة، وأسرة هان الحاكمة في الصين التي عملت على توحيد أقطار الصين والاهتمام بالآداب والفنون، كما أنهم يعتبرون العصر الذهبي الإسلامي مثلاً واضحاً على انتشار العولمة وخاصة عندما أسس المستكشفون والتجار المسلمون أول نظام اقتصادي عالمي في العالم القديم، مما ترتب عليه انتشار العولمة في الكثير من المجالات مثل المحاصيل الزراعية والتجارة والعلم والمعرفة والتكنولوجيا⁽³⁾.

ولا يخفى ما في هذا الرأي من مبالغة لأنه يعطي العولمة أبعاداً تاريخية قديمة تكاد تعود إلى القرون الأولى، هذا غير الخلط بين العولمة والعالمية التي هي من أهم سمات الحضارة الإسلامية، فقد وصفوا النظام الاقتصادي الذي وضعه الإسلام وعمّ خيره إلى معظم دول العالم الإسلامي بأنه نظام معلوم مع أنه نظام عالمي، اتصف بالمرونة "لأنه لا يحتاج إلى بنية تحتية طبيعية ولم يستوجب تركيزاً لرأس المال، حيث كان يقوم بالتجارة والمتاجرة عشرات الألوف من صغار التجار، وكان نظام المتاجرة عبر البلدان الأساس لازدهار الوطن العربي وتراثه الثقافي حتى حوالي عام 1600 م، وقد أقام البرتغاليون خلال القرن الخامس عشر برنامج بحث وتطوير في الثقافة البحرية، هدفه بناء أسطول يتحدى نظام التجارة الدولي الذي يقوده العرب، وقد استهدف البرتغاليون تدمير القوى العربية من خلال قاعدتها الاقتصادية، ونجحوا بأسطوهم الكثير التسلح في إضعاف هذه القوى العربية، وقد أفسحوا المجال للهولنديين والفرنسيين والبريطانيين لتدمير نظام التجارة العربي في القرن السابع عشر.

(1) الكنعانيون: هم شعب سكن منطقة بلاد الشام منذ حدود الألف الرابع قبل الميلاد، وتاريخهم ليس واضحاً تماماً وخاضع لعدة نظريات. وقد بنوا حضارة هامة في البحر الأبيض المتوسط وكانوا من أهم التجار في المنطقة، وابتداء من القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد وإلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد خضعوا لسيطرة حضارات مختلفة، ثم ازدهروا ووصلوا إلى عصرهم الذهبي بعد ذلك ثم غزاهم الفرس. (www.wikipedia.com).

(2) كريت: هي أكبر الجزر اليونانية، وخامس أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، تتصب فيها سلسلة جبلية ممتدة من الشرق إلى الغرب وتحدها شواطئ صخرية (www.alarab.net).

(3) انظر: Globalization.montadarabi.com 19L1L201

www.wikipedia.org

وهكذا شهد العالم التحول من العالمية، والتي تمثلت في الحضارة الإسلامية، إلى العولمة التي تمكنت من إيجاد نشاط اقتصادي معولم لم يستطع الإفادة منه إلا الشركات العابرة للقارات⁽¹⁾.

3- ومن الآراء أيضاً: "ترجع الإرهاصات الأولى لميلاد المصطلح إلى فترة الوفاق التي سادت فترة السبعينات بعد إنهاء الحرب الباردة التي كانت مشتتة بين القطبين الرئيسيين في العالم، الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية، وكانت بدايتها انهيار سور برلين الذي كان يفصل ما بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية، وتوحد الألمانين تحت ضغط الإرادة الشعبية، وساعدت عملية انتشار المعلومات وإتاحة وفرة البيانات، وبشكل فوري، على توحيد وإيجاد تقارب فكري على مستوى العالم، وفي الوقت ذاته زادت عمليات تذويب الفواصل والفوارق بين الدول، وتلاشي الحدود والفوارق الزمنية، حتى أصبح العالم كله، بمثابة سوق واحدة ضخمة تربط بينها شبكة عصبية من موصلات المعلوماتية والبيانات"⁽²⁾.

4- وهناك آراء اختلفت بالعولمة الاقتصادية حيث يرى البعض أن الجذور التاريخية للعولمة الاقتصادية تعود إلى رحلات الكشف الجغرافي الأوروبي في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وبرزت الرأسمالية في أوروبا الغربية وظهور الدولة القومية في القرن السادس عشر ثم دخول عصر الروح التجارية الذي نشأ فيه نظام اقتصادي يعزز ثروة الدولة عن طريق التنظيم الحكومي الصارم للاقتصاد وإنشاء الاحتكارات التجارية الخارجية⁽³⁾.

5- وأذكر أيضاً أن الباحث عابدين الشريف بعدما ذكر البعد التاريخي للعولمة ذكر الكلام الآتي: "عموماً كانت أول موجة للعولمة قد حصلت في العصر الحديث والمعاصر بين عامي 1870م-1914م، ففي تلك الفترة كما تورد المصادر التاريخية، حصل تقدم في مجال النقل وتقليص للحواجز والجمارك بين البلدان، وهذا ما أتاح بطبيعة الحال لبعض الدول التي لها أراضي واسعة وخصبة من زيادة إنتاجها، وحصل عندئذ تدفق المنتجات

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 23-24 (بتصرف).. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

(2) العولمة وآثارها رؤية تحليلية إضافية، د. عبد المنصف حسين رشوان، الصحيفة 37.

(3) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 22.. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

والسلع والرساميل والطاقة العاملة، وكل ذلك تزايد بشكل هائل، والصادرات الخاصة بالدخول العالمي تزايدت كذلك بنسبة وصلت إلى 8٪ وأما الرأسمال الأجنبي فتزايد هو الآخر، بشكل أكثر في الدول النامية، في كل من قارات إفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية.

أما السنوات الواقعة بين عامي 1950 و1980م فقد شهدت موجة ثانية في العولمة وقد أدت إلى دمج الدول الصناعية الغنية داخل نظام اقتصادي واحد، فأوروبا وأمريكا الشمالية واليابان⁽¹⁾ ركزت جهودها على تقوية العلاقات فيما بينها.

وأما موجة العولمة الحالية فقد ابتدأت بعد عام 1980م ولا تزال مستمرة حتى اليوم، وكان مسببها الأساسي ذلك التقدم الكبير الذي حصل في مجال النقل والتكنولوجيا المعلوماتية ووسائل الاتصالات الحديثة ثم ساهم بعد ذلك في تشكيلها أيضاً، ذلك الخيار الذي اتخذته دول العالم النامية في تحسين وتطوير مناخ الاستثمارات الاقتصادية لديها يضاف إلى ذلك انفتاحها على التجارة الخارجية والاستثمارات⁽²⁾.

وهكذا كثرت التحليلات والآراء حول نشأة العولمة، ولكن معظم الباحثين اعتمدوا النموذج الذي صاغه رولاند روبرتسون في دراسته المهمة "تخطيط الوضع الكوني: العولمة باعتبارها المفهوم الرئيسي"، والذي حاول فيه أن يرصد المراحل المتتابعة لتطور العولمة وامتدادها عبر المكان والزمان، وينقسم هذا النموذج إلى خمس مراحل هي: المرحلة الجينية، مرحلة النشوء، مرحلة الانطلاق، مرحلة الصراع من أجل الهيمنة، مرحلة عدم اليقين.

أولاً - المرحلة الجينية: وهي مرحلة ظهور المجتمعات القومية، وشيوع الأفكار المتعلقة بالفرد والإنسانية، وبدأت الجغرافيا الحديثة وذاع التقويم الجريجوري⁽³⁾، وهذه المرحلة شهدتها أوروبا بين بداية القرن الخامس عشر ومنتصف القرن الثامن عشر.

(1) اليابان: مساحتها 377835 كم، عدد سكانها 126975000 نسمة، عاصمتها طوكيو، لغتها يابانية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 92).

(2) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 72.

(3) التقويم الجريجوري: هو التقويم المستعمل مديناً في أكثر دول العالم، ويسمى في أغلب الدول العربية بالتقويم الميلادي، لأن عد السنين فيه يبدأ من سنة ميلاد المسيح كما كان يعتقد واضع عد السنين وهو الراهب الأرمني ديسبوس الصغير، ويسمى بالتقويم الجريجوري نسبة إلى البابا جريجوريوس الثالث عشر بابا روما، والسنة الميلادية هي سنة شمسية بمعنى أنها تمثل دورة كاملة للشمس في منازلها، والسنة الميلادية 365 يوم في السنة البسيطة، و 366 في السنة الكبيسة، وتتألف من 12 شهر. (www.wikipedia.com).

ثانياً - مرحلة النشوء: وهي مرحلة تنظيم للعلاقات الدولية حيث نشأت المؤسسات الخاصة بذلك، وظهور مفاهيم أكثر دقة للعلاقات الإنسانية، وبدأت مشكلة قبول المجتمعات غير الأوروبية في المجتمع الدولي، وبدأ الاهتمام بموضوع القومية والعلمية، وقد استمرت في أوروبا أساساً من منتصف القرن الثامن عشر حتى عام 1870م وما بعده.

ثالثاً - مرحلة الانطلاق: وهي مرحلة تميزت بإدماج عدد من المجتمعات غير الأوروبية في المجتمع الدولي، وبدأت تظهر العديد من الصيغ الكونية مثل الألعاب الأولمبية، جوائز نوبل، وخط التطور الصحيح، والمجتمع القومي المقبول، ونشوء عصبة الأمم، وتمتد هذه الفترة من عام 1870م حتى العشرينات من القرن العشرين.

رابعاً - مرحلة الصراع من أجل الهيمنة: وهي المرحلة التي بدأت الخلافات والحرب الفكرية حول المصطلحات الناشئة الخاصة بعملية العولمة، والتي بدأت في مرحلة الانطلاق، وقد تم التركيز على الموضوعات الإنسانية مثل إلقاء القنبلة الذرية على اليابان، وبروز دور الأمم المتحدة، واستمرت هذه المرحلة من العشرينيات حتى منتصف الستينات.

خامساً - مرحلة عدم اليقين: والتي بدأت منذ الستينات وأدت إلى اتجاهات وأزمات في التسعينات. وفي هذه المرحلة أدمج العالم الثالث في النظام الدولي، وشاع إنتاج الأسلحة النووية، وتساعد الوعي الكوني في الستينات، وحدث هبوط على القمر، كما شهدت المرحلة نهاية الحرب الباردة، وزادت إلى حد كبير المؤسسات الكونية والحركات العالمية⁽¹⁾.

(1) انظر: العولمة، ندوة، جمعية الدعوة الإسلامية، بحث في مفهوم العولمة ورقة مقدمة من أ. السيد يسين، الصحيفة 69-70.

و: الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الطبعة الأولى 2007م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الصحيفة 80.

و: إشكالية التحدي الحضاري بين الإسلام والغرب ثقافة ازدرء وحوار مفقود وعولمة استيلاء، محمد إبراهيم الفيومي، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م، دار الفكر العربي، الصحيفة 73.

المبحث الثاني

تعريف العولمة

تعريف العولمة لغة:

"العولمة" و"الكوكبة" و"الكونية أو الكونية" و"القولبة" و"البلورة" و"حوسبة" و"شوملة"⁽¹⁾ مصطلحات متعددة ولكنها تقابل مفهوم واحد ومعنى واحد باللغة الإنكليزية ألا وهو globalization وتقريباً الكلمة ذاتها في لغات أوروبية أخرى كالروسية والفرنسية حيث الجذر الأساسي المشترك فيها جميعاً⁽²⁾. وإن تعددت تلك الألفاظ والمصطلحات يدل على أنه لم يتفق جميع الباحثين العرب على تحديد لفظ واحد إلى هذا المفهوم، وإن كاد الشيوع في استخدام كلمة العولمة أو الكوكبة والغلبة لكلمة العولمة.

بالعودة إلى معاجم اللغة الإنكليزية نجد أن معنى كلمة "globe": كرة، الكرة الأرضية، كرة جغرافية، "global": تعني كروي، وعالمي، وشامل⁽³⁾، بالتالي ترجمة مصطلح globalization بالعولمة أقرب إلى معناها الرئيسي.

تعريف العولمة اصطلاحاً:

إن اتفاقاً صارماً حول تحديد تعريف واحد لمصطلح العولمة غير موجود وذلك بسبب تعدد الآراء حولها فمنهم من كان يركز نظريته في ميدان الاقتصاد ومنهم من يجمع بين الاقتصاد والسياسة ومنهم من يوسع دائرته لتشمل الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة. وهذه بعض التعريفات: 1- تعريف اللجنة الأوروبية في عام 1997: "هي العملية التي عن طريقها تصبح الأسواق والإنتاج في الدول المختلفة معتمدة كل منها على الأخرى بشكل متزايد بسبب ديناميات التجارة في السلع والخدمات وتدفق رأس المال والتقنية"⁽⁴⁾.

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، 2002م، أبو ظبي، الإمارات، الصحيفة 19.

(2) العولمة و(الكوكبة) وجوهرها وأبعادها، د. معن النكري، مطبعة اليازجي، دمشق 1999م، الصحيفة 9.

(3) المورد، منير بعلبكي، 1978م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، الصحيفة 390.

و: المغني الأكبر، حسن سعيد الكرمي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، عام 1987م، الصحيفة 514.

(4) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الصحيفة 19.

ويتنقد هذا التعريف بأنه اقتصر على الناحية الاقتصادية للعمولة دون ذكر النواحي الأخرى لها.

2- يرى د. إسماعيل صبري عبد الله⁽¹⁾: الكوكبة "باعتبارها التداخل الواضح لأمر الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتهاء إلى وطن محدد أو لدولة معينة، ودون حاجة إلى إجراءات حكومية"⁽²⁾.

3- تعريف العمولة كما جاء به صادق جلال العظم⁽³⁾: "العمولة هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، في ظل هيمنة دول المركز وقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ، وكلمة عميق تشير إلى عمق نمط الإنتاج الرأسمالي وليس إلى سطحه"⁽⁴⁾.

4- د. نبيل مرزوق: يرى فيها إطاراً لنظام اقتصادي عالمي جديد يقوم على مفاهيم الليبرالية⁽⁵⁾ الجديدة⁽⁶⁾.

(1) إسماعيل صبري عبد الله (1925-2006م) هو واحد من أهم الرواد الاقتصاديين في مصر، يعد رائد مدرسة التفكير الاقتصادي (www.wikipedia.com).

(2) ربح العصر العمولة ثقافياً، بشار إبراهيم، الطبعة الأولى، 2000م، دار السوسن، الصحيفة 9.

(3) صادق جلال العظم: ولد في دمشق 1934م، عاش في دمشق وبيروت وعمان، مفكر سياسي يساري، وناقد دائم للسياسة الأمريكية في العالم، وخصوصاً في فلسطين والعالم العربي، وقد أسس شهرته في السياسة والفكر الفلسفي السياسي والديني. (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 525).

(4) ما العمولة، حسن حنفي ود. صادق جلال العظم، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الأولى، 1999م، الصحيفة 125.

(5) الليبرالية كلمة لاتينية تعني الحر، وحالياً مذهب أو حركة وعي اجتماعي سياسي داخل المجتمع تهدف لتحرير الإنسان ك فرد، وهي تصور للسياسة والإنسانية، وقد اتخذت الليبرالية صوراً متنوعة خلال التاريخ وحسب الأمكنة، ليبراليو العصور القديمة يعارضون الفلاسفة السقراطيين بإنكارهم أن تكون الحياة السياسية فعالية طبيعية وقابلة للتقدير، ويشرون على هذا النحو، بالفكرة الليبرالية الحديثة القائلة أن الحياة الخاصة فوق مقتضيات الجماعة والدولة ولكن الليبراليين الكلاسيكيين، خلافاً لليبراليين المحدثين، يتفقون مع الفلاسفة السقراطيين على الفكرة القائلة إن العقل يستطيع تحديد أفضل نمط للحياة،... الليبرالية الحديثة تضع السلطة السياسية بشكل خاص موضع المسألة، ولكنها تسعى إلى إصلاحها أكثر مما تسعى إلى الإفلات منها. (قاموس الفكر السياسي، ترجمة د. أنطون حصي، تأليف مجموعة من المختصين، وزارة الثقافة، سورية، دمشق 1994م، الصحيفة 175).

(6) ربح العصر العمولة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 11.

5- كما يرى د. محمد عابد الجابري⁽¹⁾ أن العولمة تشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال... وأن العولمة من إفرازات الثورة المعلوماتية وما يرافقها من تطور في مجال الاتصال والإعلام، وأنها توطيد الاستهلاك وخلق عادات استهلاكية على نطاق عالمي⁽²⁾. ولا يخفى بأنه يركز في هذا التعريف على الناحية الثقافية والاجتماعية بغض النظر عن الناحية الاقتصادية.

6- شرح للمصطلح كما قدمه فريدمان⁽³⁾ في عام 1981 و1994 م: "الكوكبة (العولمة) هي ببساطة مرحلة من اللامركزية، حيث يجري التخلي عن الهيمنة وتستبدل بفترة من المنافسة الشديدة وبلا مركزية سياسية وتكثيف في منطقة جديدة من النظام العالمي وثمة أسباب تكنولوجية واسعة، ليست مقتصرة على قيم وكلفات النقل والمواصلات، بل وتشمل سرعة العمليات والصفقات المالية، وقدرة رأس المال على التحرك سريعاً بين موقع إلى آخر، وهذه الأسباب مجتمعة تجعل المرء يشكك ويجادل في مدى قدرة النظام على الاستمرار طويلاً في فترات هيمنة، ريثما تتأسس هيمنة جديدة، وفي ظروف كهذه يمكن أن تصبح طبيعته المنافسة الكوكبية المعمة"⁽⁴⁾.

إن كلمة الكوكبة باتت شعبية الآن وهي تعني فيما تعني انتشار مناطق التجارة الحرة مترافقة مع تصاعد قوة وسطوة الشركات متعددة الجنسيات والكلمة في هذه الحالة معنى أكثر خصوصية يجب تمييزه عن فكرتين أخريين في هذا السياق:

(1) د. محمد عابد الجابري: ولد في المغرب عام 1936 م، حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام 1967 م، وعلى دكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970 م من كلية الآداب بالرباط منذ عام 1967 م، له العديد من الكتب المنشورة منها: مدخل إلى فلسفة العلوم، تكوين العقل العربي، إشكاليات الفكر العربي المعاصر. (من نهاية كتاب قضايا في الفكر المعاصر، محمد عبد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1997 م).

(2) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 10-11.

(3) ميلتون فريدمان: (31 تموز 1912 - 16 تشرين الثاني 2006)، (بالإنجليزية: Milton Friedman) هو اقتصادي أمريكي عرف بأعماله في الاقتصاد الكلي والاقتصاد الجزئي والتاريخ الاقتصادي والإحصاء. عرف عنه تأييده لاقتصاد السوق وقد أشار إلى تقليل دور الحكومة في الاقتصاد عام 1962، وفاز في جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1976 لإنجازاته في تحليل الاستهلاك والتاريخ النقدي ونظريته في شرح سياسات التوازن (WWW.WIKIPEDIA.COM).

(4) العولمة الكوكبة وجوهرها وأبعادها، د. معن النكري، الصحيفة 12.

1 - الانتشار الكوكبي للنظام العالمي المعاصر.

2 - نمو الانتهاية أو المواطنة العالمية cosmopolitanism⁽¹⁾.

7 - أما العولمة كمفهوم تناوله الكتاب السياسيون هو: تعميم الاقتصاد الرأسمالي ليكون هو الاقتصاد العالمي، ومعه بالضرورة الثقافة والحضارة الغربية والقيم الغربية، كما استقرت في عصر الرأسمال الاحتكاري، أي عصر الامبريالية، وجعل الثقافة الغربية هي الثقافة العالمية، وإلغاء مفهوم الاستقلال الوطني، وإلغاء القوميات وتعميم اللغات الغربية الكبرى والقضاء على تمايزات الأمم والبلدان والشعوب، ووفق هذا التحديد تكون العولمة مرادفاً للكسموبوليتية⁽²⁾ إلا أنها شاعت بلفظها الأصلي⁽³⁾.

8 - العولمة تعني "من جانبها الاقتصادي تحويل الاقتصاد العالمي إلى سوق كبيرة مفتوحة نتيجة ثورة الاتصالات، ونمو الشركات الدولية النشطة. أما في جانبها السياسي: فهي شعارات الديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان، وفي جانبها الثقافي: هي صياغة أخلاق وثقافة عالمية"⁽⁴⁾.

9 - وبعضهم عرف العولمة: بأنها "عالم من دون دولة ومن دون أمة ومن دون وطن إنه عالم المؤسسات والشبكات العولمية، عالم الاستهلاك اللامحدود للسلع والصور والمعلومات، ومن أهم ملامحه السيطرة على المعرفة والمعلومات وتجاوز الصناعات الالكترونية الدقيقة في بناء شبكات الاتصال الأرضية إلى صناعات بالغة التعقيد والتقدم، تعتمد على التحكم بالفضاء وإدارة الاتصالات وبت الصور والأفلام من خلال الأقمار الصناعية"⁽⁵⁾.

إن الملاحظة الأساسية على تعريفات كهذه للعولمة أن كثيراً منها عندما ترصد الأبعاد والجوانب الاجتماعية تكتفي منها بالعناصر الاقتصادية والسياسية، وتغفل

(1) العولمة الكوكبية وجوها وأبعادها، د. معن النفري، الصحيفة 12 - 13.

(2) الكسموبوليتية: نزعة ترمي إلى التحرر من الأحقاد القومية، واعتبار الإنسانية أسرة واحدة، وطنها العالم وأعضاؤها أفراد البشر جميعاً، دون اعتبار لاختلافاتهم في اللغة أو في الجنس أو في الوطن (ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، برهان غليون وسمير أمين، الصحيفة 234).

(3) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 22.

(4) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، دار السوسن، دمشق الطبعة الأولى، 2000م، الصحيفة 18.

(5) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 16.

المكونات الثقافية والإعلامية، ومن الناحية العلمية التقنية تغفل تكوّن الاتصالات ذاتها - (كمكون وليس فقط كمسبب للعولمة) - والتكنولوجيا وانتقالها والمعلوماتية (والتي هي جميعها بدورها مكونات ومسببات) والأهم من ذلك كله والأخطر هو إغفال الجوانب البيئية - الطبيعية - التي ترسم حدود حياة واستمرار البشرية والمجتمع البشري على كوكب الأرض.

10- وجاء أيضاً: "العولمة هي تعقيل العالم بما يجعله يتحوّل إلى مجال واحد من العلاقات بين المجتمعات والأفراد عن طريق تحقيق سيطرات ثلاث: سيطرة الاقتصاد في حقل التنمية وسيطرة التقنية في حقل العلم وسيطرة الشبكة في حقل الاتصال"⁽¹⁾.

11- وجاء أيضاً: "العولمة هي مرحلة جديدة من مراحل تطور الحضارة، تتكاثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي بروابط اقتصادية، ثقافية وسياسية، هذه الروابط لا تعني إلغاء المحلي وإحلاله واستبداله بالعالمي ولا تعني استبدال الداخل بالخارج، وإنما تعني إضافة بعد جديد لما هو محلي بحيث يصبح العامل الخارجي بنفس حضور العامل الداخلي في تأثيره على الأفراد والمجتمعات"⁽²⁾.

12- ولربما التعريف الذي أورده عباس برادة السني في كتابه العولمة الاقتصادية ملامح - أبعاد - اتجاهات هو أشمل تعريف للعولمة: وهو "العولمة تعني الاندماج الكامل لمختلف دول العالم عبر نموذج يستعمل السوق والتجارة والمال والتقنية والغزو الإعلامي لفرض زعامة أصحابه وهيمتهم"⁽³⁾.

13- وأخيراً أذكر رؤية الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين للعولمة وهي: "العولمة تعني فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية"⁽⁴⁾ على العالم، وخصوصاً عالم الشرق، والعالم الثالث، وبالأخص العالم الإسلامي، مستغلة

(1) روح الحضارة المدخل إلى تأسيس الحضارة الإسلامية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 2006 م، بيروت، لبنان، الصحيفة 68.

(2) مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، العدد السادس، بحث بعنوان: تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي، غري محمد، جامعة الشلف، الجزائر، الصحيفة 4.

(3) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 20.

(4) الولايات المتحدة الأمريكية: مساحتها 9629091 كم، عدد سكانها 280562490 نسمة، عاصمتها واشنطن، لغتها إنكليزي. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغاري، الصحيفة 93).

تفوقها العلمي والتكنولوجي، وقدراتها العسكرية الهائلة، وإمكانياتها الاقتصادية، مستندة إلى نظرتها الاستعلائية التي ترى فيها نفسها أنها سيّدة العالم...".

كما تعني (تغريب العالم) أو بعبارة أخرى (أمركة العالم)، إنها اسم مذهب للاستعمار الجديد، الذي خلع أرويته القديمة، وترك أساليبه البالية ليمارس عهداً جديداً من الهيمنة تحت مظلة هذا العنوان اللطيف (العولمة).

وهي تعني فرض الهيمنة الأمريكية على العالم وأي دولة تتمرد لا بد أن تؤدّب بالحصار الاقتصادي أو التهديد العسكري أو الضرب المباشر، كما حدث مع أفغانستان والعراق، وكذلك تعني: فرض السياسات الاقتصادية التي تريدها أمريكا عن طريق المنظمات العالمية التي تتحكم فيها إلى حد كبير، مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

كما تعني: فرض ثقافتها الخاصة التي تقوم على الفلسفة المادية والنفعية وإطلاق الحرية إلى حد الإباحية، وتستخدم أجهزة الأمم المتحدة لتمرير ذلك في المؤتمرات العالمية وتسوق الشعوب إلى الموافقة على ذلك بسياط التخويف والتهديد أو ببوارق الوعود والإغراء⁽¹⁾.

(1) الميثاق الإسلامي، الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الصحيفة 81.

المبحث الثالث

العولمة والحداثة

المطلب الأول: نشأة الحداثة

لقد اختلف في نشأة الحداثة وتعددت الآراء والأفكار حولها كما تعددت تعريفاتها، "فقد عرفها بعضهم بكونها حقبة تاريخية متواصلة ابتدأت في أقطار الغرب، ثم انتقلت آثارها إلى العالم بأسره، مع اختلافهم في تحديد مدة هذه الحقبة فمنهم من قال إنها تمتد على مدى خمسة قرون كاملة، بدءاً من القرن السادس عشر بفضل حركة النهضة وحركة الإصلاح الديني، ثم حركة الأنوار والثورة الفرنسية، تليهما الثورة الصناعية، والثورة التقنية، ثم الثورة المعلوماتية، ومينهم من جعل هذه الحقبة التاريخية أدنى من ذلك، حتى نزل بها إلى قرنين فقط"⁽¹⁾.

انطلقت ظاهرة الحداثة مع الثورة الفرنسية عام ألف وسبعمئة وتسعة وثمانين 1789 م⁽²⁾، حيث ارتبطت بمفهوم التغيير السياسي والاجتماعي، فهي انقلاب فكري يعدّ فيه الإنسان صانعاً لتاريخه ومسؤولاً عن نفسه، والتحديث يعني الأخذ بأسباب الحياة العصرية، وهو ذلك يختلف عن التغريب الذي يجسد مفهوم العولمة، حيث الدعوة إلى تعميم قيم الغرب الثقافية على الثقافات الأخرى، وقد أطلق على هذه الدعوة ما بعد الحداثة لتمييزها عن دعوة التغريب، والتحديث لا يعني إلغاء الهوية أو التشويه الثقافي، بل التطوير من داخل الثقافة ذاتها، والحداثة لن تصل إلى نهايتها كما يدّعي بعضهم، فهي في حالة من التطور، ولن تصاغ في نمط نهائي، ولديها القدرة على التشكل والاستجابة للتحديات التاريخية التي تواجه المجتمعات"⁽³⁾.

المطلب الثاني: تعريف الحداثة

وللحداثة تعريفات عديدة منها: الحداثة هي "النهوض بأسباب العقل والتقدم والتحرر"، "هي ممارسة السيادة الثلاث عن طريق العلم والتقنية، السيادة على الطبيعة، والسيادة على المجتمع، وعلى السيادة على الذات"، ونجد منهم من يقصرها على صفة واحدة،

(1) روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن، الصحيفة 23.

(2) وفي دراسة أخرى نشأت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في أوروبا.

(3) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الطبعة الأولى 2007 م، المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، بيروت، الصحيفة 76.

"قطع الصلة بالتراث" أو أنها "طلب الجديد" أو "محو القدسية من العالم" "العقلنة" "الديمقراطية" أو "حقوق الإنسان" أو "العلمانية" أو "قطع الصلة بالدين"⁽¹⁾.

- والحداثة عملية عولمة ظاهرة على مستوى العالم، وحدث هذا من خلال انتشار الأفكار والتقنيات الحديثة الموجودة في المراكز الأوروبية، ومن خلال النمو الطبيعي الباطني للمجتمعات غير الأوروبية، إن كل المجتمعات كانت في وقت ما تقليدية، وكل المجتمعات الآن إما حديثة أو في طريقها إلى أن تصبح حديثة⁽²⁾.

- وتقتضي الحداثة السياسية غفلة السلطة واستبدال عدد كبير من السلطات التقليدية والدينية والعائلية والعرقية السياسية بسلطة سياسية وطنية علمانية مفردة، ويعني هذا التغيير أن الحكومة هي من إنتاج الإنسان وليس من إنتاج الطبيعة أو غيرها، وأن المجتمع الجيد التنظيم يجب أن يكون له مصدر بشري محدد للسلطة النهائية"⁽³⁾.

- أما مصطلح ما بعد الحداثة، فيذهب د. عبد الوهاب المسيري إلى: "أن ما بعد الحداثة هي أيديولوجيا النظام العالمي الجديد، فبعد حرب الفيتنام وتصاعد معدلات الاستهلاكية في العالم الغربي، اكتشف العالم الغربي والنظام العالمي القديم أن المواجهة المباشرة مع العالم الثالث وقوى المقاومة والجهاد أصبحت شبه مستحيلة، ولذا لابد من اللجوء للإغواء بدلاً من المواجهة، فجدة النظام العالمي تكمن في الآليات وليس في الأهداف ومن الصعب إغواء الشعوب المتناسكة ذات الرؤية القومية أو الدينية الواضحة، ولذا لابد من تسهيل العالم والمهجوم على الحدود المتعينة، حدود الذات (الوعي القومي - الذاكرة القومية - الرؤى القومية)، وحدود الموضوع (السوق القومية - الدولة القومية - المصالح القومية المشتركة)، والنسبية الكاملة والقصص الصغرى وتنائر المعنى والنص المفتوح وما شابه ذلك من مصطلحات ومفاهيم هي خير آلية لتحقيق هذا"⁽⁴⁾.

(1) روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن، الصحيفة 23.

(2) من الحداثة إلى العولمة، تيمونز روبرتس وإيمي هايت، ترجمة سمر الشيشكلي، مراجعة أ. محمود ماجد عمر، 2004م، عالم المعرفة، الكويت، الصحيفة 225. (بتصرف)

(3) من الحداثة إلى العولمة، تيمونز روبرتس وإيمي هايت، الصحيفة 233.

(4) موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب محمد المسيري، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1999م، الصحيفة 298 الجزء 1.

المبحث الرابع

التعريف بالعالم الإسلامي

في كثير من الأبحاث عن العولمة، تتردد كلمة "الغرب" كثيراً فما المقصود بكلمة الغرب؟ إن تعبير الغرب ليس أمراً متفقاً عليه بل هناك أكثر من غرب؛ فالغرب جغرافياً هو أوروبا ولحق بها في وعينا منذ قرن أو أكثر أمريكا، ولكن الغرب منذ القرن التاسع عشر هو أيضاً الاستعمار، هو الإمبراطورية البريطانية⁽¹⁾ وفرنسا⁽²⁾، وبدرجة أقل ألمانيا⁽³⁾ وروسيا⁽⁴⁾، والغرب كذلك هو الحروب الصليبية خلال العصور الوسطى، الغرب هو الكاثوليكية⁽⁵⁾ والبروتستانتية⁽⁶⁾ في مواجهة الإسلام والكنيسة الشرقية، والغرب غير هذا وذلك، هو الرأسمالية⁽⁷⁾ في مواجهة

(1) بريطانيا: تقع في القارة الأوروبية، عاصمتها، لندن، مساحتها 244820 كم، عدد سكانها 59778000 نسمة، لغتها إنكليزي، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).

(2) فرنسا: تقع في القارة الأوروبية، مساحتها 547030 كم، عدد سكانها 59756983 نسمة، عاصمتها باريس، لغتها فرنسية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).

(3) ألمانيا: تقع في القارة الأوروبية، مساحتها 357021 كم، عدد سكانها 83251851 نسمة، عاصمتها برلين، لغتها ألمانية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).

(4) إيطاليا: تقع في القارة الأوروبية، مساحتها 310230 كم، عدد سكانها 570715625 نسمة، عاصمتها روما، لغتها إيطالية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 90).

(5) الكاثوليكية: وهي اسم أكبر طوائف الدين المسيحي، وأكبر كنيسة في المسيحية الغربية، انتشرت في العالم بفعل الاستعمار الأوروبي وبعثات التبشير، وتمثل مجموع العقائد والشعائر والنظم التي تخضع لسلطة بابا روما المطلقة، ويقع مركزها الرئيسي في مدينة الفاتيكان مقر البابا، وتتشر أساساً في أوروبا الغربية وأمريكا اللاتينية. (www.arab-ency.com).

(6) البروتستانتية: هي أحد مذاهب الدين المسيحي، نشأت على يد مارتن لوثر في ألمانيا، وقد انشقت الكنيسة البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر، تنفرع منها العديد من الكنائس الأخرى تتراوح من 28-40 ألف كنيسة ومذهب وهي كلمة تعني المحتجين. (www.wikipedia.com).

(7) الرأسمالية: نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم الحرية، معتمداً على سياسة فصل الدين نهائياً عن الحياة. (www.sanid.net).

الإسلام والكنيسة الشرقية، وهو الرأسمالية في مواجهة الاشتراكية، وهو أيضاً الشيوعية⁽¹⁾ والفاشية⁽²⁾ والنازية⁽³⁾.

الغرب هو الحلف الأطلنطي، ومن جانب آخر الغرب هو الثورة الصناعية، والآن هو ثورة المعلومات والاتصالات، هو الكمبيوتر والانترنت، هو التكنولوجيا، وهو أيضاً الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولكنه أيضاً العنصرية والإلحاد⁽⁴⁾، والغرب هو الموجد للعملة وهو الممارس لها.

أما دول العالم الإسلامي فهي تعني اليوم؛ الدول العربية، ودول العالم الثالث⁽⁵⁾،

(1) الشيوعية: هي إيديولوجيا اجتماعية وسياسية واقتصادية تهدف إلى تأسيس مجتمع ثوري اشتراكي خالٍ من الطبقات مبني على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج. (www.wikipedia.com).

(2) الفاشية Fascism: مشتق من الكلمة الإيطالية Fascio، وهي تعني حزمة من الصولجانات كانت تُحمل أمام الحكام في روما القديمة دليلاً على سلطاتهم. وفي تسعينيات القرن التاسع عشر بدأت تستخدم في إيطاليا لتشير إلى جماعة أو رابطة سياسية عادة ما تتكون من اشتراكيين ثوريين. (www.wikipedia.com).

(3) النازية: هي حركة سياسية تأسست في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى حيث تمكن المنتصرون للحزب القومي الاشتراكي الألماني الألماني تحت زعامة أدولف هتلر من الهيمنة عام 1933 م على السلطة في ألمانيا وإنشاء ما يسمى بدولة الزعيم والمملكة الثالثة. (www.wikipedia.com).

(4) انظر: نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي، د. حازم الببلاوي، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م، القاهرة، الصحيفة 10.

(5) دول العالم الثالث: مصطلح سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي، يقصد به الدلالة على الدول التي لا تنتمي إلى العالمين الأول والثاني، وهما الدول الصناعية المتقدمة، استعمل تعبير العالم الثالث لأول مرة سنة 1952 م في مقالة للاقتصادي الفرنسي "الفريد سوفيه" في إشارة إلى الدول التي لا تنتمي إلى مجموعة الدول الغربية (أمريكا الشمالية، وأوروبا الغربية، وأستراليا، واليابان وجنوب أفريقيا) ولا إلى مجموعة الدول الشيوعية (الاتحاد السوفيتي، والصين، وأوروبا الشرقية) وقد استوحى سوفيه هذه التسمية من الفئة الثالثة في المجتمع الفرنسي أثناء النظام القديم وقبل الثورة الفرنسية. ويرى بعض الدارسين أن دول العالم الثالث هي التي لم تستفد من ثورة القرن التاسع عشر الصناعية، وعلى هذا تعد دولاً آخذة في النمو أو دولاً متخلفة. (www.wikipedia.com).

ودول الجنوب⁽¹⁾، والعالم الإسلامي يعني أيضاً الدول النامية⁽²⁾، وهو العالم الذي مورست عليه العولمة.

لقد مارس الغرب العولمة على معظم دول العالم الإسلامي، كإندونيسيا وأفغانستان والعراق وكثير من الدول الإفريقية، من خلال نهب ثرواتها واستغلالها للمواد الخام الموجودة فيها، ولتحول معظم هذه الدول إلى دول مستهلكة ومستوردة، وبالتالي لتعمل على إبقاء الدول الفقيرة بفقرها، والدول الجاهلة بجهلها، كما مورست العولمة العسكرية على كثير من دول العالم الإسلامي كالعراق وأفغانستان وليبيا وفلسطين، وحول كيفية الممارسة فسيأتي شرحها في الفصل القادم من هذا الباب أما التعريف الدقيق بدول العالم الإسلامي فسيكون كالآتي:

التعريف بالعالم الإسلامي عن طريق ذكر الدول الإسلامية في العالم والتعريف بها جغرافياً أي بذكر اسم عاصمتها ومساحتها وعدد السكان⁽³⁾ ومكان كل دولة.

أولاً - الدول الإسلامية الآسيوية:

1. أذربيجان: عاصمتها باكو، مساحتها 86600 كم²، عدد سكانها 7,864 مليون نسمة وهي واحدة من ست دول تركية مستقلة في منطقة القوقاز في أوراسيا.
2. الأردن: عاصمتها عمان، مساحتها 89300 كم²، عدد سكانها 5,608 مليون وهي دولة عربية تقع في المشرق العربي في جنوب غرب آسيا حيث تشكل الجزء الجنوبي الشرقي من منطقة بلاد الشام، والشالي لمنطقة شبه الجزيرة العربية.

(1) دول الجنوب: هي الدول المستهلكة ومن بينها جميع الدول العربية والإفريقية باستثناء جنوب أفريقيا (<http://ejabat.google.com>).

(2) الدول النامية: هي الدول التي تتسم بمستوى معيشي منخفض وبنخفاض الناتج القومي الإجمالي، وتسمى أيضاً بدول العالم الثالث (www.wikipedia.com). والدول النامية بالمعنى الضيق هي: إحدى الدول الآسيوية أو الأفريقية أو الأمريكية اللاتينية التي اعتادت أن تكون مستعمرة أو شبه مستعمرة أو تنتمي لإدارة دولة أخرى، وبالرغم من الاستقلال الآن فإن اقتصاديات هذه الدول تظل متخلقة. (<http://arabic.peopledaily.com>).

(3) معلومات هذا البحث من خريطة طبعت بمباركة دار الإفتاء الديني وإطلاع مديرية الثقافة في حلب وتديق جامعة حلب، وبموافقة الأمانة العامة الاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية وبموافقة المؤسسة العامة للمساحة وبموافقة وزارة الإعلام رقم 91255.

3. أفغانستان: عاصمتها كابل، مساحتها 647500 كم²، عدد سكانها 29,666 مليون نسمة وهي جمهورية إسلامية تقع في جنوب آسيا الوسطى وكانت تصنف في السابق بأنها ضمن نطاق جنوب آسيا.
4. الإمارات: عاصمتها أبو ظبي، مساحتها 83600 كم²، عدد سكانها 2,522 مليون، وهي دولة عربية اتحادية فدرالية تقع في شرق شبه الجزيرة العربية في جنوب غرب قارة آسيا مطلة على الشاطئ الجنوبي للخليج العربي.
5. أوزبكستان: عاصمتها طشقند، مساحتها 425400 كم²، عدد سكانها 26,395 مليون هي أكبر دولة سكاناً في وسط آسيا، وتضم أقاليم لها حكم ذاتي يبلغ عددها تسعة ومنها أقاليم لها شهرة عريقة في تاريخ الإسلام، فمنها بخارى وسمرقند وطشقند وخوارزم فقد قدمت هذه المناطق علماء أثروا التراث الإسلامي بجهدهم كان منهم الإمام بخاري والخوارزمي والبيروني والنسائي وابن سينا والزمخشري والترمذي.
6. إيران: عاصمتها طهران، مساحتها 1629000 كم²، عدد سكانها 6900 مليون نسمة، وهي دولة في الشرق الأوسط كان يطلق عليها حتى بداية القرن الماضي تسمية فارس.
7. البحرين: عاصمتها المنامة، مساحتها 710 كم²، عدد سكانها 0,677 مليون نسمة، وهي دولة في جنوب غرب قارة آسيا تتكون من أرخبيل جزر من 33 جزيرة أكبرها البحرين.
8. بروناي دار السلام: عاصمتها بندر سري بيجاوان، مساحتها 5760 كم²، عدد سكانها 0,365 ألف نسمة وهي دولة تقع على الساحل الشمالي لجزيرة بورنيو في جنوب شرق آسيا.
9. بنغلادش: عاصمتها دكا، مساحتها 147600 كم²، عدد سكانها 141,237 مليون نسمة، وهي دولة تقع في جنوب شرق قارة آسيا.
10. تركستان: مصطلح تاريخي يتكون من مقطعين "ترك" و"ستان" ويعني أرض الترك، وهي منطقة واسعة في وسط آسيا، تجعل منها الجبال التي في وسطها منطقتين وقسمين، "تركستان الغربية" أو آسيا الوسطى وتشمل خمس جمهوريات إسلامية استقلت حديثاً عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، وهي جمهوريات كازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان وطاجيكستان وقيرقيستان أو قيرقيزيا⁽¹⁾.

11. تركمانستان: عاصمتها أشغابات، مساحتها 488100 كم²، عدد سكانها 4,860 مليون نسمة، وهي إحدى دول آسيا الوسطى وإحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً.
12. جمهورية أدموريتا: عاصمتها إيجسك، مساحتها 42,100 كم²، عدد سكانها 1,503,000 نسمة، وهي أكثر المناطق الإسلامية امتداداً نحو الشمال في روسيا الأوروبية⁽¹⁾.
13. جمهورية الشيشان: إحدى جمهوريات روسيا الاتحادية، تقع الشيشان في منطقة جبال القوقاز التي تمتد بطول 60 ميلاً ما بين البحر الأسود غرباً وبحر قزوين شرقاً، مساحتها 17,300 كم²، عدد السكان 1,269 ملايين،⁽²⁾.
14. جزر المالديف: عاصمتها مالي، مساحتها 300 كم²، عدد سكانها 0,339 مليون نسمة، وهي جزر صغيرة تقع في قارة آسيا في المحيط الهندي.
15. الجمهورية الإسلامية الباكستانية: عاصمتها إسلام آباد، مساحتها 796100 كم²، عدد سكانها 153,657 مليون نسمة، وهي دولة في جنوب آسيا، انفصلت عن الهند⁽³⁾ البريطانية على أساس ديني.
16. جمهورية إندونيسيا: عاصمتها جاكارتا، مساحتها 1811570 كم²، عدد سكانها 238,385 مليون، وهي دولة تقع في جنوب شرق آسيا وأوقيانيا، تضم 17,508 جزيرة، وبذلك تكون رابع أكبر دولة سكاناً وأكبر عدد من السكان المسلمين في العالم.
17. الجمهورية العربية السورية: عاصمتها دمشق، مساحتها 185180 كم²، عدد سكانها 23,000 مليون نسمة، دولة عربية تقع في جنوب غرب آسيا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط.
18. طاجيكستان: عاصمتها دوشنبي، مساحتها 1425500 كم²، عدد سكانها 7,006 مليون وهي دولة تقع وسط آسيا.

(1) موقع الإسلام www.al-islam.com

(2) www.wikipedia.com

(3) جمهورية الهند: تقع في قارة آسيا، مساحتها: 3287600 كم، عدد سكانها: 1045846000 نسمة، عاصمتها نيودلهي، اللغة هندية. (موسوعة أطللس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 92).

19. العراق: عاصمتها بغداد، مساحتها 432160 كم²، عدد سكانها 25,354 مليون نسمة وهي إحدى دول غرب القارة الآسيوية المطلة على الخليج العربي.
20. عُمان: عاصمتها مسقط، مساحتها 309500 كم²، عدد سكانها 2,899 مليون نسمة وهي دولة تقع في جنوب غرب آسيا في أقصى جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، وقد عرفت سابقاً بأسماء أخرى مثل مجان - مزون.
21. فلسطين: عاصمتها القدس، مساحتها 27027 كم²، عدد سكانها 5,629 مليون نسمة، وهي منطقة تاريخية في قلب الشرق الأوسط وتشكل الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام.
22. قطر: عاصمتها الدوحة، مساحتها 11520 كم²، عدد سكانها 1,839 مليون نسمة، وهي دولة تقع في شرق شبه الجزيرة العربية في جنوب غرب آسيا مطلة على الخليج العربي.
23. قيرغيزيا: عاصمتها بيشكيك، مساحتها 198500 كم²، عدد سكانها 4,962 مليون نسمة، توجد في الجزء الشرقي من آسيا الوسطى.
24. كازاخستان: عاصمتها أستانا، مساحتها 2724900 كم²، عدد سكانها 16,791 مليون نسمة، وهي بلد يقع معظمه في شمال آسيا الوسطى وجزئياً في أوروبا الشرقية شرق نهر الأورال.
25. كشمير: كشمير هي المنطقة الجغرافية الواقعة ما بين الهند وباكستان والصين في شمال شرق آسيا. وتاريخياً، تعرف كشمير بأنها المنطقة السهلة في جنوب جبال الهملايا من الجهة الغربية⁽¹⁾.
26. الكويت: عاصمتها الكويت، مساحتها 6780 كم²، عدد سكانها 2,254 مليون نسمة، وهي دولة تقع في الركن الشمالي الغربي للخليج العربي.
27. لبنان: عاصمتها بيروت، مساحتها 10230 كم²، عدد سكانها 3,776 مليون نسمة، وهي إحدى الدول العربية الواقعة في الشرق الأوسط في جنوب غرب القارة الآسيوية.
28. ماليزيا: عاصمتها كوالا لامبور، مساحتها 328550 كم²، وعدد سكانها 23,513 مليون نسمة، وهي دولة تقع في جنوب شرق آسيا مكونة من 13 ولاية وثلاثة أقاليم اتحادية.

29. المملكة العربية السعودية: عاصمتها الرياض، مساحتها 2149690 كم²، عدد سكانها 25,070 مليون نسمة، وهي دولة عربية ذات نظام حكم ملكي تقع في شبه الجزيرة العربية وتستأثر بثلاثة أخماس مساحتها. وتميزت شبه الجزيرة العربية بموقعها الإستراتيجي بين ثلاث قارات كبرى وتقع في النصف الشمالي للكرة الأرضية.
30. مينداناو: هي ثاني أكبر جزر الفلبين وهي أيضاً اسم أرخبيل الجزر الجنوبية للفلبين. تشكل مع كل من لوسون بيسايا ما يعرف بأرخبيل الفيليبين، المساحة 97,530 كم²، عدد السكان 21,58 ملايين⁽¹⁾.
31. اليمن: عاصمتها صنعاء، مساحتها 527970 كم²، عدد سكانها 19,997 مليون نسمة، تقع جنوب غرب شبه الجزيرة العربية في غربي قارة آسيا.

ثانياً - الدول الإسلامية الإفريقية:

1. أوغندا: عاصمتها كامبالا، مساحتها 19971 كم²، عدد سكانها 26,374 مليون نسمة وهي دولة في شرق إفريقيا الوسطى وهي دولة داخلية أي لا سواحل لها.
2. إثيوبيا: جمهورية إثيوبيا الديمقراطية الاتحادية، عاصمتها أديس أبابا، مساحتها 1,127 كم²، عدد سكانها 67,673,000 نسمة⁽²⁾.
3. إريتريا: عاصمتها أسمرة، مساحتها 121,320 كم²، عدد سكانها 4,466,000 نسمة⁽³⁾.
4. بنين: عاصمتها بورتونوفو، مساحتها 110620 كم²، عدد سكانها 7,244 مليون نسمة، وهي دولة تقع في غرب إفريقيا.
5. تنزانيا: عاصمتها دار السلام، مساحتها 945087 كم²، عدد سكانها 37,188,000 نسمة⁽⁴⁾.
6. كينيا: عاصمتها نيروبي، مساحتها 582,650 كم²، عدد سكانها 31,139,000 نسمة⁽⁵⁾.

(1) (www.wikipedia.com).

- (2) أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 87.
- (3) أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 87.
- (4) أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 87.
- (5) أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 88.

7. بور كينا فاسو: عاصمتها أوغادوغو، مساحتها 273600 كم²، عدد سكانها 13,564 مليون نسمة، وهي دولة في غرب إفريقيا وتقع ضمن دول الصحراء الكبرى في إفريقيا.
8. تشاد: عاصمتها انجمينا، مساحتها 1259200 كم²، عدد سكانها 9,531 مليون نسمة، وهو بلد في وسط إفريقيا تقع في منطقة الصحراء الكبرى، تجاورها ست دول ولا تطل على منفذ بحري خارجي سوى بحيرة تشاد.
9. توغو: عاصمتها لومي، مساحتها 54390 كم²، عدد سكانها 5,555 مليون نسمة، وهي دولة إفريقية صغيرة بغربي إفريقيا.
10. تونس: عاصمتها تونس، مساحتها 162150 كم²، عدد سكانها 10,030 مليون نسمة، تقع في شمال إفريقيا.
11. الجزائر: عاصمتها الجزائر، مساحتها 2381740 كم²، عدد سكانها 33,348 مليون نسمة، دولة عربية تقع في شمال غرب القارة الإفريقية، تسمى بلد المليون ونصف المليون شهيد نسبة لعدد شهداء ثورة التحرير الوطني التي دامت 7 سنوات ونصف.
12. جزر القمر: عاصمتها موروني، مساحتها 2230 كم²، عدد سكانها 0,651 مليون نسمة، اسمها الرسمي هو الاتحاد القمري وهي دولة مكونة من جزر تقع في المحيط الهندي على مقربة من الساحل الشرقي لإفريقيا على النهاية الشمالية لقناة موزمبيق بين شمال مدغشقر وشمال شرق موزمبيق.
13. جمهورية الغامبيا: عاصمتها بانجول، مساحتها 100000 كم²، وعدد سكانها 1,545 مليون نسمة وهي إحدى دول الغرب الإفريقي وهي أصغر دولة في البر الرئيسي لقارة إفريقيا.
14. جمهورية الكاميرون: عاصمتها ياوندي، مساحتها 469440 كم²، عدد سكانها 16,057 مليون نسمة، تقع في وسط غربي إفريقيا.
15. جمهورية مصر العربية: عاصمتها القاهرة، مساحتها 997,240 كم²، عدد سكانها 76,092 مليون وهي دولة تقع في أقصى الشمال الشرقي من قارة إفريقيا.
16. جيبوتي: عاصمتها جيبوتي، مساحتها 21,980 كم²، عدد سكانها 0,466 مليون نسمة، منطقة القرن الإفريقي وهي عضو في جامعة الدول العربية تقع على الشاطئ الغربي لمضيق باب المندب.

17. السنغال: عاصمتها داکار، مساحتها 196720 كم²، وعدد سكانها 10,845 مليون نسمة، تقع في غرب إفريقيا.
18. السودان: عاصمتها الخرطوم، مساحتها 237600 كم²، عدد سكانها 39,124 مليون نسمة، وهي أكبر الدول من حيث المساحة في إفريقيا والوطن العربي وتحتل المرتبة العاشرة بين بلدان العالم الأكبر مساحة.
19. سيراليون: عاصمتها فريتاون، مساحتها 71620 كم²، عدد سكانها 5,897 مليون نسمة، تقع في غرب قارة إفريقيا على ساحل المحيط الأطلسي.
20. الصومال: عاصمتها مقديشو، مساحتها 627340 كم²، عدد سكانها 8,294 مليون نسمة، تقع في منطقة القرن الإفريقي.
21. الغابون: عاصمتها ليبرفيل، مساحتها 257670 كم²، عدد سكانها 1,354 مليون، وهي دولة تقع في غرب وسط إفريقيا.
22. غينيا: عاصمتها كوناكري، مساحتها 245720 كم²، عدد سكانها 9,239 مليون نسمة، وهي دولة من دول أفريقيا على شاطئ المحيط الأطلسي وكانت تعرف بغينيا الفرنسية.
23. غينيا بيساو: عاصمتها بيساو، مساحتها 28120 كم²، عدد سكانها 1,387,000 مليون نسمة، وهي دولة غرب أفريقيا على ساحل المحيط الأطلسي وواحدة من الدول الإفريقية الصغيرة.
24. كوت دي فوار أو ساحل العاج: عاصمتها ياموسوكرو، مساحتها 322460 كم²، عدد سكانها 17,319 مليون نسمة، وهي دولة في غرب أفريقيا.
25. ليبيا: عاصمتها طرابلس، مساحتها 1759540 كم²، عدد سكانها 5,627 مليون نسمة، وهي دولة عربية تقع في شمال إفريقيا على الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط.
26. مالي: عاصمتها باماكو، مساحتها 1220190 كم²، عدد سكانها 11,946 مليون نسمة، وهي دولة في غرب إفريقيا.
27. المغرب: وهي مملكة عاصمتها الرباط، مساحتها 710850 كم²، عدد سكانها 32,197 مليون نسمة، وهي مملكة تقع في أقصى غربي شمال إفريقيا.
28. موريتانيا: عاصمتها نواكشوط، مساحتها 1030400 كم²، وعدد سكانها 2,995 مليون نسمة، تقع في غرب إفريقيا على شاطئ المحيط الأطلسي.

29. موزامبيق: عاصمتها مابوتو، مساحتها 769630 كم²، عدد سكانها 17,619 مليون نسمة.

30. النيجر: عاصمتها نيامي، مساحتها 1266700 كم²، عدد سكانها 11,351 مليون نسمة، وهي دولة داخلية لا تطل على سواحل بغرب إفريقيا.

31. نيجيريا: عاصمتها أبوجا، مساحتها 910770 كم²، عدد سكانها 137,194 مليون نسمة، وهي بلد في غرب إفريقيا، أكبر الدول في إفريقيا من حيث تعداد السكان.

ثالثاً - الدول الإسلامية الأوروبية:

1. تركيا: عاصمتها أنقرة، مساحتها 769630 كم²، وعدد سكانها 68,882 مليون نسمة، وهي دولة يقع الجزء الأكبر منها في جنوب غرب آسيا وجزء آخر صغير في جنوب شرق أوروبا.

2. جمهورية البانيا: عاصمتها تيرانا، مساحتها 28748 كم²، عدد سكانها 3,618 مليون، وهي إحدى دول البلقان الواقعة في جنوب أوروبا، وهي عضو في الأمم المتحدة ومنظمة حلف شمال الأطلسي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة التجارة العالمية.

3. البوسنة والهرسك: عاصمتها سراييفو، مساحتها 51,129 كم²، عدد سكانها 3,965,000 نسمة⁽¹⁾.

رابعاً - الدول الإسلامية في أمريكا الجنوبية:

1. سورينام: عاصمتها باراماريبو، مساحتها 161470 كم²، عدد سكانها 0,437 ألف نسمة، وهي جمهورية تقع في شمال أمريكا الجنوبية.

2. غويانا: عاصمتها جورج تاون، مساحتها 197850 كم²، عدد سكانها 1,705 مليون نسمة وهي دولة في أمريكا الجنوبية وتطل جويانا على الساحل الشمالي الشرقي لأمريكا الجنوبية المشرف على المحيط الأطلنطي .
وبذلك يكون مجموع دول العالم الإسلامي سبع وستون دولة.

(1) أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89.

الفصل الثاني

العولمة الاقتصادية

المبحث الأول: مؤسسات العولمة الاقتصادية

المبحث الثاني: الشركات المتعددة الجنسيات

المبحث الثالث: آثار مؤسسات العولمة

تمهيد

تشير العولمة أولاً وبشكل واسع جداً إلى مجموعة من الإجراءات تجعل العالم أكثر اندماجاً واعتماداً بعضه على بعض، وعلى الرغم من أن العالم كانت تربطه منذ زمن بعيد روابط عالمية مهمة، فإن العولمة تشير إلى دمج تعتمد فيه الشركات بعضها على بعض، وإلى إنتاج مرتبط على نطاق عالمي، وهناك زيادة مذهلة في التجارة المنظورة وغير المنظورة والاقتصادات الوطنية مرتبطة بعضها ببعض، وبعيداً عن هذه الزيادة في التجارة والإنتاج المنظم عالمياً، تعني العولمة سيطرة نخبة سياسية واقتصادية جديدة غير خاضعة للمحاسبة إلى حد بعيد على صنع القرار، هي بشكل أكثر تحديداً ووضوحاً "وول ستريت- الخزائنة الأمريكية، مجموعة صندوق النقد الدولي، والبنك العالمي. فالعولمة ليست مجرد عملية دمج اقتصادي ولكنها سيطرة مركزية متجانسة"⁽¹⁾.

وتعني نشر القيم الغربية في مجال الاقتصاد مثل: الحرية الاقتصادية، وفتح الأسواق، وترك الأسعار للعرض والطلب، وعدم تدخل الحكومات في النشاط الاقتصادي، وربط اقتصاد الدول النامية بالاقتصاد العالمي، بحيث يصبح العالم مقسماً إلى قسمين لا ثالث لهما: قسم ينتج ويطور ويدرع ويصدر وهو الدول الغربية، وقسم يستهلك ويستورد فقط وهو الدول النامية ومنها الدول الإسلامية.

"ومع قيام النظام العالمي الجديد، لم يعد رجل الاقتصاد بعد امتلاكه لتكنولوجيا التصرف، يترك ثقافة العولمة إلى المثقفين، بل أصبح يضم هذه الثقافة إلى الحقل العملي الإجرائي للاقتصاد نفسه، فأصبح بذلك هو المدير لشؤون الاقتصاد والمبرر الإيديولوجي لها والممسك بثقافتها والمدافع عنها"⁽²⁾.

وهذا مغزى الاستعمار قديماً وحديثاً، يعني امتصاص خيرات الشعوب الضعيفة وإلغاء هويتها الثقافية وجعلها دائماً تابعة للدول الصناعية الغربية سياسياً واقتصادياً وثقافياً.

(1) من الحداثة إلى العولمة، تيمونز روبرتس، إيمي هايت، ترجمة سمر الشيشكلي، مراجعة أ. محمود ماجد عمر، عالم معرفة، الكويت، 2004م، الصحيفة 33.

(2) الحداثة وما بعد الحداثة، فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري، دار الفكر، 2003، دمشق، الصحيفة 251.

لقد أنشئت مجموعة من المؤسسات العولمية حددت قوانين للتجارة من شأنها أن تخدم فئة معينة وهي فئة أصحاب رؤوس الأموال في العالم أو في الدول الكبرى من العالم من شأنها أن تزيد الأغنياء غنى وأن تزيد الفقراء فقراً.

"من فندق فيرمونت اختزل البراجماتيون المستقبل إلى العددين 20 و80 وإلى مصطلح titty tainment"⁽¹⁾.

ويقصد بالعدد 20 الخمس الثري كما يقصد بالعدد 80 بأربعة أخماس المجتمع الذين يعانون من الفقر والبطالة، حيث رُسمت في فيرمونت الخطوط العريضة للنظام الاجتماعي الجديد: بلدان ثرية من دون طبقة وسطى تذكر⁽²⁾.

وذكر في هذا الاجتماع الذي عقد في فيرمونت كلام خطير يمكن أن يلخص كل أفكار العولمة الاقتصادية وما ترمي مؤسساتها إلى أهداف خطيرة تخلو من الإنسانية وتعتمد على الأنانية المحضة حيث قيل: "لن تكون هناك حاجة إلى أيد عاملة أكثر من هذا 20٪ فخمسة قوة العمل سيكفي لإنتاج جميع السلع، وسد حاجات الخدمات الرفيعة القيمة التي يحتاج إليها المجتمع العالمي... وإن 80٪ في المسألة من الطبقة السفلى ستواجه بالتأكيد مشاكل عظيمة والمسألة في المستقبل هي: إما أن تأكل أو أن تؤكل"⁽³⁾. مما يساعد بالاستغناء عن أربعة أخماس القوة العاملة هو وجود التطور بالتكنولوجيا وخصوصاً الحواسيب وما يؤيد ذلك ما ذكر في كتاب فخ العولمة⁽⁴⁾: "إن التوسع في إنتاج البرامج الجاهزة والتقدم في تطوير لغات جديدة في كتابة البرامج سيؤدي قريباً إلى ألا تكون هناك حاجة إلى العمل البشري إلا بصعوبة، وإن استخدام الأجهزة الجديدة سيمكن مبرمجاً واحداً في المستقبل من تأدية ما ينجزه اليوم مئة من زملائه".

أما المقصود من مصطلح tittytainment الذي طرحه زبجنيو برجينيوسكي⁽⁵⁾

(1) فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والإرهاب، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، ترجمة وتقديم: عدنان عباسي علي، مراجعة: رمزي زكي، الطبعة الثانية، 2003م، عالم المعرفة، الكويت، الصفحة 39.

(2) فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والإرهاب، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصفحة 40.

(3) فخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصفحة 39.

(4) المرجع السابق، الصفحة 179.

(5) زبجنيو برجينيوسكي: بولندي المولد بقي لمدة 4 سنوات مستشاراً للأمن القومي إبان إدارة الرئيس

جيمي كارتر. (www.wikipedia.com)

للمناقشة، المصطلح منحوت من الكلمتين enter tainment وتعني تسلية، و titts تعني حلّمة وهي الكلمة التي يستخدمها الأمريكيون للثدي دلعاً واستُخدم هنا للإشارة إلى الحليب الذي يفيض من ثدي الأم المرضع "فبخليط من التسلية المخدرة والتغذية الكافية يمكن تهدئة خواطر سكان المعمورة المحبطين"⁽¹⁾. ويتوقع المناقشون أن يقع عبء الأعمال الخيرية ودمج العاطلين في جسم المجتمع، على عاتق المبادرات التي يقوم بها الأفراد في مساعدة بعضهم للبعض الآخر طواعية⁽²⁾.

لقد ظنّ منظمو هذه الأيام الثلاثة في فيرمونت أنهم على أبواب حضارة جديدة ولكن أي حضارة، إنها حضارة يتمتع بها 20٪ من المجتمع، كما أن الاتجاه الذي تومئ إليه هذه العقول الرائدة في مجال الصناعة والمال والعلم وخصوصاً براءة الاختراع ينتقل بنا مباشرة إلى عصر ما قبل الحداثة، إذ مجتمع الثلاثين أثرياء والثلاث فقير الذي كان الأوروبيون يخافون منه في الثمانينات هو الذي يقرر توزيع الثروة والمكانة الاجتماعية بل سيمدها في المستقبل، النموذج العالمي الجديد القائم على صيغة 20٪ يعملون و80٪ عاطلون عن العمل، وفعلاً قسم العالم إلى 20٪ تتمركز في أيديهم 80٪ من القرارات الشرائية، و80٪ منهم يسعون وراء لقمة العيش دون جدوى، وهو ما يعني موتاً محققاً للعالم الثالث بما فيه العرب والمسلمون، وتذكر الإحصاءات التي تؤكد هذا المعنى، أن عدد سكان العالم يصل إلى ستة مليارات نسمة، يعيش أكثر من ثلثهم في دول الجنوب، والغالبية العظمى لا تعيش عيشة إنسانية، والدليل على ذلك أن 13٪ فقط من سكان العالم ينفقون 68٪ من الإنتاج العالمي⁽³⁾. لقد لاح في الأفق حسب رأيهم مجتمع الخمس هذا المجتمع الذي سيتعين في ظله تهدئة خواطر العاملين فيه عن العمل بما يسمونه tittytainment.

(1) فغ العولة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 40.

(2) العولة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 40.

(3) عالمية الإسلام والعولة، تأليف نخبة من الباحثين، إعداد طه مرقاتي، مراجعة عثمان يوسف، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م، مطبعة المبتكران للطبع، إيران طهران، الصحيفة 104-105 بتصرف.

المبحث الأول مؤسسات العولمة الاقتصادية

المطلب الأول- صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير:

لقد كان من أهم نتائج مؤتمر بريتون وودز⁽¹⁾ عام 1947 إنشاء صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير الذي أصبح يعرف بالبنك الدولي⁽²⁾، وفيها حددت وظيفة صندوق النقد بالإشراف على النظام الدولي للنقد، ووظيفة البنك الدولي بالإشراف على النظام المالي الدولي⁽³⁾.

ومع تطور الرأسمالية الكبير كان لابد لوظائف هاتين المؤسستين من التطور والتوسع وخاصة بعد ظهور منظمة التجارة العالمية. وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت هذه المؤسسات تتحكم بسلوك الدول المتعاملة معها وتفرض عليها مجموعة من الخطوات والتدابير تمثلت في التزامها بسياسة الخصخصة، وإلغاء القيود التي فرضتها سياسات الحماية الجمركية لحماية الاقتصاد الوطني وترسيخ دعم جميع العوامل التي تسهم في تمتين دعائم الانفتاح المطلق على السوق العالمية، وتطبيق برامج التثبيت والتكيف الهيكلي. وقد قامت هذه المؤسسات بلعب دور كبير من خلال جدولتي ديون البلدان النامية وإتباع سياسة الاقتراض من البنوك والمؤسسات الدولية، وفتح المجال للاستثمارات

(1) بريتون وودز: بلدة في ولاية نيوهامشير الأمريكية اشتهرت بالاتفاقية التي عقدت بها إبان اجتماع المؤتمر الدولي ما بين 1-22 يوليو 1944م، واشتركت فيه 44 دولة تحت رئاسة وزير المالية الأمريكية مودجانتاو وبدعوة من حكومته لبحث شؤون العالم المالية ونظام النقد قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية في ضوء مشروع وصفه بعض الخبراء اشتراك في صياغته يمثلون للولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وفرنسا والصين، وانتهى المؤتمر إلى الاتفاقية التي وقعت باسم اتفاقية بريتون وودز وتنص على إقامة صندوق للنقد الدولي وبنك دولي للإنشاء والتعمير، وأصبحت نصوص الاتفاقية نافذة منذ 27 ديسمبر 1945م. (القاموس السياسي، أحمد عطية الله، الطبعة الثالثة، 1968م، دار النهضة، الصفحة 201).

(2) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصفحة 109.. (معلومات الكتاب في الصفحة 3).

(3) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصفحة 15.

الأجنبية بالتدفق إلى أسواقها، وفي فرض السياسات الانفتاحية على كثير من هذه البلدان⁽¹⁾.

وعلى سبيل المثال "فرض البنك الدولي وصندوق النقد على الحكومة الصومالية برنامج إصلاح بنيوي في بداية الثمانينات كان من نتيجته أن تعرض التوازن القائم بين القطاع البدوي من السكان والقطاع الحضري، إلى الخطر الفظيع...، وعندما بدأت عملية إعادة تنظيم موازنة الحكومة الصومالية تحت إشراف المؤسسات الدولية، نتج عنها نهب منظم وتدمير للزراعة وانهيارت البنى التحتية، وانخفضت النفقات المخصصة للزراعة بنسبة 85٪ بالمقارنة مع ما كانت عليه في أواسط السبعينات وهكذا وبسبب فوائد القروض القاسية أصبح الصومال أسير ما يسمى قميص المجانين المعروف باسم الإصلاح البنيوي لإجباره على سداد الفوائد. وما حدث بعد ذلك معروف انهيارت الدولة واندلعت الحرب الأهلية وتفشت المجاعة"⁽²⁾.

المطلب الثاني: منظمة الجات ومنظمة التجارة العالمية:

في عام 1948 توصلت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية إلى الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة المسماة اختصاراً (الجات) وذلك رغبة من هذه الدول في خلق نظام مشترك للتجارة الدولية لأول مرة في التاريخ⁽³⁾، وبعد عدد من الجولات التفاوضية منذ عام 1946 وحتى عام 1994 تم إنشاء منظمة التجارة العالمية⁽⁴⁾.

"تشارك سبع دول عربية في المنظمة العالمية للتجارة هي: مصر والكويت والمغرب وتونس والإمارات والبحرين وقطر تتمتع بالعضوية الكاملة في الجات، وثلاث تأخذ صفة عضو مشارك أو منتسب وهي الجزائر التي يدرس حالياً طلبها بشأن العضوية الكاملة والسودان واليمن، وست دول بصفة عضو مراقب وهي المملكة العربية السعودية والأردن وتدرس الجات حالياً طلب كل منها للحصول على العضوية الكاملة

(1) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصحيفة 15-16.

(2) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصحيفة 15-16.

(3) فسخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 187 (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(4) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 109.. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

وسورية ولبنان وليبيا والعراق، ومن المتوقع أن تسعى بقية الدول العربية للانضمام إلى الجات بعد أن أصبحت تمثل نظاماً شاملاً للتجارة العالمية⁽¹⁾. وهي تضم الآن أكثر من 120 دولة، وتستوطن في جنيف وهي أهم أضخم مؤسسات العولمة والتي كانت وليدة اتفاقية الجات والتي استندت في وظيفتها على مبادئ أساسية ثلاثة هي:

1- إلغاء القيود الجمركية وتحرير التجارة الدولية منها.
2- الدولة الأولى بالرعاية والمساواة في المعاملة بين جميع البلدان المتاجرة، أي عدم التمييز بين البلدان المختلفة في المعاملات التجارية.

3- سن مجموعة من القواعد التي تحدد السلوك العام في المعاملات التجارية كتحرير قيام دولة بإغراق سوق دولة أخرى، وذلك ببيع سلعة معينة في أسواق التصدير بسعر أقل من الذي تباع به في سوقها الداخلية وغير ذلك⁽²⁾.

كما سعت الجات إلى تخفيض الرسوم الجمركية وهو ما يخلق مزيداً من الثراء لدول يركز اقتصادها على التصدير، غير أن هذا المبدأ لم يكن شاملاً، إذ استثنى من المعاهدة العديد من الإنتاجات، كالنسيج والزيوت الاستوائية، والمعادن وإلى جانب هذا الاستثناء دافع قادة الجات عن مواقف احتكارية في مجال صناعة الأدوية، كما احتج هؤلاء القواد على أي إجراء قد تتخذه دولة ما للحد من استغلال الموارد الطبيعية خاصة في مجال النفط والتعدين⁽³⁾.

ومن المؤلم أن تشارك منظمة التجارة العالمية في دعم وتعزيز السياسات الحمائية التي تنتهجها بلدان الشمال من خلال اتفاقية حقوق الملكية الفكرية وما تنطوي عليه هذه الاتفاقية من ترسيخ للتخلف وتعزيز لانتشار الفقر والأمراض، "فالأسرار الصناعية يحتفظ بها بواسطة براءة الاختراع، وتفرد الولايات المتحدة كل سنة بما يقارب 80٪ منها"⁽⁴⁾، وفي دراسات أخرى، "إن ملكية ما لا يقل عن 90٪ من حقوق براءة الاختراع

(1) موسوعة مصطلحات الجات ومنظمة التجارة العالمية، عبد الفتاح مراد، جمهورية مصر العربية، الصحيفة 242.

(2) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصحيفة 14-15.

(3) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، دار قتيبة، الطبعة الأولى، 1423هـ- 2003م، دمشق، سوريا، الصحيفة 154.

(4) عالمية الإسلام والعولمة، طه مرقاتي، الصحيفة 104.

تعود أصلاً إلى بلدان الشمال و بفضل هذه الاتفاقية أمست بلدان الشمال ومعها منظمة التجارة العالمية تفرض غرامات مالية باهظة على كل من تسول له نفسه الانتفاع من مكتشفات ومبتكرات العصر، مثل علاج مرض نقص المناعة الإيدز، فمع أن هذا المرض يقضي على آلاف الأرواح كل يوم في القارة الإفريقية، أصرت دول الشمال على احتكار وتسويق هذه الأدوية بأسعار خيالية نادراً ما يستطيع مواطن إفريقي دفعها ولولا الاحتجاجات الواسعة والمظاهرات الصاخبة في جنوب إفريقيا لما تنازلت بلدان الشمال من شيء من حقوقها الخاصة بهذا الشأن أبداً⁽¹⁾.

وإلى جانب هذه المنظمات والمؤسسات الدولية الطابع، ظهرت مؤسسات تختص بتقويم العمليات الإنتاجية والإدارية والتنظيمية للشركات والصناعات في العالم، وتمنح بعد اجتياز تلك الصناعات شهادات للمقاييس والجودة باسمها ISO⁽²⁾ وهناك أيضاً "مؤسسات دولية أخرى ذات صفة غير رسمية إلا أنها ذات أثر كبير في صياغة وأداء النظام الاقتصادي العالمي الجديد" وأذكر منها:

1 - نادي روما club of Rome: انشق عن اجتماع عقده فريق من العلماء والاختصاصيين في مختلف مجالات النشاط الإنساني في دار أكاديمية دي لينشي في روما بإيطاليا، وذلك بهدف بحث المآزق الحالي للبشرية، والمستقبل الذي يواجهه الإنسان. ونادي روما رابطة دولية غير رسمية، تضم حالياً أكثر من سبعين عالماً وخبيراً ينتمون إلى خمس وعشرين جنسية مختلفة، ولا تسعى هذه الرابطة للإعراب عن أية وجهة نظر أيديولوجية أو سياسية أو قومية بعينها، بل إن جميع أعضاء الرابطة مقتنعون بأن المشكلات الهامة والعامرة التي تواجهها البشرية في الآونة الحاضرة قد بلغت من التعقيد والتشابك إلى حد لم تعد النظم والسياسات التقليدية قادرة على معالجتها أو التغلب عليها. وقد أسفرت سلسلة الاجتماعات الأولى لنادي روما عن اتخاذ قرار بالبدء في عمل بالغ الطموح، وهو المشروع الخاص بالمآزق الذي تواجهه البشرية، وكان الغرض من المشروع هو دراسة المشكلات المعقدة التي تثير المتاعب لكل الأمم، وفي التقرير الأول بعنوان "حدود النمو" Limits to growth أشير إلى بعض هذه المتاعب، مثل: الفقر

(1) فسخ العملة، من مقدمة المترجم أ. رمزي زكريا، الصحيفة 28. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) العملة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 109.

وسط الرخاء، وتدهور البيئة، وانعدام الثقة في النظم، واتساع المدن دون رابط، وانعدام الأمان في الوظيفة، وإحساس الشباب بالغربة، ورفض القيم التقليدية، والتضخم المالي، والاضطرابات النقدية والاقتصادية الأخرى، وقد أسماها نادي روما بـ "المشكل العالمي"، وقد أعرب أمين عام الأمم المتحدة عام 1969 م أن المشكل العالمي من وجهة نظر المنظمة يتمثل في سباق التسلح، وسوء أحوال البيئة الإنسانية، وخطر الانفجار السكاني، وضعف جهود التنمية، ويعمل التقرير الأول لنادي روما الفشل في حل "المشكل العالمي"، لا إلى القصور في معارف الإنسان ومهاراته، بل إلى عجزه عن فهم واستيعاب العلاقات المتبادلة بين العناصر المتعددة لهذا المشكل، وعن إدراك أن الكل أكثر من مجرد مجموع أجزائه، وأن التغيير في عنصر ما ينطوي بالضرورة على تغيير في العناصر الأخرى.

أما التقرير الثاني بعنوان "البشرية في مفترق الطرق" Mankind at crossroads، وقد جاء استكمالاً وتطويراً للنموذج الشامل في التقرير الأول، إذ تمت فيه معالجة نواحي القصور من خلال وضع نموذج لتطور البشرية تكون فيه كل الافتراضات والأبعاد واضحة، وعلى أساس تقسيم العالم المعاصر إلى عشر مناطق، لكل منطقة فروضها وأوضاعها الخاصة.

وأما التقرير الثالث فهو بعنوان "إعادة تشكيل النظام الدولي" Reshaping of the international order⁽¹⁾.

2- منتدى دافوس: يُعد منتدى دافوس الذي يعقد سنوياً في سويسرا⁽²⁾ ويحضره العديد من رؤساء الدول وكبار المسؤولين وكبار الاقتصاديين في العالم أحد المنابر التي تعمق تيار العولمة ومنذ نشأته عام 1991 م كانت موضوعات اللقاء السنوي للمنتدى تدور بصفة أساسية حول العولمة وآلياتها وكيفية استمراريتها بهدف الترويج لها، وكان الموضوع الرئيسي للمنتدى هو كيفية دعم استمرارية مسيرة العولمة، وفي عام 1997 بدأ العالم يكتشف مشكلة العولمة وسلباتها، حيث شهد النظام المالي أزمة خطيرة وبدأ

(1) انظر: الموسوعة الاقتصادية، د. حسين عمر، الطبعة الرابعة، 1412 هـ - 1992 م، دار الفكر العربي، القاهرة، الصحيفة 505-506.

(2) سويسرا: مساحتها 41290 كم، عدد سكانها 7301994 نسمة، عاصمتها برن، لغتها فرنسية وألمانية وإيطالية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).

الكثيرون يتحدثون عن صليبات العولة، وكرد فعل لذلك كان موضوع اللقاء في منتدى دافوس عام 1996م هو العولة المسؤولة⁽¹⁾.

3- منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD: منظمة خرجت إلى حيز الوجود في 30 سبتمبر 1961م، خلفاً لمنظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي، ولقد أقيمت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في ظل اتفاق وقع في باريس في 14 ديسمبر 1960م من جانب الدول الأعضاء في المنظمة وكل من كندا⁽²⁾ والولايات المتحدة، وينص الاتفاق على أن المنظمة سوف تعمل على دعم السياسات الرامية إلى ما يلي:

- 1- تحقيق أعلى معدل للنمو الاقتصادي التوظيف، ومستوى معيشي مرتفع في الدول الأعضاء، مع الحفاظ على الاستقرار المالي والمساهمة من ثم في تنمية الاقتصاد العالمي.
- 2- الإسهام في التوسع الاقتصادي السليم في الدول الأعضاء والدول غير الأعضاء في عملية التنمية الاقتصادية.
- 3- الإسهام في توسع التجارة العالمية على أساس غير تمييزي متعدد الأطراف ووفقاً للالتزامات الدولية⁽³⁾.

وأخذ نطاق عمل هذه المنظمة، ونتيجة التطور الكبير الذي طرأ عليها، يتسع ليشمل ليس أوروبا فحسب بل أماكن أخرى وخاصة بعد انضمام الولايات المتحدة الأمريكية واليابان إليها، وتضم هذه المنظمة مجموعة من الدول هي: الولايات المتحدة - كندا - المكسيك⁽⁴⁾ - اليابان - بريطانيا - استراليا⁽⁵⁾ - ألمانيا - إيطاليا - فرنسا -

(1) العلاقات الدولية بين العولة والأمركة، محمد نصر مهنا، المكتب الجامعي الحديث: 2006م، الصفحة 393.

(2) كندا: مساحتها 9976140 كم، عدد سكانها 31902268 نسمة، عاصمتها أوتاوا، لغتها إنكليزي وفرنسي، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصفحة 93).

(3) الموسوعة الاقتصادية، د. حسين عمر، الطبعة الرابعة، 1412هـ - 1992م، دار الفكر العربي، القاهرة، الصفحة 481.

(4) المكسيك: مساحتها 1972550 كم، عدد سكانها 103400165 نسمة، عاصمتها مكسيكو سيتي، لغتها إسبانية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصفحة 93).

(5) استراليا: عاصمتها كانبرا، مساحتها 7686850 كم، عدد سكانها 19546800 نسمة، لغتها الإنكليزية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصفحة 95).

النمسا⁽¹⁾ - هولندا - الدانمارك⁽²⁾ - بلجيكا⁽³⁾ - إيرلندا⁽⁴⁾ - أيسلندا⁽⁵⁾ - لوكسمبورغ - فنلندا⁽⁶⁾ - البرتغال - نيوزلندا⁽⁷⁾ - النرويج⁽⁸⁾ - السويد⁽⁹⁾ - أسبانيا - سويسرا - تركيا، ونظراً لأن هذه المنظمة تضم الثالث الاقتصادي الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان، لذلك فإنها تعد القوة الرئيسية الفاعلة للنظام العالمي الجديد.

"وقد بينت الدراسات أن هذا الثالث يستحوذ على 84,7% من الناتج الإجمالي، وعلى 84,2% من التجارة الدولية ويمتلك سكانها 85,5% من مجموعة مدخرات العالم نقلاً عن تقرير الأمم المتحدة عن التنمية الصادر في عام 1994م⁽¹⁰⁾."

-
- (1) النمسا: مساحتها 83858 كم، عدد سكانها 8169930 نسمة، عاصمتها فيينا، لغتها ألمانية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).
 - (2) الدانمارك: مساحتها 43094 كم، عدد سكانها 5368854 نسمة، عاصمتها كوبنهاغن، لغتها دانماركية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).
 - (3) بلجيكا: مساحتها 30510 كم، عدد سكانها 10274595 نسمة، عاصمتها بروكسل، لغتها هولندية وإنكليزية وفرنسية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 90).
 - (4) إيرلندا: مساحتها 70280 كم، عدد سكانها 279 ألف نسمة، عاصمتها دبلن، لغتها إيرلندية وإنكليزية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 90).
 - (5) أيسلندا: مساحتها 103000 كم، عدد سكانها 384 ألف نسمة - عاصمتها ريكيافيك، لغتها أيسلندية، تقع في قارة أوروبا. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 90).
 - (6) فنلندا: مساحتها 3337030 كم، عدد سكانها 5183545 نسمة، عاصمتها هلسنكي، لغتها فنلندية وسويدية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).
 - (7) نيوزيلاندا: مساحتها 268680 كم، عدد سكانها 3908040 نسمة، عاصمتها ويميليفتون، لغتها إنكليزية وماوردي. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 95).
 - (8) النرويج: مساحتها 324220 كم، عدد سكانها 4525116 نسمة، عاصمتها أوسلو، لغتها نرويجية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).
 - (9) السويد: مساحتها 449964 كم، عدد سكانها 8876744 نسمة، عاصمتها ستوكهولم، لغتها سويدية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).
 - (10) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصحيفة 19.

المبحث الثاني

الشركات المتعددة الجنسيات

واليوم ونحن نحيا ظاهرة العولمة هذه، فإننا نشهد أكبر حركة لتراكم رؤوس الأموال وتتركزها ومركزيتها، فقد أفرزت هذه الحركة مع التطور الهائل شريحة من الرأسماليين تختلف عما قبلها من الشرائح بسبب توجهاتها الكثيرة والرامية إلى الهيمنة الاقتصادية على جميع الدول، وفي سبيل خدمة هذه التوجهات تم خلق نمط جديد من الشركات التجارية والصناعية والمؤسسات المالية الاحتكارية والأكثر تطوراً عما قبلها من الاتحادات الاحتكارية بنوعها الكارتيلات⁽¹⁾ والتروستات⁽²⁾.

وتعد هذه الشركات المسماة بالشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات أحد أقوى وأهم روافع الرأسمالية والتي تستخدمها في جر الاقتصاد العالمي باتجاه العولمة⁽³⁾.

ويوجد حالياً إجماع على أن الشركات العابرة للقارات والجنسيات هي اللاعب الرئيسي في الاقتصاد العالمي اليوم، كما أنها الأداة شبه الوحيدة لتصدير العمليات الإنتاجية من المركز إلى الأطراف، أي لتدويل الإنتاج وعولته، عبر الاستثمار المباشر الأجنبي كما أن هناك إجماعاً على أنه مع نمو هذا الاتجاه وتطوره تميل الشركات المذكورة لأن تفقد البقية الباقية من هوياتها القومية والوطنية السابقة ومن تابعياتها الرسمية والصريحة قبلاً إلى دول ذات سيادة معترف بها لأن تكتسب هيئات إدارية وإشرافية وتقنية وعلمية، ذات طابع دولي وعالمي وعولمي واضح⁽⁴⁾.

تعريفها: "هي شركة تخضع ملكيتها لسيطرة جنسيات متعددة كما يتولى إدارتها أشخاص من جنسيات متعددة وتمارس نشاطها في بلاد أجنبية متعددة على الرغم من أن استراتيجياتها وسياساتها وخطط عملها تصمم في مركزها الرئيس الذي يوجد في دولة

(1) كارتيلات: Cartel الكارتل هو الحلف الاحتكاري الذي يتم بين عدة منشآت يظل بعضها مستقلاً عن بعض رغم وجود اتفاق يلزمها جميعاً بالعمل على تحديد أو إزالة المنافسة بينها. (www.annabaa.org).

(2) التروست: هي اندماج عدة مؤسسات وتوحيدها تحت إدارة واحدة قصد لتحكم في السوق أي رفع الأثمان أو تخفيضها. (www.onefd.edu.com).

(3) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصحيفة 9.

(4) ما العولمة، حسن حنفي ود. صادق جلال العظم، الصحيفة 146.

معينة تسمى الدولة الأم. إلا أن نشاطها يتجاوز الحدود الوطنية والإقليمية لهذه الدولة وتوسع في نشاطها إلى دول أخرى تسمى الدول المضيفة⁽¹⁾. وجاء أيضاً: "هي تلك الشركات التي تقود فعاليات وأنشطة تتجاوز الحدود القومية للدول، وقد تنامي دورها، فأصبحت تسمى الشركات الفاقدة للهوية أو للجنسية أو الشركات العابرة للحدود، وأيضاً الشركات متعددة القومية، وهي ليست متعددة الجنسيات إذ أن لها جنسية واحدة هي جنسية الوطن الأم إلا أنها كالشركات متعددة الجنسيات تعمل على نطاق عالمي في تحول الرأسمالية العالمية، من الرأسمالية القومية إلى رأسمالية ما وراء الحدود القومية في زمن العولمة"⁽²⁾.

"وتنفذ هذه الشركات سياساتها العولمية عبر وضع أجزاء من عملياتها الإنتاجية في الصين، وأجزاء أخرى في المكسيك، وأجزاء ثالثة في كوريا⁽³⁾، وأجزاء رابعة في إسبانيا، وأجزاء خامسة في إسرائيل، مع الاستعداد الدائم لنقل أي منها على الفور إلى مناطق جديدة أو قديمة أخرى، إن تبين أنها تضمن مردوداً أعلى أو أكثر ثباتاً وأماناً من غيره، أو شروطاً استثمارية مغرية جداً وما إلى ذلك من حسابات واعتبارات... مما يعني أن الشركة المذكورة تضع الآن استراتيجياتها وخططها الإنتاجية وليس التوزيعية والتسويقية فقط - دولياً وعالمياً وحتى عولمياً، وفي الوقت ذاته فإنها تدير كل جزء من أجزاء العملية الإنتاجية محلياً وفقاً للظروف والأوضاع والأحوال السائدة إقليمياً"⁽⁴⁾.

وأصبحت هذه الشركات تخطط وتنفذ عمليات الإنتاج والتسويق أو التوزيع ضمن نطاق كوني، إن هذه العولمة الجديدة المدعومة بنفوذها الهائل لرأس المال، استطاعت نقل القوة الجيوسياسية من يد الحكومات المركزية نحو القوى الخاصة والمالكة لرأس المال.

(1) www. Wikipedia.org - 1 شباط 2011.

(2) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى، 1427هـ - 2006م، الصحيفة 37.

(3) جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية: تقع في قارة آسيا، مساحتها 120540، عدد سكانها: 22224000 نسمة، عاصمتها: بيونغ يانغ، اللغة كورية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 92).

(4) ما العولمة، حسن حنفي ود. صادق جلال العظم، الصحيفة 147.

وربما يكون هذا هو السبب وراء عدم قدرة المصارف المركزية على كبح جماح التقلبات الحادة في أسواق رأس المال، ويقدم تفسيراً مقنعاً لعدم قدرة بعض الدول المتقدمة، في بعض الأحيان، على التحكم في برامجها المالية أو موازناتها العامة.

لقد باتت الشركات المتعددة الجنسيات أو مالكو رأس المال، في وضع يتيح لهم القدرة على إعادة ترتيب الأولويات الاقتصادية أو السياسية. "ومن الأمثلة على ذلك سلوك الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الصين حيث تخلى الرئيس الأمريكي عن تعهداته الانتخابية أو السياسية تجاه الصين ووضع إعادة الروابط مع الصين على قمة الأجندة الأمريكية، أو تنفيذ حكومة حزب العمال البريطانية للعقود العسكرية مع إندونيسيا لإرضاء للشركات البريطانية.

وكذلك الشركات الأوروبية التي تتعامل مع إيران والعراق انطلاقاً من مصالحها في أسواق تلك الدول ضاربة عرض الحائط بالتهديدات الأمريكية. وكذلك الأمر مع عودة الشركات اليابانية والكورية والأوروبية، وأخيراً الأمريكية، إلى السوق الفيتنامية الواعدة بعد مقاطعة دامت أكثر من ربع قرن. ويمكن الإشارة هنا إلى الدور المهم الذي تلعبه الشركات المتعددة الجنسيات من خلال حفز البحث العلمي والتطوير التقني وإدارتها وقدرتها على تمويلها الأمر الذي يلور تقسيماً جديداً للعمل على الصعيد الدولي⁽¹⁾.

وحول ضبط العمليات الإنتاجية التي تقوم بها الشركات المتعددة الجنسيات: "إن ضبط العمليات الإنتاجية المعقدة التي تقوم بها الشركات المذكورة وتنسيقها وتسييرها، على تبعثرها الجغرافي والثقافي والإقليمي والمحلي، شبه مستحيل دون ثورة الاتصالات وثورة المعلوماتية والفاكس والكمبيوتر والأقمار الصناعية والانترنت وما إلى ذلك من التكنولوجيا العالية.

لكن على العكس مما يقال وشاع، إن العولمة ليست إفرازاً من إفرازات ثورة المعلوماتية والاتصالات والإعلام، بل ثورة المعلوماتية والاتصالات والمعلومات والإعلام شرط ضروري ولكن غير كافٍ لتحقيق العولمة وتقدمها وتوسعها وتسارعها،...، بعبارة ثانية، تتطلب لامركزية الإنتاج في ظل العولمة مركزية قوية في نظم

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 106-107.

الإدارة والتنسيق وتلقي المعلومات وإرسال التعليمات والإرشادات والأوامر، وهذا ما تتيحه التكنولوجيا العالية⁽¹⁾.

ومن ناحية السلع، "فإن السلع التي تنتجها الشركات قد تعولمت هي نفسها أيضاً، بمعنى أنها تميل لأن تصبح أكثر فأكثر تشابهاً وتجانساً، وفقاً لمواصفات محددة مسبقاً وموجهة إلى سوق عولمية هي بدورها، بدلاً من أن تكون موجهة إلى سوق محلية أو إقليمية أو قومية تتطلب مواصفات بها"⁽²⁾.

عدد الشركات المتعددة الجنسيات:

"يبلغ عدد الشركات المتعددة الجنسيات أكثر من 65 ألف شركة، لديها أكثر من 850 فرعاً خارجياً، ويعمل بها أكثر من 54 مليون مستخدم، وبلغت صادرات الفروع الأجنبية للشركات المتعددة الجنسية نحو 45٪ من مجمل الصادرات العالمية، ويقف حجم التجارة العربية عند 2,7٪ من إجمالي التجارة العالمية"⁽³⁾.

ومن أمثلة الشركات المتعددة الجنسيات: شركة مايكروسوفت، وغوغل، وماكدونالدز، وإس بي جونسون.

"إن مئة وحدة من هذه الشركات تفوق مبيعاتها ربع الاقتصاد العالمي، وهو حجم مهول إذا علمنا أن هذه المبيعات تفوق النشاط الاقتصادي لكل الدول مجتمعة باستثناء التسع الأوائل، وهو ما يعني أنها تتعدى مبيعات مئة واثنين وثمانين دولة مجتمعة، وتتوزع الشركات متعددة الجنسيات حسب قوة فاعلة في المجال الاقتصادي الدولي وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تحوز هذه القوة مئة وثلاثاً وخمسين شركة لتكون للسوق الأوروبية المشتركة مئة وخمس وخمسون، ويتمثل نصيب اليابان مئة وواحد وأربعين"⁽⁴⁾، كما ورد إحصائية أجريت في عام 1999 م بلغ عدد هذه الشركات 32-40 ألف شركة متعددة الجنسيات تسيطر على معظم الإنتاج العالمي، ويعود لها حوالي ثلث الاستثمارات الأجنبية المباشرة، وثلثي التجارة الدولية في ميدان السلع والخدمات، كما أنها تهيمن على

(1) ما العولمة، حسن حنفي ود. صادق جلال العظم، الصحيفة 153.

(2) ما العولمة، حسن حنفي ود. صادق جلال العظم، الصحيفة 153.

(3) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 39.

(4) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 109.

أسواق المواد الخام الهامة كالنفط والصناعات المتطورة وذات التقنية العالية (الطائرات والاتصالات)⁽¹⁾.

إيرادات هذه الشركات:

إن هذه القوة المهيمنة تراتبياً على الاقتصاد العالمي وفي طليعتها الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تتفرد بسبعة وثلاثين بالمئة من الواردات، وأربعة وتسعين بالمئة من الصادرات العالمية من السلع المصنعة، أضف إلى ذلك أن هذه القوى تسيطر على خمسة وتسعين بالمئة من الاستثمارات إنها لا تستولي على الثروة من حيث هي مادة تنتج فحسب، بل تسير أيضاً وبأكثر هيمنة على مجالات المعرفة العلمية، وإنتاج التكنولوجيا العالمية، إذ أن مجهودات تلك القوى الثلاثة يقارب خمسة وثلاثين بالمئة مع بداية التسعينات، وهو رقم تحتل فيه الولايات المتحدة الأمريكية تسعة وثلاثين بالمئة ليكون الاتحاد الأوروبي ثمانية وعشرين، وتحوز اليابان خمسة عشر بالمئة في حين لا يتعدى النسبة للدول الفقيرة مجتمعة التسعة بالمئة⁽²⁾، كما جاء في دراسة أجريت عام 1996 م "أن إيرادات 500 شركة متعددة الجنسيات بلغت حوالي 10 تريليون دولار أي ما يعادل نسبة 44٪ من الناتج المحلي العالمي والبالغ في العام نفسه حوالي 23 تريليون دولار"⁽³⁾.

وبناء على إحصائيات منظمة مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية: فهناك ما يقرب من أربعين ألف شركة تمتلك مصانع في ما يزيد على ثلاث دول ووصلت قيمة مبيعات المئة الكبرى منها إلى ما يقرب من 1,4 بليون دولار في العام الواحد، وتهيمن الشركات العابرة للقارات على ثلثي التجارة العالمية، وينجز ما يقرب من نصف هذه التجارة في داخل شبكة المصانع التي تعود ملكيتها إلى الشركة الأم، من هنا فإن هذه الشركات قد صارت محور العولمة والقوة الدافعة لها بلا انقطاع"⁽⁴⁾.

إن هذه الأرقام التي قدمت وإن كانت تتزاحم فيها مراكز اقتصادية ثلاثية: "استيلاء على الثروة في العالم من حيث الإنتاج والتداول فإن الصدارة في هذه السيطرة

(1) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصحيفة 9

(2) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 150.

(3) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصحيفة 9-10.

(4) فسخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 193. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

هي من نصيب القوة الأمريكية التي تصل في مجال العديد من الصناعات ذات المكانة الهامة عالمياً أن تحتكر لنفسها نصف الإنتاج مثال ما عليه الحالة في صناعة الطيران⁽¹⁾.

"وتعود ملكية الشركات المتعددة الجنسيات، إلى دول عدة من بينها هولندا وألمانيا وفرنسا وسويسرا، وإيطاليا، وكندا والسويد، واليابان، لكن ملكية أكثرها، تعود إلى شركات أميركية المنشأ"⁽²⁾.

"وإن هذه المكانة الهامة للولايات المتحدة الأمريكية لا تجعلها مهيمنة على مجال الإنتاج الصناعي فقط بل تتمظهر أيضاً في المجال الفلاحي، وهو مجال له أهميته كوجه من أوجه السلاح الموجه ضد الشعوب الجائعة... حيث تمكنت هذه القوة الاقتصادية من السيطرة على نصف إنتاج الحبوب المصدرة إلى الخارج والتي قدرت بمئتي مليون طن⁽³⁾، وربما هذه القوة الاقتصادية التي حظيت بها الولايات المتحدة الأمريكية وبسبب الخدمات الكبيرة التي قدمتها مؤسسات العولمة والشركات المتعددة الجنسيات لاقتصادها، هي التي دفعت الكثير من المفكرين بتعريف العولمة بكلمة واحدة مختصرة وهي الأمركة.

"وما يعاب على مثل هذه القوة ليس أن تكون قوة في ذاتها فذاك حق إيجابي لأية قوة، ولكن الذي نتوقف عنده هو طرق استخدام هذه الثروة في الهيمنة وخلق سوق له اتجاه أحادي وهو أن يكون موظفاً لخدمة هذه الثروة من ناحية ومن ناحية أخرى الطريقة التي يتم بها إنتاج هذه الثروات"⁽⁴⁾.

وعموماً تلعب الشركات المتعددة الجنسيات دوراً محورياً في إطار العولمة، ونستطيع أن نؤكد بأنها العامل الأساسي والمحرك الرئيسي لعمليات العولمة، لأن العولمة تقوم في النهاية بتسويق وترويج منتجات تلك الشركات على الصعيد العالمي بسبب ضيق أسواق دولها على استيعاب منتجاتها"⁽⁵⁾.

(1) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 150.

(2) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 38.

(3) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 150.

(4) حقيقة العولمة، أحمد العوي المشرقي، الصحيفة 151-152.

(5) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 38.

المبحث الثالث

آثار مؤسسات العولمة

لقد أدت سياسة الشركات المتعددة الجنسيات هذه في تدويل الاستثمار والإنتاج والخدمات والتجارة إلى:

1- سيادة أنماط عالية في أسلوب الإنتاج والتسويق والاستهلاك والإعلان والدعاية:

"حيث أصبحت أسواق الإعلان متميزة بضخامتها وتأثيرها الكبير في حركة تجارة السلع والخدمات، وتشير دراسة قامت بها إحدى المراكز العربية للبحوث والدراسات الاستشارية إلى أن الإنفاق الإعلاني في عام 1996 م بلغ في الولايات المتحدة 87,9 مليار دولار وفي اليابان 40,7 مليار دولار وفي ألمانيا 83,8 مليار دولار، وقد بلغ مجمل الإنفاق على الدعاية والإعلان 250 مليار دولار في نفس العام"⁽¹⁾، "كما إن ضخامة سوق الإعلان وشموليته ومواكبته لتطور تكنولوجيا الإنتاج خلق توجهاً جديداً تجلّى في إنتاج تكنولوجيا تسويق لكل منتج تكنولوجي، وهذا التوجه كان له دور هام في صياغته ثقافات استهلاكية شبه موحدة على الصعيد العالمي..⁽²⁾".

2- انخفاض الأجور:

"يكاد يكون انخفاض أجور العاملين وازدياد نسبة البطالة في المؤسسات المعولمة هي سمة من سمات العولمة الاقتصادية، وإن كانت نتيجة حتمية لانتشار الشركات المتعددة الجنسيات، وبدل أن ترتفع الأجور لدى الطبقات العاملة داخل البلدان الفقيرة والتي تلعب فيها أيادي أبنائها دور الآلة البشرية في إنتاج السلعة لصالح الشركات متعددة الجنسيات فإن هذه الأجور تراجعت استجابة لقانون العرض والطلب"⁽³⁾.

"وإن الوجه الشرس لهذه العولمة يمكن أن نراه في فرض لقانون مؤمرك يسمى خطأً آليات السوق، أو قوانين السوق العالمية، هذه القوانين التي أضحت بما أقرته منظمة التجارة العالمية قوانين ملزمة للبلدان الفقيرة وهي التي تنتشر فيها، فزج بهذه البلدان ضمن قواعد من التلاعب الاقتصادي ليست قادرة على ممارستها بل حتى إدراك الكيفية

(1) العولمة الاقتصادية، يونس كامل ديب، الصحيفة، 10

(2) العولمة الاقتصادية، يونس كامل ديب، الصحيفة 11.

(3) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 152.

التي يُدار بها اللعب، فإذا بعمليات التفجير تتضاعف فيزداد الفقر ويتراكم داخل المؤسسات الوطنية التي أصبحت عاجزة عن أي منافسة، فالتحق مديرو هذه المؤسسات بالأرصفة دخولاً في ممارسة التسول الجماعي⁽¹⁾.

وإن من أمثلة تخفيض الأجور التي تسببها الشركات المتعددة الجنسية، أن ساعة المرأة العاملة في إنتاج الأسلاك الكهربائية التي تنتجها لحساب شركة فولكس فاجن تكلف في مدينة يزنبرغ 45 ماركاً، أما في ليتاون فإنها أقل من مارك ونصف مارك بالإضافة إلى أن موقع العمل هناك بلا ثمن⁽²⁾.

وكان هذا الدافع أيضاً للتوسع باتجاه الهند حيث إن العاملين هناك قد تخرجوا في جامعات جيدة تدرس بالانجليزية وأنهم أرخص أجراً بكثير من زملائهم الشماليين⁽³⁾، إذن من أجل رفع الإنتاجية وتخفيض التكاليف لم يبق لدى المؤسسات الأمريكية سوى إستراتيجية واحدة هي: الترشيح وتخفيض الأجور⁽⁴⁾، وكما ذكرنا السبيل إلى ذلك هو وجود الشركات المتعددة الجنسيات.

وهناك مصطلح وضع في عالم السيارات ألا وهو "global car أي السيارات المعولمة" وقد وضعت مؤسسة فورد من خلالها معياراً عالمياً يؤشر إلى الطريقة التي يروض بها إنتاج السيارات ليصل إلى أعلى جودة ممكنة التحقيق، فالتغيرات تقتصد تكاليف تصل إلى المليارات وتؤدي إلى احتمال أن تفقد آلاف كثيرة من الإداريين والمهندسين والباعة ذوي الكفاءة والرواتب العالية فرص عملهم⁽⁵⁾.

3- التهرب الضريبي:

"إن التهرب الضريبي المتعاظم ليس من مبتكرات المؤسسات الصناعية الكثيرة فقط فالأمر ذاته ينطبق على ذلك العدد الهائل من المشروعات المتوسطة الحجم فيما أن هذه

(1) حقيقة العولمة، أحمد العربي الشرقي، الصحيفة 152.

(2) انظر: فخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 308. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(3) فخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 178.

(4) فخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 200.

(5) فخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 173.

المشروعات تستغل الفروقات السائدة بين النظم الضريبية الوطنية المختلفة لذا فإنها قادرة على تخفيض مدفوعاتها الضريبية إلى أدنى مستوى ممكن دولياً⁽¹⁾.

ومن طرق التهرب الضريبي:

1 - ما يسميه الخبراء بالخطئة الضريبية Transterpricing: التسعيرة التحويلية وقاعدة هذا هو خلق اتحاد يضم شركات وفروعاً تابعة للشركة الأم وموزعة على بلدان مختلفة ولما كانت هذه الشركات والفروع التابعة لها تتعامل فيما بينها بالسلع الوسيطة وبالخدمات أو بحقوق البراءة والاختراع أيضاً لذا فإن هذه الشركات والفروع التابعة لها قادرة على أن تحتسب لنفسها تكاليف يكاد مستواه يكون اعتبارياً⁽²⁾.

2 - الاستئجار الثنائي التخفيض Doubledipensing: وفي سياق هذا الأسلوب تستغل المشروعات التعليمات المختلفة السائدة في العديد من بلدان العالم، بشأن احتساب اندثار الأجهزة المتأجرة على نحو يسمح بأن تخفض تكاليف شراء الآلات والمكائن أو معامل الطاقة أو الطائرات، العبء الضريبي في بلدين اثنين في آن واحد.

3 - السندويش الهولندي SandwichDutch: وهو أسلوب تشارك في سياقه شركة تابعة مقيمة في هولندا بمصنع يقع في جزر الأنتيل الهولندية أو في سويسرا. فاستغلال كلا التشريعين الضريبيين يعطي الفرصة لأن تدفع عن تسعة أعشار أرباح المؤسسة ضريبة لا يزيد معدلها على خمسة٪ فقط⁽³⁾.

وإذا كانت أممية رأس المال الجديدة تقتلع دولاً بمجملها من الجذور، فهي تهدد أيضاً بهروب رأس المال لكي تجبر الحكومات على تقديم تنازلات ضريبية عظيمة، ومنح تبلغ المليارات أو إقامة مشروعات بنية تحتية لا تكلفها شيئاً. وحيث لا يجدي التهديد نفعاً فإنها تساعد نفسها بوضع خطط ضريبية على مستوى عال جداً، فالأرباح لا تعلن إلا في تلك البلدان التي يكون فيها معدل الضريبة منخفضاً فعلاً. وهكذا انخفضت على المستوى العالمي النسبة التي يشارك بها أصحاب رؤوس المال والثروة في تمويل المشاريع

(1) فيج العولة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 316. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) فيج العولة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة، 317.

(3) فيج العولة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 318.

الحكومية، أما في الناحية الأخرى فإن الموجهين للتدفقات العالمية لرأس المال يخفضون باستمرار مستوى أجور عمالهم الدافعين للضرائب الحكومية، الأمر الذي ترتب عليه انخفاض حصة الأجور من الدخل القومي على المستوى العالمي⁽¹⁾.

ومن أمثلة التهرب الضريبي:

لقد نقل ما يزيد على المئة ألف ثري أموالهم، شكلاً، إلى جزيرة جبل طارق وهناك استشاريون يقدمون كل التسهيلات والإرشادات التي يحتاج إليها المتهربون من دفع الضرائب، كما تشكل قبرص باعتبارها واحدة من واحات التهرب الضريبي، الجسر المالي تتقل عبه مختلف منظمات المافيا الروسية، ففيها صورياً 300 مصرف روسي بلغ حجم معاملاتها 12 مليار دولار في السنة، ويتوافر لهذه المصارف منفذ تدخل منه إلى شبكة المعاملات المصرفية الالكترونية في ألمانيا أيضاً، يعني أن أبواب ألمانيا مفتوحة على مصاريحها لأموال الجريمة، وبناء على إحصائيات صندوق النقد الدولي هناك ما يزيد على 2000 مليار دولار تستظل تحت راية الدولات الصغيرة التي تأوي الهاربين من دفع الضريبة، وتحتمي بها من أن تمتد إليها أيدي حكومات الدول التي جنت فيها هذه الأموال.

وبالنتيجة: مع كل سنة ضريبة توضع وقانون ضريبي يسن تعززت بفعل العولمة اللاعدالة بغض النظر عن اختلاف الثقافات أو القيم الاجتماعية⁽²⁾.

4- السرعة والتطور:

بسرعة يصعب إدراكها تتحقق العولمة أي انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القروية والإقليمية والوطنية في اقتصاد عالمي شمولي واحد لا مكان فيه للخاملين بل يقوده أولئك الذين يقدرّون على مواجهة عواصف المنافسة الهوجاء. وقد قال الاقتصادي الأمريكي إدوارد لوتاك Luttak: "إن السرعة المروعة التي تجري بها التحولات قد غدت صدمة لخطر عظيم من السكان"⁽³⁾، إن السرعة في التطور والتحولات هي الطابع الجديد

(1) فنج العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 44.

(2) المرجع السابق، الصحيفة 123-124-125-127 (بتصرف).

(3) فنج العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 291.

الذي اتخذ نظام السوق المعولم أو كما يسميه البعض الرأسمالي، وقد صيغ لهذا الطابع مصطلح الرأسمالية النفثة... وكمثال معبر غاية التعبير عن النتائج التي تفرزها الرأسمالية النفثة يستشهد Luttak بتحرير النقل الجوي في الولايات المتحدة الأمريكية من التدخل الحكومي، فهذا التحرير أدى حقاً إلى تخفيض أسعار الرحلات إلا أنه أفرز في الوقت ذاته اندلاع موجات تسريع من العمل وشركات نقل جوي تعمها الفوضى وتعاني انعدام الاستقرار ويواصل تحليله مؤكداً أن هذا التطور يمكن أن يشكل مادة مهمة لدراسة سوسيولوجية تبحث عن عدد حالات الطلاق التي سببها هذا التطور، وعن عدد أولئك الأطفال الذين يعانون من حالات الطلاق هذه وعن هول المتاعب الاقتصادية التي جره على عائلات العاملين لدى شركات الطيران⁽¹⁾.

إن هذه السرعة في التحولات يكاد يشدها العالم بأسره ويمكن أن يراها أي شخص اليوم في مثال بسيط هو سرعة التطور في مجال التكنولوجيا كأجهزة الهواتف النقالة والحواسيب المحمولة "بعيثة لم يستطع الشاب البالغ من العمر ثلاثين عاماً التعامل مع البضائع الدارجة لدى الشبيبة التي تصغره بسنوات قليلة لا غير فالإلكترونيات من أجهزة التسلية والكمبيوتر صارت تفوق مداركه.

وفي سياق سرعة التطور هذه يتزايد بالضرورة عدد أولئك الأفراد الذين يتخلفون عن مسيرة الركب، وذلك إما لأنهم ليسوا على استعداد، أو لأنهم ليسوا قادرين على تغيير رؤيتهم لمعنى الحياة باستمرار وقضاء العمر كله في تحقيق أقصى عطاء⁽²⁾. وفي سرعة انتقال المعلومة بين دولة وأخرى أو حتى قارة وأخرى عبر وسائل الإعلام وشبكات الانترنت. كما أنه يمكن أن يلاحظ من الكلام السابق الذي ذكره الخبير الاقتصادي الأمريكي لوتاك عن مدى تأثير العولمة الاقتصادية على الحالة الاجتماعية في المجتمع، ومن هذا المنطلق يمكن أن نلاحظ العلاقة والارتباط القوي بين العولمة الاقتصادية والعولمة الاجتماعية، كما سنلاحظ العلاقة بين العولمة الاقتصادية والسياسة لاحقاً.

وأخيراً: أذكر إن استراتيجية عولمة العالم على الطريقة الأمريكية فشلت فشلاً ذريعاً في العالم وخاصة في الشرق الأوسط، ومن أهم الدلائل على ذلك: "إن العجز التجاري

(1) فغ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 292.

(2) فغ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 292.

الأمريكي قفز من 100 مليار دولار عام 1990م إلى 450 مليار دولار عام 2000م، والأخطر في العجز التجاري في عام 2000م هو أن الواردات النفطية لا تشكل إلا 18٪ من الواردات الأمريكية، أما 82٪ الباقي فهي سلع صناعية مستوردة، ويضاف إلى ذلك أن العجز التجاري مع الصين بلغ في عام 2001م 83 مليار دولار، وهذا يؤكد الفشل الأمريكي في إدارة عولمة العالم⁽¹⁾.

(1) الإسلام والعولمة العالمية الإسلامية والعولمة البشرية بين السنن الربانية والتدافع الإنساني، د. سامي محمد صالح الدلال، الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004م، الرياض، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الصحيفة 59.

الفصل الثالث

العملة السياسية

**المبحث الأول: العملة السياسية وعلاقتها بالعملة
الاقتصادية**

المبحث الثاني: مؤسسات العملة السياسية

المبحث الثالث: العملة التشريعية

المبحث الرابع: الحروب في ظل العملة

المبحث الأول

العولمة السياسية وعلاقتها بالعولمة الاقتصادية

"تعد العولمة السياسية هي القاعدة والأساس لمختلف مستويات العولمة الأخرى وهي تهدف إلى إزالة الحدود بين الدول ومحاولة تقليص دور الدولة المحلية، وتدويل الأزمات الإقليمية، وتحكيم المؤسسات العالمية بالمشكلات المحلية، وذلك لنبذ فكرة القومية لدى الشعوب والأمم، والتخفيف من الحدود السياسية والحوجز الجغرافية"⁽¹⁾.

تعني العولمة السياسية في لحظتها الراهنة جعل النموذج السياسي الليبرالي أنجع نموذج في الممارسة المدنية، بل هو المثال الذي يجب أن تحاكيه البشرية، ذلك ما بشر به فوكويوما: الذي جعل من لحظة الأمركة مثال المثال الذي من الواجب أن يتبع حتى نكون داخل التاريخ أي نكون على مقربة من الحقيقة.

ما دامت الحقيقة تقاس بمدى القرب أو الابتعاد عن المثال، من هذا المنطلق ترسم الولايات المتحدة معالم السياسة الدولية، وهو تدخل مباشر مرة وآخر خفي متستر وكما يكون الاحتكام داخلياً إلى قوة رأس المال المتآمر مع آلة الإعلام يكون الاحتكام الخارجي إلى قوة المال أيضاً مهيمنة على بنك النقد الدولي، والبنك الدولي مع التذكير بسيطرتها المطلقة على الترسانة الإعلامية⁽²⁾.

وفي المجال الداخلي: لا يمكن أن ننكر أبداً مليارات الملايين التي تصرف على الحملات الانتخابية وقد ذكر أن الإنفاق على الانتخابات يصل إلى 25 مليون دولار وهي أموال تقدمها المؤسسات المالية نصرته للمترشح الذي سيستخدم هذه الأموال لشراء أصوات مؤيدة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، إن هذا الذي سماه البعض ديمقراطية الأثرياء أو الديمقراطية اللاديمقراطية هي التي تجعل من السياسي رهين الوجود للمؤسسات المالية، وتجعل من المُشرّع للقوانين رهين هذه المؤسسات ذاتها، فإذا كان العضو المنتخب برلمانياً هو ذاته مدعوماً من المؤسسات المالية، يكون الحاكم فعلاً هو صاحب رؤوس الأموال، والحكام شكلاً هم أصحاب السياسة⁽³⁾.

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 73.

(2) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 191.

(3) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 192.

وقد أشير إلى هيمنة الاقتصاد على السياسة صراحة في كتاب فنج العولمة حيث قال: "لقد صار الاقتصاد هو المهيمن على السياسة"⁽¹⁾، وذكر أيضاً: "دخلت مسرح القوى العالمية طبقة سياسية جديدة لم يعد في وسع أحد أياً كان سواء كان دولة أو مشروعاً أو مواطناً عادياً التخلص من قبضتها...". ولكن ما هي هذه الطبقة السياسية المسيطرة كل هذه السيطرة؟! "إنها طبقة أولئك المتاجرين بالعملات والأوراق المالية الذين يوجهون بكل حرية سيلاً من الاستثمارات المالية، يزداد سعة في كل يوم، ويقدرّون بالتالي على التحكم في رفاهية أو فقر أمم برمتها دونما رقابة حكومية تذكر"⁽²⁾. وإن تسمية هؤلاء التجار والمضاربين أصحاب رؤوس الأموال بالسياسيين.

أما في المجال الخارجي: "فإن الدولة قد تحولت إلى مجرد مضيف للشركات متعددة الجنسيات إذ أن النفوذ المالي لهذه الشركات يدير السياسة داخل الدول من الفنادق المخصصة لأصحاب رؤوس الأموال، وهو ما يحوّل الدول إلى مجرد شرطي يقوم بحماية هذه الشركات تحت دعاوي جلب الاستثمار وتحقيق النمو الاقتصادي، والويل لمن لا يكون مخلصاً في الحراسة.."⁽³⁾.

"حينما انتقل بيل كلينتون"⁽⁴⁾ في 1992م إلى البيت الأبيض، كان قد وعد ناخبيه بإجراء إصلاحات واسعة النطاق ترمي إلى تجديد المدارس الحكومية الخربة وتحويلها إلى نظام تعليمي يفي بالمتطلبات، ومن ناحية أخرى إلى أن يكون لدى كل مواطن أمريكي تأمين ضد المرض. المشكلة تكمن في أن أياً من هذه الإصلاحات لا يمكن تحقيقه إلا بإتفاق حكومي متزايد، لذا، وبعد فوزه بالانتخابات مباشرة، أخذت أسعار سندات

(1) فنج العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 335. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) فنج العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 99.

(3) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 192.

(4) ويليام جيفرسون كلينتون الملقب بيل: سياسي أميركي، ديمقراطي، حاكم أركانساس (1979م-1981م و1983-1992م) رئيس الولايات المتحدة 1993م، طور دبلوماسية ناشطة (الشرق الأوسط، البوسنة) مستفيداً من ظروف اقتصادية مواتية، أعيد انتخابه 1996م، تزعم لفترة بسبب قضية مونيكا لوينسكي (فتعرض سنة 1998م لدعوى مانعة، ثم برأه مجلس الشيوخ سنة 1999م) عندها استرجع شعبية معينة وموثوقة، في إطار من الازدهار، حتى ولايته الثانية 2001م (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، 589).

الدين الحكومي الأمريكية بالانخفاض. وهذا ليس بالامر العجيب فقد عارض مصرفيو صناديق الاستثمار هذه الإصلاحات علانية، وبالتالي وبعد أشهر وجيزة من تسلمه للحكم، أي في وقت سابق على فقدانه للأكثرية في الكونغرس⁽¹⁾ بكثير، كانت هذه الإصلاحات قد صارت في خبر كان، ويعلق جيمس كارفيل، مستشار كليتون القديم، على هذا بلهجة تنم عن الإحباط، فيقول: "في السابق كنت أمني نفسي وأقول -لو وددت- فساود أن أكون رئيساً أو باباً، أما الآن فإني أود أن أكون سوق مال، إذ سيكون بإمكانني أن أهدد من أشاء"⁽²⁾.

"وهكذا يتراجع السياسي الذي كان المتحكم في الأحداث إلى وسيلة تديرها الأحداث وتتحكم به وما هذه الأحداث إلا مجموعة القدرات الاقتصادية لوكلاء الشركات المتعددة الجنسيات دون أن نهمل أيضاً دور المافيويات المالية وقدراتها على التحكم في جوهر الأمور، إذ لا يكاد يخفى على أحد سيطرة هذه المافيويات على سياسات دول بكاملها،... ولما كانت الولايات المتحدة هي المهيمن الفعلي على القدرات الاقتصادية في العالم، كانت الهيمنة واضحة في المجال السياسي أيضاً"⁽³⁾.

ليس هناك حدث من الأحداث التي تدور هنا أو هناك دون أن يكون للشرطي العالمي تدخل فيه، وإذا كانت مهمة الشرطي الفعلية هو حفظ النظام العام وخدمة الأمن المدني وتسهيل مهام تنفيذ القوانين، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تدعي لذاتها هذه المهام، فهي حافظة للنظام، خادمة للأمن العالمي، وتسهر على تنفيذ القوانين الدولية، مستخدمة في ذلك منظمات الأمم المتحدة من مجلس الأمن الدولي، إلى منظمة الغذاء الدولية، وغطاؤها الإيديولوجي الذي تمرر من خلاله ممارستها وتجعلها معقولة هو التدخل باسم حقوق الإنسان التي تشمل أيضاً حقوق الدول والشعوب، مستندة في كل تدخل إلى تغطية إعلامية شاملة تخلق الوهم وتروج له، ويتحول المدافع عن ثروات أمتة وعن حقوق وطنه وعن التاريخ رمزاً أو معنى - بنظر الولايات المتحدة - إلى إرهابي يجب

(1) الكونغرس الأمريكي: هو المؤسسة الدستورية الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعتبر الهيئة التشريعية في النظام السياسي، ويتألف من مجلسين هما: مجلس الشيوخ الأمريكي - مجلس النواب الأمريكي. (www.wikipedia.com).

(2) فسخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 133.

(3) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 194.

حماية الحضارة من أخطاره، وكما تدخل الاستعمار في مراحل السابقة تحت دعوى الحد من البربرية ومقاومتها تتدخل الولايات المتحدة في لحظتها الراهنة بدعوى مقاومة الإرهاب حداً من تهديداته، إن الاستعمار الذي يركز إلى مركزية إثنية تحكم بنية العقل الغربي عموماً وما الاختلاف إلا في أشكال ممارستها، إذ الاستعمار في مرحلته التقليدية، والأمركة اليوم هما وجهان لعملة واحدة⁽¹⁾.

وإذا نظر إلى التطور في سنغافورة⁽²⁾ يتبين أن العولمة في الاقتصاد العالمي، لا تتبع بالضرورة مبدأ واحد يسري على كل أرجاء المعمورة، ففي حين تدعو بلدان الرفاهية القديمة إلى ضرورة تراجع دور الدولة وإعطاء قوى السوق مجاًلاً أوسع، تطبق البلدان الصاعدة حديثاً العكس من ذلك تماماً، كما نلاحظ أن قادة المؤسسات أنفسهم الذين يرفضون في الولايات المتحدة الأمريكية أو ألمانيا كل أنواع التدخل الحكومي في قراراتهم الاستعمارية - رفضاً قاطعاً - نعم هؤلاء أنفسهم يخضعون في آسيا استثمارات تبلغ المليارات للشروط التي يضعها البيروقراطيون الحكوميون، الذين لا يتهيبون من تسمية عملهم بالتخطيط الاقتصادي المركزي. ولا ريب في أن للنهضة الآسيوية أيضاً جوانب سلبية: إذ اقترن الازدهار الاقتصادي هناك بالرشا والاضطهاد السياسي والتدمير العظيم للبيئة والاستغلال غير المحدود، للعاملين المحرومين من الحقوق وللنساء منهم على وجه الخصوص⁽³⁾.

ومثال ذلك: "يجري استغلال العاملين لدى المئة والخمسين ألف مصنع الذي شاركت في تأسيسه أطراف صينية مع ممولين أجانب... إذ يتعين على الكثير من العاملات اللاتي يفوق عددهن المليون، العمل خمس عشرة ساعة في اليوم،... وكثيراً ما يتوجب عليهن رهن العديد من رواتبهم الشهرية عند بداية عملهم، كضمانة لن تعود لهم في حالة تركهم العمل من دون موافقة إدارة المشروع، وفي الليل يحشرون في قاعات نوم ضيقة ومقفلة الأبواب، الأمر الذي يجعل منها مصائد قاتلة في حالة اندلاع النار فيها،... واعترفت الحكومة الإندونيسية بأن الحوادث في المصانع قد أودت بحياة ما يزيد على أحد

(1) انظر: حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 194.

(2) سنغافورة: دولة في جنوب شرق آسيا، مساحتها 618 كم، عدد سكانها 4 108 000 نسمة، عاصمتها سنغافورة. (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 445).

(3) فح العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 240 (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

عشر ألف عامل خلال ستة أشهر في عام 1993 وأن اندلاع النيران قد تكرر ثمانية وعشرين ألف مرة⁽¹⁾.

إن الأمم المتحدة وبعض الهيئات التقنية والمالية مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، وبعض المحاكم الدولية لا يحظى أي منها بأي سلطة فعلية سوى ما تمنحه إياها الاتفاقيات الموقعة بين الدول، أو بفضل مساندة الدول القوية، أو ما تقبله الدول طوعاً⁽²⁾.

ونظراً لأن الدول هي فقط من يستخدم القوة فإن المؤسسات الدولية معرضة لأن تصبح عديمة التأثير أو تفقد شرعيتها العالمية عندما تحاول التعاطي مع مخالفات كجرائم الحرب مثلاً، حتى عندما تقام المحاكم العالمية باتفاقية عامة مثلاً (المحكمة الجنائية الدولية التي أنشأها ميثاق روما في 17 يوليو 1998) فلن تكون أحكامها مقبولة بالضرورة بوصفها شرعية وملزمة إذا أهلتها الدول القوية⁽³⁾، ولعل حصار غزة مؤخراً ومشاهد تعذيب الأسرى في العراق على يد الاحتلال الأمريكي خير شاهد على الغياب المتعمد لتلك المؤسسات الدولية.

(1) فخ العولة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 242.

(2) العولة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، ترجمة أكرم هندان ونزهت طيب، الدار العربية للعلوم، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى 1943 هـ-2009 م، الصحيفة 21.

(3) العولة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 22.

المبحث الثاني

مؤسسات العولمة السياسية

للعولمة السياسية مؤسسة واحدة يندرج تحتها عدة هيئات ومؤسسات أخرى وهي منظمة الأمم المتحدة.

أنشئت الأمم المتحدة في 24 أكتوبر 1945 م، وحدد ميثاقها أهداف الأمم المتحدة

فيما يلي:

- 1- " حفظ السلم والأمن الدوليين وتحقيقاً لهذا الغرض تتخذ المنظمة التدابير المشتركة الفعالة لمنع وإزالة ما يهدد السلم ولقمع الأعمال العدوانية أو كل ما يخل بالأمن.
- 2- إنهاء العلاقات الدولية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالمساواة بين الشعوب، وأن يكون لها حق تقرير مصيرها.
- 3- تحقيق التعاون على حل المشكلات الدولية ذات الصبغة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، أو الإنسانية وعلى تقرير احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً، والتشجيع على ذلك بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين.
- 4- جعل هذه المنظمة مرجعاً لتنسيق أعمال الأمم توجيهها نحو إدراك هذه الغايات⁽¹⁾.
ويبلغ عدد الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة حالياً 168 دولة عضواً، ويتضمن ميثاق المنظمة أن يكون هيكلها التنظيمي مكوناً من هيئات رئيسية وأجهزة تابعة ووكالات متخصصة.

أما الهيئات الرئيسية تتكون من: الجمعية العامة، مجلس الأمن، مجلس الوصاية، محكمة العدل الدولية، المجلس الاقتصادي والاجتماعي، الأمانة العامة.

الأجهزة التابعة: وهي أجهزة تعاون الأجهزة الرئيسية في الأمم المتحدة في أداء مهامها، إلا أن بعض هذه الأجهزة التابعة تتبع الجمعية العامة وهي: قوة الطوارئ الدولية، ووكالة غوث اللاجئين، ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، والمحكمة الإدارية، وبعض اللجان الرئيسية والإجرائية والدائمة. وهناك بعض الأجهزة التي تتبع مجلس الأمن: لجنة نزع السلاح، ولجنة الموظفين العسكريين، وقوة الأمم المتحدة في بعض المناطق، أما اللجان الاقتصادية الإقليمية واللجان الوظيفية فإنها تتبع المجلس الاقتصادي

(1) الموسوعة الاقتصادية، حسين عمر، الصحيفة 477.

والاجتماعي كما يشترك هذا المجلس مع الجمعية العامة في تبعية بعض الأجهزة الأخرى إليهما وهي: "البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة"، و"صندوق الأمم المتحدة للأطفال" (يونيسيف) و"مكتب الأمم المتحدة لشؤون البرنامج الإنمائي للأمم اللاجئين"، و"منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية"، و"وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين".

أما الوكالات المتخصصة: عددها 13 وكالة، وقد عرّفها ميثاق الأمم المتحدة تحت هذا الاسم specialised Agencies وتشمل الوكالات التالية: "الوكالة الدولية للطاقة الذرية"، "منظمة العمل الدولية"، "منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة" (فاو)، "منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة" (يونسكو)، "منظمة الصحة العالمية"، "البنك الدولي للتعمير والتنمية"، "صندوق النقد الدولي"، "الهيئة الدولية للطيران المدني"، "اتحاد البريد العالمي"، "الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية"، "الهيئة العالمية للأرصاد الجوية"، "الهيئة الاستشارية الدولية للملاحة البحرية"، "الصندوق الدولي للتنمية الزراعية"⁽¹⁾.

وقد أخذ مجلس الأمن في إطار النظام الدولي الجديد يقوم بإعادة تفسير العوامل التي تشكل تهديداً للسلام والأمن الدوليين، كما أن تطور مهمات حفظ السلام يعد من وجهة نظر العالم دليلاً حياً على قدرة الأمم المتحدة على أن تستجيب للمتغيرات الدولية الجديدة، ومن نشاطات الأمم المتحدة الدبلوماسية الوقائية: صنع السلم وحفظ السلم، وتتخذ مهمات حفظ السلام الأشكال الآتية: قوات حفظ السلام، المراقبين الدوليين العسكريين، المساعي الحميدة، ممثلي الأمين العام للأمم المتحدة، فرض السلام، بناء السلام، ومنذ انتهاء الحرب الباردة ازداد الطلب على خدمات الأمم المتحدة في ميادين حفظ السلام"⁽²⁾.

ولكن أداء وظيفة الأمم المتحدة، لم يكن من مصلحة الدول الإسلامية، لأن الهيمنة الأمريكية استطاعت أن تؤثر على المؤسسات الدولية للعولمة وخصوصاً هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، لتكون الناطقة باسمها، وما من قضية من قضايا المسلمين دخلت

(1) انظر: الموسوعة الاقتصادية، د. حسين عمر، الصحيفة 477-478-479.

(2) العولمة بين الاختيار والاختبار، حسن تركماني، مركز الدراسات الاستراتيجية، دمشق 2005، الصحيفة 348.

مبنى الأمم المتحدة منذ أنشئت، ووجد أهلها حلاً منصفاً، وأنها جيعاً وضعت على طاولات مجلس الأمن والجمعية العامة فصدت بحقها قرارات لم تنفذ ووعود لم تحترم، وظلت كل يوم تتقلص وتتناقص، حتى صارت قضية فلسطين التي دخلت كاملة بتضاريسها وحدودها إبان اغتصاب اليهود لها عام 1948م لتصل في النهاية إلى اتفاق هزيل وقع خارج مبنى الأمم المتحدة، وحتى قرار رقم 242 والذي صدر في أعقاب استيلاء اليهود على ما تبقى من أرض فلسطين عام 1967م خرج به بطرس غالي⁽¹⁾ الأمين العام للأمم المتحدة بتفسير خاص له يتيح لإسرائيل أن تضع يدها بنفس القرار على ما استولت عليه من أراض⁽²⁾.

ومن قضايا المسلمين التي لم تجد حلاً ولا احتراماً قضية الصومال: "حيث إن للمنظمة في الصومال تجربة من أفضل تجاربها في التدخل العسكري في مناطق الحروب والكوارث في تاريخ المنظمة، وقد كان لهذا الفشل مضاعفات غاية في السلبية بعد خروج هذه القوات دون أن تحقق أي نتيجة تذكر على أرض الواقع، وقد كان خروج المنظمة من الساحة الصومالية بمثابة إعلان تنصل هذه المنظمة من الاشتغال على هذه القضية، ومنذ سنة 1994م أي تاريخ خروجها من الصومال لم يعد لها من دور سوى إصدار البيانات من حين لآخر"⁽³⁾.

إن الأمم المتحدة اليوم تمثل الشرعية الدولية، ولكن يبدو أن سياسة الأمر الواقع وممارسات القرار الأقوى فرض على المنظمة الأمية أن تفوض الولايات المتحدة بأن تنوب

(1) بطرس غالي: ولد عام 1922م في القاهرة، حقوقي دبلوماسي ورجل سياسي مصري، عين وزير دولة للشؤون الخارجية ما بين 1977م و1991م، أمين عام الأمم المتحدة من 1992م إلى 1996م وأمين عام المنظمة العالمية للفرنكوفونية، منذ عام 1997م، حفيد بطرس غالي (ملحق موسوعة السيامية، خليل أحمد خليل، الصحيفة 215).

(2) قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، أحمد منصور، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1425هـ-1994م، بيروت لبنان، الصحيفة 41. (بتصرف)

(3) مجلة البصائر، مجلة الكترونية تصدرها لجنة القضايا والأقليات الإسلامية، اتحاد العالمي لعلماء المسلمين، العدد الثاني قضية الصومال من الحرب الأهلية إلى الاحتلال المباشر، 1 شعبان 1428هـ-

11 آب 2007م، رئيس التحرير علي محي الدين القره داغي www.midadulqalam.info

عن الشرعية الدولية في تنفيذ القرارات الأممية، وأن تجند العالم لدعم هذه الشرعية الدولية بالمال والسلاح والمقاطعة⁽¹⁾.

بعض مظاهر الفساد في الأمم المتحدة:

"ذكر تقرير الصنفاي تايمز بأن سوء الإدارة والفساد في الأمم المتحدة يتسبب في إهدار 400 مليون دولار سنوياً من أموال المنظمة الدولية ناهيك عن وجود آلاف الموظفين والمستشارين الذين يتقاضون رواتب ضخمة وامتيازات لا حدود لها دون أن يقوموا بأي عمل يذكر، وأشار التقرير إلى أن موظفي الأمم المتحدة عند إنشائها في عام 1945 كان يبلغ عددهم 1500 شخص فقط، أما الآن فإنهم يزيدون عن 52 ألف شخص عدا 9600 مستشار ومبعوث خاص تابعين للأمين العام وهناك 14000 موظف دائم يعملون في السكرتارية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، وقد بلغ إجمالي المصروفات خلال عامي 1990م و1991م ما يقارب عشرة مليارات جنيه إسترليني. وقد بلغت تكاليف تذاكر السفر وحدها لموظفي السكرتارية العامة عام 1992م و1993م أكثر من خمسين مليون دولار كما أن 70٪ من ميزانية السكرتارية العامة للأمم المتحدة البالغة 2,4 مليار دولار للعام المالي 1992م و1993م قد دفعت كرواتب ونفقات للموظفين. كما بلغت الأموال التي أنفقها مؤتمر التجارة والتنمية التابع للأمم المتحدة على مكاتبه عشرة أضعاف الأموال التي أنفقها على تشجيع التعاون التجاري بين دول العالم الثالث وهي مهمته الأساسية"⁽²⁾.

(1) الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، حلب، دار الرقاعي، 2004م، الصحيفة 29. (بتصرف).

(2) قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد، أحمد منصور، الصحيفة 30.

المبحث الثالث العولمة التشريعية

تمهيد:

يدعم العولمة السياسية ويقنن لها عولمة تشريعية، حيث يشرع لها ويمارسها الكونغرس الأمريكي، الذي لم تعد تشريعاته وفقاً عند حدوده الوطنية، وإنما أخذ يشرع للعالم بأسره، فيصدر القوانين التي تصنف الدول إلى دول سافلة وأخرى طيبة ودول إرهابية وأخرى مسالمة، ودول محاصرة وأخرى غير محاصرة، ودول يجوز فيها الاستثمار وأخرى تفرض عليها المقاطعة، ودول يستحق إنسانها التمتع بحقوق الإنسان، ومنها حق تقرير المصير، حتى ولو كان تعدادها أقل من مليون مثل (تيمور الشرقية⁽¹⁾) وأخرى لا يستحق إنسانها شيئاً منها، حتى ولو بلغ تعدادها عشرات الملايين مثل فلسطين. وتصل هذه العولمة التشريعية إلى حد إصدار القوانين الأمريكية واعتماد الميزانيات العلنية لتغيير نظم الحكم في بلد عضو بالأمم المتحدة⁽²⁾.

وباعتبار أن الممارسات الأمريكية وتشريعاتها مع دول العالم هي من لب العولمة، فمن المفيد أن نلقي الضوء على بعض تشريعاتها:

مظاهر الممارسة الأمريكية:

1- نحن إزاء دولة تشرع للعالم من داخل برلمانها: الكونغرس، فتحدد لدولة مع من تتعامل ومع من لا تتعامل، وفوق ذلك ترسم لتلك الدول حدود ذلك التعامل ومداه فمثلاً صدور قانون داماتو⁽³⁾ الذي أوحى به النائب الجمهوري ورئيس لجنة البنوك

(1) تيمور الشرقية: هي دولة تقع في جنوب شرق آسيا، تضم النصف الشرقي من جزيرة تيمور والجزر القريبة مثل أتاورو وجاكو وأوكوسي التي هي عبارة عن منطقة معزولة في القسم الشمالي الغربي من الجزيرة داخل تيمور الغربية الاندونيسية، العاصمة: ديلي، عدد السكان 1.176 ملايين. (ويكيبيديا).

(2) مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يناير 2001م، الصحيفة 21.

(3) وقع الرئيس الأمريكي السابق، بيل كلينتون، يوم 5 أغسطس (آب) عام 1995 على القانون المسمى قانون "داماتو"، نسبة إلى السناتور الجمهوري، الفونس داماتو من ولاية نيويورك، الذي تبنى مشروع هذا القانون، وأقره الكونغرس الأمريكي في صيغته النهائية في 16 / 5 / 1995.

ألفونس داماتو⁽¹⁾ في عام 1994، والذي يحظر على الشركات الأوروبية الاستثمار بسايزيد على 40 مليون دولار في قطاعي النفط والغاز بإيران باعتبارها دولة إرهابية ويفرض عقوبات على الشركات المخالفة، وتدبر علانية لإسقاط الحكام العصاة أو المارقين وترصد الميزانيات لإطاحتهم مثل "قانون تحرير العراق الذي أقره الكونجرس في عام 1997 م ويقضي بتخصيص 97 مليون دولار لتمويل نشاط المعارضة العراقية لإسقاط الرئيس صدام⁽²⁾ حسين⁽³⁾."

= ويفرض هذا القانون عقوبات على الشركات الأجنبية التي تتعامل مع كل من ليبيا وإيران في مجال النفط والغاز وتزيد استثماراتها على أربعين مليون دولار في العام. وتشمل العقوبات المنصوص عليها في القانون سبعة أنماط مختلفة من العقوبات هي:

- حرمان الشركة المخالفة من الحصول على تسهيلات من مصرف الاستيراد والتصدير.
- حرمان الشركة المخالفة من الحصول على تراخيص التصدير إلى الولايات المتحدة.
- منع الشركة من الحصول على قروض أو اعتمادات مالية من مؤسسات مصرفية أميركية تزيد على عشرة ملايين دولار خلال العام الواحد.
- منع اختيار الشركة المخالفة من أن تكون عميلاً أولياً في التعامل بديون الحكومة الأميركية.
- منع الشركة المخالفة من العمل كوسيط للولايات المتحدة كمودع لأموال حكومة الولايات المتحدة.
- حرمان الشركة المخالفة من فرص مشتريات الحكومة الأميركية، تماشياً مع التزامات منظمة التجارة العالمية.

- فرض حظر على جميع واردات الشركة المخالفة إلى الولايات المتحدة.

وتقول الإدارة الأميركية إن الغرض من سن هذا القانون هو محاربة الإرهاب بحرمان كل من ليبيا وإيران من الحصول على مصادر الدخل الذي قد يستخدم في التمويل، وكذلك إعاقه تدفق الموارد المالية الضرورية للحصول على أسلحة الدمار الشامل، وأيضاً الضغط على ليبيا للاستجابة لقرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بما يسمى قضية لوكربي www.alawsat.com.

(1) ألفونس مارسيلو داماتو: ولد في آب 1937 م محامي وسياسي أمريكي سابق، وهو من الجمهوريين، عين عضو في مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة الأمريكية عن نيويورك بين عامي 1981 م و1999 م. (نقلًا عن موقع ويكيبيديا).

(2) صدام حسين: سياسي عراقي، مولود في تكريت 1937 م، منذ عام 1979 م رئيس الجمهورية العراقية، رئيس مجلس قيادة الثورة، أمين سر القيادة القطرية، وقائد الجيش في 9/4/2003 م، سقطت بغداد في أيدي المحتلين الأمريكيين وألقي القبض عليه في 13/12/2003 م (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 160). وأعدم في 30 ديسمبر 2006 م.

(3) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، الصحيفة 160. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

أما الدول المناوئة أو المارقة أو العاصية، فهي دول تدرجها الولايات المتحدة الأمريكية على لوائح الإرهاب وتتهمها بالدكتاتورية، وحيازة أسلحة الدمار الشامل، وتستهدفها بعقوبات تبدأ من الحصار الاقتصادي وتنتهي بالحرب عليها، ورفضت دول الاتحاد الأوروبي الانقياد لقانون داماتو، وعلّقت عليه فرنسا بأنه لا يلزم سوى الولايات المتحدة الأمريكية، وأقدمت شركة توتال الفرنسية على إبرام صفقة مع إيران قدرت قيمتها بـ2 مليار دولار دون أن تملك الولايات المتحدة الأمريكية عقابها، ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد وقّعت اتفاقاً مع روسيا في عام 1995، يقضي بعدم تزويد إيران بالسلاح، ورغم موافقة الكونغرس بمجلسيه في آذار 2000م على قانون يحول الرئيس الأمريكي معاقبة أي دولة تسلح إيران فإن روسيا مضت غير عابثة لا بالاتفاق ولا بالقانون، وأبرمت اتفاقاً عسكرياً مع إيران في كانون الأول 2000م⁽¹⁾.

2- سياسة العقوبات: لقد أخذت الولايات المتحدة ومع نهاية الحرب الباردة، تمارس أسلوبين بارزين في حل الصراعات التي تحدث في خارج أمريكا أو داخلها لصالحها: "الأول: يتجلى في فرض المقاطعة الاقتصادية والغرامات على الدول التي تختلف معها اقتصادياً وتجارياً أو حتى سياسياً، أما الثاني: فيتمثل بإصدار قوانين أمريكية من طرف واحد وإجبار الدول الأخرى على الالتزام بقوانينها حتى لو كانت تعارضها، ويدل مثل هذا الموقف الاستبدادي على أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتحويل إلى مصدر للتشريع الدولي بالنسبة لبقية بلدان العالم وفي مختلف المجالات التي تمس العولمة الاقتصادية والعسكرية بدلاً من الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي وعكسة العدل الدولية"⁽²⁾.

"بين عامي 1993م و1998م فرضت الولايات المتحدة الأمريكية 61 عقوبة على 2,3 مليار شخص يمثلون 42٪ من سكان العالم، شرع الكونغرس منها 20 عقوبة وقرر الرئيس العدد المتبقي وهو 41 عقوبة، والمدهش أن خساً فقط من العقوبات المقررة بواسطة السلطة التنفيذية وقّعت بالاتفاق مع مجلس الأمن"⁽³⁾.

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 166.. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

(2) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصحيفة 32.

(3) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 161.

وتستخدم أمريكا هذه السياسة من أجل إرغام بعض الدول على تنفيذ سياسات معينة أو معاقبتها على سياسات قامت بها، وذلك محاولة منها من الانتقاص من سيادة الدولة كما في عقوبات أمريكا الاقتصادية ضد إيران.

وحول مدى فاعلية السياسة الأمريكية يعلق صموئيل هنتنغتون⁽¹⁾: "أن أداتي الإكراه الرئيسيتين اللتين تحاول الولايات المتحدة الأمريكية استخدامها الآن هما العقوبات الاقتصادية والتدخل العسكري إلا أن العقوبات الاقتصادية لا تكون فاعلة إلا في حال دعم الدول الأخرى لها، وهو أمر يخفف التزامه تدريجياً.

وتواجه الولايات المتحدة في هذه الحال خيارين: "إما إنزال العقوبات من جانب واحد، ما قد يلحق الأذى بمصالحها الاقتصادية وبالعلاقات مع حلفائها، وإما عدم تنفيذ العقوبات ما قد يبدو رمزاً إلى الضعف الأمريكي. أما التدخل العسكري فيؤدي إلى إثارة الانتقادات على الصعيد المحلي وردود فعل سياسية وشعبية عنيفة في الخارج. ويبدو أن هذا ما جرى لإيران إذ أخفقت الولايات المتحدة الأمريكية في جر حلفائها إلى تطبيق العقوبات الاقتصادية، كما أخفقت في الحصول على دعم الدول الأخرى لها، انطلاقاً من مصالح هذه الدول الاقتصادية بالدرجة الأولى"⁽²⁾.

"3- تتولى الولايات المتحدة الأمريكية تسوية مشكلات ما بعد الحرب الباردة، على اختلاف طبيعتها (داخلية أو دولية) وعلى اختلاف مواطنها (في دول تنتمي إلى نطاقها الإقليمي أو لا تنتمي)... فمثلاً: هي تؤدب هايتي وتحاصرها، وتتدخل لإسقاط نظامها المتهم بالدكتاتورية وتجارة المخدرات، وتستصدر سلسلة من القرارات من مجلس الأمن (أرقام 841-837-875-940) بين عام 1993م و1994م، لإضفاء الشرعية على سياستها حيالها،... وهي تقود التحالف الدولي لتحرير دولة الكويت، وحلف شمال الأطلسي لإنقاذ كوسوفا ثم تخطط لعزل الرئيس الصربي بالوسائل الديمقراطية وتمول الانتخابات التي تطيح به، دون أن تحرك روسيا

(1) Samuel Phillips Huntington: ولد في 18 أبريل 1927م، أستاذ علوم سياسية بجامعة هارفارد، اشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، بحوثه في انقلابات الدول.

(www. Wikipedia.org)

(2) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 47. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

ساكناً، ناهيك عن الحديث عن انفرادها بإدارة تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ورفضها أي تدخل خارجي فيها"⁽¹⁾.

4- ومن الناحية الاقتصادية: إن الولايات المتحدة الأمريكية "تسيطر على مؤسسات العولمة الاقتصادية وفي طليعتها مؤسسات بريتون وودز: صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير (الذان يعتبرهما كارين بروتس⁽²⁾ بمنزلة وزارة اقتصادية مالية أمريكية للعالم) فضلاً عن منظمة التجارة العالمية"⁽³⁾.

5- "وأخيراً فإن الولايات المتحدة الأمريكية تشكل المنظومة القيمية العالمية من خلال دورها في العديد من المؤتمرات الدولية التي انعقدت في التسعينيات لمناقشة قضايا الأطفال والبيئة، والتعليم والتنمية الاجتماعية والسكان وحقوق الإنسان والمرأة والمستوطنات، وتطرح على بساط البحث قضايا كانت من صميم الاختصاص الداخلي للدول وتتهك خصوصيات الأسر والأفراد تحت شعار القرية الكونية والعالم المفتوح"⁽⁴⁾.

السياسة التي أظهرت أمريكا مظهر المعادي للعرب:

"منذ قيام دولة إسرائيل في عام 1948 م ومروراً بالعدوان الثلاثي على مصر عام 1956 م، حتى حرب حزيران 1967 م كما أن السياسة الأمريكية إبان فترة الحرين (1967 م - 1973 م) قد اتسمت بالمخادعة والمراوغة تجاه العرب والعمل على إخراج السوفييت في منطقة الشرق الأوسط، وإبقاء هذه المنطقة في حالة اللاحرب واللاسلم بالاعتماد على القدرة العسكرية الإسرائيلية المتفوقة، وبالتالي فرض السلام على الطريقة

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 162.

(2) كارين بروتس: كان من أبرز العاملين في جهاز اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ومن أكثرهم نفوذاً، كان من واضعي سياسة الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط في سبعينيات وثمانينات القرن المنصرم. ولد عام 1924 م في أسرة أرمنية بمدينة باكو عاصمة أذربيجان. في عام 1961 التحق بالعمل في جهاز اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، شغل منصب النائب الأول لرئيس القسم الدولي باللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ابتداءً من 1976 م حتى عام 1980 م. (نقلًا عن موقع www.arabic.rt.com).

(3) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 161.

(4) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 162.

الإسرائيلية، مما يؤمن للولايات المتحدة الحفاظ على مصالحها الاقتصادية القائمة في العالم العربي، وعلى الرغم من نشوب حرب تشرين الأول عام 1973 وقطع إمدادات النفط من الخليج، فإن الأهمية الإستراتيجية للمملكة العربية السعودية لم تتأثر بل إنها أصبحت أكثر أهمية، وفي العام 1990م عندما غزت العراق دولة الكويت قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتشكيل تحالف دولي اشترك فيه عدد من الدول العربية لتحرير الكويت، بعد أن أعطت الولايات المتحدة الكثير من الوعود للدول العربية المشتركة منها في التحالف، محل القضية الفلسطينية، وبالفعل تم عقد مؤتمر مدريد للسلام عام 1992م بين العرب وإسرائيل، إلا أن شيئاً من تلك الوعود لم يتحقق..⁽¹⁾.

(1) العالم العربي والإسلامي بين العولمة الأمريكية والإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر، عون بن علي عبد الله آل شليل، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة 1، 1427هـ - 2006م، الصحيفة 69.

المبحث الرابع

الحروب في ظل العولة

لم يشهد التاريخ قرناً أكثر دموية من القرن العشرين فقد قُدر عدد من قتلوا فيها وقع فيه من الحروب أو بسببها 187 مليون، أي ما يعادل أكثر من عشر سكان المعمورة في سنة 1913م، فالفترة ما بين سنتي 1914 و1945م يمكن عدّها فترة "حرب السنين الثلاثين التي لم يتخللها إلا انقطاع يسير في العشرينيات بين الانسحاب النهائي لليابانيين من الشرق الأقصى السوفيتي 1922م وبدء الهجوم الياباني على منشوريا سنة 1931م. فقد أعقب هذا أربعون سنة من الحرب الباردة"⁽¹⁾.

فقد قدر عدد القتلى في الحرب العالمية الأولى "حسب إحصاءاتهم أنفسهم نحو تسعة ملايين قتيل، أما الحرب العالمية الثانية، وقد تطورت فيها أسلحة القتل والدمار، فقد بلغ نحو واحد وستين مليوناً من البشر"⁽²⁾، ففي فترة الحرب العالمية الثانية لم يعد ثمة تمييز واضح بين السلم والحرب، وذلك لأنها لم تبدأ بإعلان للحرب ولا هي انتهت باتفاقيات سلام، فقد أعقبها فترة كان من الصعب جداً تحديد ما إذا كانت فترة حرب أم فترة سلام، بالمفهوم القديم، مما أدى إلى ابتداء وصف جديد لها هو وصف الحرب الباردة، وهذا التشوش في الأمور منذ الحرب الباردة يبدو واضحاً في الوضع الراهن في الشرق الأوسط، فقبل حرب العراق، لم يكن أي من وصفي الحرب والسلام يصدق على الوضع في العراق منذ نهاية حرب الخليج إذا كان البلد يتعرض للقصف على نحو شبه يومي من قبل قوات أجنبية⁽³⁾.

قتل المدنيين:

إن ما بات مألوفاً على نحو أكبر هو تلاشي التمييز في الحرب بين المقاتلين وغير المقاتلين، فالحربان العالميتان في النصف الأول من القرن شملتا جميع سكان البلاد

(1) العولة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 15.

(2) أمتنا بين قرنين، د. يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م، دار الشروق، القاهرة، الصحيفة 42.

(3) العولة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 19.

المشاركة، ولم ينج من أذاهما المقاتلون ولا غير المقاتلين. إلا أنه عبر القرن تحول عبء الحرب على نحو متزايد من القوات المسلحة إلى المدنيين الذين لم يصبحوا ضحاياها فحسب، ولكنهم غدوا هدف العمليات العسكرية أو العسكرية السياسية، فالفرق بين الحربين العالميتين الأولى والثانية كبير، إذ لم يشتمل عدد قتلى الأولى إلا على 5٪ من المدنيين في حين ارتفعت هذه النسبة في الثانية إلى 36٪ أما اليوم، فإنه يفترض أن 80٪ إلى 90٪ ممن يتضررون من الحرب هم من المدنيين، وقد ازدادت هذه النسبة منذ نهاية الحرب الباردة لأن معظم العمليات العسكرية منذ ذلك الحين لم تنفذها جيوش نظامية، ولكن جماعات صغيرة من العسكر النظامية وغير النظامية، مستخدمة في كثير من الأحيان أسلحة متطورة ومحمية من وقوع خسائر بشرية في صفوف مقاتليها⁽¹⁾.

أضف إلى ذلك أن معاناة المدنيين ليست متناسبة مع كثافة العمليات العسكرية، فمثلاً ما دار من صراع بين الوحدات المقاتلة في أفريقيا خلال التسعينيات لم يشارك فيه على أكثر تقدير سوى بضعة آلاف مقاتل أكثرهم من ضعاف التسليح ولكنه خلف عند بلوغه الذروة ما يقارب سبعة ملايين لاجئ، وهو أكبر بكثير مما وقع من تشريد في أي وقت إبان الحرب الباردة "وقد قدر عدد اللاجئين داخل بلدانهم وخارجها في نهاية سنة 2003، نحو 38 مليون وهو عدد يقترب من الأعداد الهائلة ممن وقع تهجيرهم في أعقاب الحرب العالمية الثانية"⁽²⁾.

وليست هذه الظاهرة حكراً على المناطق الفقيرة أو النائية، فإن أثر الحرب على حياة المدنيين يظهر جلياً بالعولمة، وبالاتجاه المتزايد للعالم على سبيل الاتصالات المتواصل، والخدمات التقنية والشحن والإمدادات، "ذلك أن انقطاعاً قصيراً نسبياً لهذا السيل، كإغلاق الخطوط الجوية الأمريكية إثر أحداث 11 سبتمبر 2001 على سبيل المثال يمكن أن تكون له آثار بالغة، إن لم تكن مستديمة على الاقتصاد العالمي"⁽³⁾.

غير أن الصراعات في داخل الحدود الوطنية نادراً ما تجذب اهتماماً دولياً على الرغم من الخسائر الجسيمة التي تسببها، ففي جنوب أفريقيا على سبيل المثال لقي بعد عام من

(1) العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 17-18.

(2) العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 34.

(3) العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 18.

انتهاء سياسة التمييز العنصري، سبعة عشر ألف فرد حتفهم في سياق ما دار من صراعات داخلية، أي أن الخسائر في الأرواح فاقت ما كبذته الحرب الأهلية التي استمرت ستة عشر عاماً⁽¹⁾. أما حول التوقعات للمسلم العالمي في القرن الحالي في الظاهر يبدو أنها أعلى منها في القرن العشرين، نظراً للعدد غير المسبوق لما فيه من حروب عالمية وإزهاق للأرواح على مستوى مهول. ولكن وحسب استطلاع للرأي أجري في بريطانيا العظمى عام 2004 قورن بإجابات الأسئلة طُرحت ابتداء في سنة 1954 م تبين أن الخوف من حرب عالمية جديدة هو اليوم في الواقع أكبر منه حينئذ، "والسبب الأكبر لذلك الخوف يعود إلى الحقيقة التي تزداد تأكيداً، وهي أننا نعيش حقبة يعاني العالم فيها من نزاع مسلح لا فكاك منه عادة ما يجري داخل حدود الدولة الواحدة، ولكن دائرته تتوسع بفعل التدخل الأجنبي"⁽²⁾.

الأمركة:

إن الهدف من العولمة إعادة خلق شؤون الناس من جديد نحو نمط عالمي،.. فإذا كانت محطات الوقود وأجهزة الآي باد ومهووسو الحواسيب متشابهة عبر العالم، فلم لا تكون المؤسسات السياسية كذلك...، إن ما وقع بوضوح في أنحاء كثيرة من العالم من انتكاسة إلى سفك الدماء والفوضى السياسية أيضاً، جعل فكرة نشر نظام جديد أكثر إغراء⁽³⁾.

إنها كلمة حق أريد بها باطل، في هذه مع ما عَرَف بعضهم العولمة بأنها أمركة تظهر الجوانب الاستعمارية الخفية، وخصوصاً إذا عرفنا "أن بعض المنظمات الإنسانية لا مانع لديها في ظل غياب حكم دولي فعال، من دعم نظام عالمي تفرضه الولايات المتحدة، وإن منظري اليوم يرون في الولايات المتحدة مجتمعاً نموذجياً قائماً بالفعل ففيها القانون والحريات الليبرالية والشركات الخاصة التنافسية والانتخابات الدورية التزيمية التي يحق للجميع التصويت فيها، فماذا يبقى إلا أن نصبغ العالم بصبغة المجتمع الحر تلك؟"⁽⁴⁾.

(1) فخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 69. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) انظر العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 34.

(3) العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 100.

(4) العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 100.

إن كل من ينظر حوله يرى خطأ هذه المقولة وخير شاهد على ذلك قتل الأبرياء والمدنيين من قبل الأمريكان في كل من أفغانستان والعراق وذلك من خلال ما تزعم بأنه حرب على الإرهاب ونشر للديمقراطية ومن خلال استخدامها حق الفيتو بوجه كل قرار يدين قتل الإسرائيليين للمدنيين الفلسطينيين وقد ذكر إيريك هوزباوم - وهو باحث يهودي - حول دعوى أن الإمبراطوريات والاستعمار جلبت الحضارة للشعوب المتخلفة وأبدلتها بالممالك نظاماً، فهي دعوى مدخولة مشكوك في صحتها وإن لم تكن زائفة بالكلية⁽¹⁾، وعندما يتحدث عن الحروب التي حدثت من القرن الثالث حتى القرن السابع عشر يذكر؛ بأنها "لم يسبق لها أن أتت إلى البلاد التي غزتها والتي غالباً ما كانت أكثر منها رقباً بأكثر من بأس سيوفها، أو هي إذا أرادت البقاء طويلاً فبرغبة في استخدام البنى التحتية والخبرات الموجودة لدى من هزمتهم هي وقهرتهم"، ويستثنى من كلامه الحضارة الإسلامية ويمكن أن يعتبر كلامه اعترافاً رائعاً حول فضل العرب على الغرب قائلًا: "العرب وحدهم الذين حملوا معهم لغتهم المكتوبة ودينهم الجديد، هم الذين جاؤوا بشيء جديد، أما الأوروبيون الذين استعمروا الأمريكتين وأفريقيا والهادي فقد كانوا في الواقع متفوقين تقنياً على المجتمعات المحلية رغم أنه حتى القرن التاسع عشر لم يكونوا متفوقين على المجتمعات الإسلامية"⁽²⁾.

"وإن الفترات القصيرة من الاحتلال الأجنبي يمكن أن تعتمد على القوة العسكرية والاستعداد لاستعمال القسوة والإرهاب، ولكن هذه وحدها لا تضمن حكماً أجنبياً طويل العمر. ولا سيما عندما يمارس ذلك الحكم على أيدي أعداد قليلة نسبياً من الأجانب"⁽³⁾، ومن الجدير بالذكر أن عبارة البتاغون⁽⁴⁾ الأمريكي الذي يدعي حربه على الإرهاب هي "اصدم وروّع".

(1) العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوزباوم، الصحيفة 69.

(2) العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوزباوم، الصحيفة 69.

(3) العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوزباوم، الصحيفة 70.

(4) البتاغون: اسم يطلق اصطلاحاً على مبنى وزارة الحرية الأمريكية، ولفظ البتاغون يعني أصلاً الشكل الخماسي الأضلاع، ومبنى البتاغون من مشاهد مدينة واشنطن يطل على نهر بوتوماك ويعتبر أضخم مجمع للمكاتب في العالم، وهو يتكون من خمسة أبنية ذات خمسة طوابق يعمل بها 26 ألف موظف بينهم 60٪ من المدنيين. (القاموس السياسي، أحمد عطية الله، الصحيفة 218).

والسؤال الحقيقي هو: هل يمكن نجاح مشروع سيطرة دولة واحدة على العالم، وهو أمر ليس له سابقة في التاريخ؟ وهل في وسع التفوق العسكري الأمريكي الذي لا جدال فيه أن ينهض بهذا المشروع ويمدّه بأسباب البقاء؟ والجواب على ذلك لا، فالسلاح كثيراً ما أسس إمبراطوريات، ولكن توفير أسباب بقاء هذه الإمبراطوريات يحتاج إلى أكثر من السلاح. فمثلاً قد أدرك الفرنسيون أنه حتى مليون مستوطن من البيض وجيش احتلال قوامه 800 ألف جندي وهزيمة عسكرية للمتمردين عبر مذابح وتعذيب مقنن، كل ذلك لم يكن كافياً لإبقاء الجزائر فرنسية⁽¹⁾.

العنف والإرهاب:

تمت إزالة الضوابط التي لم تكن موضع اتفاق، والتي تحدد ما يمكن أن يعرض عبر وسائل الإعلام التي باتت تتناول جميع الموضوعات وتتمتع بحضور مستمر، وهذا أدى بدوره إلى أن يصبح العنف في أقصى أشكاله -صوتاً وصورة ووصفاً- جزءاً من الحياة اليومية، ومن ثم تقلصت القيود الاجتماعية على ممارسته، ففي روسيا السوفيتية أو على الأقل في المدن التي توفرت فيها معلومات كافية عن الجريمة، ارتكب 80 إلى 85% من جرائم القتل العمد تحت تأثير الخمر "على أن هناك مثيراً آخر للعنف غير المحدود هو أكثر خطراً، وهو ما ساد النزاعات الدولية والمحلية على السواء منذ سنة 1914 من إيمان الكل بأصالة قضايهم وأن قضاي سواهم محض هراء وهذا جعل استخدام جميع الوسائل من أجل تحقيق النصر أو تجنب الهزيمة ليس مشروعاً فحسب بل ضرورياً، وهو ما يعني أن الدول والجماعات المسلحة على السواء تشعر بأن لديها التسويغ الأدبي للبربرية"⁽²⁾.

مراحل العنف السياسي منذ الستينات:

تعريف العنف السياسي:

عرف العنف السياسي بأنه "استخدم القوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين لتحقيق أهداف سياسية، ومن هنا قد تمارس السلطة السياسية العنف

(1) العولة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 38.

(2) العولة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 108-109.

لغاية إخضاع خصومها ، وضرب القوى التي تمثل تحدياً لها، وقد تلجأ القوى المعارضة إلى العنف السياسي وذلك لتحقيق غاياتها في الوصول إلى السلطة"⁽¹⁾.

وقد قسم بعض الباحثين العنف السياسي إلى مراحل وهي:

المرحلة الأولى: في الستينات والسبعينات محاولة مجموعات نخبوية صغيرة الإطاحة بالأنظمة أو تحقيق أهداف القومية الانفصالية من خلال أعمال مسلحة، وقد كان هذا مقصوراً إلى حد كبير على أوروبا الغربية، حيث اعتمدت هذه الجماعات - التي كانت تشكل أساساً من أصحاب الطبقة الوسطى - اعتماداً كبيراً على أعمال إرهابية كان القصد منها لفت نظر وسائل الإعلام،... ولكنها اعتمدت كذلك على انقلابات محددة الأهداف من شأنها زعزعة استقرار السياسات العليا للبلاد، كاغتيال من سمي خليفة للجنرال فرانكو سنة (1973)،...، وفي أمريكا اللاتينية حاولت مثل هذه المجموعات المبادرة بأنشطة قتالية من طراز حروب العصابات، وعمليات مسلحة تقوم بها وحدات أكبر،...، وقد كان بعض هذه العمليات على درجة من الخطورة ففي السنوات الثلاث لحركة مونترنيرو في الأرجنتين تكبدت القوات النظامية وغير النظامية 1642 ضحية ما بين قتل وجريح⁽²⁾.

المرحلة الثانية: في نهاية الثمانينات... وهي بالدرجة الأولى عرقية وعقدية. وقد كانت أفريقيا والمناطق الغربية من العالم الإسلامي وجنوب شرقي آسيا وجنوب شرقي أوروبا هي المناطق الأكثر تضرراً وظلت أمريكا اللاتينية في مأمن من النزاعات العرقية والدينية، وشرقي آسيا وروسيا الاتحادية باستثناء الشيشان لم تتأثر تقريباً. أما الاتحاد الأوروبي فقد ناله شيء من ذلك بفعل ازدياد حدة إرهاب الأجانب وإن لم يكن دموياً.

كما تمخضت موجة العنف السياسي في مناطق أخرى عن مذابح بحجم لم يعرف منذ الحرب العالمية الثانية، وأقرب ما يكون من إحياء للقتل الجماعي المنهج"⁽³⁾، ومن

(1) العنف السياسي أسبابه، آثاره، أهدافه، وسبل مكافحته، م. د. محمد حسن دخيل، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة الكوفة، الصحيفة 4.

(2) العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبز باوم، الصحيفة 110.

(3) العولمة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبز باوم، الصحيفة 111.

أكبر أمثلة القتل الجماعي مسلسل المجازر الإسرائيلية ضد المواطنين الفلسطينيين العزل والذي شمل المرحلة الأولى والثانية معاً، حيث تمكن مركز المعلومات الوطني الفلسطيني من إحصاء ما يقرب من 56 مجزرة إسرائيلية ارتكبت ضد الفلسطينيين ما بين الأعوام (1937-1984) راح ضحيتها آلاف الشهداء والجرحى منها: مجزرة دير ياسين في 9/4/1948م استشهد خلالها أكثر من 254 مواطناً على أيدي عصابة ستيرن اليهودية المتطرفة، "أما حول كيفية هذه المجزرة: فقد جمعوا سكانها العزل من السلاح صفّاً واحداً، رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً، ثم رموهم بنار الرشاشات وأمعنوا في تعذيبهم أثناء عملية الذبح والإبادة فبقروا بطون الحبالى وأخرجوا الأطفال وذبحوهم وقطعوا أوصال الضحايا وشوهوا الجثث ليصعب التعرف إليها، ثم جمعوا الجثث وجردوها من الألبسة وألقوا بها في بئر القرية، وحين جاء مندوب الصليب الأحمر ورأى الجريمة لم يقوَ على الوقوف ليتم عملية إحصاء الجثث فأغمي عليه وغادر المكان"⁽¹⁾، ومجزرة بيت دراس شمال شرق غزة في 21/5/1948م وكانت حصيلتها 260 شهيداً معظمهم من المدنيين أي النساء والأطفال، ومجزرة اللد في 12/7/1948 واستشهد فيها نحو 500 مواطن من بينهم 150 استشهدوا داخل المسجد الكبير، ومجزرة الدوايمة في 29/10/1948 أسفرت عن مقتل 200 من الذكور والنساء والأطفال، ففي عام 1948 فقط قاموا بشن مجازر راح ضحيتها 1537 معظمهم من الأطفال، أما بعد النكبة تصاعدت حدتها في ظل استخدام أسلحة أكثر فتكاً وتطوراً منها مجزرة خان يونس في يومي 3 و12 نوفمبر 1956 التي راح ضحيتها أكثر من 500 شهيد، ومجزرة القدس في 5/6/1967 أسفرت عن استشهاد 300 من المدنيين، ومن أفظع هذه المجازر مجزرة صبرا وشاتيلا في 18-16/9/1982 وقد استمرت هذه المجزرة ثلاثة أيام، وكان نتيجة هذه المجزرة استشهاد ما يزيد عن 3500 شخص فيهم أطفال وشيوخ. وطبعاً سلسلة المجازر التي ارتكبتها إسرائيل في حق المدنيين الفلسطينيين لم ينته إلى يومنا هذا.

"أما الجماعات النشطة التي عرفت هذه الفترة هي فتح وحماس، وحركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية وحزب الله ونمور التاميل، وحزب العمال الكردستاني، كانت

(1) جذور البلاء، عبد الله التل، القسم الأول، المكتب الإسلامي، الطبعة 2، 1398هـ - 1978م،

تعتمد من أنصارها على دعم واسع ومصدر دائم للتجنيد ولذلك فإن هذه المجموعات لم تتخذ من أعمال الإرهاب الفردية أسلوباً لها أساسياً إلا بوصفها الرد المتاح الوحيد على طغيان القوة العسكرية للدولة المحتلة كما في فلسطين⁽¹⁾.

ملاحظة: من الخطأ أن يصف المؤلف دفاع أي حزب أو شخص أو مجموعة عن وطنه ومحاولة رد الظلم عنه وعن أبناء شعبه بأنها (أعمال إرهاب).

وقد ظهر في هذه المرحلة نموذج جديد ثبت أنه في غاية الإرهاب، وهو نموذج الانتحاري: ويرجع هذا النموذج أصلاً إلى عهد الثورة الإيرانية سنة 1979 إذ حمل عقيدتها القوية التي تمثلت في المذهب الشيعي، وربطها بمفهوم الشهادة، وقد تم توظيف هذا النموذج بادئ الأمر سنة 1983 ضد الأمريكان من قبل حزب الله في لبنان كما غدت فاعليته واضحة بانتشاره عبر الأصقاع وصولاً إلى نمور التاميل في سنة 1987م، ثم إلى حماس في فلسطين 1993، ثم بتبني القاعدة وغيرها من المتشددین الإسلاميين في كشمير والشيشان له بين سنتي 1998 و2000م⁽²⁾.

وأيضاً هناك تنبيه هام بأن هذه العمليات التي سماها الباحث الانتحارية إما أن تكون انتحارية وإما أن تكون استشهادية، فإذا كانت بهدف الدفاع عن الوطن ورد الظلم عن أهله وسيذهب ضحيتها من أعداء الوطن هي عمليات استشهادية مثل العمليات الاستشهادية التي يفعلها الفلسطينيون في إسرائيل، أما إذا كانت تستهدف الأبرياء والمدنيين وهدفها الأساسي هو التخريب في البلد فهي عمليات انتحارية ويمكن نعتها بالإرهابية.

وتمثل هذه المرحلة أيضاً: "الإحياء الواضح للاغتيالات السياسية، ولشن شكلت الفترة ما بين سنتي 1881 و1914 العهد الذهبي الأول لقتل كبار الساسة فإن السنوات من أواسط السبعينيات إلى أواسط التسعينيات أصبحت هي العهد الثاني فقد قتل فيها السادات⁽³⁾

(1) العولة والديمقراطية والإرهاب، ايريك هوبزباوم، الصحيفة 111.

(2) العولة والديمقراطية والإرهاب، ايريك هوبزباوم، الصحيفة 111.

(3) محمد أنور السادات: سياسي مصري ورئيس مجلس الأمة منذ عام 1963م، ولد عام 1918م، تخرج في الكلية الحربية عام 1938م، اشترك في مؤتمر جده مع الرئيس جمال عبد الناصر في 24 أغسطس 1965م، وفي سلسلة المباحثات المصرية اليمنية، كما زار الولايات المتحدة. (القاموس السياسي، أحمد عطية الله، الصحيفة 600).

في مصر، ورابين⁽¹⁾ في إسرائيل، وراجيف غاندي⁽²⁾ والسيدة غاندي في الهند،... ولئن لم تكن نتائج هذه الأعمال ذات طابع انقلابي فإنها تركت في بعض الأحيان تأثيرات سياسية واضحة، كما في إسرائيل غير أن انتشار جهاز التلفاز جعل الأعمال الأكثر تأثيراً في السياسة ليست بيد صناع القرار بل بيد وسائل الإعلام ذات التأثير الأقوى، وعليه فقد وضعت مثل هذه الأعمال حداً للوجود العسكري الرسمي للولايات المتحدة في لبنان في الثمانينات، وفي الصومال في التسعينات، وكذلك في السعودية بعد سنة 2001م⁽³⁾.

المرحلة الثالثة: وهي في بدايات القرن الحالي، كان العنف السياسي قد أصبح عالمياً على نحو ممنهج سواء من خلال سياسات الولايات المتحدة في ظل إدارة الرئيس جورج بوش أم من خلال المؤسسة، وربما للمرة الأولى منذ فوضوية أواخر القرن التاسع عشر صار بمقدور حركة إرهابية أن تعمل على نحو مطرد عبر الحدود. ومن مزايا هذه المرحلة أن الحروب الأهلية أو غيرها من النزاعات لا تتسع لها الصورة العالمية،...، مثل الاضطرابات في الدول الإفريقية، لم تُثر سوى اهتمام متقطع في الأوساط الغربية⁽⁴⁾.

وربما يجب أن نضيف إلى هذه المرحلة حالة المظاهرات، أو ما سُمّي بالربيع العربي التي عمت عدة دول في الوطن العربي والتي كانت سبباً للإطاحة برؤساء بعض الدول مثل تونس ومصر وليبيا، وربما ستكون سبباً لاحتلال دول أخرى بسبب التدخل الخارجي تحت شعار حماية حقوق الإنسان.

(1) إسحق رابين: (1922م-1995م)، رجل سياسي صهيوني مولود في القدس، ومقتول في يافا (تل أبيب) برصاص متطرف صهيوني يعني، اعتمد مع شمعون بيريز سياسة تفاوضية لحل مشكلة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، نال جائزة نوبل 1994م. (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 408).

(2) راجيف غاندي: رجل سياسي هندي، ابن أنديرا غاندي، خلفها على رأس حزب المؤتمر وعلى رأس الحكومة الهندية (1984-1989م)، جرى اغتياله عام 1991م، في سوبر ومبودور، جنوب مدراس. (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 538).

(3) العولة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 112.

(4) العولة والديمقراطية والإرهاب، إيريك هوبزباوم، الصحيفة 112-113.

كما أننا نجد في هذه المرحلة امتداداً للمرحلة السابقة من ناحية القتل الجماعي والمجازر ويضاف إلى ذلك تطور الأسلحة في إسرائيل مثلاً استخدمت قنابل (جي بي يو 39) في قصف غزة- وأجريت الاختبارات عليها في الولايات المتحدة الأمريكية- قادرة على اختراق ما لا يقل عن 90٪ من الاسمنت المسلح بالفولاذ، ويمكن استخدامها في ظروف جوية متنوعة، ويزيد مدى فعاليتها عن 110 كيلو متر بفضل الأجنحة المنبثقة وقد شنت إسرائيل أكثر من أربعين غارة على قطاع غزة في ليلة واحدة ونقلاً عن موقع BBC الإلكتروني كان عدد القتلى الفلسطينيين في الغارات على غزة 350 قتيل و1650 جريح، ومن الجدير من الذكر أن دولة الاحتلال (إسرائيل) حصلت على موافقة الكونغرس لشراء 1000 صاروخ في أيلول 2008 وفي محصلة حرب أمريكا على العراق: تشير الوثائق إلى أن أكثر من 109 آلاف مواطن عراقي قتلوا في الفترة بين 2004 و2009 بمن فيهم 66,081 مدنياً و23,984 ممن يوصفون بالأعداء، و15,196 من أفراد قوات الأمن العراقي و3,771 من جنود التحالف وكل ذلك تحت الشعار الذي تدعيه أمريكا: الحرب على الإرهاب.

الفصل الرابع

العولمة الثقافية

المبحث الأول: العولمة الثقافية

المبحث الثاني: ثقافة العولمة

المبحث الثالث: عولمة التقنية

المبحث الأول

العولمة الثقافية

تعريف العولمة الثقافية:

"هي محاولة مجتمع ما تعميم نمودجه الثقافي على المجتمعات الأخرى، من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية واقتصادية وثقافية وتقنية متعددة. -وهي أيضاً-: تعميم النموذج الأمريكي على الأفراد والشعوب والحكومات"⁽¹⁾.

وبالتالي فالعولمة الثقافية هي عبارة عن هيمنة وسيطرة ثقافية أمريكية على العالم الإسلامي، كما هي هيمنة اقتصادية، ومما لاشك فيه أن الهيمنة الثقافية أخطر من الهيمنة الاقتصادية وذلك أن الهيمنة الاقتصادية تعمل على نهب الثروات المادية واستغلال إمكانيات المجتمع، ولاشك أن هذا يؤثر على الجانب الثقافي، غير أن تلك الموارد المادية التي يتم استغلالها يمكن أن يتم تجديدها أو إيجاد بديل لها طالما هناك قوى بشرية لديها إرادة وشخصية متميزة، أما الهيمنة الثقافية فتعمل على تدمير الإرادة والشخصية وتشويه المعارف وطمس الهوية حتى يتحلل الإنسان والشباب من انتباهاته ويصبح مسخاً مشوهاً غير قادر على الإبداع المتميز أو الدفاع عن هويته أو مقاومة أشكال السيطرة والهيمنة في أبعادها المختلفة"⁽²⁾.

"وتستند العولمة الثقافية على المكتشفات العلمية والتطورات التقنية، فضلاً عن العوامل الاقتصادية ومن ذلك يتم العمل على شراء ذمم البعض من ذوي النفوس الضعيفة من كتاب وباحثين وجامعيين"⁽³⁾، حيث يتم إعطاء أجور عالية جداً لكتاب وباحثين كي يقوموا بإجراء أبحاث يكون فيها تشويه للدين الإسلامي ولبعض أحكامه، وتشويه للقيم الأخلاقية، وأكثر ما تستهدف هذه الأبحاث جيل الشباب الناشئ.

(1) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 31.

(2) العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، د. يوسف المراشدة، الطبعة الأولى، دار الكندي، 2008م، الصحيفة 18.

(3) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 31.

ومن أدوات العولمة الثقافية: "وكالات الإعلام والأنباء ودوائر التجسس المركزية والاستخبارات والمؤسسات الثقافية والملحقين الثقافيين والندوات والمعارض والكتب والصحف والتلفزة"⁽¹⁾ وهو ما سمي بعولمة الإعلام، حيث إن العولمة الإعلامية كما سماها البعض ليست نوعاً مستقلاً في العولمة بل هي أداة من أدوات العولمة.

ومن أدوات العولمة الثقافية أيضاً "التوجيه المنظم للوسائل السمعية البصرية من خلال تكنولوجيا المعرفة (المعلوماتية) في شبكات الاتصال والفضائيات أو من خلال المؤسسات الإعلامية ومراكز البحث والثقافة"⁽²⁾.

وقد أجريت دراسة حول نظرة الشباب لإيجابيات وسلبيات البث الفضائي، وقد كانت النتيجة، "50% من العينة المدروسة ترى أن البث الفضائي المباشر يمثل انفتاحاً حضارياً وثقافياً مفيداً، مقابل 19% يرونه غزواً حضارياً وثقافياً وأخلاقياً خطيراً ومفسداً، وأن 58% يرونه ضروري للفرد والمجتمع، ويجب توفيره بحرية مطلقة مقابل نسبة قليلة جداً تطالب بمنعه"⁽³⁾.

وهناك الكثير من الوسائل والسبل الهادفة لاحتواء وإخضاع وتدجين المتنورين، وحملة لواء الفكر والإبداع منها: "المنح والبعثات والدورات التدريبية والمكافآت المالية المشجعة وربط المصالح وتوظيف المال والجنس، ومن الوسائل أيضاً التستر وراء شعارات أخلاقية كمثّل دعوات الحرية والديمقراطية والسلام والعدالة والمساواة والإخاء، وأحياناً عبر دعم وتعزيز النوازع الدينية المذهبية والطائفية وحماية الأقليات"⁽⁴⁾.

إن أول ما تستهدفه العولمة الثقافية هو إعادة صياغة الشريحة الشبابية لأنها تشكل أغلبية سكانية في مجتمعات العالم الثالث ثم إنهم الشريحة الأكثر رفضاً للنظام الاجتماعي والسياسي في مجتمعاتهم نتيجة لعجزه عن إشباع الحاجات الأساسية للشباب، كما إنهم الأكثر ميلاً لما هو جديد، وكل ذلك يكون عبر الإعلام والإعلان.

(1) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 33

(2) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 33..

(3) أطروحة دكتوراه: الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية، إعداد: رحيمة عيساني، إشراف: د. خليل دليو، للعام الدراسي 2005/م - 2006/م، الصحيفة 44.

(4) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 34.

"والإعلام كمنظومة متكاملة الأدوات والوسائل والسبل، تشكل قوة ضغط كبيرة وفاعلية هائلة، حيث تستطيع أن تصل إلى الجميع، وتقدم صوراً مبهرة لعالم آخر، ويأخذ صيغة الحلم، فيخترق الحواس والعقول عبر ما يستطيع أن يقدمه متجاوزاً كل المنوعات والمحرمات وأخلاقيات المجتمع وقيم الحضارة الإنسانية لذلك المجتمع، ثم فرض صورة جديدة ونمط جديد لحياة وتربية وطرائق تفكير"⁽¹⁾.

وإن قوى العولمة تدعم الإشباع الغريزي لدى الشباب "تارة من خلال الإعلان والإعلام، وتارة من خلال السلع التي تتدفق رخيصة في الأسواق وبأليات امتلاك متيسرة أو من خلال إبداع صلع جديدة يستهلكها الشباب وحدهم كالجنس الذي تبيعه التكنولوجيا الحديثة للإعلام أو المعلومات حيث يميل الشباب لمشاهدة الجنس في الفضائيات أو على شبكات الانترنت أو ممارسته عبر التلفون"⁽²⁾.

فالإعلام بوصفه السابق هو سلاح ذو حدين أي أنه يحمل إيجابيات كما أنه يحمل سلبيات، ولكن لا ريب بأن هذه الإيجابيات التي فطن لها الإعلام الأمريكي حصراً دوناً عن غيره من الدول، حيث استغلها بفرض أفكاره وآرائه وخصوصاً عبر هوليوود: "إن صناعة الأفلام الأمريكية تنفق بالمتوسط 59 مليون دولار على الفيلم الواحد، كما أنهم يضعون من حيث التقنية والتجهيز معايير نادراً ما يستطيع منافسوه مجاراتهم بها، وهكذا يزداد الإقبال على هوليوود ونيويورك"⁽³⁾. إن هذه الإمكانيات الهائلة التي توضع على الفيلم الواحد لا يمكن للمنتجين العرب أو الأوروبيين تحملها، "إن هذه الأفلام يمكن لأي مشاهد أن يلاحظ مشاهد العنف والقتل وقصص العصابات والسرقات والعري والجنس، إنها أفلام مدموسة بعضها موجه إلى العرب خاصة بهدف إلغاء القيم والأخلاق الإسلامية والعربية التي يتحلّى بها المجتمع العربي والإسلامي، وحتى الأفلام العربية التي نشاهدها على الفضائيات والتي تعرض بدور السينما لا تحمل أي من العادات

(1) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 34.

(2) تأثير العولمة على ثقافة الشباب دراسة ميدانية، محمود عرابي، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى،

1427هـ-2006م. الصحيفة 20.

(3) فح العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 57. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

والتقاليد والأفكار العربية والإسلامية فهي تمثل بنصوص تحمل الفكر الغربي، ونكاد لا نرى فيلماً عربياً واحداً يخلو من مشاهد العري والجنس على أقل تقدير.

وليست هوليود والأفلام هي السبيل الوحيد لانتشار الثقافة الأمريكية بل امتدت لتطال البرامج الثقافية والمسابقات، حيث يُعرض اليوم على الفضائيات العربية برامج مسابقات، عربية شكلاً ولكنها هي نسخة طبق الأصل عن برامج أمريكية أو يهودية، يتصف بعض هذه البرامج بالانحلال الأخلاقي، وتكرس فكرة الاختلاط في المجتمعات وتسهّلها وتعطيها طابعاً حضارياً، وتتطور فكرة الاختلاط حتى تصبح فكرة الصداقة بين الشاب والفتاة أمراً طبيعياً والنفور منه يدل على الرجعية والتخلف مع محو الطابع الديني والشرعي لهذه العلاقات، أما البعض الآخر من هذه البرامج، شكلاً تأخذ الطابع الراقى والمحترم حيث يخلو من الرقص والغناء والعري والخلاعة، ويكون أبطال هذه البرامج من الطبقات المثقفة في المجتمعات العربية ويعطي جوائز قيمة للمشاركين بهذه البرامج، أما مضموناً يكون طريقة إعطاء الجوائز والتعامل المادي فيها طريقة ربوية محرمة إسلامياً أو مبدأها كالقمار، وربما القارئ يقول أين تكمن العولمة في هكذا برامج أو تلك المسابقات؟! أقول عندما تشاهد هذا البرنامج بتصميم قاعاته الداخلية وطريقة تقديمه من قبل مذيعين من جنسيات ولغات مختلفة ولكن بأسلوب واحد لنجد نسخة طبق الأصل عن البرنامج وبلغات مختلفة، نقول هذه نقطة من بحر عولمة الإعلام أو ثقافة العولمة.

والمشكلة بأن الثقافة العولمية المستندة إلى قيم الثقافة الأمريكية، المشبعة بروح التعالي والاستخفاف تجاه الشعوب، تلك الثقافة المبنية على اللاأخلاقي وثقافة اللاتقافة، من المرصود لها أن تدخل البيوت وتحترق البنية البصرية والسمعية والذهنية، وتصبح مرجعية تربوية وثقافية للشعوب وأجيالها متجاوزة كل القيم والأعراف والحدود الجغرافية والحواجز التربوية الاجتماعية الخاصة⁽¹⁾.

إن هذا الاختراق الثقافي الذي تتعرض له الثقافة العربية والإسلامية لا يكون فقط عن طريق الأفلام والبرامج الثقافية وبرامج التسلية وإنما "هذا الاختراق الثقافي يتم سرّاً وعلانية في ميادين الفكر والفلسفة والعلوم والآداب والفنون، ويبدأ من الإخلال

(1) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 53.

اللغوي عبر تهشيم وتبهيث اللغة الأم، والإدعاء بأنها غير حضارية أو قادرة على مواكبة العلم والمعرفة والتطور، والدفع نحو استبدالها بالانكليزية أو الفرنسية، وتتواصل عبر دعوات الاندماج والالتحاق بالمجتمع العولمي، وثقافته العولمية التي ينظر إليها حينذاك كنموذج وأمثلة على كافة المستويات، وما الصحافة المكتوبة والمرئية ووكالات الأنباء والمعاهد الإستراتيجية للبحوث والجامعات والمنتديات والمعارض والمهرجانات والمؤتمرات جميعاً إلا من الأدوات التي تدفع نحو دخول بوابة العولمة الثقافية⁽¹⁾.

والمغالطة التي تحاول الدول الغربية إقناع شعوب العالم الثالث بها هي: "أن وسائل الإعلام محايدة ولا بد منها في نقل مجتمعات العالم الثالث من النمط التقليدي إلى التحديث والواقع أن وسائل الإعلام بمضمونها الغربي الرأسمالي ليست محايدة ولا ترمي إلى تحديث مجتمعات العالم الثالث، وإن التحديث الذي نقصده هو في الأساس عبارة عن تقديم المجتمعات الغربية الصناعية المتقدمة لشبكاتها المالية ونشاطاتها الاقتصادية وأنها لها الاستهلاكية وبناءاتها التكنولوجية إلى الدول النامية كنموذج وحيد يجب الاحتذاء به"⁽²⁾.

وإن مما يزيد من خطورة العولمة هو: ذراعها الإعلامي الخاضع للسيطرة الصهيونية والتي جعلت مهمة الإعلام، التسلية والترفيه والتعليم وترسيخ القيم والمفاهيم والمعتقدات وأنماط السلوك الغربي، وإحلال اللغة الإنكليزية وخصوصاً اللهجة الأمريكية مكان اللغة العربية وإضعافها، وطبعاً اللغة العربية ليست مجرد ثقافة أمة يحاول محوها بل هي لغة القرآن أي لغة دين كامل دين الإسلام وأي محاولة لإضعاف اللغة العربية هي محاولة لإضعاف الدين الإسلامي وإن المشاهد للقنوات الفضائية العربية اليوم يجد الأثر واضحاً وذلك من خلال أسماء البرامج حتى الثقافية أو السياسية منها الموضوعة باللهجة العامية وحتى خلال نشرات الأخبار بدأنا نجد تدخل اللهجة العامية لكل بلد، وإن تحدث بالفصحى نجد أخطاء كثيرة فيها كرفع المنصوب ونصب المجرور، أما في البرامج والمقابلات العلمية كلقاء مع طبيب مثلاً نكاد لا نفهم كلامه من كثرة المصطلحات والكلمات المدخلة من لغات أخرى كالإنكليزية والفرنسية.

(1) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 35.

(2) تأثير العولمة على ثقافة الشباب، محمود عرابي، الصحيفة 51.

إن الجذور التاريخية لامتداد اليد الصهيونية اليهودية إلى الإعلام تبدأ مثلاً من إنشاء أول وكالة أنباء في فرنسا في عام 1845 لليهودي شارل هافاس⁽¹⁾ الفرنسي والتي حملت اسمه أي وكالة هافاس، وكانت أول وكالة تمارس تجارة الأخبار والإعلانات في العالم⁽²⁾، أما أول وكالة أنباء في لندن وإيرلندة الشمالية أنتجها جوليوس رويتر⁽³⁾ اليهودي الألماني في عام 1851م الذي اكتسب الجنسية الإنكليزية 1957، وتعلم في باريس على يد اليهودي شارل هافاس، "ويقول الرسمىون في وكالة رويتر، أن وكالتهم هي مؤسسة تمثل الصحافة البريطانية أساساً وأنها تتوخى الموضوعية والدقة في أخبارها، ولكن تحليل مضمون موادها الإعلامية يبين أنها وسيلة من الوسائل الفعالة للسياسة الخارجية البريطانية، وأنها كسائر وسائل الإعلام الجماهيرية البريطانية تستخدم أساليب غاية في الدقة لإخفاء نواياها الحقيقية، الأمر الذي يساعدها للقول: أنها تعمل بموضوعية"⁽⁴⁾.

وفي برلين افتتح اليهودي الألماني برنارد وولف، الذي تتلمذ في باريس على يد شارل هافاس، مكتباً صحفياً في عام 1849 وأطلق عليه اسمه⁽⁵⁾.

واليوم هناك العديد من القنوات الفضائية يسيرها يهودي ويشرف على مذييعيها ويسيرهم، وإن هذه اليد الصهيونية لم تمتد إلى الإعلام فقط بل استخدمت أساليب أخرى منها بث الشائعات في بلدان آمنة هدفها تمزيق البلد الواحد تخريبه وتستعين برسائل أجهزة الهواتف النقالة وغيرها من الأساليب كدفع مبالغ نقدية وربما الاستعانة ببعض القنوات الفضائية للترويج لأفكارها، واليوم هناك تجنيد لبعض المواقع على الانترنت وبعض الفضائيات وتجنيد للإعلام وهو ما يسمح لنا بالقول أنه غزو ثقافي وهو أخطر من الغزو العسكري لأنهم بالغزو العسكري هم يقتلون ونحن ندافع عن

(1) شارل لويس هافاس: (1783-1858م)، إعلامي وإعلامي فرنسي، أنشأ سنة 1832 مكتباً لترجمة البرقيات والرسائل الأجنبية. (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 675).

(2) العولمة والتبادل الإعلامي الدولي، د. صابر فلهوط ود. محمد البخاري، دار علاء الدين، الطبعة الأولى 1999، الصحيفة 195.

(3) جوليوس رويتر: (1816-1899م) مؤسس وكالة رويتر العالمية ولد في كاسل في ألمانيا، اسمه الأصلي إسرائيل بيريوشافات. (موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، الجزء 2، الصحيفة 865).

(4) العولمة والتبادل الإعلامي الدولي، د. صابر فلهوط ود. محمد البخاري، الصحيفة 198.

(5) العولمة والتبادل الإعلامي الدولي، د. صابر فلهوط ود. محمد البخاري، الصحيفة 198.

أنفسنا، أما بالغزو الثقافي سيقتلوننا بأيدينا إن لم نفطن لذلك. نحن نجد في العالم العولمي "نقل المنتج الثقافي وتسويقه بسرعة لافتة، وتعميمه عبر وسائل الاتصال الواسعة والسريعة جداً، من فضائيات تلفزيونية وشبكات الانترنت والحواسيب والأقراص الليزرية، فهو في ذات الوقت يتدخل على نحو غير متوازن في الخضوع لنظام التفاضل في القوة بين ثقافة تستند إلى قوة مادية اقتصادية، وثقافة تستند إلى قوة تعبيرها وصدقها، فيختل الميزان في هكذا نظام وعالم عولمي، تحكمه قوة الاقتصاد وليس قوة القيم والأخلاق فيتسم بطغيان ثقافة القوة على قوة الثقافة، والمقصود من ثقافة تحكمها قوة الاقتصاد: هي الثقافة الأمريكية، أما الثقافة التي تستند إلى قوة تعبيرها وصدقها هي الثقافة الإسلامية، ومن الطبيعي في سياق كهذا من التسويق الثقافي، المستند إلى أحدث التقنيات ووسائلها أن تتعزز اللغة الإنكليزية أولاً ثم الفرنسية تالياً، لتصبح لغة تداول عالمي، فكل منهما لغة غربية تستند إلى قوة اقتصادية وتاريخ استعماري طويل"⁽¹⁾، وبالتالي تهدد التعددية اللغوية والثقافية في العالم، فالإنتاجات الثقافية والتدفق التسويقي لها يتم في إطار ما يسمى بعولمة التقنية المتمثلة بالأنظمة السمعية البصرية من أفلام سينمائية وتلفزيونية وبرامج وعروض وثائقية وعبر الاسطوانات والأقراص الليزرية وشبكات الاتصال وخصوصاً الانترنت، كل ذلك يتم وبنسب عالية جداً باللغة الإنكليزية والتي تحمل في طياتها وبدون عفوية هيمنتها الثقافية واللغوية لتحل ثقافة بدلاً من ثقافات ولغة بدلاً من لغات، إنها ذهاب نحو إحلال واحدي للثقافة بدلاً من التعددية وهذه الواحدية هي سمة من سمات الهيمنة ولما كانت الثقافة الأمريكية هي في الموقع الأقوى والمهيمن كان من الطبيعي أن تهب شعوب العالم خارج أمريكا، بما فيها تلك الشعوب والأمم التي تنطق بالإنكليزية للتصدي لمحاولات الثقافة الأمريكية في بسط هيمنتها وسيادتها، واختراق الخصوصيات والمميزات الثقافية، ويمكن للمراقب أن يلمس ذلك في مواقف الفرنسيين والألمان والروسين وغيرهم بالطبع، فضلاً عن إدراك خطورة الإحلال اللغوي التي حصل في كل من إفريقيا وأمريكا الوسطى والجنوبية وأجزاء من آسيا، حيث تباد اللغة المحلية ومن الثقافة المحلية، لمصلحة اللغة الإنكليزية والفرنسية وما تتضمنه من ثقافة، وهذا الأمر لا يمكن أن يعد

(1) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 57.

أبدأ من مقتضيات أو وسائط التبادل الثقافي، فالتبادل الثقافي يغني الثقافة ولا يمحوها، يعزز اللغة المحلية ولا يحل محلها⁽¹⁾.

إن الثقافة العربية أو اللغة العربية هي ثقافة ولغة مستهدفة منذ عقود حيث انصبت الأفكار الاستشراقية الاستعمارية وتلامذتها على التشكيك بقيمة اللغة العربية والتراث العربي، لتصل إلى الإسلام والتشكيك فيه لتقول طالما أنت في إطار الإسلام أنت متخلف. وإذا وصلت إلى حد تقول فيه: "لا يجوز أو لا يمكن أن تدخل عالم الحداثة بلغتك العربية، لأن هذه اللغة ليست لغة علم وليست لغة عصر، فأنت إذن تنقص كل بنى الهوية التي تتصل باللغة وما حملتها، وثانياً أنت تشوه الإسلام وتحاول أن تسيء إلى الإسلام وتربطه بالأصولية والسلفية من خلال تصرفات البعض ممن قد توظفهم أنت، وتستهدف المعطى القومي والثقافي واللغوي والديني، لأهم حضارة وثقافة وشخصية متميزة عنك"⁽²⁾.

أما حول سبب استهداف اللغة العربية وبالتالي الإسلام: "يقول جلادستون رئيس الوزارة البريطانية: مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان"⁽³⁾، ويقول المبشر لورنس براون: "لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر والخطر الشيوعي إلا أن هذا التخويف كله لم يكن له أساس كما تخيلناه. إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد... ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي"⁽⁴⁾.

إننا لا نغالي إذا قلنا أن الغرب بمفهومه الثقافي الموروث ثم بمفهومه المتلبس بالعمولة يترصد باللغة العربية، فهناك قلق حقيقي يساور القائمون على العمولة إلى درجة الخوف والفرع بسبب "احتمال تزايد الوزن الحضاري للغة العربية في المستقبل فضلاً عن المستقبل البعيد فاللغة العربية ينطق بها حوالي 270 مليون، وهي تمثل إلى جانب ذلك

(1) ربح العصر العمولة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 57.

(2) ربح العصر العمولة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 58.

(3) جذور البلاء، عبد الله التل، الصحيفة 203 (نقلًا عن كتاب الإسلام على مفترق الطرق الصحيفة 39).

(4) جذور البلاء، عبد الله التل، الصحيفة 202.

مرجعية اعتبارية لأكثر من 850 مليون مسلم غير عربي كلهم يتوقون إلى اكتساب اللغة العربية، فإذا لم يتقنوها لأنها ليست لغتهم الوطنية، فلأنهم في أضعف الإيمان يناصرونها ويحتمون بأنموذجها، ثم أن اللغة العربية حاملة تراث وناقلة معرفة وشاهد حي على الجذور التي استلهم منها الغرب نهضته الحديثة في كل العلوم النظرية والطبية والفلسفية، وهي بهذا الاعتبار تخيفهم أكثر مما تخيفهم اللغة الصينية أو الهندية⁽¹⁾.

إذن هدم الإسلام وتخريبه له أسباب استعمارية بحثة والعولمة هي وسيلة لذلك الهدم، وهذا الهدم والتخريب كان بمحاولة تشويه القرآن والسنة وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فمثلاً "اكتشفت مؤامرة يهودية في شيكاغو حين نشرت دار ديغز اليهودية ما أسمته بالقرآن القصير أو جزت فيه القرآن على هواها، وتنبهت القاهرة والأزهر الشريف لهذه المؤامرة الخسيسة"⁽²⁾.

ومن المحاولات أيضاً، كتابة ونشر ما سمي بـ "الفرقان الحق" أو "مصحف الأديان الثلاثة" وهو كتاب أمريكي إسرائيلي مشترك هدفه التشكيك بصحة القرآن الكريم وأنه كتاب سماوي، والجزء الأول من هذا الكتاب يحوي سوراً تحمل نفس أسماء سور موجودة في القرآن الكريم، كالفاتحة والتوبة والقدر والمؤمنون والنساء، ولكن محتواها يستهدف تغيير المفاهيم وتهديد المسلمين أو تنصيرهم، وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب، ووزع سراً في الولايات المتحدة وإسرائيل وبعض الدول العربية كالكويت حيث طبع ونشر فيها بالإضافة إلى أنه نشر على بعض المواقع الإلكترونية، ووضعت بقية أجزاء الكتاب تحت الإشراف لغرض الدراسة والتدقيق، والمطلوب اعتماده في المستقبل لدى الدول العربية والإسلامية ليكون بديلاً عن القرآن الكريم، ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب يكتب تحت إشراف فريق مشترك من الباحثين العرب العلمانيين والمسيحيين المتخصصين التابعين لوكالة الاستخبارات وجهاز الموساد الإسرائيلي⁽³⁾.

(1) مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة، د. نجاح قدور، الطبعة الأولى 2005م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، الصحيفة 59

(2) جذور البلاء، عبد الله التل، الصحيفة 205.

(3) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، د. خليل نوري مسيهر العاني، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، الطبعة الأولى، 2009م، جمهورية العراق، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الصحيفة 164.

ومثل هذه المحاولات كثير، وعندما لم يستطيع التشويه أن يطل القرآن الكريم بسبب حفظ الله له ورعايته، امتد التشويه ليطال شخص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة، واذكر على سبيل المثال لا الحصر: "مما صدر عن أقلام اليهود كتاب بعنوان (محمد) لليهودي رودنسون نشره له نادي القصة الفرنسي، وقد ضمن هذا اليهودي كتابه طعنًا في الإسلام والقرآن والنبي الكريم، ونعت محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه زير نساء، وأنه كان ينظم الحملات لقطع طريق القوافل لكي ينهب الطنافس الحريية، ويفرشها لزوجاته"⁽¹⁾.

إن العولمة تحاول أن تمهد الصراع بين العلمنة والتيار الإسلامي المحافظ ليدخل مدخل التربية والتعليم، بدأ بما سُمي بإصلاح معاهد التعليم التقليدية كالأزهر والقرويين، وتغيير مناهج التعليم بفصل العلوم الشرعية عن العلوم التجريبية، وإنشاء معاهد التعليم الغربية، ونشر البعثات الأجنبية، ودعم المراكز الثقافية الغربية أو المتغربة لغاية تعميم ثقافة التغريب، ومعطيات الغزو الفكري، ومن ذلك خلخلة البنية القيمة عند النشء، وتحقيق غاية استعمارية كبرى مفادها نشأة جيل مقطوع الصلة بدينه، مفتون بالغرب وتياراته الثقافية المختلفة التي تتفق في شيء واحد هو تحللها من الالتزام بالدين، وكل ذلك نتيجة طبيعية للفصل بين العلم والأخلاق⁽²⁾.

(1) جذور البلاء، عبد الله التل، الصحيفة 210.

(2) القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني، سعاد جبر سعيد، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، الصحيفة 41.

المبحث الثاني ثقافة العولمة

تعريف ثقافة العولمة:

"تعرف ثقافة العولمة بأنها ثقافة ما بعد المكتوب، أي ثقافة الصورة، والصورة هنا هي المادة الثقافية الأساسية التي تسوق على نحو جماهيري واسع، وتلعب الدور الذي كانت تلعبه الكلمة في التاريخ الثقافي"⁽¹⁾، وبطبيعة الحال فالصورة لا تحتاج إلى المصاحبة اللغوية للوصول إلى إدراك المتلقي، "فهي بحد ذاتها خطاب ناجز مكتمل يمتلك سائر مقومات التأثير الفعال في مستقبله، أو هي لغة تكتفي بذاتها، فتستغني عن الحاجة إلى غيرها"⁽²⁾، وهي أيضاً لا تحتاج إلى اطلاع المتلقي اللغوي وهنا مكمن خطورتها، إذ أنها تحطم الحواجز اللغوية تماماً كما تحطم العولمة الاقتصادية الحواجز الوطنية والجمركية.

إن هذا النظام السمعي البصري وأحياناً بصري فقط، نراه جلياً واضحاً في التلفزيون والانترنت والدعاية والإعلان ليغدو "هو المصدر لإنتاج القيم والرموز وصناعتها وتشكيل الوعي والوجدان والذوق،... ومع التدفق الكبير للصور ستفيض ثقافة العولمة على المتلقي بما هو أكثر من حاجته للإشباع لكنها في ذات الوقت ستقتل الروح، وتطيح بالمحتوى الأخلاقي والقيمي للسلوك، وهذا ما يحصل عندما يحل التلفزيون مكان الأسرة والمدرسة"⁽³⁾ والجامع والشيخ المربي، ليتولى دوراً تربوياً تعليمياً يبيث أفكار ونمط حياة مناقض تماماً للتراث والنظام الاجتماعي السائد في الدولة.

ويعدّ التلفزيون والسينما من أبرز أدوات ثقافة العولمة التي تلجأ إليها الدول الغربية الرأسمالية لتعزيز هيمنتها على بلدان العالم الثالث، "فالإنتاج التلفزيوني والسينمائي سواء في البلدان الرأسمالية أو بلدان العالم الثالث التي تدور في فلكها يعتبر أداة مهمة ليس فقط لتحقيق الأرباح وإنما أيضاً للتحكم بالوعي القومي وللضبط الاجتماعي للجماهير بهدف الدفاع عن النظام الرأسمالي والمحافظة على الأوضاع القائمة، إن ما تصدره الولايات المتحدة الأمريكية من أفلام سينمائية وبرامج تلفزيونية تهدف بالدرجة الأولى

(1) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 37-38.

(2) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 104.

(3) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 38.

سواء بكيفية صريحة أو مضمرة إلى إبراز التفوق الأمريكي في مختلف المجالات، وإلى فرض هيمنة الثقافة الأمريكية على جميع أنحاء العالم⁽¹⁾.

"إن نظام توزيع وبث الصورة واعتمادها كمادة ثقافية معاصرة، ينبغي أن لا يُنظر إليه كمجرد تقنية محضة للتلقين بل هي كيفية جديدة لوعي العالم،...، ومن أبرز النتائج التي تنجم عن ذلك هو أن الثقافة لن تبقى المعبرة عن تمثل الناس لمحيطهم ويشتهم بشروطها التاريخية، ولا المعبرة عن طبيعة اجتماعهم المدني وشروطه وآلياته، بل سنجد أن نشوء الثقافة والقيم الثقافية في هذه الحالة لن تكون مرجعيتها ومصدرها تلك العلاقة بين الناس ومحيطهم ونظامهم الاجتماعي الذي يتمون إليه، بل إن قوة التوليد الثقافي السمعي البصري، إضافة إلى آليات العولمة على مستوياتها السياسية والاقتصادية⁽²⁾.

"ويقدر أن ما نسبته 80٪ من البث العالمي ونقل المعلومات ينبع من أمريكا وأن 50٪ من مناظر الأفلام العالمية تتضمن إنتاجات أمريكية الصنع، وما من أمة تقترب وحتى لدرجة بعيدة لما تقدمه الولايات المتحدة من بث لبرامج التلفاز عالمياً.

احتلت المملكة المتحدة وفرنسا حتى السنوات الأخيرة المرتبة الثانية فلكل بلد منهما تطلعاته الثقافية العالمية، في حين بلغت مبيعاتها على التوالي أقل من 15٪ من إجمالي ساعات البث الأمريكي للخارج، وهكذا باتت كل قارة متأثرة بالصور والقيم التي يعرضها التلفاز الأمريكي، أثارت هذه الحالة عدة تهمة أجنبية بأن الإمبريالية الثقافية الأمريكية قد أضحت تهديداً لثقافة البلاد المختلفة⁽³⁾.

كمثال لهذا التأثير: في السابق كان لكل قرية ولكل دولة عادات وتقاليدها مختلفة عن الأخرى، وهذا الاختلاف الذي يكاد أن يكون جذرياً في بعض القرى، تجده في الطعام واللباس والعادات والتقاليد في الأعراس والأحزان وغيرها من أمور الحياة.

واليوم نحن أمام واقع آخر لقد بدأت ترى تغييراً في كثير من الأمور اليومية عند أهل القرى والمدن المختلفة لتجدها تأخذ شكلاً واحداً فمثلاً حلّ لبس الجينز مكان

(1) تأثير العولمة على ثقافة الشباب، محمود عرابي، الصحيفة 51.

(2) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 40.

(3) الفوضى: الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، زيجينو بريمنسكي، ترجمة مالك فاضل، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن عمان، الطبعة الأولى، الصحيفة 82.

الألبسة التقليدية المتعارف عليها لكل قرية وكل دولة، فترى الشاب الياباني والاندونيسي والأوروبي والأمريكي والعربي المسلم وغير المسلم والمرأة المحجبة وغير المحجبة، ليبقى الزبي التقليدي والشعبي حكراً على بعض كبار السن، وإن عولمة العادات والتقاليد لا تراها في الألبسة فقط بل حتى بالأطعمة والأشربة كمطاعم الماكدونالدز والدجاج "كنتاكي" والمأكولات الغربية وأشربة الكوكا كولا والبيسي، وهو ما عبر عنه الباحثون بثقافة الاستهلاك.

إن هذه الثقافة الاستهلاكية ليست جديدة "بيد أنها أصبحت في التسعينات الأكثر رواجاً ودخل العالم مرحلة عالمية الثقافة الاستهلاكية والشبابية فسلع هذه الثقافة وماركاتها ومأكولاتها وملبوساتها وشخصياتها وأفلامها وأغانيها والتي تأتي جميعها من مصدر واحد موجودة في كل مكان وفي كل المجتمعات وأخذت هذه المنتجات الاستهلاكية دلالات اجتماعية ورمزية تتجاوز قيمتها المادية المحسوسة لتكتسب قوة ربما حياة مستقلة تدفع في اتجاه صهر العالم استهلاكياً، وربما دمجاً ثقافياً متجاوزة بذلك كل الحضارات والمجتمعات والبيئات والجنسيات والطبقات"⁽¹⁾.

وللدعاية والإعلان المنبثة عبر التلفزيون والمنشورة في الطرقات وعلى الحافلات دور رئيس لفرض هذا النمط الاستهلاكي الجديد ليس على دول العالم الإسلامي فقط بل على جميع دول العالم، "فمثلاً في العام الأولي 1996م ارتأت شركة "كوكا كولا" أن تخاطب بإعلاناتها على المستوى العالمي كل المغرمين، أما في أتلانتا المدينة الساخنة الجو، فقد اختارت هذه الشركة العالمية التي تتفنن استثمار المشاعر والأحاسيس أن تقوم بالدعاية لنفسها بحروف عريضة كتبت على الحافلات الناقلة للرياضيين، تقول لجمهور المشجعين الذين يتصبب عرقهم من عنت التشجيع: التشجيع عمل يؤدي إلى الظم"⁽²⁾.

ولمن يتساءل عن سبب فرض هذا النمط الاستهلاكي الجديد على الدول الإسلامية أو الدول النامية 19 أقول: أمريكا وإسرائيل، أي الكيان الصهيوني، تريد جعل الدول الإسلامية أسواقاً لبيع منتجاتها وتصريف سلعها وبذلك زيادة لقوتها الاقتصادية يؤكد ذلك الكلام

(1) تأثير العولمة على ثقافة الشباب، د. محمود عرابي، الصحيفة 60

(2) فسخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 59. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

الآتي: "بيريز"⁽¹⁾ ومجموعة حزب العمل كانوا يمثلون فكرة السوق الشرق أوسطية، وقد جاء بيريز إلى مصر واجتمع مع بعض المثقفين المصريين وقال لهم: إن الشعب اليهودي يريد فقط أن يشتري ويبيع ويستهلك وينتج، فعظمة إسرائيل تكمن في عظمة أسواقها، وأنا أعتقد أنه في هذه العبارة قد لخص تماماً فكر العولمة.. أن السوق هو المعيار الأساسي، وهو المكان الذي يتبادل فيه السلع والأفكار"⁽²⁾. والسؤال الأهم، ما هي نظرة الغرب للعالم الإسلامي بعد طبعهم بالطابع الغربي في أكلهم وشربهم ولباسهم وعاداتهم الجواب يكمن ما بين هذه الكلمات التي قالها الكاتب السياسي اليهودي صموئيل هنتغتون في كتابه صدام الحضارات: "في مكان ما من الشرق الأوسط قد تجد حفنة من الشباب الذين يرتدون الجينز ويشربون الكوكاكولا ويستمعون إلى موسيقا الراب وبين نوبات ركوعهم باتجاه مكة يقومون بزرع قنبلة لتفجير طائرة ركاب أمريكية"⁽³⁾.

"ومن الجدير بالذكر، التنبيه إلى أنه قامت في أمريكا مراكز بحوث متطورة ومؤسسات عملها رصد النفسية العربية المسلمة وبناء مقومات رضوخ للاحتلال للتأثير على مسار التنمية البشرية مثل تعطيل قدرات العقل وضرب ملكاته ودفعه إلى التخلف وإفراغ أجيالنا من القيم الإنسانية وتحويل مجتمعاتنا إلى مسخ حضاري هم سدنته، والعمل على تشكيل رأي عام غربي معاد الأمة العربية تستخدم فيه صناعة الصورة وصناعة الخبر وصناعة السينما. كما غصّت المناهج الغربية بالمغالطات والأكاذيب التي تناولت الإسلام بالتشويه والتحريف، بحيث يتم اختزال الإسلام في ضوء ما يعرف بالإرهاب جملة وتفصيلاً مما أعطى مبرراً ومسوغاً للهجوم على الإسلام وقيمه"⁽⁴⁾.

(1) شمعون بيريز: رجل سياسي صهيوني إسرائيلي، رئيس حزب العمل (1977-1992)، رئيس حكومة ما بين (1984-1986)، شغل عدة مناصب وزارية (الخارجية 1986-1988 م و 1992-1995 م) و (المالية 1988-1990 م) أحد صانعي الاتفاقيات الفلسطينية - الإسرائيلية الموقعة في واشنطن. بعد اغتيال رابين صار مجدداً رئيساً لحزب العمل (1995 م-1996 م) ورئيس حكومة (1995-1996 م)، وزير التعاون الإقليمي (1999-2001 م)، نال جائزة نوبل 1994 م (انظر ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 23).

(2) الإسلام والعولمة، محمد إبراهيم مبروك، الدار القومية العربية، الصحيفة 88.

(3) صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتغتون، ترجمة طلعت الشايب، تقديم د. صلاح فنصوه، الطبعة الثانية، 1999، الصحيفة 96.

(4) القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني، د. سعاد جبر سعيد، الصحيفة 40.

ورغم كل ما تحمله ثقافة الصورة من سلبيات لابد من وجود بعض الايجابيات التي لا يمكن أن يستفيد منها إلا أصحاب الوعي والإرادة، الوعي باختيار ما يغني ثقافته وعلمه والإرادة بالابتعاد عن ما هو ممتع ولكنه سيء، فلا يمكن ولا يجوز لنا أن ننكر عما يمكن أن تفتحه لنا ثقافة الصورة من آفاق معرفية كالانترنت.

خصائص ثقافة العولمة:

ومما سبق نخلص إلى أن لثقافة العولمة الخصائص التالية:

- 1- هي ثقافة يصاحبها في الغالب خطاب تقني وعلمي، فهي تنقل عبر الوسائل الاتصالية الحديثة.
- 2- هي نخبوية: تُفرض من أعلى، من دون أن تكون لها قاعدة شعبية أو تعبر عن حاجات محلية، أو تلتزم بأشكال ومضمون التراث الثقافي الذي تُنتقى منه.
- 3- وإذا كانت ثقافة العولمة ثقافة نخبوية، فإنها تساعد على تركّز القوة، والقوة هنا ليست قوة سياسية فحسب، بل قوة التكنولوجيا المرتبطة بالمشروعات الصناعية ذات الصبغة الكونية كشبكات الحاسوب والانترنت وهو ما يطلق عليه تقنيات العولمة.
- 4- هي ثقافة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة الاستهلاك فالعمليات المرتبطة بنشر الحداثة تساعد على نشر القيم والرموز وأساليب السلوك المرتبطة بالاستهلاك.
- 5- وهي ثقافة تعمل على خلق نماذج وصيغة موحدة عبر العالم، كما تدعم نظاماً للصور الذهنية حول موضوعات خاصة لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالسوق الرأسمالي⁽¹⁾.

(1) العالم الإسلامي في عصر العولمة، عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق، الصحيفة 58.

المبحث الثالث

عولمة التقنية

تعريف عولمة التقنية:

"هي وصف للانفجار المعرفي وثورة المعلومات على إثر المكتشفات العلمية المعاصرة، ومن الضرورة التمييز بين التقدم العلمي الهائل، والذي هو دون شك نتاج لمسيرة طويلة وتراكم جهود وإمكانيات وخبرات في ميادين البحث العلمي، وبين العولمة التقنية التي تعني شمولية النزعة المعرفية التي تتجاوز حدود الوطن ومفهوم المكان والزمان وسيطرة الدولة الوطنية وذلك عبر وسائل الاتصال الحديث من فضائيات وانترنت وتقنيات إعلامية مختلفة"⁽¹⁾. مع العلم أنه قد بلغ عدد الأفراد الذين يستخدمون باستمرار شبكة الانترنت العالمية 90 مليوناً علماً بأن هذا العدد يزداد أسبوعياً حوالي نصف مليون⁽²⁾. وربما نستطيع أن نقول بأن هذا العدد يزداد يومياً، وخصوصاً بأننا اليوم نستطيع أن نحصل على شهادات جامعية عبر الدراسة على الانترنت ومن دون حضور محاضرات وأسئلة ونقاشات، وبالتالي فإن النظام الثقافي العولمي يساهم إلى حد كبير في أسلوب التعلم الفردي بدل التعلم الجماعي، "وعلى أن ندرك أن التعلم الجماعي بطبيعته وآلياته يفتح المجال للمناقشة والحوار والجدل والتفاعل، بينما يفتقد التعلم الفردي لهذه الميزة، ففي التعليم الفردي يناقش الفرد الانترنت أو الحاسوب أو الآلة بشكل عام، وهكذا تتسطح المعرفة بافتقارها النقد والمساءلة والتساؤل والاختيار والتمييز. إنه تعزيز للفردية وإضعاف للمسؤولية الجماعية ففي النظام الثقافي العولمي ينبغي ملاحظة تغلغل أنماط المعرفة والاتصال الرقمي، وغلبة النظر على التدبر والتفكير والمشافهة على المباشرة والتعقل"⁽³⁾.

وهناك ثمة فارق بين استخدام أحدث التقنيات والإمكانيات العلمية الفكرية والمادية من أجل خدمة الإنسان وبين العولمة التقنية التي تعمل على عبودية الإنسان

(1) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 46.

(2) فخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 60. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(3) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 45.

واستلابه الذهني واختراق عقله، في سبيل تأسيس ملامح ثقافية ومعرفية وأيديولوجية جديدة تتناغم والعولمة الشاملة، إنها تتجاوز ذاكرة الشعوب ولغاتهم وتاريخهم وحضارتهم ومناهجهم المدرسية والجامعية والثقافية وأخلاقياتهم القيمية والسلوكية كأفراد ومؤسسات اجتماعية⁽¹⁾.

ويتبين مما سبق مدى خطورة "دور الثقافة والعولمة التقنية في عصر المعلوماتية وغزو الفضاء وذلك في مجال صناعة الأجيال المتلازمة والعولمة، إذ تعتمد العولمة في آلياتها إلى تقوية أجهزة الإعلام ومراكز البحث العلمي والمؤسسات الثقافية، من أجل تعميم الثقافة الغربية الأمريكية، كنموذج أمثل للثقافة، من حيث سيادة لغة الانترنت والميكروسوفت وماكدونالدز والهمبرغر والبيسي كولا والجينز"⁽²⁾.

وإذا كانت العولمة كما ذكرنا هي فرض وهيمنة الثقافة الأمريكية على باقي الثقافات فمن المفيد أن نلقي نظرة على المجتمع الأمريكي وثقافته والمشاكل التي يعانيها المجتمع الأمريكي وذلك حسب ما ذكر زيجينيو بريجنسكي في كتابه الفوضى:

1. من الناحية الاقتصادية أمريكا هي الدائرة الأولى في العالم، حيث جلبت ديناً قومياً تراكمياً يتجاوز 4 تريليون دولار، وانطوى هذا الأمر على عجز في الميزانية اقتراب 400 مليار في عام 1992.

2. التعليم الثانوي المتدن: يعاني الشباب الأمريكي من سوء التعليم عند المقارنة مع معظم الشباب الأوروبي والياباني فيؤدي ذلك عملياً إلى جهل 23 مليون أمريكي.

3. اتساع الفارق الجنسي ومشكلة الفقر، حيث يعيش بنحو نجل 32,7% من الأمريكيين السود دون خط الفقر، بالإضافة 11,3% من الأمريكيين البيض يعيشون في نفس الظروف التي لا تليق بالقوة العالمية الفريدة.

4. انتشار الجريمة والعنف التي هي جزئياً نتاج السبب السابق (حيث أن السود الذين تبلغ نسبتهم 12% من السكان) يشكلون نحواً من 50% من السجناء) تدهورت الجريمة بفعل سهولة الحصول على الأسلحة الفتاكة فكثرت الأسلحة في متناول

(1) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 46.

(2) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 47.

الأيادي- خاصة الإجرامية منها- من بقية أنحاء العالم، وساعد التلفاز وثقافة الأفلام التي تمجد العنف على ارتفاع نسب الجريمة عن سائر دول العالم الأخرى المتحضرة.

5. انتشار واسع لثقافة المخدرات التي تهيمن على الأحياء العنصرية الفقيرة باعتبارها نمطاً لهروب نفسي أو أسلوب بديل للثراء بسرعة، حيث قدرت مكاسب المخدرات بأكثر من 100 مليار دولار أمريكي سنوياً، وهي منتشرة أيضاً خارج الأحياء، خاصة في المراكز الريفية الكبيرة.

6. ظهور اليأس الاجتماعي الذي شرع يغدو مظهراً طبيعياً ليس للفقراء فحسب بل يشمل بضعة ملايين هم الآن من المدمنين على الرفاهية الاجتماعية.

7. كثرة الإباحة الجنسية الذي يساهم في إضعاف شديد لروابط اللُحمة الاجتماعية ناهيك عن الأمراض الناتجة عن ذلك وأهمها الإيدز. والدعاية الهائلة للفساد الأخلاقي من خلال الإعلام المرئي التي تعمل تحت قناع التسلية في تبنٍ حقيقي للعنف والجنس كوسيلة لجذب المشاهدة⁽¹⁾.

أما حول نظرة العولمة إلى المبدع أو المثقف:

بعضهم من يرى "أن العولمة الثقافية تعني أن يوضع المبدع الثقافي على مستوى العالم إنتاجاً ونشراً وتلقياً بدلاً من أن يكون محصوراً داخل الإطار الوطني أو القومي. أي أنها تعني أن يترجم العمل الأدبي أو الفكري بسرعة إلى لغات أجنبية كثيرة، وأن يوزع ويقرأ ويناقش في مختلف أقطار العالم"⁽²⁾.

بينما هناك من يرى تهميش دور المثقف ويعتبره هو الأقل فاعلية وحضوراً على المسرح قياساً إلى العاملين في بقية القطاعات، وأن المثقف يتخلى عن مهمة الخلق والابتكار لينشغل بالدفاع عن مقولاته والمحافظة على عجزه وقصوره⁽³⁾.

(1) الفوضى: الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، زيجينو بريجنسكي، الصحيفة 89-90-91-92. (بتصرف)

(2) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 42.

(3) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 43 (بتصرف).

كلمة أخيرة...

يرى أحد أساتذة الإدارة في جامعة كامبردج أن العولمة لها مفهومان فالعولمة بالمفهوم الأول: ليست سوى توسيع للنظام الرأسمالي الأمريكي، فالولايات المتحدة التي نجحت في استيعاب المهاجرين إليها تتطلع إلى استيعاب دول العالم في النظام الجديد. أما العولمة بمفهومها الثاني: فترى أن التقارب بين الأمم يجب أن يقوم على الحوار وعلى توثيق الصلات بين منظمات حقوق الإنسان في مختلف دول العالم، ويتفق باحث هندي مع هذه الرؤية عندما يرى أن هناك نوعين من العولمة، العولمة الفوقية أو التسلطية وهي الأقوى، والعولمة الشعبية وهذه صوتها خافت، ويمثله أنصار المحافظة على البيئة ومناهضة العولمة التسلطية ومنظمات حقوق الإنسان⁽¹⁾.

وربما المفهوم الأول للعولمة أي العولمة الفوقية: هي التي بُني الخلاف عليها بين القبول والرفض وتطرقت الأبحاث لها، أما العولمة في المفهوم الثاني فهي مما لا غبار عليها ويدعو لها كل مسلم وربما يصح أن يُطلق عليها العالمية أكثر من العولمة. وقد سمعنا أنواعاً كثيرة للعولمة كالعولمة الاقتصادية والسياسية وعولمة الدين وعولمة اللغة وعولمة الإعلام والعولمة الثقافية والاجتماعية والعولمة التقنية.

أما العولمة الفوقية الاقتصادية فهي تدعو إلى فتح أسواق الدول وخصوصاً النامية أمام البضائع والشركات القادمة من الخارج وهي ذات تأثير كبير في العولمة الفوقية السياسية، وهي محرك رئيسي للسياسيين، وأضعف ما تكون العولمة تكون في المجال السياسي وتنحصر بسعيها لرفض الديمقراطية الغربية وتعدد الأحزاب السياسية، وإثبات نظريات العنف والإرهاب على المجتمع والثقافة الإسلامية، أما العولمة الاجتماعية فهي نتيجة حتمية لوجود العولمة الاقتصادية المتمثلة بالشركات المتعددة الجنسيات وما ينتج عنها من بطالة وانخفاض أجور العاملين وبالتالي تؤثر سلباً على المجتمعات كالفقر وانتشار الجريمة والمخدرات وانخفاض مستوى التعليم وبالتالي انخفاض مستوى الثقافة، وإذا كانت العولمة هي هيمنة وفرض الثقافة الأمريكية فهي بالتالي تأخذ أبعاداً استعمارية، والاستعمار له شكلان غزو عسكري وغزو ثقافي وفكري، الغزو العسكري

(1) القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني، د. سعاد جبر سعيد، الصحيفة 37.

يتمثل في العولمة السياسية، والغزو الثقافي والفكري-وهو الأخطر على المجتمعات-يتمثل بالعولمة الثقافية والتي أدواتها متعددة كعولمة اللغة، وذلك بالقضاء على أصالة اللغة العربي وإحلال اللهجات العامية ومن ثم اللغة الإنكليزية مكانها، والقضاء على اللغة العربية تكون محاولة القضاء على الدين الإسلامي الذي هو العقبة الوحيدة في وجه الاستعمار الأمريكي وهو ما يمكن تسميته بعولمة الدين، ومن أدوات العولمة الثقافية التي يُنشر فيها الأفكار والأنباط العالمية، الانترنت والتلفزيون والصحف والتقنيات وهو ما سُمي بالعولمة التقنية، وما يترتب هذه التقنيات من شائعات وأخبار صادقة وأخرى كاذبة وأفكار وتسليية مضیعة للوقت هو الإعلام ووكالات الأنباء الرسمية للدول المختلفة في العالم، والتي كثيراً منها تسيطر بأيادي يهودية، والتي أطلق عليها عولمة الإعلام. وبذلك التناغم بين كل تلك العولمات يمكننا القول بأن العولمة كل لا يتجزأ.

الماب الثاني آثار العولة

الفصل الأول:
الآثار الاقتصادية للعولة

الفصل الثاني:
الآثار السياسية للعولة

الفصل الثالث:
الآثار الثقافية للعولة

الفصل الرابع:
الآثار الاجتماعية للعولة

الفصل الخامس:
الموقف المطلوب من العولة

الفصل السادس:
العالمية في الإسلام

تمهيد

"مثل اكتشاف العالم الجديد بداية الرحلة في تعيين العولة بما هي استيلاء على المكان واحتلال لجغرافيته بما يحتويه من ثروة مادية ورمزية، فإذا كانت العولة هي السيطرة على الكرة الأرضية في سطحها وعمقها، يابسها ومائها، أرضها وفضائها فإن هذا الإمكان بدأ مع اكتشاف العالم الجديد الذي سيحدد لحظة اكتساح كامل للمكان لمعرفته واستغلال ثروته"⁽¹⁾.

إن حب الهيمنة والسيطرة على ثروات الغير عند الغربيين لها جذور تاريخية بعيدة، فمثلاً "لقد بلغ إلى مسامع الأوروبيين ما يوجد في أرض مجهولة يمكن اكتشافها من معادن وثروة متعددة الإنتاج ذلك ما قدّمه الرحالة البندقي ماركو بولو⁽²⁾ منذ نهاية القرن الثالث عشر عن إمكان ما يوجد من معادن داخل الشرق الأقصى فلم تكن بذلك رحلات الاكتشاف إلا بحثاً عن معادن ثمينة منها الذهب مما يجعل الاقتصاد الأوروبي قابلاً للتطور منسجماً في تطوره إذ أن كل الكميات المتداولة من الذهب داخل الأسواق الأوروبية لم تكن كافية لتجعل هذا التطور متوازناً هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان هدف الأوروبيين أيضاً البحث عن منبع للتوابل عوضاً عن منبعها التقليدي، إذ أن جلب هذه المواد من لدن متجنيها كانت تثقل الأموال الأوروبية، سيما أن وصول هذه المواد كان مكلفاً حتى تصل إلى أيادي المستهلكين"⁽³⁾، وإن الأوروبيين أو الغربيين تتصف مساعيهم بالمادية البحتة فهم يحاولون رفع اقتصادهم بطرق غير مشروعة، وذلك بنهب ثروات الأمم والشعوب والسيطرة عليها واستعمارها، وحتى رحلاتهم الاستكشافية ليس هدفها العلم والمعرفة بل هدفها التعرف على المواطن الدسمة التي تقدم لهم الرفعة الاقتصادية، وتبين ذلك جلياً في الرسالة المقدمة من العالم الجغرافي توسكاني إلى كريستوف كولومبوس⁽⁴⁾:

(1) حقيقة العولة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 69.

(2) ماركو بولو: (1254 ماو 1255-1324 م)، مستكشف ورحالة إيطالي، ولد في البندقية من عائلة من كبار التجار. (موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، الجزء 5، الصحيفة 651).

(3) حقيقة العولة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 69.

(4) كريستوف كولومبوس: بحار ولد في جنوى بإيطاليا، انتقل إلى لشبونة حيث تزوج من ابنة ملاح برتغالي واستقر في البرتغال 1576 م، مكتشف أمريكا، 1451-1506 م. (موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، الجزء 5، الصحيفة 246).

"إني لأكبر وأجل مشروعك الرامي للوصول إلى الهند عن طريق البحر منطلقاً من الغرب حسب ما وقع بيانه بالخريطة التي وجهتها لك سابقاً ويسرني أنك تيقنت أن هذه الرحلة ليست ممكنة فقط، بل هي من الأمور الثابتة التي لا شك فيها والتي لا تحصى فوائدها المادية والأدبية، فسوف تتعرف أثناء هذه الرحلة إلى ممالك عظيمة، ومدن عديدة، ومقاطعات شهية يتوفر فيها كل ما نحتاجه من ذهب وتوابل ومجوهرات وحجارة كريمة"⁽¹⁾.

لقد مرّ العالم تاريخياً عبر مراحل عديدة من مراحل التنافس والسيطرة على الدول الأخرى واستعمارها ولكل مرحلة من هذه المراحل الاستعمارية والتي تأخذ طابع العولمة آثار نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

مرحلة التنافس البرتغالي الإسباني:

حيث أدت سيطرة البرتغاليين إلى تراكم رأس المال (الثروة) وجلب أرباح طائلة تعزز الموقع وتعمق القدرة على السيطرة سيما وأن السيطرة قد درّت على كلا القوتين بكميات هائلة من الذهب والفضة، فبين سنة 1503 و 1660 م تم جلب 185 ألف طن من الذهب و 16 مليون طن من الفضة⁽²⁾.

وطبعاً مثل أي مرحلة استعمارية لم يكتب لهذه المرحلة التقدم والقوة دائماً بل "أدت العديد من العوامل المتضاربة إلى تراجع النفوذ البرتغالي الإسباني لمرحلة أولى لتعين العولمة وقد لعبت العديد من الأسباب دورها الحاسم في هذا التراجع ليظهر التنافس في شكله الثاني بين القوة الإنكليزية مناهضة للقوة الفرنسية" وهذا التنافس الذي ظهر في القرن السابع عشر كان "مرده جوهرراً إلى تضارب المصالح الاقتصادية وسعي كلا القوتين إلى الهيمنة على مدخرات الأرض مادة وذهباً، وعلى قوة الإنسان وإنتاجه"⁽³⁾.

ومن الدوافع التي كانت تحركها لتستولي على الثروة وتحتل الأرض هي:

- 1 - "توفير سوق لترويج المنتجات الصناعية: إن المستعمرات التي وقع احتلالها كانت مجالاً لترويج الإنتاج بعد أن أدت التطورات الاقتصادية إلى التراكم، ولذلك تم التعامل مع هذا الفضاء الإنساني كسوق لترويج البضاعة والتي خضعت إلى ممارسة تجارية صارمة"⁽⁴⁾.

(1) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 70

(2) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 72.

(3) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 75.

(4) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 76.

2- "السعي إلى التزود بالمواد المدارية متمثلة أساساً في القطن، والقهوة، وقصب السكر، والنيلة، زيادة عن المعادن الثمينة، حيث كانت هذه المعادن مطلباً رئيسياً منذ بداية الاكتشافات الأولى لما لها من أهمية في دعم المال وتراكمه"⁽¹⁾.

وتدعم التنازع في القرن السابع عشر بظهور التجارة المثلثة - ويقصد بالمثلثة- تلك التجارة التي قامت بين فرنسا وانكلترا وغيرهما من جهة، والمناطق الغربية من إفريقيا من جهة ثانية وأمريكا الوسطى من جهة ثالثة"⁽²⁾.

وقد ظهرت في هذه المرحلة تجارة الرقيق، "وهذه التجارة كانت تلبي الحاجة القوي المحتلة إلى يد عاملة من أجل السيطرة على الثروة فلم يكن أمام هؤلاء سوى العبيد إذ من الممكن أن يستخدم هؤلاء وسيلة لاستخراج الثروات وتكديس رأس المال، فما كان على الرجل الأبيض إلا أن يدفع بسفنه إبحاراً نحو إفريقيا، حيث توزع جلب العبيد على سبع مراكز ممتدة على طول ساحل إفريقيا الغربية (من الشمال إلى الجنوب)، إن هؤلاء العبيد كانوا يقادون في سلاسل تكبلهم إلى الساحل الغربي حيث يجمعون في أكواخ يموت بعضهم من وطأة رائحتها، وكان ثمن العبد يتحدد حسب قدرته على العطاء العملي،...، لقد كان التجار يكومون مشترياتهم من اللحم الحي على كل مركب، إذ لا يجب تركهم لمدة طويلة من الانتظار تحاشياً للأوبئة التي قد تحدث بهم فتكون خسارة المال، وفضلاً عن ذلك فإن الانتظار يستدعي نفقات جديدة حفاظاً على حياة الطاقة الحيوية، لاسيما وأن العبد الواحد ثمنه يتضاعف خمس مرات إذا ما وصل إلى العالم الجديد محافظاً على طاقته،...، ولقد تمكنت القوى الأوروبية مجتمعة وعلى رأسها قوى التنازع من إبعاد حوالي مئة مليون زنجي، وهي بهذه الممارسة كانت تخلق قوة رأس مال في حين تفقد إفريقيا قوتها الحيوية"⁽³⁾.

وبالإضافة إلى تجارة العبيد كانت هناك تجارات أخرى مختلفة، كتجارة الأقمشة القطنية والمصنوعات الزجاجية والأسلحة القديمة"⁽⁴⁾.

وجاء بعد هذه المرحلة مرحلة أخرى تحول فيها الصراع الفرنسي والإنكليزي إلى وفاق ضد قوى أخرى متحالفة، من بينها القوة البحرية الألمانية في العهد 1895م ودول

(1) حقيقة العولة، أحمد العربي الشرقي، الصحيفة 77.

(2) حقيقة العولة، أحمد العربي الشرقي، الصحيفة 79.

(3) حقيقة العولة، أحمد العربي الشرقي، الصحيفة 80.

(4) حقيقة العولة، أحمد العربي الشرقي، الصحيفة 81.

أخرى عديدة منها الإمبراطورية العثمانية، وإسبانيا وغيرها. واستمرت هذه النزاعات لتكون الحرب العالمية التي حولت القوة الأمريكية إلى قوة مقرضة لأوروبا داعمة لقوى الوفاق بعد أن كانت قبل نشوء الحرب مدينة لأوروبا وموردة منها، "ففي عام 1914 كانت صادرات أمريكا 2329 و وارداتها 1893 أما الفائض + 436 مليون دولار. أما في عام 1918 فقدرت صادراتها 5838 و وارداتها 2649 وقدر الفائض + 2892 مليون دولار، وقد جاءت الحرب العالمية الثانية مع تفوق كان يبدو واضحاً للولايات المتحدة الأمريكية والتي أصبحت في ما بعد الحرب تملك 80٪ من ذهب العالم وهو ما ساهم في تفوق عملتها عالمياً"⁽¹⁾.

وقد كانت في هذه المرحلة "العملة الأمريكية هي العملة الأكثر انتشاراً عالمياً، فمند الحرب العالمية الأولى كان التعامل النقدي يحتكم إلى قاعدة الذهب، وهي قاعدة تنص على ضرورة أن تحدد كل دولة قيمة عملتها بوزن معين من الذهب، وهذا يؤدي ضرورة إلى ثبات أسعار الصرف بين العملات"⁽²⁾.

"ولكن ما لبثت نسبة مخزون الذهب التي تملكها أمريكا أن تغيرت بشكل سلبي بالغ مع حركة التجارة بين دول العالم، مما دعا الرئيس نيكسون⁽³⁾ إلى إعلان توقف دولته

(1) حقيقة العولة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 110.

(2) حقيقة العولة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 122.

(3) ريتشارد نيكسون: الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية 1969م-1974م، مارس المحاماة 1937م-1942م، والتحق بسلح البحرية أثناء الحرب العالمية الثانية، بدأ حياته السياسية كنائب جمهوري عن ولاية كاليفورنيا في الكونغرس عام 1946م، وأعيد انتخابه عام 1948م، وفي عام 1959م خاض معركة انتخابية شرسة وفاز على خصمه الديمقراطي ليصبح عضواً في مجلس الشيوخ، اختاره ايزنهاور عام 1952 لنيابة الرئاسة الأمريكية 1952م و 1956م، تمكن نيكسون من الفوز بانتخابات الرئاسة عام 1968م. سياسته تجاه القضايا العربية: حفل عهد نيكسون بتأييد إسرائيل ومدّها بسلح من الأسلحة، مع محاولة اتخاذ سياسة ظاهرها السعي نحو حل سلمي مقابل الاعتراف العربي بإسرائيل وانسحاب إسرائيل لكن غير كامل من الأراضي العربية التي احتلت عام 1967م، وباطنها شق الصفوف العربية ولقاء العرب بمعارك طاحنة فيما بينهم، وهو من أصدر أمراً بإقامة أطول جسر جوي في التاريخ لنجدة الدولة الصهيونية في حرب تشرين، انتخب رئيساً للمرة الثانية عام 1972م، استقال عام 1974م بعد فضيحة ووتر غيت. (موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 1994م، الصحيفة 656، الجزء 6).

عن العمل بإبقاء مخزون ذهب مماثل لكمية العملة المتداولة في العالم، وبذلك أصبحت قيمة كل عملة محلية تقرر في الأسواق المالية حسب قانون العرض والطلب، وبشكل تعكس فيه حالة التبادل التجاري والوضع الاقتصادي لذلك البلد⁽¹⁾.

وقد كان من أثر الحرب العالمية الأولى والثانية ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كأكبر قوة اقتصادية في العالم، لتظهر معها العولمة التي تحمل في طياتها أهداف هيمنة وفرض سيطرة أمريكية كما ذكرنا سابقاً.

أما عن آثار العولمة بكل نواحيها الاقتصادية والسياسية والثقافية فسنخصص الباب الثاني من هذا البحث للحديث عنه، وباعتبار أن العولمة ككل لا يتجزأ كما ذكرنا سابقاً فيكون الحديث عن أثر العولمة ككل ولكن بتقسيم هذه الآثار إلى آثار من ناحية اقتصادية وآثار من ناحية سياسية وأخرى من ناحية ثقافية.

(1) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، سوريا دمشق، دار قتيبة، الطبعة 1، 1429هـ - 2008م الصحيفة 112.

الفصل الأول

الآثار الاقتصادية للعولمة

- المبحث الأول: التعامل التجاري في ظل العولمة
- المبحث الثاني: القطاع الصناعي في ظل العولمة
- المبحث الثالث: القطاع الزراعي في ظل العولمة
- المبحث الرابع: تخفيض أجور الأيدي العاملة
- المبحث الخامس: البطالة
- المبحث السادس: الفقر
- المبحث السابع: العولمة والبيئة

تمهيد

لقد ظهر للعولمة آثار سلبية كثيرة تتمثل هذه الآثار في التحيز والظلم وعدم العدل، ويبدو هذا جلياً في مظاهر عديدة أذكر منها: إضعاف الدولة، وتدمير الصناعة المحلية، وتخفيض أجور العاملين والبطالة، وعدم الاستثمار فيما ينفع والتحيز والكيل بمكيالين والتدهور البيئي. "وإن مما لا يخفى على أحد استمرار الدول المتقدمة في استخدام تأثيرها السياسي كعامل فعال في خدمة مصالحها الاقتصادية فهناك دولٌ كالولايات المتحدة الأمريكية واليابان وأوروبا مازالت تتصرف بأنانية وتحيز بالغين مما ألحق الضرر بجميع منافسيها في تلك المجالات.

وفي دراسة لصندوق النقد الدولي في عام 1992 أثبتت الإحصائيات أن أسواق أمريكا وأوروبا واليابان هي نسبياً من أقل الأسواق انفتاحاً على الأسواق العالمية وذلك بفارق كبير جداً مقارنة بانفتاح أسواق الدول الأخرى عالمياً⁽¹⁾.

إن مشروع العولمة هو "عبارة عن إرغام دول العالم الثالث على الاندماج في الاقتصاد العالمي ومحور هذا الإنتاج هو السوق بحيث تتحول هذه الدول إلى سوق استهلاكية لمنتجات الدول الصناعية في الاقتصاد العالمي، واندماج اقتصادي دون توفر شروطه الاقتصادية والسياسية والحضارية وأن تتحول إلى السوق الاستهلاكية العالمية، دون أن تمارس الدول الصناعية أي دور إيجابي في امتصاص العواقب والحالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المترتبة على ذلك.

وإن هذا المشروع الكوكبي يساهم بشكل كبير في تآكل الهياكل والمؤسسات المتوفرة في دول العالم الثالث، كما أنه يطور التناقضات الموجودة في الساحة الاقتصادية على المستوى الإقليمي والدولي⁽²⁾.

(1) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 124.

(2) العولمة وتحولات العالم إشكالية التنمية في زمن العولمة وصراع الثقافات، محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2003 م، بيروت لبنان، الصحيفة، 91.

المبحث الأول

التعامل التجاري في ظل العولمة

لقد تم توسيع عمل منظمة التجارة العالمية في عام 1996 التي حلت محل منظمة الجات لتشمل جوانب عديدة منها:

- 1 - تنظيم عمليات التبادل التجاري المتعلقة بالاستثمار حيث تطمح الدول المتقدمة إلى إلغاء أي عائق بهذا الصدد في حين أن الدول النامية ترى أفضلية وضع مقاييس معينة محلية للمستثمرين في دولهم⁽¹⁾.
- 2 - تحرير الجمارك وهو من أهم أهداف المنظمة إذ يجب أن تعمل دول المنظمة على خفض الجمارك على البضائع المستوردة وتقنين ووضع مقاييس عالمية لصلاحيات الدول في تحديد الجمارك⁽²⁾.

إندونيسيا نموذجاً:

لم تكن إندونيسيا بحاجة إلى رؤوس المال الأجنبية لتمويل عملية التنمية الوطنية فهي كانت تمتلك ما فيه الكفاية من المدخرات، وبالتالي لم يكن هناك مبرر لتحرير أسواق المال الوطنية ولكن استخدمت الإدارة الأمريكية وبمساعدة ممثلي صندوق النقد الدولي، كل ما لديها من ضغوط سياسية وتجارية لإجبار رئيس إندونيسيا السابق (سوهارتو⁽³⁾) على تحرير أسواق المال الإندونيسية بهدف تمكين صناديق الاستثمار وصناديق معاشات التقاعد الأمريكية من المشاركة في جني ثمار الازدهار الاقتصادي في إندونيسيا، فتدفقت على إندونيسيا رؤوس أموال عظيمة استثمرت في مشاريع طويلة الأجل بقروض قصيرة الأجل، وقد جردت هذه التدفقات المصرف المركزي الإندونيسي من القدرة على التحكم

(1) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 115. (معلومات الكتاب، انظر الصحيفة 111).

(2) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 113.

(3) سوهارتو: عسكري وسياسي إندونيسي، ولد عام 1921م، تضمنت سياسته إعادة العلاقات المتوترة مع ماليزيا وسنغافورة ثم العودة إلى هيئة الأمم المتحدة، وأصبح بعد تنازل سوهارتو عن سلطاته التنفيذية مارس 1967م الحاكم الفعلي لإندونيسيا. (القاموس السياسي، أحمد عطية الله، الصحيفة 655).

بالكمية النقدية المتداولة... وعندما شعر المستثمرون الأمريكيون بفداحة الخطر الذي تواجهه استثماراتهم هناك أخذوا يهربون برؤوس أموالهم على نحو مفاجئ وبدون أي إنذار، ففقدت العملة الإندونيسية خلال أيام معدودة 70٪ من قيمتها مقابل الدولار الأمريكي. وبالتالي جاء دور صندوق النقد الدولي الذي أجبر إندونيسيا على تطبيق برامج تكشف في غاية التطرف تبدأ بإلغاء الدعم الحكومي للمواد الغذائية الضرورية ولسلع الوقود وتنتهي برفع معدلات الفائدة إلى مستويات تجهض كل نمو اقتصادي في البلد، أي أن البلد أكره على تطبيق سياسة نقدية تتناقض تماماً مع ما يتعين أن يتجهجه المصرف المركزي مع مثل هذه الحالة. وبالتأكيد ما كان لإندونيسيا سوى الإذعان لما يمليه عليها صندوق النقد الدولي، وكان من حصيلة ما يسمى ببرامج الإصلاح المدعومة من موارد الصندوق؛ تراجع الناتج المحلي بمقدار 15٪، وانتشار الفقر فأمسى 20 مليون إندونيسي يعانون الفقر والحرمان، وكانت القروض التي قدمها الصندوق والبالغة 23 مليار دولار أمريكي قد خصصت لإنقاذ أموال المستثمرين الأجانب الذين هم مواطنون من الدرجة الأولى وبالتالي لم يحصل المواطن الإندونيسي على شيء منها البتة، ومما أدى أيضاً إلى زعزعة الاستقرار الداخلي وتفكك الوحدة الوطنية وانتشار النزعات الانفصالية⁽¹⁾.

التضخم:

تعريف التضخم الاقتصادي: هو من أكبر الاصطلاحات الاقتصادية شيوعاً غير أنه على الرغم من شيوع استخدام هذا المصطلح فإنه لا يوجد اتفاق بين الاقتصاديين بشأن تعريفه، حيث يستخدم هذا المصطلح لوصف عدد من الحالات المختلفة:

- 1- تضخم الأسعار: وهو الارتفاع المفرط في المستوى العام للأسعار.
- 2- تضخم الدخل: وهو ارتفاع الدخل النقدي أو عنصر من عناصر الدخل النقدي مثل الأجور أو الأرباح.
- 3- تضخم التكاليف: ارتفاع التكاليف.
- 4- التضخم النقدي: الإفراط في إصدار العملة النقدية.

(1) فغ العولة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، (بتصرف) الصحيفة 22-23. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

وعندما يستخدم تعبير التضخم دون تمييز الحالة التي يطلق عليها فإن المقصود يكون تضخم الأسعار⁽¹⁾.

ويبلغ معدل التضخم الذي يعني انخفاض القيمة الشرائية للنقد في العالم الإسلامي للعام 2000م 14٪، وتبلغ أعلى نسب التضخم لنفس العام في موريتانيا 170٪، ثم العراق 135٪، ثم تركيا 65٪، أما أقلها فكانت في أذربيجان 6,8٪، ثم السعودية 1,2٪، ثم عمان 0,7٪⁽²⁾.

الديون الخارجية:

تعتمد العولة لتحقيق إضعاف الدولة بأساليب عدة منها إغراق الدول العربية، والتي هي المستهدف الأول في العولة بالديون الخارجية، حيث بلغت ديونها الخارجية وفقاً لأحدث الإحصائيات 629 مليار دولار تستنزف من ثرواتها ما قيمته سنوياً مليار دولار خدمة للديون الخارجية فقط، وبعض التقارير الاقتصادية تؤكد أن الديون العربية تزيد نحو 50 ألف دولار كل دقيقة، وقد بلغ إجمالي ديون الدول العربي حتى نهاية عام 2000م (325) مليار دولار بعد أن كان عام 1908 مليار دولار، ولم يصاحب هذا الارتفاع زيادة مماثلة في الناتج المحلي الإجمالي، ففي عام 1980م كانت الديون الخارجية تشكل 12٪ من الناتج المحلي الإجمالي العربي، أما الآن فتمثل 46٪ من الناتج المحلي الإجمالي وقد أصبحت المديونية تمثل مشكلة يشار إليها في التقارير الدولية، ولاشك أنه كلما ارتفعت وتيرة الديون ترسخت التبعية، ووجدت الذريعة للقوى الاستعمارية في التحكم في اقتصاديات الدول المستهدفة⁽³⁾.

تلك الإحصائيات على مستوى الدول العربي فقط أما على مستوى دول العالم الإسلامي الذي يشكل سكانه نسبة 21,8٪ من سكان العالم البالغ 6,345 مليار نسمة، فإنهم على الساحة الاقتصادية ووفق أرقام البنك الدولي لعام 2004م، لا يساهمون سوى بنسبة 8,1٪ من إجمالي التجارة السلعية الدولية، وذلك ما يمثل 8,8٪ من إجمالي صادرات العالم وبنسبة 7,5٪ من إجمالي واردات العالم السلعية.

(1) www.wikipedia.com

(2) موسوعة أطلس العالم 2004 نقلاً عن موقع <http://tyceemir.55.com>

(3) نقلاً عن موقع صوت الكويت الإلكتروني.

كما حصلت دول العالم الإسلامي وفق أرقام البنك الإسلامي للتنمية على تعهدات بتلقي 47٪ من المساعدات الإنمائية الرسمية نظراً لوجود العديد من الدول شديدة الفقر ضمن دول العالم الإسلامي حتى بلغ إجمالي الديون الخارجية لدول العالم الإسلامي 963 مليار دولار. كما تبلغ أعباء تلك الديون السنوية 106 مليار دولار منها 24,3 مليار للفوائد وحدها. ومن بين الدول السبع والخمسين الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي توجد 28 دولة بها عجز بموازنتها، وهناك دول إسلامية حققت أرقاماً جيدة من الأداء الاقتصادي ودول مازالت تعاني من صعوبات حمة بسبب ثقل الديون وارتفاع نسب الفقر.

وإن نسبة الدين الخارجي إلى الناتج المحلي الإجمالي وصلت إلى 120٪ بالسودان، و98٪ قرغيزستان، و94٪ بكازاخستان، و91٪ بتوجو، و89٪ بكوت ديفوار (ساحل العاج)، و82٪ بالأردن، و81٪ بتركيا.

وكانت أعلى الدول الإسلامية في أرصدة الدين الخارجي، تركيا بنصيب 146 مليار دولار وإندونيسيا 143 مليار دولار، وماليزيا 49 مليار دولار، وباكستان 36 مليار دولار، ونيجيريا 35 مليار دولار، ومصر 31 مليار دولار، والجزائر 23 مليار دولار⁽¹⁾.

التجارة العربية البينية:

"تشير تقديرات التجارة العربية البينية إلى أن ارتباط الدول العربية بعضها ببعض تجارياً أضعف بكثير من ارتباطها بالعالم الخارجي، فلم تتجاوز التجارة البينية العربية 9٪ من إجمالي التجارة العربية، ويعود ضعف التجارة العربية إلى عاملين أساسيين هما: أولاً: السياسات التجارية المتعلقة بالرسوم الجمركية والقيود الإدارية والرسوم والضرائب ذات الأثر المماثل، وهذه ترفع في مجموعها من تكاليف السلع العربية، وثانياً: انعدام التكامل في الإنتاج والفروق الكبيرة في الدخل بين الدول العربية. وفيما يتعلق بالهيكل السلعي للتجارة العربية البينية يأتي في المقدمة بند المواد الخام والوقود المعدني حيث يمثل 49٪ من الصادرات العربية البينية، وتحتل المواد الكيماوية المرتبة الثانية بنسبة 18٪، ثم الأغذية والمشروبات بنسبة 15٪ من مجمل الصادرات"⁽²⁾.

(1) انظر: مقالة المستقبل الاقتصادي للعالم الإسلامي.. إلى أين، جبريل محمد، السبت 19 أغسطس

2006. موقع <http://islamtoday.net>

(2) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 119. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

وبعد عدة دراسات تبين أن التجارة العربية البينية يجب أن تكون أعلى من المستوى الحالي بمقدار يتراوح بين 10 و 15٪ على الأقل.

الصادرات والواردات على مستوى الوطن العربي:

"فقد سجلت الصادرات العربية عام 1998 م تراجعاً كان الأكثر حدة خلال عقد التسعينيات من القرن المنصرم، حيث أدى تدهور الأسعار العالمية للنفط إلى انخفاض قيمة الصادرات العربية بنسبة 22,4٪، وبما أن المنتجات النفطية تشكل جزءاً كبيراً من إجمالي الصادرات العربية فقد تراجعت نسبتها من الصادرات العالمية إلى 2,4٪ بعد أن كانت 3,1٪ عام 1997 م حيث انخفضت قيمة الصادرات العربية (السلعية) من 176,4 مليون دولار عام 1997 م إلى 131,8 مليون دولار عام 1998، وقد نجم عن ذلك تحقيق عجز في الميزان التجاري العربي لأول مرة منذ عام 1992 م. ويعتبر الاتحاد الأوروبي الشريك التجاري الأول للدول العربية، فقد بلغت الصادرات العربية للاتحاد الأوروبي 27,5٪ من إجمالي الصادرات عام 1998 م، فيما بلغت الواردات من الاتحاد 38,9٪ من إجمالي الواردات"⁽¹⁾.

الصادرات والواردات على مستوى العالم الإسلامي:

"تبلغ صادرات دول العالم الإسلامي 801 مليار دولار بنمو 31,5٪ عن عام 2003 إلا أن تلك الصادرات كانت أقل من قيمة صادرات ألمانيا التي بلغت في نفس السنة 915 مليار دولار وأقل من صادرات أمريكا التي بلغت 819 مليار دولار، وهكذا فإن ألمانيا التي يبلغ عدد سكانها 83 مليون نسمة تساهم بنسبة 10٪ من الصادرات العالمية، أي أكثر من دول العالم الإسلامي السبع والخمسين التي بلغ نصيبها 8,8٪. وكانت أعلى الدول الإسلامية تصديراً، ماليزيا بنصيب 126,5 مليار دولار، تليها السعودية 1200 مليار، والإمارات العربية 83 ملياراً، وإندونيسيا 70 مليار، وتركيا 63 مليار، وإيران 42,5 مليار، والجزائر 32 مليار، ونيجيريا 31 مليار، والكويت 27 مليار، وكازاخستان 20 مليار دولار.

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 117.

أما قيمة واردات الدول الإسلامية فبلغت 700 مليار دولار، وكانت أعلى الدول استيراداً ماليزيا بنصيب 1,5 مليارات دولار، وتركيا 97 ملياراً، وإندونيسيا 46 ملياراً، والإمارات 54 مليار، والسعودية 43 ملياراً، وإيران 33 مليار، وكل من الجزائر وباكستان 18 مليار دولار.

كما لم تساهم دول العالم الإسلامي سوى نسبة 4% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وكان نصيبها من الاستثمارات الأجنبية المباشرة الداخلة على مستوى العالم 6% واقتصر إسهامها بالاستثمارات الأجنبية الخارجة عالمياً على حوالي 1%.

وإذا كان الميزان التجاري للدول الإسلامية قد حقق فائضاً بلغ 181 مليار دولار بسبب ارتفاع مستوى الصادرات البترولية خلال الستين الأخيرتين، فإن أبرز دول الفائض التجاري كانت السعودية بنحو 77 مليار دولار، وإندونيسيا بنحو 23,5 مليار دولار، وماليزيا 21 مليار دولار، وإيران عشرة مليارات دولار إلى جانب الإمارات والكويت وقطر ونيجيريا، بينما تصدرت تركيا دول العجز التجاري بنصيب 23 مليار دولار إلى جانب دول عديدة منها مصر ولبنان وتونس والأردن وباكستان وبنغلادش والمغرب تعاني من عجز بميزانها التجاري. وما زالت نسبة 51,5% من صادرات الدول الإسلامية تتجه إلى الدول الصناعية مع استحواذ البترول التجاري والمواد الخام على نسبة عالية من تلك الصادرات، كما تتجه نسبة 44% من صادراتها إلى الدول النامية، في حين تتجه نسبة 13,5% إلى الدول الإسلامية كتجارة بينية.

وإذا كان إجمالي الاستثمارات الأجنبية التي دخلت إلى بلدان العالم الإسلامي قد بلغت نحو 39 مليار دولار، كان أعلاها أذربيجان بنصيب 4,8 مليار دولار، ثم ماليزيا 4,6 مليار دولار، وكازاخستان 4,3 مليار دولار، وتركيا 2,7 مليار دولار، ونيجيريا 2,1 مليار دولار، والسعودية (1,9) مليار، والسودان (1,5) مليار دولار. فإن الولايات المتحدة قد دخلتها وحدها استثمارات أجنبية بنفس العام قيمتها 96 ملياراً، وبريطانيا دخلها (78) مليار دولار.

وعلى الجانب الآخر ومن بين إجمالي الاستثمارات الأجنبية المباشرة الخارجية من دول العالم، والتي بلغت (730) مليار دولار فإنه لم يخرج من دول العالم الإسلامي سوى نحو ستة مليارات دولار. كان أعلاها من ماليزيا بنحو (2,1) مليار دولار، والبحرين

1 مليار دولار، وتركيا (859) مليون دولار، ونيجيريا (261) مليوناً، والجزائر (258) مليوناً، ومصر 159 مليوناً، وإندونيسيا (107) ملايين دولار⁽¹⁾.
كما "أن تحرير التجارة في المواد الغذائية يؤدي إلى ارتفاع فاتورة الغذاء المستورد للأقطار الإسلامية وإلغاء سياسات الدعم للصادرات في دول المركز"⁽²⁾.

(1) مقالة المستقبل الاقتصادي للعالم الإسلامي.. إلى أين، جبريل محمد، السبت 19 أغسطس 2006،
نقلاً عن تقارير البنك الدولي والبنك الإسلامي للتنمية، موقع <http://Islam today.net>
(2) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 152. (معلومات الكتاب انظر الصحيفة 111).

المبحث الثاني

القطاع الصناعي في ظل العولمة

من الجوانب التي شملتها منظمة التجارة العالمية أيضاً: "إنهاء قوانين تحديد استيراد المنسوجات تحت معاهدة المنسوجات بين دول المنظمة في بداية عام 2005"⁽¹⁾.

لقد "ترك تحرير أسواق الدول النامية أمام منتجات الدول الصناعية آثاراً مدمرة على الجهود التنموية في غالبية دول العالم الثالث. وكان صندوق النقد الدولي ومعه الإدارة الأمريكية وحكومات الدول الأوروبية قد دأبوا على إغراء وإكراه الدول النامية على تحرير أسواقها من القيود وعلى تحقيق درجة عالية من الانفتاح على الاقتصاد العالمي، ويقولون: يمكن بهذا النهج فقط للبلدان النامية أن تعزز النمو وتخفف أعداد الفقر"⁽²⁾، ولكن عملية التصنيع في الدول العربية ما زالت متواضعة حيث بلغت حصة الصناعات التحويلية 6,7٪ من إجمالي الناتج المحلي للدول العربية عام 1998، وفيما تنخفض هذه النسبة إلى حدها الأدنى 4,7٪ في سلطنة عمان، فإنها ترتفع إلى 9,7٪ في المملكة العربية السعودية و11,6٪ في الأردن، و12,4٪ في مملكة البحرين، وبلغت أعلى نسبة في مصر وهي 17٪، وتبقى هذه النسب متواضعة جداً مقارنة بدول العالم الثالث مثل الهند وإندونيسيا حيث بلغت 25٪، وتجاوزت 30٪ في دول أخرى مثل ماليزيا وتايلاند وكوريا الجنوبية⁽³⁾. وقد سجل أداء القطاع الصناعي خلال عام 1998 تراجعاً ملحوظاً في قيمته المضافة بنحو 18,2٪، وانخفضت مساهمته في الناتج المحلي الإجمالي بحوالي 5٪، ورغم استمرار الصناعات التحويلية في النمو، فإنها لم تتمكن من تعويض التراجع الذي حصل في الصناعات الاستخراجية نتيجة لانخفاض أسعار النفط فقد انخفض معدل نمو الصناعات التحويلية إلى ثلث ما كان عليه عام 1997 م"⁽⁴⁾.

(1) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 114.

(2) فسخ العولمة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، مقدمة المترجم رمزي زكريا، الصحيفة 24.

(3) كوريا الجنوبية: دولة آسيوية شرقية تشغل القسم الجنوبي من شبه الجزيرة الكورية، مساحتها 90000 كم، سكانها 47201900 كوري جنوبي، عاصمتها سيول. (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 593).

(4) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 113.

وما زاد من مأساة الدول النامية أن الدول الصناعية الكبرى - الولايات المتحدة الأمريكية - ودول الاتحاد الأوروبي لا تزال بالرغم من مرور ما يزيد على العشرين عاماً من عمر العولمة توصل أبوابها أمام المنتجات الزراعية والسلع النسيجية القادمة من دول الجنوب، وذلك إما من خلال فرضها حصصاً جائرة على صادرات الجنوب أو من خلال فرضها رسوم جمركية مالية على هذه الصادرات، وتفرض على المنتجات الصناعية المستوردة من الدول النامية رسوماً جمركية متصاعدة بتصاعد درجة التصنيع التي مرت بها المادة الأولية، مشبطة بذلك جهود التنمية الصناعية⁽¹⁾.

كما أن انضمام الدول العربية إلى اتفاقية الجات سيؤدي إلى "إزالة الحواجز ويوفر فرصة للشركات البتروكيمياوية العربية للنفاذ إلى الأسواق الدولية لما تتمتع به من ميزة نسبية نتيجة الميزة الطبيعية للمدخلات وما يعطيه من فرصة أفضل للتوسع في هذه الصناعة، ومن الضروري أن تعمل الدول العربية على الاستفادة من الهامش الزمني المتاح لتعزيز قدرتها التنافسية محلياً ودولياً مع إيجاد الصيغة العملية لإحلال المنتجات البتروكيمياوية العربية محل المنتجات المماثلة وتوسيع الطلب العربي على المنتجات البتروكيمياوية وتخفيض التكلفة عبر استكمال مراحل إنتاج البتروكيمياويات وتحسين جودة المنتجات العربية.

وتؤثر اتفاقية الملكية الفكرية في الجات على الصناعات الدوائية الكيماوية والغذائية المستقبلية، وتعطي هذه الاتفاقية إطاراً أوسع من حقوق الملكية الفكرية لأصحاب براءات الاختراع، ونظراً لأن غالبية الاختراعات في الدواء تتم في الدول الأجنبية، لذلك من المتوقع ارتفاع تكلفة الحصول على براءات الاختراع في المستقبل ومن ثم ارتفاع تكلفة إنتاج الدواء وبالتالي أسعار استهلاكه⁽²⁾.

وأذكر بأن حصة قطاع الصناعة من الناتج المحلي الإجمالي 30% في العالم الإسلامي.

(1) فبح العولمة، هارالد شومان وهانس يتر مارتين، مقدمة المترجم رمزي زكريا، الصحيفة 24. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) موسوعة مصطلحات الجات ومنظمة التجارة العالمية، عبد الفتاح مراد، الصحيفة 242.

المبحث الثالث

القطاع الزراعي في ظل العولمة

تبلغ حصة القطاعات الزراعية من الناتج المحلي الإجمالي 24٪ بالعالم الإسلامي، أما في الدول العربية فيعتبر القطاع الزراعي من القطاعات الرئيسية التي تساهم في تكوين الناتج المحلي الإجمالي، كما يوفر هذا القطاع فرص عمل لما يقارب ثلث القوى العاملة ويشكل مصدراً رئيسياً للدخل لقطاع عريض من السكان في الدول العربية، وبالنسبة إلى بعض الدول ومنها سورية والمغرب والسودان وتونس، تشكل المنتجات الزراعية أحد العناصر الأساسية في هيكل صادراتها، ففي عام 1997 ساهمت هذه الدول بنحو 78٪ من قيمة الصادرات العربية، وخلال عام 1998 م بلغ معدل نمو الناتج الزراعي 5,4٪ مقارنة بـ 1,3٪ في العام السابق⁽¹⁾.

أما حول عدد العاملين في النشاط الزراعي في الدول العربية: "يقدر بحوالي 32,2 مليون نسمة أي نحو 35,6 من مجموع القوى العاملة، وتتفاوت نسبة عدد العاملين في القطاع الزراعي إلى إجمالي العاملين بين الدول العربية، فهي مرتفعة في الدول ذات الدخل المنخفض حيث تتراوح بين 51٪ و 71٪ في الصومال والسودان وموريتانيا واليمن، وتنخفض إلى 37٪ في المغرب و 26٪ في سورية والجزائر، وفي باقي الدول العربية تقل هذه النسبة عن 13٪، وفي ما عدا السودان وسورية والصومال، فقد حققت الدول العربية عجزاً في الميزان التجاري الزراعي لعام 1997، إذ بلغ إجمالي الصادرات الزراعية العربية 5802 مليون دولار مقارنة بـ 25118 مليون دولار من الواردات الزراعية"⁽²⁾. ومن الجوانب التي شملتها منظمة التجارة العالمية أيضاً: "العمل على الوصول إلى اتفاقيات بشأن عمليات التبادل التجاري في السلع الزراعية حيث كانت السلع الزراعية إحدى نقاط الاختلاف تضارب المصالح بين دول المنظمة مما أدى إلى تعثر محادثات منظمة الجات"⁽³⁾.

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 115. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

(2) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 116.

(3) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 114. (معلومات الكتاب، انظر الصحيفة 111).

إن الزراعة التي تعد النشاط الاقتصادي الأساسي لكثير من الدول النامية، لن تتمكن من منافسة المنتجات الزراعية في الدول الرأسمالية المتطورة ولن تكون قادرة على اختراق أسواقها حتى مع رفع الضريبة الجمركية على دخول هذه المنتجات للدول المتطورة الغنية، وذلك يعود إلى ما تقدمه حكومات هذه الدول من دعم كبير للمزارعين يصل إلى مليارات الدولارات تمكنهم من بيع منتجاتهم بسعر منخفض في أسواقهم المحلية والخارجية، وقد جاء في تقرير التنمية البشرية للعام 2003 م "وقدّر أن 38٪ من موازنة الحصص المخصصة للزراعة في البلدان الأوروبية الغربية والولايات المتحدة واليابان، قد ذهبت إلى إجراءات حماية أسواقهم من منتجات البلدان النامية، وأن الأبقار والقطن تتلقى من المعونة أكثر ما يتلقاه الناس⁽¹⁾."

وحسب تقديرات المنظمة البريطانية المعنية بشؤون التنمية أو كسفام بلغت خسائر البلدان النامية 50 مليار دولار أمريكي سنوياً، فالبلدان النامية تواجه في البلدان الصناعية رسوماً جمركية تزيد بمقدار أربع مرات في المتوسط مما تدفعه البلدان الصناعية الأخرى، وتفرض الرسوم ذات الصبغة العقابية على المنتجات الزراعية والصناعية كثيفة العمالة، أي على تلك المنتجات التي تتمتع فيها البلدان النامية بأقوى ميزة محتملة⁽²⁾."

"وتنفق البلدان الصناعية مليار دولار في اليوم الواحد على الدعم الحكومي للإنتاج الفائض وإغراق الصادرات، مدمرة بذلك مصادر رزق المزارعين ضعاف الحيلة من ذوي الحيازات الصغيرة في الدول النامية. وإن مجموع هذا الدعم يصل إلى 560 مليار دولار أمريكي في العام الواحد، أي أنه يساوي حوالي سبعة أضعاف المساعدات التي تتسلمها الدول النامية من الدول الصناعية⁽³⁾."

"ويتجسد المثال الآخر للسياسة الحمائية التي تنتهجها دول الشمال من خلال الدعم الذي تقدمه حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لزراعة القطن للأمريكيين البالغ عددهم حوالي 25 ألفاً، ففي عام 2002 م دفعت لهم الحكومة الأمريكية دعماً مالياً بلغ

(1) صحيفة الوسط البحرينية، عباس هاشم، العدد 1667، السبت 31 مارس 2007.

(2) فخ العولمة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، مقدمة المترجم رمزي زكريا، الصحيفة 25. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(3) فخ العولمة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، مقدمة المترجم رمزي زكريا، الصحيفة 25. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

3,9 مليار دولار أي ما يزيد على قيمة مجمل الإنتاج الأمريكي من القطن مخفضة بذلك سعر القطن في السوق العالمية بحوالي 25٪. وملحقة أفدح الأضرار لا بجمهورية مصر العربية المنتجة لواحد من أرقى أصناف القطن في العالم فقط بل، وبالمنتجين الآخرين كباكستان ومالي وسواهما من المنتجين للقطن في العالم، وقد تسبب الدعم الأمريكي بخسارة بلدان القارة الأفريقية الواقعة إلى الجنوب من الصحراء ما يزيد على 30 مليون دولار أمريكي⁽¹⁾. مع العلم بأنه في إندونيسيا "وعلى وجه التحديد في جادة، فإنه يُقضى الآن سنوياً على 20 ألف هكتار من الأراضي الزراعية، أي أنه يُقضى على مساحة تكفي لإطعام 360 ألف مواطن"⁽²⁾.

ومن الجوانب التي تشملها منظمة التجارة العالمية أيضاً:

"1- العمل على الوصول إلى اتفاقيات بشأن عمليات التبادل التجاري في قطاع الخدمات سواء كانت مالية أو وسائل اتصالات أو خدمات الأيدي العاملة أو غير ذلك، حيث إنه لم يحدث أي تقدم يذكر بهذا الصدد تحت مظلة قوانين منظمة الجات، ولذلك أنيط بمنظمة التجارة العالمية أن تحرم على دول المنظمة التفريق بين الدول في حالة عرض لدولة ما خدماتها بحيث إن أي ميزة خاصة بدولة خارجية تمنح من قبل تلك الدولة فلا بد أن تمنح لغيرها من الدول.

2- قوانين إلقاء النفايات حيث يسمح للدول المتضررة من تلك النفايات أن تحدد ضرائب خاصة على البضائع المستوردة التي تتضمن عملية إلقاء النفايات.

3- عمليات التبادل التجاري المتعلقة بقوانين حقوق خصوصية المعرفة حيث قررت منظمة التجارة العالمية مدة 20 عاماً لبراءة الاختراع و50 عاماً لحقوق الطبع ووضعت قوانين دولية تعاقب المخالفين"⁽³⁾.

وقد أثبتت الدراسات أن حصة الجنوب من براءات الاختراع في العالم لا تتجاوز الخمسة بالمئة، مما يعني أن العقول في الجنوب لا تسهم إلا بأقل القليل في عمليات البحث العلمي. ومن جانب آخر فإن تلك الأرقام تعتبر عن حصة الأسد التي تنالها دول

(1) فخ العولمة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، مقدمة المترجم رمزي زكريا، الصحيفة 26.

(2) فخ العولمة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 86.

(3) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 114. (معلومات

الكتاب، انظر الصحيفة 111).

الشمال من الدخل العالمي الذي تحصده من وراء تلك الاختراعات وتطبيقاتها المختلفة"⁽¹⁾. وأخيراً "من الجدير بالذكر أن العولمة تشهد تضارب المصالح السياسية والاقتصادية بين كل دول الشمال ودول الجنوب" فعلى سبيل المثال أوردت دراسة للأمم المتحدة عام 1991 م "أن حماية أسواق دول الشمال تكلف دول الجنوب ما يزيد عن 30 مليار دولار سنوياً كخسائر فقط في الصادرات"⁽²⁾.

(1) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 114.

(2) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 122.

المبحث الرابع

تخفيض أجور الأيدي العاملة

لقد جاءت في ظل العوالة الشركات المتعددة الجنسيات، لتحمل آثاراً سلبية على الأيدي العاملة في بعض الدول وفي ذات الوقت تكون هذه السلبية دواءً للأيدي العاملة في بعض البلدان وخصوصاً تلك التي تعاني من مشكلة البطالة.

وكمثال يُذكر للشركات المتعددة الجنسيات شركة نايك للأحذية الرياضية الباهظة الثمن: هذه الأحذية التي يصل ثمنها في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية إلى 150 دولار يقوم بإنتاجها في إندونيسيا حوالي مئة وعشرين ألف عامل وعاملة، يعملون لدى الموردين المحليين لهذه الشركة العملاقة بأجر يقل عن ثلاثة دولارات في اليوم، ومع أن هذا الأجر لا يسد الرمق إلا بالكاد في إندونيسيا أيضاً إلا أنه يساوي الحد الأدنى المقرر قانوناً كما أنه الأجر الذي يحصل عليه ما يزيد على نصف قوة عمل البلد البالغ تعداداه ثمانين مليون عامل⁽¹⁾.

ونقص هذه السلبية للشركات المتعددة الجنسيات انخفاض أجور الأيدي العاملة والتي قوبلت بانجهاين:

- الاتجاه الأول: يتمثل بردة فعل أحزاب ونقابات العمال في دول الغرب (أمريكا وأوروبا على وجه الخصوص) والتي أخذت "تكرس قواها لمحاربة العوالة وذلك خوفاً على مستقبل وظائف أعضائها ومتسببها، ذلك أن مستقبل الأيدي العاملة الباهظة الثمن في دول الغرب مهدد بالخطر إذا فتحت دول تلك الأحزاب والنقابات أسواقها للبضائع المستوردة واستثمرت الشركات المتعددة الجنسيات في دول ذات أيد عاملة رخيصة وهو ما يُسمى بتصدير الوظائف"⁽²⁾، ونستنتج مما سبق "أنهم لا يريدون للأيدي العاملة الأرض أن تنافسهم، وكأنهم نسوا أو تناسوا أن تلك الأيدي العاملة التي تعيش تحت حد الفقر لا تملك فرصة أخرى للبقاء بينما يملكون هم فرصاً أخرى كثيرة لتوفير رغد العيش"⁽³⁾.

(1) فغ العوالة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 240.

(2) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 116.

(3) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 116.

- أما الاتجاه الآخر: تمثل بما تدعو إليه منظمات حقوق الإنسان إلى رفع مستوى المعيشة للأيدي العاملة من خلال رفع الحد الأدنى للمرتبات وتقليل عدد ساعات العمل وإنهاء استخدام الأطفال كأيدٍ عاملة وعلى الرغم من أن تلك الأهداف هي أهداف نبيلة إلا أنها قد لا تتناسب مع حقيقة الحاجات والضرورات في الدول النامية، إذ أن الأيدي العاملة في الدول النامية تعاني نسبياً من نسب عالية من البطالة وقلة في مستوى الدخل، ولذلك فربما يكون وجود الشركات متعددة الجنسيات فرصة لتوفير عمل لتلك الشعوب الجائعة والتي تبحث عن القليل لتسد به رمقها شرط أن تكون المراقبة والمتابعة قائمة على شروط وظروف وجود هذه الشركات⁽¹⁾.

في المؤسسة العالمية سيمنز: "تدفع لمستخدميها الفنيين العاملين في مصنعها المنتج لرقائق الكمبيوتر في ماليزيا، أجوراً جيدة نسبياً ومعاملتها للعاملات الإندونيسيات السمتة كما لو كن مستعبدات فهن يكدحن ستة أيام في الأسبوع بل ويكدحن سبعة أيام في الأسبوع في الغالب لقاء 350 ماركاً في الشهر ويسكن في بناية يمتلكها المصنع تقفل أبوابها في الليل كما لو كانت سجناء، ومن أجل الحيلولة دون هروب العاملات قبل انتهاء مدة عقودهن البالغة ثلاث سنوات ارتأى مدير سيمنز المقيم أن تسحب منهن جوازات السفر"⁽²⁾.

"وهنا أيضاً نجد أن ما تطالب به منظمات حقوق الإنسان ربما يكون جيداً في ذاته، لكن التعامل معه يجب أن يكون دقيقاً ومتوازناً للغاية بحيث يأخذ في اعتباره مرة أخرى صورة الواقع بكل شمولها وتعقيداتها ومتغيراتها، فهؤلاء العمال يأتون طائعين غير مكرهين للعمل لدى متعددة الجنسيات، والتي أثبتت الإحصائيات أن ما تقدمه من مرتبات للعاملين لديها يفوق وأحياناً بنسب كبيرة الشركات المحلية، وعلى سبيل المثال: فإن إحدى الدراسات التي قامت بها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD أظهرت ما تدفعه الشركات متعددة الجنسيات لموظفيها في تركيا يتجاوز معدل المرتبات

(1) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 117.

(2) فخ العولمة، هارالد شرومان وهانس ييتر مارتين، الصحيفة 242. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

المساند هناك بنسبة 124٪ وأن أعداد الموظفين في تلك الشركات يزداد بنسبة 11,4٪ سنوياً⁽¹⁾.

إن تخفيض أجور الأيدي العاملة لا شك بأنها سلبية ولكنها حلّ لسلبية أكبر منها لها آثار كبيرة على بنية المجتمع ألا وهي البطالة.

(1) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 117. (معلومات الكتاب، انظر الصحيفة 111).

المبحث الخامس البطالة

تعريف البطالة:

"هي الزيادة في أعداد القوى البشرية القادرة على العمل مع نقص في فرص العمل، أو هي عبارة عن شخص لديه قدرة على العمل والرغبة في العمل ويبحث عن عمل ولكنه لم يجد"⁽¹⁾. وذكر بأنه "ستؤدي العولمة حتماً في الأقطار الإسلامية إلى تزايد البطالة بجميع أشكالها وأنواعها لأن التحول في شكل ملكية وسائل الإنتاج لصالح الملكية الخاصة سيؤدي إلى أن الطلب على قوة العمل في ظل العولمة ستكون أقل بكثير من عرض قوة العمل"⁽²⁾.

هذا سبب أما السبب الآخر فهو إدخال أحدث الأساليب العلمية والتقنية في الإنتاج والخدمات حيث "إن إدخال أحدث الأساليب العلمية التقنية في الإنتاج والخدمات من جهة أولى، وتسريع عملية الخصخصة لما تبقى من مشاريع إنتاجية وخدمية حكومية من جهة ثانية، والتحديث الواسع النطاق للإدارة والتنظيم على الأصعدة المحلية والدولية من جهة ثالثة، يساهم في تقليص الحاجة إلى العمال المهرة وغير المهرة والفنيين والمهندسين والإداريين وغيرهم، وبالتالي يدفع بأعداد هائلة من شغيلة اليد والفكر إلى قارعة الطريق في البلدان الرأسمالية المتطورة"⁽³⁾.

وقد أصبحت هذه البطالة الواسعة تشكل ضغطاً متزايداً على ميزانية الدولة الاعتيادية وعلى القوة الشرائية.

لقد وُجد في دراسات وإحصائيات أن أقل معدلات البطالة موجودة في أمريكا ولكن هناك مقابل: ففي عهد بيل كلينتون "ازدادت فرص العمل إلى ما يقرب من عشرة ملايين أو بمقدار 210 آلاف في الشهر الواحد، الأمر الذي أفضى إلى أن ينخفض معدل البطالة إلى 5,3٪ وهو أدى معدل بطالة في جميع البلدان الأخرى المشاركة في منظمة

(1) موقع: www.aksalser.com عكاش عشير.

(2) التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، الصحيفة 152. (معلومات الكتاب في الصحيفة 111).

(3) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصفحة 26.

التنمية والتعاون الاقتصادي، أي أن أكثر بلدان العالم إنتاجية وثراء أضحت في ذات الوقت أكبر اقتصاديات العالم رخصاً من حيث الأجور، فميزة أمريكا تكمن في رخص الأيدي العاملة⁽¹⁾.

وذكر أيضاً أنه في أمريكا "ما يقرب من خمس العاملين يحصل على أجور هي دون المستوى الرسمي للفقراء، كما تقول منظمة العمل الدولية IL0 التابعة للأمم المتحدة وبالتالي فقد غدا العاملون الفقراء فئة معتبرة في التركيبة الاجتماعية الأمريكية، كما أن هناك 8,3 مليون يعملون لحسابهم الخاص غالبيتهم جامعيون، نادراً ما يوكل إليهم إنجاز عمل هم متخصصون فيه"⁽²⁾.

وإن خيار تخفيض الأجر عن التسريع عن العمل ليس حلاً من الحكومات فقط بل هو اختيار العمال أيضاً بالرغم من مرارة هذا الحل و"لقد عُرض على الأربعة عشر ألف مستخدم لدى IBM في الفترة الواقعة بين عام 1991 وعام 1995 تكاليف العمل بمقدار الثلث وأضاعت على 122 ألفاً من البشر فرص عملهم. وفي الوقت نفسه كافأ مجلس الإدارة الأعضاء الخمسة المسؤولين في مجلس المديرين عن تنفيذ عملية تقليص فرص العمل بمدفوعات نقدية تبلغ 5,8 مليون دولار لكل واحد بالإضافة إلى راتبهم"⁽³⁾.

"إن البطالة هي ظاهرة اقتصادية بدأ ظهورها بشكل ملموس مع ازدهار الصناعة إذ لم يكن للبطالة معنى في المجتمعات الريفية التقليدية"⁽⁴⁾. حيث "إن الاقتصاد القائم على الجدارة العالية والتكنولوجيا المتقدمة يتسبب عن طريق إعادة الهيكلة والتخلص من التعقيد والروتين وما يتبع ذلك من تقليص في فرص العمل وتسريح للأيدي العاملة، في تفاقم البطالة وفي خفض عدد المستهلكين في مجتمع الرفاهية"⁽⁵⁾.

ويمكن حساب معدل البطالة وفقاً للمعادلة التالية:

$$\text{معدل البطالة} = (\text{عدد العاطلين عن العمل} \div \text{عدد القوة العاملة}) \times 100$$

(1) فنخ العولة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 200. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) فنخ العولة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 208.

(3) فنخ العولة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 206.

(4) موقع ويكيبيديا.

(5) فنخ العولة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 180.

وتشير المعلومات المتوافرة عن 35 دولة إسلامية إلى أن نسبة البطالة تساوي تقريباً 19,2٪.

على مستوى الوطن العربي خصوصاً:

ونقلاً عن منتدى دلتا مقالة البطالة في الوطن العربي إحصائيات ومشاكل: "تبعاً لتقرير الأمم المتحدة عام 2003م، أعلى معدل بطالة في العالم موجود في الوطن العربي هي الضعف أي 12,2٪" وبالتالي: كل 1000 شخص قادر على العمل منهم 62 عاطل عن العمل، بينما في العالم العربي كل 1000 شخص منهم 122 عاطلون عن العمل، أما بطالة الشباب: ففي العالم 12٪ بينما في الوطن العربي 26,5٪.

وفي عام 2005 تبعاً لمؤتمر دافوس الاقتصادي العالمي: أعلن رئيس المنتدى الاقتصادي العربي أن نسبة البطالة في الوطن العربي 15٪ وأن النسبة بين الشباب 30٪⁽¹⁾.

وفي سورية: يشير المكتب المركزي للإحصاء أن معدل البطالة في سورية يبلغ 8,1٪ وتبين الإحصائية أن أعلى نسبة للمتطلين هي في محافظتي اللاذقية وطرطوس، إذ بلغت النسبة في اللاذقية نحو 13,4٪ وفي طرطوس 13,3٪ من إجمالي عدد المتطلين في القطر البالغ نحو 442,935 ألف متعطّل، ثم جاءت محافظة الحسكة في المرتبة الثالثة بنحو 11,9٪، وريف دمشق رابعاً نحو 10,2٪ ثم حصّ خامساً بمعدل 9,9٪ من إجمالي عدد المتطلين.

وإن أعلى نسبة للبطالة موجودة لدى الشرائح العمرية الأكثر شباباً، إذ يشكل عدد المتطلين والذين تتراوح أعمارهم بين سن الـ 20 و 24 نحو 29,8٪، وبين سن 25-29 تصل النسبة إلى 26,2٪، ويعتبر الخبراء ذلك أمر طبيعي لكون التوجه نحو سوق العمل يبدأ ويتكاثف مع هذه المراحل العمرية.

بينما تشير إحصاءات غير رسمية بأن نسب البطالة تتراوح بين 20 و 25٪⁽²⁾. ويترتب على مشكلة البطالة آثار نفسية واقتصادية عديدة سواء على الفرد أو المجتمع، منها الإدمان وتعاطي المخدرات واللجوء إلى وسائل اللهو الرخيص وعندما لا يستطيعون توفير المال اللازم لتأمين ذلك يتم اللجوء إلى السرقات وبالتالي انتشار الجرائم والعنف في المجتمع.

(1) www.delta-school.com

(2) انظر موقع www.aksalser.com

ومن الآثار أيضاً تأخر سن الزواج بالنسبة إلى الشباب لعدم استطاعة توفير مستلزماته وبالتالي ارتفاع نسبة العنوسة في المجتمعات.

ومن الآثار أيضاً إصابة الشباب بضعف الانتباء، وضعف الدخل القومي للدولة، وانخفاض مستوى المعيشة للفرد بما لا يمكنه من تلبية احتياجاته وبالتالي ارتفاع نسبة الفقر في البلدان التي تعاني من البطالة.

المبحث السادس

الفقر

عرّف البنك الدولي الدولَ المنخفضة الدخل أي الفقيرة: "بأنها تلك الدول التي ينخفض فيها دخل الفرد عن 600 دولار سنوياً، وعددها 45 دولة معظمها في إفريقيا منها 15 دولة يقل فيها متوسط دخل الفرد عن هذا"⁽¹⁾.

"إن العولمة الاقتصادية، والتي يقصد منها فرض هيمنة الدول الغنية بقصد امتصاص خيرات الدول الفقيرة وثرواتها، ستؤدي إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية، إذ لا يزال نحو 900 مليون نسمة يعيشون في فقر مدقع، و826 مليون نسمة يعانون من سوء التغذية، ومليار نسمة يفتقرون إلى مصادر مياه مناسبة، و115 مليون طفل لا يتلقون تعليماً، و10٪ من مواليد جنوب الصحراء في إفريقيا يموتون"⁽²⁾.

وهناك 45٪ من الفقراء يعيشون في مجتمعات غير منخفضة الدخل، أي هناك فقراء في بلاد الأغنياء، ويكتفي هنا بالذكر أن 30 مليون فرد يعيشون تحت خط الفقر في الولايات المتحدة الأمريكية (أي 15٪ من السكان).

وخلال النصف الثاني من القرن العشرين كثر الحديث عن الفقر والفقراء في أدبيات الأمم المتحدة، وذلك بالتوسع من الظاهرة الاجتماعية في المجتمع الواحد إلى الظاهرة العالمية بتصنيف البلدان إلى غنية وفقيرة وتحديد مقاييس ومؤشرات للفقر في مستوى البلدان، فالفقر في الصومال لا يُقاس بالمقاييس نفسها التي يقاس بها الفقر في أمريكا الشمالية⁽³⁾.

وتم تحديد يوم 17-19 أكتوبر من عام 2008 م كيوم عالمي للفقر من قبل هيئة الأمم المتحدة.

أما حول انتشار الفقر على مستوى العالم ككل:

لم يعرف التاريخ ارتفاعاً في نسبة الفقر في العالم مثلما عرفه الآن فمن بين عدد سكان العالم البالغ عدده ستة مليارات نسمة عام 1999 م يعيش 2,8 مليار نسمة منهم

(1) موقع ويكيديا.

(2) الإسلام والعولمة، د. سامي محمد صالح الدلال، الصحيفة 57.

(3) موقع صوت الكويت.

أي حوالي النصف على أقل من دولارين يومياً ويعيش 1,2 مليار تحت خط الفقر المحدد دولياً بأقل من دولار واحد يومياً. في حين أن الشعوب الغنية تمثل 5٪ من سكان العالم إلا أنهم يحصلون على دخل يزيد أكثر من 114 مرة من دخل المتتمين للشعوب الفقيرة⁽¹⁾.

كما تضم دائرة الفقر بليون فرد في العالم بعد الهند والتي يقل فيها دخل الفرد عن 600 دولار سنوياً ومنهم 630 مليون في فقر شديد (حيث متوسط دخل الفرد يقل عن 275 دولار سنوياً) وإذا اتسعت الدائرة وفقاً لمعايير التنمية البشرية لشملت 2 بليون فرد من حجم السكان في العالم البالغ حوالي 6 بليون فرد. منهم بليون فرد غير قادرين على القراءة أو الكتابة، 1,5 بليون لا يحصلون على مياه شرب نقية، وهناك طفل من كل ثلاثة يعاني من سوء التغذية، وهناك بليون فرد يعانون الجوع، وحوالي 13 مليون طفل في العالم يموتون سنوياً قبل اليوم الخامس من ميلادهم لسوء الرعاية أو سوء التغذية أو ضعف الحالة الصحية للطفل أو الأم نتيجة الفقر أو المرض.

أما حول انتشار الفقر على مستوى العالم الإسلامي:

فإن الفقر يمثل أحد أهم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ففي العالم الإسلامي يعيش 37٪ من السكان تحت مستوى خط الفقر أي ما يعادل 504 ملايين شخص تقريباً، وتبلغ نسبتهم إلى فقراء العالم 39٪، وهذا يعني أن أكثر من ثلث سكان العالم الذين يعيشون تحت مستوى خط الفقر يسكنون دول العالم الإسلامي⁽²⁾.

ففي العديد من الدول الإسلامية مازالت نسب عالية من السكان تعيش على أقل من دولار يومياً حتى وصلت النسبة إلى 72٪ من سكان مالي، و71٪ من سكان نيجيريا، و61٪ من النيجر، و57٪ من سيراليون- وذكر في بعض الإحصائيات أنها 68٪-، و45٪ من بوركينا فاسو، و38٪ من موزامبيق، و36٪ من بنغلادش،⁽³⁾ وفي "غامبيا 64٪، أوغندا 55٪"⁽⁴⁾.

(1) موقع ويكيبيديا.

(2) موسوعة أطلس العالم 2004 www.lyceeemir.s5.com

(3) مقالة المستقبل الاقتصادي للعالم الإسلامي.. إلى أين، جبريل محمد، السبت 19 أغسطس 2006،

نقلًا عن تقارير البنك الدولي والبنك الإسلامي للتنمية، موقع <http://Islam today.net>

(4) موسوعة أطلس العالم 2004 www.lyceeemir.s5.com

وأخيراً في كتاب فخ العولمة "يختزل الاقتصاديون والسياسيون أسباب هذا التدهور إلى كلمة واحدة فقط هي العولمة"⁽¹⁾.

تؤكد العولمة الجديدة بالرغم من أنها توحد عملية إعادة الإنتاج الدولية، انقسام العالم وأكثر من أي وقت مضى إلى عالمين متضادين متناقضين ومتصارعين عالم غني ومتخمر وعالم فقير وجائع، عالم المراكز المتقدمة وعالم الأطراف أو دول المحيط المتخلفة. ويلاحظ المتتبع للواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لعدد غير قليل من بلدان إفريقيا مثلاً أنها وبعد أن تم استنزاف مواردها الأولية من قبل الدول الاستعمارية المعروفة خلال العقود المنصرمة، أهملت الآن تماماً، وتركت لمصيرها البائس. فهي اليوم لا تملك الموارد الأولية المهمة، ومتخلفة في مستوى تطورها الاقتصادي ومتدهورة سنة بعد أخرى في مستوى معيشة سكانها. وتتفاقم النزاعات بين دولها وشعوبها وبين قبائلها الكثيرة في إطار الشعب الواحد بسبب الأرض ونقص الماء والغذاء وتحولها في كثير من الأحيان إلى حروب دموية يذهب ضحيتها آلاف مؤلفة من البشر⁽²⁾، وسيأتي الحديث عن هذا الجانب في الأثر السياسي للعولمة أي في المبحث القادم، وبهذا العرض السريع يظهر للقارئ حجم ما يمكن أن نسميه أزمة تنمية في العالم الإسلامي فمعدلات البطالة في ارتفاع، والطبقة المتوسطة تنحسر لصالح من يعيشون تحت مستوى خط الفقر، ودول الرفاه النفطي سُجل بعضها في قائمة الدول المدينة كل هذا يدفع إلى البحث عن دور منظمة المؤتمر الإسلامي في تحريك عجلة التنمية في العالم الإسلامي.

(1) فخ العولمة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 42. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) العولمة اقتصادياً، يونس كامل ديب، الصحيفة 34.

المبحث السابع

العولمة والبيئة

لقد ذكرنا أن للعولمة آثاراً سلبية كثيرة ومنها: التدهور البيئي، إن للعولمة بتطور نظامها الاقتصادي والصناعي وخصوصاً الصناعات التي تعتمد على التطور العلمي كصناعات الذرة والطاقة النووية وصناعة السيارات والأقمار الصناعية، خلّفت مشكلة حقيقية للبيئة يصعب حلها، كما يصعب تفاديها أو تفادي أضرارها الجانبية كالغازات التي تخلفها عوادم السيارات والخطورة التي تواجهها الدول من جراء التخلص من النفايات النووية، وقد ظهر مصطلح عولمة تنقية البيئة: وهي تعني جعل البيئة في جميع أنحاء العالم، بيئة نظيفة ومناسبة لأن نحيا الكائنات الحية فيها حياة صحية⁽¹⁾.

تعريف الهواء:

الهواء النقي: يتكون الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية من مواد ذات مقادير محددة حيث يشكل غاز النيتروجين ما نسبته 78٪، والأكسجين 21٪، وثاني أكسيد الكربون 0,03٪، والأرغون 0,9٪، وأثار بسيطة من غازات بسيطة من غازات النيون والهيليون والكربتون والهيدروجين وبخار الماء وغيرها. وقد تتواجد المواد الصلبة مثل الغبار والدخان على شكل حبيبات تتراوح أقطارها ما بين (30-0,01 ميكرون)⁽²⁾.

أما تلوث الهواء: فيكون بوجود أي مواد صلبة أو سائلة أو غازية بالهواء بكميات تؤدي إلى أضرار فسيولوجية واقتصادية وحيوية بالإنسان والحيوان والنباتات والآلات والمعدات، أو تؤثر في طبيعة الأشياء وتقدر خسارة العالم سنوياً بحوالي (5000) مليون دولار بسبب تأثير الهواء، على المحاصيل والنباتات الزراعية. وعلى مدار التاريخ وتعاقب العصور لم يسلم الهواء من التلوث بدخول مواد غريبة عليهم كالغازات والأبخرة التي كانت تتصاعد من فوهات البراكين، أو تنتج من احتراق الغابات، وكالأتربة والكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض إلا أن ذلك لم يكن بالكم الذي لا تحمد عقباه، على خلاف التلوث اليوم، فبسبب فعاليات الإنسان المختلفة وعبثه في مقومات التوازن الطبيعي للهواء أصبحت النسب الطبيعية للهواء

(1) موقع www.sdnj.com

(2) موقع www.sdnj.com

النقي غير ثابتة. وتعتبر الغازات المنبعثة إلى الجو والناجمة عن عوادم السيارات والمصانع ومولدات الطاقة وغيرها من أخطر الملوثات التي تلوث الهواء ومنها أكسيد الكربون والنيتروجين والكبريت وغيرها التي أخذت تتراكم في الجو بنسب عالية جداً. كما وتعتبر الجسيمات الدقيقة العالقة بالهواء التي تحتوي على العديد من العناصر المعدنية مثل الرصاص والزئبق والكادميوم والنيكل والزرنيخ والبريليوم من أخطر ملوثات الهواء حيث تتسبب في أمراض شتى لها تأثير سيء على صحة الإنسان. وإن ازدياد الضغط على البيئة كان نتيجة لعدة عوامل منها:

- ازدياد حجم السكان
- عدم العد بتوزيع المصادر
- استنزاف المصادر الطبيعية
- التطور التكنولوجي
- التطور الاقتصادي

طرق تلوث الهواء:

- 1 - بمواد صلبة معلقة: كالدخان وعوادم السيارات والأتربة، وجيوب اللقاح، وغبار القطن وأتربة الاسمنت وأتربة المييدات الحشرية.
- حيث "إن سحر السيارة الخاصة لا يزال عظيماً في الأسواق الجديدة، فالسيارة الخاصة ليست وسيلة نقل فحسب، إنها مظهر من مظاهر الرقي الاجتماعي وشاهد على الثروة والقوة والحرية الشخصية المزعومة، وهكذا لم يعد ثمة إمكان للتحكم بما تنفثه السيارات من غازات، ويتوقع أن يتضاعف عدد السيارات في العالم عام 2020 ليصل إلى مليار سيارة، إن معنى هذا هو أننا في طريقنا إلى تحقيق كارثة لا محالة"⁽¹⁾.
- وقد "صارت السيارة تنتشر وتعم المعمورة كالسيل الجارف قاضية بذلك على كل الجهود التي تبذلها بعض الدول والأقاليم للتخفيف من وطأة ارتفاع حرارة المعمورة، وذلك عن طريق الاقتصاد في استهلاك الطاقة والتقليل من استخدام السيارة"⁽²⁾.

(1) فح العولة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 78. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) فح العولة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 79.

2- تلوث الهواء: بمواد غازية وأبخرة سامة وخانقة مثل الكلور وأول أكسيد الكربون، وأكسيد النيتروجين، وثاني أكسيد الكبريت، والأوزون فهي مدن الصين تنفث غيوماً عظيمة من الغازات السامة تغطي 1700 كيلومتراً في عمق المحيط الهادي.. وفي شينغ دو هناك آلاف من أفران الكلس ومعامل الطوب، لم تزود بالفلترات الضرورية المناسبة، وبالتالي فإنها راحت تنفث على مدى عشرات الكيلو مترات، دخاناً أبيض وأسود وعلى نحو أسوأ بكثير مما عليه الحال في وادي كاتماندو في النيبال حيث يترك الهواء أثراً مرهقاً للأغشية المخاطية شبيهاً بالآثر الذي يتركه هواء المدن الصناعية العملاقة⁽¹⁾.

3- بالبكتيريا والجراثيم والعفن الناتج من تحلل النباتات والحيوانات الميتة والنفايات الأدمية.

4- بالإشعاعات الذرية الطبيعية والصناعية: ظهر هذا التلوث مع بداية استخدام الذرة في مجالات الحياة المختلفة وخاصة في المجالين: العسكري والصناعي، والتي تبدأ بالفقاعة الشهيرة في أحد المفاعلات الذرية بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم انفجار القنبلتين الذريتين على ناجازاكي وhiroshima إبان الحرب العالمية الثانية، والتي ترك التلوث البيئي منها آثاراً فظيعة منها التشوهات الخلقية، وقد ظهرت بعد ذلك أنواع كثيرة من الملوثات فمثلاً عنصر الاسترنتسيوم 90 الذي ينتج عن الانفجارات النووية، وتزايد كميته مع الازدياد في إجراء التجارب النووية، وهو يتساقط على الأشجار والمراعي، فينتقل إلى الأغنام والماشية ومنها الإنسان وهو يؤثر في إنتاجية اللبن من الأبقار والمواشي، ويتلف العظام ويسبب العديد من الأمراض، وخطورة التفجيرات النووية تكمن في الغبار الذري الذي ينبعث من مواقع التفجير الذري حيث يتساقط بفعل الجاذبية الأرضية أو بواسطة الأمطار فيلوث كل شيء ويتلف كل شيء. كما أن الإشعاعات الذرية والانفجارات النووية تؤدي إلى تكسير في طبقة الأوزون مما يسمح للغازات الكونية والجسيمات الغريبة أن تدخل جو الأرض وأن تحدث فيه تغيرات كبيرة.

(1) فغ العولمة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 80 (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

5- التلوث الإلكتروني: والذي يمكن أن نعتبره أثراً لعولمة التقنية وعولمة الإعلام، وهو أحدث صيحة في مجال التلوث، وهو ينتج عن المجالات التي تنتج حول الأجهزة الإلكترونية ابتداءً من الجرس الكهربائي والمذياع والتلفزيون، وانتهاءً إلى الأقمار الصناعية، حيث يحفل الفضاء حولنا بالموجات الراديوية والموجات الكهرومغناطيسية وغيرها، وهذه المجالات تؤثر على الخلايا العصبية للمخ البشري وربما كانت مصدراً لبعض حالات عدم الاتزان، وحالات الصداع المزمن الذي تفشل الوسائل الطبية الإكلينيكية في تشخيصه، ولعل التغيرات التي تحدث في المناخ هذه الأيام حيث نرى أياماً شديدة الحرارة في الشتاء، وأياماً شديدة البرودة في الصيف، لعل ذلك كله مرده إلى التلوث الإلكتروني في الهواء حولنا، وخاصة بعد انتشار آلاف الأقمار الصناعية حول الأرض⁽¹⁾.

6- الطاقة: الطاقة ضرورية للحياة المعاصرة، ولكن إنتاج الطاقة من الفحم الحجري، والطاقة النووية يؤدي إلى مشاكل بيئية ضخمة في كل مرحلة من مراحل الإنتاج والنقل والاستعمال مما يؤدي إلى خلق تهديد للبيئة، فمثلاً في كل عام الولايات المتحدة تحرق بما يقارب 900 مليون طن من الفحم وعادة الفحم عند حرقه ينتج دخاناً ملوثاً. وكذلك ينتج أكثر من 51 طن من الزئبق السمي الطويل الأمد، وسنوياً 2 بليون طن من الحرارة العالمية تؤدي إلى إنتاج ثاني أكسيد الكربون في الهواء، وإنتاج البترول والتنقل يحدث استنزاف ما يقارب 280 مليون برميل في كل عام وهذا يؤدي إلى تلوث مصادر المياه وتسمم الحياة البرية والمساحات الواسعة من الأراضي الزراعية، و"كل الدلائل تؤكد أن الاستهلاك العالمي للطاقة سيبليغ في عام 2020 ضعف الاستهلاك الحاضر، وبالتالي سترتفع كمية الغازات الملوثة للبيئة بمقدار يتراوح بين 45 و90%"⁽²⁾.

7- الطاقة النووية: سواء كان إنتاج الطاقة للمدنيين أو الجيش تنتج فضلات سامة تبقى مصدر خطر لعدة أجيال وخاصة أنه لا يوجد طرق سليمة للتخلص من هذه الفضلات.

(1) www.ibtesama.com

(2) فتح العولمة، هارالد شومان وهانس بيتر مارتين، الصحيفة 76. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

8- الزراعة: هناك مشاريع زراعية حديثة تستخدم في فلوريدا وغيرها بحيث تعمل على تخطيط مساحات واسعة من الأراضي الفارغة لزراعة السكر وكذلك زراعة الفستق والقطن والدخان عن طريق برامج ومشاريع تشجع استخدام كميات كبيرة من مبيدات الزراعة وتعمل على استهلاك التربة، كما أن الاستعمال العشوائي للمهرمونات من أجل زيادة المحاصيل الزراعية له تأثيره السلبي على نوعية المحاصيل، وكذلك على جميع الكائنات الحية التي تتغذى على تلك المحاصيل⁽¹⁾.

أما الواقع البيئي العربي، "فتشير الدراسات إلى تراجع المساحات الزراعية والغطاء النباتي العربي وذلك تحت وطأة الطلب الكثيف على المساكن للأعداد المتزايدة من السكان، مما أدى إلى تهديد البيئة العربية باختلال توازنها الطبيعي من اندثار وتلوث"⁽²⁾.

الأمراض الناتجة عن تلوث البيئة:

للتلوث البيئي أخطار عديدة على جميع الكائنات الحية بشكل عام وعلى جسم الإنسان بشكل خاص وهذه الأخطار تتمثل بأمراض عضوية ودراسات أخرى تقول بأنها تؤثر بأمراض نفسية.

إن تلوث البيئة يؤدي إلى أمراض عضوية عديدة مثل السرطان وأمراض القلب والرئة والحساسية، إلا أن أهم الأخطار التي تنتج عن تلوث البيئة هي إمكانية الإصابة بأمراض نفسية، فثمة فرع من فروع علم النفس بدأ يشق طريقه للظهور أطلق عليه "علم النفس البيئي" الذي يتخصص في دراسة المشكلات النفسية المتعلقة بالبيئة، وفي إقناع الناس بأن الطبيعة فيها العلاج الحقيقي لكثير من مشكلاتنا الصحية.

لقد وضعت مؤخراً الجمعية الأمريكية لعلم النفس في قائمتها أكثر من 300 نوع من الأمراض العقلية والذهنية، من بينها تلك الاضطرابات النفسية الناتجة عن عوامل البيئة، كالاضطراب الموسمي الذي يعزى إلى تغير فصول السنة.

(1) www.sdnjjo.com

(2) دينامية الأسرة في عصر العولمة من مجالات الكائن الحي إلى تكنولوجيا صناعة الجينات، عباس محمود مكي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1428هـ - 2007م، الصحيفة 67.

في الماضي: أكد العلماء على العوامل الشخصية والاجتماعية التي تؤدي إلى اضطرابات عصبية لدى الأشخاص، أما اليوم: فقد بدأ بعض العلماء بالتأكيد على العوامل البيئية التي قد تكون سبباً غير مباشر في العديد من أمراضنا النفسية، مما دفع أنصار البيئة ليدافعوا عن نظافتها وسلامتها ويحذروا من استنزاف طبقة الأوزون وتزايد كميات ثاني أكسيد الكربون في الجو، وتقطيع الأشجار وتعذيب الحيوانات أو قتلها أو صيدها بشكل عشوائي للتجارة بلحومها وفرائها وفوائدها المتعددة، مما يؤدي إلى اختلال في التوازن البيئي والتنوع الحيوي وغير ذلك من وسائل العبث بالبيئة وبالتالي تدميرها بشكل أو بآخر وفي النهاية ازدياد الأمراض النفسية لدى الأفراد بصورة مباشرة أو غير مباشرة. لقد عقد مؤخراً في جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، مؤتمر لعلواء نفس البيئة، طالبوا فيه باتباع أساليب ترغيبية تحث الأفراد على حب الطبيعة بشكل عام، وإعطاء أهمية خاصة للبيئة التي يعيشون بها كضمان سلامتها وحمايتها من الأخطار المحدقة⁽¹⁾.

التكامل البيئي العربي:

يعتبر العالم العربي الواسع ضعيفاً ويعاني من النقص والعيوب البيئية إذا ما أخذنا كإطار مجزأة، ولكنه يمكن أن يقارب الاكتفاء الذاتي في مجالات الزراعة والمياه والطاقة والغذاء واليد العاملة النشطة إذا ما خضع لسياسات بيئية رشيدة، حيث تقوم نظرية التكامل البيئي العربي على تطوير قطاع الزراعة بما يعني ذلك من تنمية الريف وتوسيع الأراضي الزراعية ووضع حد لعملية التصحر وترشيد الإنتاج والاستهلاك الزراعيين وتحسين نوعية طعام الإنسان العربي والتأكيد على أن تكون المنتجات الزراعية متوافقة من ناحية مع الحاجة المحلية ومع الحاجة التصديرية والأهم من ذلك ضمن شروط صحية وبعيداً عن المواد الكيماوية والمهرمونات التي منعت الإنسانية من الاستفادة من المكونات الغذائية التي خلقها الله تعالى في هذه المنتجات، وتشير إحصاءات مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية لسنة 1990م بأن إمكانات السودان وحده تسمح بتوفير الغذاء لنحو 29٪ من إجمالي سكان الوطن العربي في حال استخدام مستوى

(1) ترجمة ماجدة تامر عن لومون الفرنسية www.Yabeyrouth.coms.

منخفض من مستلزمات الإنتاج، ولنحو 94٪ من إجمالي سكان الوطن العربي في حال استخدام مستوى متوسط من مستلزمات الإنتاج، وهذا يدل على أن أراضي السودان هي فعلاً سلة غذاء الوطن العربي، وتشير تلك الإحصاءات إلى أسباب تعزيز حالات النزاعات والفوضى والتفرقة بين الدول العربي، كما تشير إلى ضرورة التكامل البيئي العربي إلى اتخاذ قرار ملزم ونهائي، وبذلك ليتوقف مبدأ الرفاه للخارج والبؤس المعيشي والاستهلاك للداخل، إن من حق المواطن العربي أن يأكل بشروط جيدة وأن يشرب ويتحرك في مجاله الحيوي بشكل حضاري ورشيد⁽¹⁾.

(1) دينامية الأسرة في عصر العولمة، عباس محمود مكي، الصحيفة 66-67-68 بتصرف.

الفصل الثاني

الآثار السياسية للعوامة

المبحث الأول: التحديات السياسية للعوامة

المبحث الثاني: تجارة الأسلحة والإنفاق العسكري

المبحث الثالث: النظام العالمي الجديد

المبحث الرابع: بروز مفهوم الحكم كبديل للحكومة

المبحث الخامس: تراجع قوة الدول القومية وتضاؤل دورها

المبحث السادس: تراجع مبدأ السيادة الوطنية

المبحث السابع: الحرب على الإرهاب

المبحث الأول

التحديات السياسية للعولمة

"يمكن اعتبار قمة الألفية التي انعقدت بين 6 و8 أيلول 2000 بحضور 150 من رؤساء العالم وزعمائه مناسبة للإعلان عن أهداف النظام الدولي الجديد، في ظل العولمة.. كانت الفكرة الرئيسية التي تضمنها تقرير الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان⁽¹⁾، أن العولمة ظاهرة متناقضة النتائج والأبعاد، فهي تحسن فرص المعيشة من حيث الدخل والتعليم والصحة لكنها تختص به قلة من الدول وتزيد في التهميش ما عداها وهي تفتح الحدود بين الدول وهذا يوسع نطاق الجريمة المنظمة والإرهاب وغسل الأموال، ويسهل الاتجار في الأسلحة والمخدرات وبخاصة مع سهولة حركة المهاجرين من دول إلى أخرى، على سبيل المثال: تفيد الشرطة الألمانية بأن 75٪ من الجرائم يقترفها مهاجرون، وهي تعبر عن ذروة التقدم العلمي والتقني لكن في غياب الضوابط يجري التعدي على حق الإنسان في بيئة نظيفة، كما يستفيد المنحرفون بابتداع أنماط جديدة من الأعمال غير المشروعة (كجرائم الانترنت وفيروسات الحواسيب)⁽²⁾."

ولقد قدّم الأمين العام للأمم المتحدة مجموعة من الأرقام والإحصائيات تجسد بوضوح تام الجوانب السلبية في أداء العولمة مع ذكره بأن أكثر هذه السلبيات تتركز في الدول النامية، وهي كالتالي:

"دولاران في اليوم الواحد لنصف سكان العالم وأقل من دولار واحد لـ1,2 مليار شخص، 130 مليون طفل في سن التعليم خارج فصول الدراسة، وربع مليون طفل ممن يدرسون ويعولون أسرهم في ظروف شديدة البؤس، 60 مليون شابة وشاب لا يجدون فرصة عمل، 50 مليون إصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة في الفترة 1970 و2000 توفي منهم 16 مليون نسمة، 5 ملايين شخص لقوا حتفهم في صراعات داخلية وحروب

(1) كوفي عنان: الأمين العام السابع للأمم المتحدة سابقا (1997م-2007م)، ولد في 8 أبريل عام 1938م في مدينة كوماسي بغانا. (موقع ويكيبيديا).

(2) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 171. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

أهلية منذ مطلع التسعينات وارتفاع متواصل في حرارة الأرض بمعدل يتراوح بين درجتين وست درجات فهرنهايت⁽¹⁾.

ومن واقع تلك التحديات التي ألقى الضوء عليها الأمين العام للأمم المتحدة والتي يواجهها العالم في ظل العولمة وخصوصاً البلدان النامية، جاء بيان الألفية ليصمم برنامج جدول الأعمال الدولي (الأجندة) بما يكفل التحرر من تلك التحديات والتغلب عليها.

أما أهداف البرنامج بالتفصيل فهي كالآتي:

"1- خفض عدد الفقراء والمحرومين من المياه النظيفة إلى النصف، وتوفير فرص التعليم الابتدائي والعمل والوصول إلى التقنية للجميع والقضاء على مرض الإيدز. وحتى يتحقق ما سبق في إطار المدى الزمني المطلوب قبل عام 2015 يلزم إسقاط الديون من أفقر الدول، والتوسع في مساعدات التنمية، وإنتاج الأمصال والأدوية المضادة للإيدز، ووقف الممارسات المائية ضد سلع الدول النامية.

2- القضاء على النزاعات الداخلية والحروب الأهلية، وذلك من خلال تعزيز دور الأمم المتحدة في حفظ السلام، واحترام مبادئ القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان والرقابة على تجارة السلاح وتطوير العقوبات بما يستهدف الأنظمة الحاكمة وليس الشعوب.

3- إصلاح الأمم المتحدة بحكم دورها الرئيسي في تحقيق الأهداف الثلاثة المشار إليها ويشمل الإصلاح إعادة هيكلة مجلس الأمن، وزيادة الموارد المالية للمنظمة وتعبئة جهود المنظمات غير الحكومية وغيرها من الجهات غير التابعة للدولة من أجل المساهمة الفعالة في أعمال المنظمة⁽²⁾.

لاشك بأن هذه الأهداف الثلاثة للأجندة هي أهداف نبيلة، وإذا تمكن من تحقيقها فهي ستعم بالخير على جميع دول العالم وخصوصاً الإسلامي منه، ولكن لدراسة حول مدى مصداقية تحقيق هذه الأهداف هناك عدة تساؤلات:

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 171.

(2) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 172-173.

- 1- هل مستمكن العولمة عن طريق إحدى مؤسساتها، هي الأمم المتحدة، من تخفيض عدد الفقراء ورفع مستوى التعليم، وإسقاط الديون عن الدول الفقيرة أم ستعمل جاهدة لتعزيز الفقر والجهل في الدول الفقيرة أكثر وأكثر؟
- 2- هل تريد الأمم المتحدة القضاء على النزاعات الطائفية والحروب الأهلية حقاً أم تعمل على تأجيجها بسبب الإرادة الأمريكية؟!
- 3- والرقابة على تجارة السلاح هل ستكون مطبقة على جميع الحكومات في العالم أم أنها تخضع لسياسة ازدواجية المعايير؟!
- 4- سياسة العقوبات هل ستكون عادلة أم أنها ستكون سلاح آخر للحرب يستخدمه الأقوياء ضد الضعفاء؟!

ويمكن تحديد بعض أهم المتغيرات التي تحكم تحقيق برنامج جدول الأعمال (الأجندة الألفية)، والإجابة عن التساؤلات السابقة من خلال النقاط التالية:

1- الأولويات الأمريكية: ولتحديد ذلك لابد من قراءة في الأجندة الأمريكية ذاتها وسياساتها في ظل إدارة كلينتون والرئيس جورج بوش الابن⁽¹⁾، لقد قيل عن إدارة كلينتون أنها: "نقلت كثيراً من الأهداف الخاصة إلى المستوى العالمي انطلاقاً من أن اهتمامات العالم هي بالضرورة اهتمامات أمريكية. كما قيل إن تلك الأهداف لا ترقى بحال إلى ما يفترض أنه يمثل أهداف دولة عظمى، ناهيك عن قطب أوحده، وبخاصة إذا ما قورنت تلك الأهداف بهدف احتواء الشيوعية في ظل الحرب الباردة.

وأخيراً قيل في تفسير ما سبق إن كلينتون كان رئيساً بلا خبرة سياسية انتقل بمحض المصادفة من ولاية إركنساس الصغيرة إلى البيت الأبيض. ومن ثم فإنه ظل مشدوداً إلى الداخل في كل تحركاته الخارجية.

والواقع أن كلينتون كسابقه كان له برنامج جدول أعماله الخارجية (أجندته الخارجية)، بل إن أهداف تلك الأجندة تتفق في مجملها مع أهداف برنامج جدول الأعمال الدولي (الأجندة الدولية) كما حددتها الألفية. ويكفي أن نتأمل تحديد صمويل بيرجر أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في عصر العولمة بأنها: منع انتشار أسلحة الدمار

(1) هو: جورج والكر بوش، مولود في نيو هافن، سنة 1946م، رجل سياسي أمريكي، ابن الرئيس جورج بوش، جمهوري حاكم ولاية تكساس (1995-2000م)، صار سنة 2001م رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية. (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، 230).

الشامل، ومقاومة الإرهاب، والنمو الاقتصادي وحماية البيئة (بوصفها هدفين متلازمين)، ومكافحة الأمراض القاتلة كالإيدز^(١).

وإن الخلاف الحقيقي بين البرنامجين (الأجندتين) هو حول ترتيب الأولويات، "فالولايات المتحدة الأمريكية التي تنفق بسخاء على معارضة تجارة المخدرات في دول أمريكا اللاتينية (بوليفيا وكولومبيا^(٢)) وبيرو^(٣)) وترصد الميزانيات الضخمة لهذا الهدف (مليار و300 مليون دولار قيمة المعونة الأمريكية لكولومبيا وحدها هي نفسها التي تخصص نسبة متناقصة من ناتجها القومي الإجمالي لأغراض التنمية والمساعدة الإنسانية، من 0,58% (18,5 مليار دولار) في عام 1962، إلى 0,20% (أي 13 مليار دولار) سنوياً في الثمانينات، إلى 0,11% (10,4 مليارات دولار) سنوياً في التسعينيات. وإذا أدركنا أن نصيب مصر وإسرائيل من هذه المساعدات يصل إلى حوالي 5 مليارات دولار، انتهينا إلى أن نصيب أكثر من 180 دولة في العالم هو 5 مليارات دولار أخرى من المساعدات الأمريكية"^(٤).

وإن عهد المساعدات الأمريكية لإسرائيل لم يقتصر على عهد الرئيس كلينتون بل اليوم في عهد الرئيس أوباما "صادق مجلس النواب الأمريكي على مشروع الميزانية الأمريكية للعام الحالي القادم والذي يشمل أيضاً تحويل مساعدات عسكرية لإسرائيل، وأكدت الإذاعة الإسرائيلية العامة أنه تم رصد مبلغ 205 مليون دولار في إطار هذه

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الصحيفة 174. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

(2) كولومبيا: مساحتها 1138910 كم، عدد سكانها 41009000 نسمة، عاصمتها بوغوتا، لغتها إسبانية، (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 94).

(3) بيرو: إحدى جمهوريات أمريكا الجنوبية اللاتينية المطلة على المحيط الهادي وتتصل حدودها الغربية بكل من البرازيل وبوليفيا، والشالية بأكوادور وكولومبيا، والجنوبية بجمهورية شيلي، مساحتها 496 ألف م.م، عدد سكانها 10,4 مليون نسمة منهم 46% من هنود أمريكا الأصليين والباقي من البيض والشعوب الخليطة والآسيويين، لغتها: الإسبانية والكيشو والإسبارا. (القاموس السياسي، أحمد عطية الله، الصحيفة 246).

(4) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الصحيفة 175.

الميزانية لمواصلة تطوير منظومة القبة الحديدية الإسرائيلية الصنع لاعتراض القذائف الصاروخية التي تطلق من قطاع غزة، ومن المقرر أن تستخدم إسرائيل هذه الأموال للتزود بأربع بطاريات أخرى من هذه المنظومة. وأوضحت الإذاعة أن الميزانية الأميركية الجديدة تشمل كذلك رصد اعتمادات لتنفيذ مشاريع أميركية إسرائيلية مشتركة تشمل إنتاج نماذج جديدة للصاروخ (جيتس) المضاد للصواريخ وأعرب وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك⁽¹⁾ عن ارتياحه لتمرير مشروع الميزانية الأميركية الذي شمل تقديم مساعدات عسكرية لإسرائيل⁽²⁾.

وإن ذلك لا يمثل انحرافاً عن أهداف الألفية فقط بل "يمثل خرقاً للالتزامات أميركية سابقة ومنها التزامها في اجتماع الدول الثماني عام 1999م بضرورة خفض عدد الفقراء ومثل ذلك يقال في إنتاج الأدوية الخاصة بعلاج الفقراء، فمن بين 1233 عقاراً أنتجته الشركات الأميركية للأدوية خلال الفترة 1975-1997م، لم يخصص سوى 13 دواء منها فقط لهذا الغرض"⁽³⁾.

أما الرئيس جورج بوش الابن لا يختلف عن سابقه "من حيث ضحالة خبرته السياسية كحاكم سابق لولاية تكساس، فهو لا يتحلى بحنكة والده الذي تقلب بين العديد من المناصب السياسية كمدير للمخابرات المركزية الأميركية، ونائب لرئيس الجمهورية، وموفد بلاده في الصين الشعبية لفترة طويلة. لكن الذي ساعد الرئيس جديد على تجاوز ضعف تكوينه السياسي، إحاطته نفسه ببعض أقطاب السياسة الخارجية الأميركية، ومنهم ديك تشيني، ودونالد رامسفيلد، وكولين باول وثلاثتهم وثيقو

(1) إيهود باراك (12 فبراير 1942): وزير الدفاع في إسرائيل انضم للجيش الإسرائيلي في عام 1959م وخدم فيه لفترة 35 سنة ارتقى خلالها إلى أعلى منصب في الجيش الإسرائيلي (عميد)، عمل كوزير للدخالية عام 1995م، ووزيراً للخارجية بين الأعوام 1995م إلى 1996م، حصل باراك على مقعد في الكنيست الإسرائيلي، وفي نفس العام تمكن باراك من رئاسة حزب العمل الإسرائيلي، في 1999م تمكن من الفوز برئاسة الوزارة الإسرائيلية وقد أتم فترة رئاسته لغاية 7 مارس 2001م عندما خسر في الانتخابات الاستثنائية لغريمه أرييل شارون. (موقع ويكيبيديا).

(2) الموقع اللبناني: www.ELNASHRA.COM

(3) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 175.

الارتباط بالمؤسسة العسكرية الأمريكية وهذا مؤشر أول من المؤشرات التي تفيد في الوقوف على أولويات الأجندة الأمريكية في المرحلة المقبلة⁽¹⁾.

ومن أهم التوجهات المعلنة للإدارة الأمريكية الجديدة في زمن الرئيس بوش: "نشر شبكة صواريخ أمريكية متقدمة مضادة للصواريخ وهو عرف بنظام الدفاع الأمريكي المضاد للصواريخ تحسباً لتهديدات محتملة من كوريا الشمالية والعراق وإيران، وتحجيم الانفتاح على الصين بوصفها تمثل التهديد الأمني الرئيسي للولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل، وسحب القوات الأمريكية من البلقان⁽²⁾ في إطار مراجعة دورها في مناطق التوتر والأزمات حول العالم... مما يؤدي هذا لتقليل فرص السلام وزيادة احتمالات التوتر، وتشجيع السباق على التسلح، ومزيد من تهيش قضايا الفقر والجهل والمرض"⁽³⁾.

2- ازدواجية المعايير التي تفرض النسبية على تحقيق الأهداف وتنفي عنها شموليتها. فمثلاً، يُسمح للكوسوفيين بأن يكرهوا مضطهدين من العرب، وننفقهم احتمال أن يكره البربر العرب واحتمال أن يكره السود البيض بل ربما نسمح بأن يكره التيموريون والأكراد قاتليهم، أما الفلسطينيون فلا يسمح لهم بشيء من هذا إطلاقاً، فإذا أرغم جندي إسرائيلي متحصن وراء مدرعته طفلاً فلسطينياً على الجثوم على ركبته ثم غلّ يديه وراء ظهره، وكسر عظام يديه بعقب بندقيته، فإن كره هذا الفلسطيني سيمثل جريمة عظمى لا مثيل لها (أي سيكون كرهه كرهاً للسامية) وهي جريمة تفوق الجرم الذي ارتكبه الذي اعتدى عليه⁽⁴⁾ ومثال آخر: إن الاتحاد الأوروبي يطارد الليبيين المتورطين في قضية

(1) العولة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 175. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

(2) البلقان: هي شبه جزيرة تقع في الجزء الجنوبي الشرقي لقارة أوروبا، تصل مساحتها لحوالي 728,000 كم مربعاً وعدد سكانها يزيد عن 53 مليون نسمة. اشتق اسم المنطقة من سلسلة جبال البلقان التي تمتد من أواسط بلغاريا حتى شرقي الجمهورية الصربية، وهي أحد المناطق التاريخية والجغرافية الهامة في القارة الأوروبية. (موقع ويكيبيديا).

(3) العولة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 176.

(4) الحادي عشر من أيلول والعولة، نعوم تشومسكي، ترجمة عابد إسماعيل، بيروت، دار الكنوز الأدبية، 2002م، الصحيفة 215.

لوكيربي بدعوى الإرهاب، لكنه يطالب بإطلاق سراح عبد الله أوجلان⁽¹⁾ زعيم حزب العمال الكردستاني بين شروط عديدة لضم تركيا إلى عضويته، رغم أن الاتهام نفسه موجه إلى أوجلان ذاته، وتناجر الدول الصناعية بدعوى نزع السلاح أو ضبطه وهي التي تروجه، وثمة تقديرات لانتشار وشيك للسلاح الروسي على مستوى العالم، كما أن دولاً مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا تعتبر مصادر أساسية للتسلح في مناطق معينة كمنطقة الشرق الأوسط⁽²⁾، وأهم ما يمكن ذكره في هذا الصدد موضوع التسلح لدى الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والتسلح عند العرب والمسلمين، ومن المعلوم أن هناك "مجموعة من الموائيق الدولية نصت وضوحاً على منع تصدير الأسلحة إلى القوى المتقاتلة دفعاً للقاتل لا نخال الولايات المتحدة في غفلة عن هذا التصدير ولا الأمم المتحدة في غفلة منها أيضاً مهما اكتسى هذا التصدير من طابع سري"⁽³⁾، ولكن بالرغم من ذلك فإن أمريكا تعتبر أكبر تاجر للسلاح في العالم.

"وتُصنّف الولايات المتحدة الأمريكية ثالث إيران والسودان وسورية، بين دول أخرى كثيرة، في عداد الدول الإرهابية، لكن رغم ذلك، فإن المسلك الأمريكي ليس واحداً حيال الدول الثلاث، من العزل لإيران بغازها ونفطها تحت ضغط الشركات الأمريكية العاملة في هذين المجالين إلى التساهل مع سورية لدعوتها إلى طاولة التفاوض، إلى الصرامة الشديدة في التعامل مع السودان ورفع شعار أي دولة إلا السودان، عند ترشيحها من الجماعة الأفريقية لتشغل مقعد القارة في مجلس الأمن هذا دون الحديث بطبيعة الحال عن المفارقة الواضحة من التفهم الأمريكي الكامل لمبررات عنف الدولة في إسرائيل، والإدانة القاطعة في المقابل لإرهاب فلسطين"⁽⁴⁾.

(1) عبد الله أوجلان: ولد في 4 نيسان/ أبريل 1948م في منطقة أورفة بجنوب شرق تركيا، يعرف باسم "آبو" بين مريديه ومعناه العم. هو قائد حركة تحررية مسلحة لحزب العمال الكردستاني. (موقع ويكيبيديا).

(2) العملة وأثرها على المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإسلامية، الصحيفة 176.

(3) حقيقة العملة، أحمد العربي الشرقي، الصحيفة 207.

(4) العملة وأثرها على المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإسلامية، الصحيفة 178.

3- الشراكة المحتملة بين الأمم المتحدة والشركات المتعدية الجنسيات، وهي شراكة لو تحققت لكانت كفيلة بتعميق ظاهرة المعايير الدولية المزدوجة. وكان البيان الأخير لقمة الألفية قد أشار إلى تلك الشراكة، بنصه على تهيئة الفرصة كاملة للمنظمات غير الحكومية وغيرها من الجهات الفاعلة غير التابعة لأجهزة الدول لتقديم مساهمتها الأساسية في أعمال المنظمة، وقد رحب كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة بمثل هذه الشراكة التي دار من حولها اجتماعه مع بعض ممثلي تلك الشركات على هامش الإعداد لقمة الألفية، بحيث يتم إطلاع هؤلاء دورياً على الحالات الموجبة للتدخل الأممي لحفظ السلام فيها، فيما تتكفل شركاتهم في المقابل بتيسير عمل قوات حفظ السلام وتغويلها، ومؤدى هذا أن يكون للشركات رأي في تحديد توقيت تدخل الأمم المتحدة وحالاته وربما مستواه أيضاً، وأن يتأثر هذا الرأي بمصالح أصحابه وأهدافهم في كل حال⁽¹⁾.

4- تهميش بعض القوى الكبرى في النظام، فلا شك في أن شعور دول مثل الصين أو اليابان بعدم دمجها في بعض مؤسسات النظام وتهميشها في البعض الآخر منه يضعف شعورها بالمسؤولية الدولية.. وقد تزايد فرص عزل الصين في ظل الإدارة الجمهورية الأمريكية، وهو ما يجعل من المتعذر توريطها في تحقيق أجندة الألفية خصوصاً أن تلك الإدارة تنذر بشغلها بقضايا أخرى وحول هذا المعنى يذكر شين دينجلي خبير ضبط التسليح أنه لأول مرة يفصح الصينيون عن أن الولايات المتحدة الأمريكية باتت تشكل خطراً يهدد الأمن الآسيوي الباسيفيكي مبدئياً اعتقاده أن الصين تعد نفسها بشكل أوضح لصدام مع الولايات المتحدة الأمريكية⁽²⁾.

5- الآثار المتناقضة للعولمة، كارتباط التقدم الصناعي بتلويث البيئة (تنتج الولايات المتحدة الأمريكية وحدها 24٪ من إنتاج العالم من الغازات التي ترفع درجة حرارة الأرض). ويمكن تطوير تلك الجزئية بإضافة بعض السياسات المتبعة في معالجة سلبات العولمة تكون لها هي نفسها سلبات، ومن ذلك أن مكافحة انتشار الجريمة

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإسلامية، الصحيفة 179.. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

(2) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإسلامية، الصحيفة 179.

المنظمة والإرهاب والمخدرات ترتبط ببعض التدابير التي من شأنها تدعيم دور العسكر، وتسهيل الفساد السياسي، وانتهاك حقوق الإنسان، علاوة على إهدار المال العام. وحول هذا المعنى يفيد أحد التقارير ذات الصلة أن الخطة العشرية الأمريكية التي بدأها جورج بوش الأب⁽¹⁾ لمكافحة المخدرات، وخفض استهلاك الأمريكيين منها بنسبة 50٪، استهلكت 50 مليار دولار، كما ذكر أن نحو 70٪ من رجال الشرطة في ريو دي جانيرو⁽²⁾ تورطوا في رشاوى لتسهيل تجارة المخدرات⁽³⁾.

(1) جورج بوش الأب: رجل سياسي أميركي، ولد سنة 1924م في ميلتون (ماساشوستس)، جمهوري، نائب رئيس الولايات المتحدة ما بين 1981 و1989م، انتخب تالياً رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية من 1989 إلى 1993م. (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 229).

(2) ريو دي جانيرو: ثاني أكبر مدن البرازيل بعد ساو باولو، وثالث أكبر حواضر أمريكا، تأسست في 1565/1/1م، تبلغ مساحة المدينة نحو 1,260 كيلو متر مربع، بلغ عدد سكان المنطقة في 2007م نحو 13,782,000 نسمة. (انظر موقع ويكيبيديا).

(3) العوالة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإسلامية، الصحيفة

المبحث الثاني

تجارة الأسلحة والإنفاق العسكري

إن موضوع التسلح عند الحكومات يمكن أن يُنظر إليه من جانبين ؛ جانب اقتصادي وجانب سياسي، أما الجانب الاقتصادي إنما هو: "إنتاج مساهم في تكديس رأس المال وخلق الثروة خاصة إذا علمنا أن الثروة تتراكم بسرعة متى تم طلبها من طريق بيع الأسلحة والدخول في تجارة الحرب، ويكفي أن نعي بأن ثلث علماء الغرب يعملون في مجال الأبحاث العسكري كي ندرك قيمة هذا المجال وأهميته ودوره ضمن العمليات الاقتصادية، فصناعة الأسلحة تدر بأموال طائلة لا تضاهيها في القيمة أي صناعة أخرى وهو ما جعل الولايات المتحدة الدولة الأولى التي تستولي على النسبة المرتفعة في مجال تصنيع الأسلحة، إذ هناك 268 مدينة أمريكية تسيطر صناعة السلاح على حياتها بالكامل، وما يجلب الانتباه فعلاً أن لهذه المدن ممثلين في الكونغرس، بل إننا نجد 179 نائباً في مجلس الشيوخ وكلهم أعضاء في شركات صناعية عسكرية وهو ما يجعل القرار السياسي واتجاهاته متلازماً مع مصالح هذه الصناعة التي تمثل عموداً تقريباً داخل الصناعة الأمريكية"⁽¹⁾.

وبناءً على مقتضيات القوانين الاقتصادية فإن استمرار الإنتاج يقتضي زيادة الطلب عليه وبالتالي لا بد من إيجاد سوق يستمر في الطلب ليستمر الإنتاج، "وهذا السوق الذي تروج فيه بضاعة الأسلحة إما أن تكون مستخدماً فعلياً مما يستوجب الحروب الدائمة على أرض الواقع وإما أن يكون مخزناً لها خوفاً من حروب عاجلة أو آجلة، وفي كلتا الحالتين لا تزدهر صناعة الأسلحة إلا ضمن شعور دائم بالحرب الفعلية أو المؤجلة، وكي تتوفر عقلية الحرب الدائمة تعمل القوى المستفيدة إما بتأجيحها الفعلي لخلق حركية في السوق أو الإيهام بها وكثيراً ما يتحول الوهم إلى حقيقة فتكون في لحظة الإيهام وفي لحظة تحول الوهم إلى حقيقة خالقة لنفس الحركية المطلوبة لدعم إنتاج الأسلحة التي لا تحافظ على حركيتها وفعاليتها الاقتصادية إلا من خلال دعم وخلق روح الحرب الدائمة"⁽²⁾.

(1) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 204.

(2) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 204.

إن الحالة التي يعيشها العالم آنياً والتي امتدت منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى ثم الحرب العالمية الثانية ومن ثم سلسلة الحروب التي لم تنتهِ إلى الآن تكشف كشفاً واضحاً عن هذه الروح الدائمة من الحرب التي ظلت تستفيد منها اقتصاديات تلك الدول المهيمنة على إنتاج الأسلحة، إنها سياسة خلق الموت الدائم أو الموت المؤجل وكلما ازداد الموت نشط اقتصاد الأسلحة، ولعل أمريكا اليوم أوجدت باباً جديداً لاستخدام الأسلحة في الوطن العربي وهو التظاهر المسلح. "وبالنسبة للقوة العسكرية التي تستخدم تعبيراً عن إرادة سياسية فقد توجه توجيهاً قصداً للدفاع عن مجالاتها الحيوية، أو فرضاً لنفوذها الفعلي على مجالات جديدة أو خلقاً لروح الخوف دائمة لدى المستضعفين وهذه الأهداف كلها يجسدها الاستخدام الأمريكي للقوة العسكرية التي أضحت معولة، ووجه العولة فيها أن هذه القوة قد أصبحت مختربة لكل الحدود قادرة أن تتدخل متى شاءت وأنى شاءت، وما عليها في كل تدخل إلا أن تذكر بأنها تتدخل من أجل حماية حقوق الإنسان أو حقوق الدول والشعوب"⁽¹⁾ وفي حرب الخليج "دُعمت الحربان في مرحلتيهما من الولايات المتحدة صاحبة الصدارة في إنتاج الأسلحة وترويجها فكانت في الحرب الأولى موجهة ضد القوى المتطرفة باستخدام القوى النيرة لتكون القوى النيرة ذاتها في اللحظة الثانية متطرفة يجب مقاومتها وفق المرجعيات والمقاييس"⁽²⁾.

وقد ذكرنا أن الولايات المتحدة الأمريكية هي أكبر تاجر للسلاح في العالم، وهي أيضاً تسيطر على حوالي نصف السوق الدولية ذات الصلة. وحسب إحدى الدراسات فإن متوسط مبيعات السلاح الأمريكي للعالم يبلغ 8,2 مليار دولار سنوياً، يتكفل كل مليار دولار منها بتوفير 42 ألف فرصة عمل، مثلما يحقق البيع بـ8 مليار دولار فائضاً في ميزان المدفوعات قوامه 560 مليون دولار، والولايات المتحدة الأمريكية هي التي تسمح بحيازة إسرائيل السلاح النووي وتحرمه على غيرها من القوى الإقليمية. وحول هذه الجزئية الأخيرة مضى الرئيس الباكستاني الأسبق ضياء الحق قائلاً: "من المضحك أن القنبلة السوفيتية لا تسمى القنبلة الشيوعية، والقنبلة الأمريكية لا تسمى القنبلة المسيحية،

(1) حقيقة العولة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 205.

(2) حقيقة العولة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 205.

والهند لديها مفاعلات نووية لكن ما من أحد أسماها القنبلة الهندوسية، ولا القنبلة الإسرائيلية القنبلة اليهودية، فلماذا يسمون القنبلة الباكستانية، - بافتراض أننا نملكها - قنبلة إسلامية؟ إن من حقنا أن نمتلك التكنولوجيا. كما عقب آية الله مهاجري (نائب الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني) في عام 1992 بقوله: مادامت إسرائيل مستمرة في حيازة الأسلحة النووية، فنحن المسلمين يجب أن نتعاون لإنتاج قنبلة نووية بغض النظر عن وجود الأمم المتحدة لمنع الانتشار⁽¹⁾.

ويضاف أيضاً إلى موضوع التسليح أدوات جديدة نذكر منها مسألة اليورانيوم المخصب التي حولت الجسم البشري إلى مزبلة للجراثيم في مكانين شهدا حرباً حارقة أكثر من محرقة الهولوكوست هما منطقة البوسنة ومنطقة الخليج، فالحرب الجرثومية هي أخطر ما جاءت بها العولمة وجسدته ضمن آليات قواها العسكرية والتي تضرر منها جنود مستعمليها⁽²⁾.

وهكذا تنتهي العولمة إلى عولمة الحرب الدائمة خلقاً لها لضمان حركية تجارة الأسلحة التي تمثل مكانة رئيسية في الاقتصاد الأمريكي من ناحية ومن اقتصاديات دول أخرى.

أما الجانب السياسي في الإنفاق العسكري: "فهو من أحد جوانب حماية سيادة الدولة والمحافظة عليها، فهناك بعض الدول لجأت إلى القوة المباشرة لمنع تقسيم أراضيها بين الأعراف أو الاثنيات أو الطوائف، كما حدث في التجربة السوفيتية والتجربة الإسرائيلية خصوصاً مع بداية تأسيس الدولة وطرده الفلسطينيين من أراضيهم من خلال الإرهاب والمجازر المباشرة...، ويسبب امتلاك إسرائيل آلة عسكرية ضخمة عجز لبنان طوال سنوات ومنذ عام 1948 عن حماية سيادته أو الدفاع عنها بوجه التهديد الإسرائيلي اليومي لهذه السيادة برأ وبحراً وجواً وبذرائع ومبررات مختلفة من الجانبين اللبناني والإسرائيلي وإن كان الإسرائيليون يعتمدون بوضوح إستراتيجية الحسم العسكري. وإذا كان البعد العسكري حاسماً في استمرار الدولة وسيادتها كما في النموذج الإسرائيلي، فإنه

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 177.

(2) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 206.

قد يفقد هذا التأثير في مواجهة قوة عسكرية أخرى مثل حروب غير تقليدية، مثل حرب العصابات والحروب الشعبية التي يعجز فيها أكبر الجيوش عن تدمير الخصم وعن المحافظة على سمعة الدولة وهيبته كما حدث في التجربة الأمريكية في الفيتنام والتجربة الفرنسية في الجزائر، ومثلما حدث في تجربة إسرائيل في جنوب لبنان، التي بدأت تعاني منذ انسحابها في 24 أيار 2000م...، تهديداً جدياً لأمنها القومي الإستراتيجي مع استمرار وجود المقاومة اللبنانية المسلحة على الحدود الجنوبية، وقد برهن اختطاف المقاومة لجنود إسرائيليين ثلاثة في 10 تشرين الأول 2000 ودون أي رد فعل عسكري إسرائيلي على الأذى الذي يمكن أن يلحق بسيادة الدولة حتى مع امتلاكها ترسانة عسكرية عالية وأسلحة نووية وقدرة ردع غير عادية⁽¹⁾.

مع العلم بأن أسر جنديين إسرائيليين على يد حزب الله وهما إيهود غولد فاسر وإلداد ريغف، كانا سبباً أيضاً لشن الجيش الإسرائيلي هجوماً جويماً على جنوب لبنان وكانت سبباً لاندلاع حرب تموز.

وقد كان البعد العسكري نفسه عامل إضعاف وسن ثم انهيار في تجربة أخرى، "كما حدث للقوة السوفيتية العظمى التي استنزفت سباق التسلح قدراتها الاقتصادية، فعجزت عن الاستمرار في توفير مستلزمات شعوبها الاقتصادية والحياتية، ما كان سبباً أساسياً من أسباب انهيار هذه الإمبراطورية وتفككها في خلال أشهر معدودة.

وعلى الرغم من امتلاك روسيا، وريثة الإمبراطورية السوفيتية، للسلاح النووي، فإنها دولة ضعيفة وعاجزة ينخر جسدها الفقر والمافيات الاقتصادية والتجارية المختلفة، الأمر الذي دفع أحد المحللين البارزين إلى القول: إن الولايات المتحدة سوف تكون القوة العسكرية العظمى في العالم في القرن الحادي والعشرين" مما يبين "ما يمكن أن تسببه القوة العسكرية المفرطة من تهديد للدولة إذا لم تترافق مع اقتصاد قوي"⁽²⁾.

وأنفق العالم الإسلامي على المجالات العسكرية خلال الفترة 1981م-1990م على النحو التالي: "السعودية 688522 مليون ريال سعودي، الإمارات 66275 مليون درهم، الكويت 3636 مليون دينار، عمان 6044 مليون ريال عماني، البحرين

(1) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 45.

(2) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 46.

698,9 مليون دينار بحريني، وقد كانت نسبة الإنفاق العسكري إلى الإنفاق على التعليم والصحة معاً خلال العام 1990م-1991م تساوي 88٪ في الكويت، 41٪ في البحرين، 192٪ في قطر، 44٪ في الإمارات، 15,1٪ في السعودية و293٪ في عمان، ولاشك أن هذا الحجم من الإنفاق العسكري يمثل اختلالاً في توجيه الموارد في دول ما زالت تعتمد على مصدر واحد للدخل وتعاني من عجز متزايدة في موازنتها العامة وموازينها التجارية وتعتمد على العالم الخارجي في الحصول على أغلب حاجاتها من السلع الاستهلاكية والوسيلة والرأسمالية والمهارات البشرية خاصة وأن هذا الإنفاق لا يولد أدنى نشاط اقتصادي في هذه الدول ولم يحقق الأمن المنشود كما تشهد بذلك عملية احتلال العراق للكويت⁽¹⁾.

وبعد الحديث عن تجارة الأسلحة وموضوع التسلح من الجانبين الاقتصادي والسياسي لابد من ذكر البعد العسكري له وهو ما سمي عند بعض المثقفين بـ"العولمة العسكرية" والذي يتمثل بوجود الحلف الأطلسي أو الأطلنطي، هذا "الحلف" الذي تكون في أبريل سنة 1949م في ظل النظام العالمي ثنائي القطبية، وقد نص ميثاقه على أن مهامه خاصة بالدفاع عن أرض الدول المشتركة فيه، لكن العولمة العسكرية قد غيرت مهام هذا الحلف وطورتها، فجعلتها "الدفاع عن مصالح" وليس فقط "أرض" الدول المشتركة فيه، فامتدت الذراع العسكرية للعولمة الغربية تحت القيادة الأمريكية إلى حيث يريدون، وأصبحت مبررات من مثل "الأصولية الإسلامية" و"التطرف" و"اضطهاد الأقليات المسيحية" و"أسلحة الدمار الشامل" و"برامج التسلح النووي" والتي جعلتها العولمة من خصائص الدول العربية والإسلامية دون غيرها من الدول، أصبح هذه المبررات أبواباً مشرعة للتدخل العسكري العولمي في شؤون الدول المتمردة⁽²⁾.

"وقد كان لحلف الأطلسي دور كبير في حرب الخليج 1991م تحت مظلة دول التحالف، وبعد ذلك كان له دور حاسم في حرب البوسنة والهرسك تحت مظلة الأمم المتحدة، ثم كان له دور حاسم في حرب كوسوفا توج بإبقائها ضمن الاتحاد اليوغسلافي

(1) موسوعة مصطلحات الجات ومنظمة التجارة العالمية، عبد الفتاح مراد، جمهورية مصر العربية، الصحيفة 277.

(2) انظر: مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، محمد عمارة، الصحيفة 22.

الصري تحت مظلة قوات دولية، إن هذه الدعامة تمتلك إمكانات عسكرية رهبة تستطيع بواسطتها بسط هيمنتها على جميع الدول التي تريد إخضاعها لها⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن حلف شمال الأطلسي قد تعرض منذ مطلع التسعينات إلى عملية تحديث شامل، يمكن عرض أبرز أهداف عملية توسيع نطاق الحلف فيما يلي:

- 1- توسيع دائرة النفوذ الغربي أو الأمريكي في منطقة وسط وشرق أوروبا.
- 2- سعي دول حلف الأطلسي إلى ضم بعض المناطق الآسيوية التي كانت خاضعة للسيطرة السوفيتية بما يمكنها من السيطرة على مصادر البترول في جمهوريات آسيا الوسطى وكذا من الاقتراب من الحدود الصينية، فضلاً عن محاصرة الجمهورية الإسلامية في إيران وكل من باكستان وأفغانستان، وذلك بالإضافة إلى إمكانية مواجهة المخاطر المترتبة على انهيار سلطة الاتحاد السوفيتي السابق على بعض الجمهوريات الإسلامية وجمهوريات آسيا الوسطى.
- 3- تحديث العقيدة العسكرية للحلف في ظل اختلاف طبيعة التهديدات أو الأخطار المحدقة بالأمن الأوروبي.
- 4- تطوير علاقات التعاون الأمني والتنسيق السيامي مع دول الجوار.
- 5- غير أن أهم ملامح تحديث حلف الأطلسي وتفعيل دوره تتمثل أساساً في التعديلات التي تبنتها الدول الأعضاء خلال احتفالها باليوبيل الذهبي للحلف في أبريل 1999م في إطار تهيئة الحلف لممارسة دور أكثر فعالية في السياسات العالمية⁽²⁾، وبذلك يكون قد وافق على عولمة صلاحياته وتوسيعها لتشمل كل العالم وذلك في قمة نيويورك بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشائه.

ويمكن تحديد موقف الحلف الأطلسي من العالم الإسلامي بما يلي:

"- نظر حلف الأطلسي بعين القلق إلى أحداث البوسنة والهرسك وكوسوفا، من حيث أن ذلك قد يؤدي إلى إيجاد موطئ قدم إسلامي متقدم في القارة الأوروبية، لذلك احتوى تلك الأحداث بطريقته الخاصة، البوسنة والهرسك عن طرق اتفاقية دايتون،

(1) الإسلام والعولمة، سامي محمد صالح الدلال، صفحة 77.

(2) العولمة وآثارها رؤية تحليلية إضافية، عبد المنصف حسين رشوان، الصحيفة 116.

وكوسوفا عن طريق القوات الدولية، ولذلك فإننا نرى أن الحلف الأطلسي يشكل خطراً بالغاً على المسلمين في أوروبا.

-المصالح البترولية في البلاد الإسلامية تشكل شريان غذاء رئيس للصناعات الغربية، ولن يتوانى حلف الأطلسي أو أمريكا أو حلفاؤها من أعضاء الحلف عن القيام بعمليات عسكرية تدعم حصوله على البترول من البلاد الإسلامية، حتى أدى ذلك إلى وجود مستمر لقواته في مناطق الآبار النفطية كما هو الحال الآن في العراق، وقد لا يتدخل حلف الأطلسي بشكل مباشر بل يستظل بمظلة الأمم المتحدة كما حصل في حرب الخليج.

- إن حلف الأطلسي يعدّ داعماً استراتيجياً مهماً للحركات التبشيرية النصرانية في البلاد الإسلامية وذلك بتوفيره الغطاء المعنوي لهذه الحركات مما يعطيها سهولة في التحرك وقدرة على تنفيذ برامجها⁽¹⁾.

(1) الإسلام والعولمة، سامي محمد صالح الدلال، الصحيفة 252.

المبحث الثالث

النظام العالمي الجديد

إذا كان يمكن اعتبار قمة الألفية مناسبة للإعلان عن أهداف النظام العالمي الجديد، فمتى ظهر هذا المصطلح؟ وعلام يدل؟ وما هي أبعاده؟ مصطلح النظام العالمي الجديد: "مصطلح ظهر على الصعيد الأكاديمي، أول مرة بداية في عقد الستينات من القرن الماضي عندما استعمله المحامي الأمريكي المتقاعد كرنفينك كلارك، المستشار الفاعل لعدد من وزراء الخارجية في البيت الأبيض في حقبة الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي، لكنه ورغم الظهور المذكور لم يُدرج تعبيراً عاماً في الفكر السيامي إلا بعد 30 سنة على وجه التقريب، وتقول المصادر إن مصطلح النظام العالمي الجديد أول من استخدمه من الناحية السياسية الفعلية الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب في إحدى خطبه عام 1990 م.

وبصفة عامة بدأ استخدامه بشكل واسع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي، وبالتحديد مع ظروف تفكك الاتحاد السوفييتي، حيث اقترن بالعودة ليعبر عن انتقال عمليات السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات بين المجتمعات البشرية بحرية ودون قيود، ولكن، ومن الناحية العملية يعبر عن اتجاه للمهيمنة على مقدرات العالم من طرف واحد أمريكا⁽¹⁾.

يمثل المصدر الأهم للنظام العالمي الجديد في بيان قمة مجلس الأمن الصادر في 31 يناير 1992 م، وهذا البيان هو أهم وثيقة قانونية يمكن اعتمادها لتصور مبدأ يحدد الخطوط الرئيسية للسياسة الدولية على المدى القريب، وبالرغم من أن الوثائق القانونية تعتبر حجة في مجال الاحتكام إليها، فإن بيان قمة مجلس الأمن يفتقد هذه الصفة، لأنه يمثل الخطوط العامة للسياسة الدولية، فالعالم لا يقبل بسهولة إحياء سياسة استعمارية جديدة، ويتنفذ غاضباً عند أي تدخل علني غير مبرر ولو بحجج واهية، تعطي لهذا التدخل وضعه القانوني والأخلاقي⁽²⁾.

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 36.

(2) الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، حلب، دار الرفاعي، 2004 م،

الصحيفة 29.

لقد جاء النظام الدولي الجديد بوهم أنه سيقوده الأمم المتحدة بدعم من القوى الكبرى، على نحو يؤدي إلى تعزيز الشرعية الدولية، فيوماً بعد يوم تؤكد أن مواقف الدول الأعضاء عموماً والولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً تشكل عائقاً رئيساً أمام الاعتراف للمنظمة بإرادة مستقلة. وهكذا جاء دور الأمم المتحدة في معظم الأزمات التي احتاجت تدخلاً دولياً لاحقاً لا مبادراً، أي منفذاً للتدخل وليس منشأً له.

"حدث هذا في الصومال عندما تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية بداية، ثم أسلمت القيادة إلى الأمم المتحدة إثر المشهد الشهير للتمثيل بجثة الجندي الأمريكي، وتكرر في كوسوفا عندما تدخل حلف شمال الأطلسي بغير تفويض من الأمم المتحدة، ثم حارب تحت رايتها بعد أن استفد القصف الجوي أهدافه، ولم يبق من الممكن تنفيذ الهجوم البري واجتياح أراضي دولة عضو في الأمم المتحدة دون غطاء هذه الأخيرة، بل إنه حيثما تدخلت الأمم المتحدة وقع تجاوز لبعض قراراتها ذات الصلة، وليس أدل على ذلك من الانحراف الخطير الذي لحق بقرار تحرير دولة الكويت إلى محاولة إسقاط نظام العراق وبقرار وقف قمع الأكراد إلى إنشاء منطقة آمنة شمال العراق وأخرى للحظر الجوي جنوبه"⁽¹⁾.

إن النظام العالمي الجديد يجد شرعيته الفعلية من خلال معطيات جديدة منها، "سياسة الأمر الواقع، والتي تعني أن العالم كله اليوم لا خيار له إلا أن يستسلم لسياسة القوة التي تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة الأقوى في العالم الحديث والتي ينضم إليها دول الشمال القوي بصناعاته والقاهر لجيوشه وسلاحه، وقد تجسدت سياسة الأمر الواقع باستسلام الأمم المتحدة صاغرة أمام الشرعية الواقعية التي يمثلها تحالف دول الشمال، وتبرز سياسة الأمر الواقع من خلال مواقف وتصريحات تجسد عزم الدول الكبرى على ممارسة هذه السياسة في العلاقات الدولية معتمدة في ذلك على قرارات سريعة للأمم المتحدة وعلى ما تضمنته بيان قمة مجلس الأمن لعام 1992 م من إقرار نظام الأمن الجماعي"⁽²⁾.

(1) العولة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 157. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

(2) الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، الصحيفة 29.

إن النظام العالمي الجديد لم يقيم على أي مبدأ من مبادئ العدل أو أي صفة من صفات الإنصاف، ولم يهدف من بدايته إلا إلى احتواء العالم الإسلامي والسيطرة على مقدراته وثرواته وتمزيق كيانه، فهو نظام "يؤدي إلى إزالة الحدود بين الدول وإلى تذويب القيم الثقافية والدينية وخصوصيات كل دولة حتى يتسنى لأمريكا تقسيم العالم إلى مناطق على أساس جغرافي سياسي في ظل اقتصاد مبني على قوى السوق، وتضمن فيه أمريكا إعطاء الأولوية الكبرى لمصالحها الاقتصادية والأمنية والعسكرية"⁽¹⁾.

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 37.

المبحث الرابع

بروز مفهوم الحكم كبديل للحكومة

يرى دعاة العولمة أن مفهوم الحكم هو الأكثر تعبيراً وتناسباً مع حقائق الواقع السياسي الكوني والدولة في الوقت الراهن "إذ لم تعد الحكومات وحدها هي التي تحتكر بالوظائف السياسية في الدولة (وظائف الحكم)، وإنما باتت تشاركها في هذه الوظائف جهات عديدة أخرى داخلية (على المستوى الوطني)، وخارجية على المستوى العالمي، ومن ثم يمكن القول بأن الحكم كنشاط، لم يعد مقصوراً على الحكومات ككيانات رسمية تستند في ممارستها لمهام الحكم إلى سلطة رسمية، وإنما باتت ممارسة الحكم متاحة أمام العديد من القوى غير الرسمية سواء أكانت وطنية أم خارجية"⁽¹⁾.

"إن النضال الطويل لشعوب العالم الثالث من أجل الحرية والمصادقية جعل بعض الدول تتمتع بالمصادقية تجاه شعوبها، ولكن العولمة بتحويلها للسلطة من الدولة إلى الشركات متعددة الجنسيات سمحت البيروقراطية الدولية بتقويض هذه المصادقية بشكل أفقد حكومات هذه الدول مشروعيتها تجاه مواطنيها وهو الأمر الذي ترتب عليه اندلاع حالات عدم الاستقرار السياسي بمختلف أشكالها بشكل أسفر عن تراجع ديمقراطي، والمشكلة أن لا توجد سلطات غير حكومية جديدة (شركات ومنظمات) يمكن أن تتمتع بمثل هذه المصادقية"⁽²⁾.

.. ..

(1) العولمة وآثارها رؤية تحليلية إضافية، عبد المنصف حسين رشوان، الصحيفة 73.

(2) العولمة، ندوة، الصحيفة 39.

المبحث الخامس

تراجع قوة الدول القومية وتضاؤل دورها

يرى محمد عابد الجابري: أن العولمة "نظام يتخطى الدولة والأمة والوطن، فهي نظام ينشد رفع الحواجز والحدود أمام الشركات والمؤسسات متعددة الجنسيات وبالتالي إذابة الدول القومية وجعل دورها يقتصر على القيام بدور الشرطي تأميناً لمصالح الرأسمالية العالمية. ومن هنا كان من الطبيعي أن ترتبط العولمة بالخصخصة، أي نزع ملكية الوطن والدولة والأمة ونقلها إلى القطاع الخاص في الداخل والخارج، وهكذا تتحول الدولة إلى كيان لا يملك ولا يراقب ولا يوجه بحيث لا تصبح قادرة على عرقلة مخططات القوى الدولية المهيمنة، وغني عن البيان أن غياب الدولة سوف يهيئ إلى تمزيق الهوية الوطنية وإلى إشعال الحروب الأهلية وتفكك الوحدات السياسية خدمة لمصالح القوى الكبرى ومخططاتها"⁽¹⁾.

لقد ضربت العولمة بسهم وافر في مجال تدمير الدول القومية، فقد "تراجعت الحكومات عن دورها في صنع القرار السياسي لصالح رجال الأعمال في الداخل، ولصالح الشركات متعددة الجنسيات كما إن هذه الشركات ترغب في إخضاع السياسات الحكومية لاستراتيجياتها الخاصة"⁽²⁾.

وإلى جانب الشركات المتعددة الجنسيات، يوجد المنظمات غير الحكومية إلى جانب المنظمات الدولية التي تعاضد دورها واتسعت مجالات أنشطتها وتزايدت صلاحياتها واختصاصاتها، ولا سيما تلك المنظمات الدولية فوق القومية كالاتحاد الأوروبي. ومن أبرز الأسباب أو العوامل التي هبأت إلى إضعاف دور الدولة القومية وتراجع دورها:

"1 - سقوط الاتحاد السوفيتي كقوة قطبية واضمحلال قوته، الأمر الذي أدى إلى التشكيك في مدى مصداقية الأيديولوجية الماركسية كركيزة للتنظيم الاجتماعي، ومما شكك أيضاً في مصداقية أو صلاحية الحكومات الوطنية في توجيه دفة الاقتصاديات الوطنية وخصوصاً في دول العالم النامي، ما أدى إلى تبديد موارد اقتصادية هائلة، فضلاً

(1) العولمة وآثارها رؤية تحليلية إضافية، عبد المصنف حسين رشوان، الصحيفة 72.

(2) العولمة، ندوة، الصحيفة 40.

عن انتشار ظاهرة الفساد السياسي في هذه الدول. وقد ترتب على ذلك أن بدت الأيديولوجيا الليبرالية باعتبارها الأكثر صلاحية فعالة كأساس للتنظيم الاجتماعي ومن ثم ظهرت الدعوى إلى الأخذ بالتعددية في المجال السياسي وإتاحة المجال أمام آليات السوق لتوجيه دفة التفاعلات الاقتصادية.

الاتجاه نحو التحول الديمقراطي والأخذ بالتعددية السياسية، وقد كان من شأن موجة التحول الديمقراطي المشار إليها أن بدأت الحكومات في الالتزام بالدستورية في ممارستها لمظاهر سلطاتها، وفي رعاية وصون حقوق وحريات المحكومين، وذلك فضلاً عن الحد من نطاق تدخل الدولة في إدارة وتوجيه العلاقات الاجتماعية بهدف إقامة قدر أكبر من الحريات للجماهير وللقوى غير الرسمية كالأحزاب السياسية وجماعات الضغط السياسي⁽¹⁾.

ويضاف إلى ما سبق تفعيل دور ما سمي بالمجتمع المدني "حيث تراجع سلطة الحكومات في مواجهة منظمات المجتمع المدني التي اتجهت لتقوم ببعض وظائف الدولة خصوصاً في المجالات الاجتماعية والثقافية، وذلك بالتعاون مع منظمات عمالة في الخارج تتولى تمويلها وتنظيم أنشطتها بعيداً عن سيطرة الدولة"⁽²⁾.

وهذا كان أحد أسباب تفرقة دول العالم الإسلامي، حيث غالباً ما يدعم هذه المؤسسات دول غربية، بهدف إضعاف الدولة الواحدة وتفرقتها داخلياً بعدة أساليب أهمها إثارة النزعات الطائفية، وهكذا يكون دور الدولة محصور بإصلاح وضعها الداخلي ودرء الفتن، وبذلك تضمن الدول الغربية عدم وجود أي رؤية لدى حكومات الدول الإسلامية للوحدة فيما بينها، حتى ولو كانت اقتصادية فقط، كما فعلت الدول الأوروبية بإنشاء الاتحاد الأوروبي.

إن تراجع دور الدولة القومية هو من أحد آثار العولمة من الجانب السياسي، بإجماع معظم الباحثين، إلا أن للدكتور صادق جلال العظم رأياً آخر حول هذا الأثر، حيث ذكر في كتابه: ما العولمة ما يلي: "في الأدبيات المتداولة حالياً عن العولمة، كلامٌ كثير عن تراجع أهمية الدولة وعجزها المتزايد عن مواجهة الشركات المتعددة الجنسيات والعبارة للحدود والقارات، وحتى عن تحولها - أي الدولة - إلى مؤسسة مفوّتة، آيلة إلى الزوال، في خضم

(1) العولمة وآثارها رؤية تحليلية إضافية، عبد المنصف حسين رشوان، الصحيفة 66.

(2) العولمة، ندوة، الصحيفة 40.

التيار الجارف للواقع الاقتصادي العولمي الجديد، الذي أخذ يفرض نفسه على العالم وعلى دوله من حيث هي أجهزة ووظائف وسلطات وحُكْم وتَحْكَم وضوابط وتنفيذ⁽¹⁾.

وذكر نماذج لبعض الباحثين تؤيد هذه الفكرة وعقب بعدها عن نوعية العلاقة بين العولمة والدولة قائلاً: "أعتقد أن أي كلام عن ذوبان الحدود السياسية بين الدول الإقليمية، أو حلول الشركات المتعددة الجنسية محل الحكومات والسلطات الحاكمة بسبب من العولمة هو كلام سابق لأوانه في أحسن الأحوال وكلام منخدر بسطح الظاهرة ومظاهرها الخارجية في أسوأها"⁽²⁾.

وهو يعتبر أن تيار العولمة قد سلط ضغوطاً كبيرة على الدولة الموروثة بمؤسساتها ووظائفها وأجهزتها، لكن يرى بالمقابل بأن الدولة عملت بنجاح ملحوظ على استيعاب تلك الضغوط وامتصاص الصدمات المرافقة وعلى التأقلم مع الوقائع العولمية الجديدة.

وأرى أن هذا الرأي حتى وإن كان صحيحاً فهو لا ينطبق مع معظم دول العالم الإسلامي، وما يؤيد رأيي كلامه التالي: "إن هناك دولاً لها مصالح حيوية حقيقية في العولمة وتبنيها، كاستراتيجية وكسياسة، وفي نشرها وتثبيتها والدفاع عنها، وفي إدارتها في كل مكان على سطح الكرة الأرضية"⁽³⁾.

وأنا أجد أن معظم دول العالم الإسلامي ليس لها أي مصلحة حقيقية بالعولمة وخصوصاً إذا أخذنا بالمعنى المرادف للعولمة وهو الأمركة.

ويلخص د. صادق جلال العظم أثر العولمة على الدولة بما يلي: "هو حصول تعديلات كبيرة وهامة في وظائف الدولة ومؤسساتها وسياساتها وخدماتها وأولوياتها تحت تأثير العولمة، ولكن بما ينسجم مع متطلباتها (أي العولمة)"⁽⁴⁾.

ومما سبق يتبين عدم وجود أي رأي أو دليل واضح على كلامه، وهذا يدل على ضعف رأيه وبعده عن الصواب، والصحيح رأي معظم الباحثين وهو أن من آثار العولمة على الدولة؛ تراجع قوة الدول القومية وتضاؤل دورها، كما تراجع مبدأ السيادة الوطنية.

(1) ما العولمة، حسن حنفي، صادق جلال العظم، الصحيفة 175.

(2) ما العولمة، حسن حنفي، صادق جلال العظم، الصحيفة 178.

(3) ما العولمة، حسن حنفي، صادق جلال العظم، الصحيفة 179.

(4) ما العولمة، حسن حنفي، صادق جلال العظم، الصحيفة 180.

المبحث السادس

تراجع مبدأ السيادة الوطنية

تعريف السيادة:

"هي السلطة العليا التي لا تعلوها سلطة وميزة الدولة الأساسية الملزمة لها، والتي تتميز بها عن كل ما عداها من تنظيمات داخل المجتمع السياسي المنظم، ومركز إصدار القوانين والتشريعات والجهة الوحيدة المخولة بمهمة حفظ النظام والأمن وبالتالي المحتكرة الشرعية الوحيدة لوسائل القوة ولحق استخدامها لتطبيق القانون"⁽¹⁾.

لقد ظل مبدأ السيادة منذ أن نبه إليه JeanBadin عام 1576 م يمثل حجر الزاوية للتنظيم الدولي الحديث إذ نصت عليه وأقرته كافة القوانين والمعاهدات والنظم والأعراف الدولية.

ولكن مفهوم السيادة قد لحقه التغيير بشكل ملموس منذ منتصف القرن العشرين وقد كان مرد ذلك إلى عدة أمور منها:

1- التوسع المتزايد في إبرام الاتفاقيات الدولية الشارعة والنظم الدولية التي تتضمن قواعد وأحكاماً ملزمة لعموم الدول.

2- الاتجاه المتنامي نحو احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ونحو كفالة الضمانات الدولية التي تمكن من احترام هذه الحقوق وتكفل عدم انتهاكها من جانب الحكومات الوطنية.

3- الاتجاهات الحديثة في مجال تقنين قواعد المسؤولية الدولية.

4- كتابات بعض فقهاء القانون الدولي من أمثال Alvarez في نظريته عن الاعتماد الاجتماعي الدولي المتبادل والتي تدعو إلى ضرورة تحقيق نوع من المواءمة بين اعتبارات الصالح العام وبين مقتضيات السيادة الوطنية للدول.

5- الاتجاه المتزايد نحو إقامة الكيانات الدولية عابرة القومى أو فوق القومية.

6- بروز نوعية من المشكلات الدولية التي تستلزم تكاتف الجهود الدولية وتضافر الإرادات السياسية للدول على سبيل التوصل إلى حلول ناجحة وفعالة لها"⁽²⁾.

(1) المصطلحات والتعابير السياسية، محمد علي الحسيني، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، بيروت، 1425 هـ - 2004 م، الصحيفة 133.

(2) العولة وآثارها رؤية تحليلية إضافية، عبد المنصف حسين رشوان، الصحيفة 64.

وقد كان من نتائج تراجع مبدأ السيادة الوطنية للدول أن تزايدت إمكانية التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. حيث "ينص ميثاق الأمم المتحدة على المنظمة الأممية في التدخل لحماية سيادة أية دولة تتعرض للعدوان، والتدخل هنا غايته إقرار سياسة عدم التدخل واحترام السيادة، والأصل في القرارات الأممية إقرار سياسة عدم التدخل، واعتبار سياسة التدخل مناقضة لفكرة السيادة بالمفهوم القانوني.

والتدخل كما نصت المواثيق الدولية ليس مجرد تدخل مادي عن طريق الغزو أو القوة، وإنما يشمل كل أنواع الضغوط التي تمارسها دولة على دول أخرى، بقصد فرض سياسة معينة. تحقق مصالح مشروعة أو غير مشروعة للدولة الأولى، وهذا النوع من التدخل لا يقره القانون الدولي، ولا يعترف به، ويعتبره من التصرفات والمواقف غير المشروعة، ولهذا جاءت الدعوة في المنظمات الأممية إلى منع سياسة التدخل حماية لمبدأ سيادة الدول"⁽¹⁾.

وقد تعددت وتنوعت مبررات التدخل الأجنبي من ذلك مثلاً "التدخل لاعتبارات إنسانية، والتدخل لحماية حقوق الإنسان وحقوق الأقليات العرقية، والتدخل بدعوى مقاومة الإرهاب الدولي.. ومن أبرز الموضوعات التي تثار في هذا الصدد عدم وجود معايير واضحة ومستقرة يتقرر على أساسها التدخل إذ تظل الدول الكبرى مصرة على حقها في أن تقرر الأخذ بأي من الخيارين على أساس مصالحها في كل حالة على حدة، وبصورة انتقائية على مقتضى مصالحها"⁽²⁾.

"والسيادة الوطنية لحكومات الدول القطرية والقومية تتآكل لحساب التدخل الأمريكي والأطلسي، ولحساب تعظيم سيادة العولمة الأمريكية على حساب السيادة الوطنية والقومية لدول الجنوب.. وفي انتقاص هذه السيادة الوطنية للدول تستغل أوراق الأقليات النصرانية والقومية في العالم الإسلامي، وتُبلور وتموّل شرائح من غلاة العلمانيين المتغربين في بلادنا للتبشير بهذه الاتجاهات، حتى ليكتب كاتب نصراني في صحيفة يسارية مجاهراً بتأييده للتدخل الأمريكي الدولي في شؤون مصر الداخلية، بدعوى أن المطالبة بممارسة ضغوط دولية على الدول من أجل المحافظة على حقوق مواطنيها احترام المواثيق

(1) الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، الصحيفة 30.

(2) العولمة وآثارها رؤية تحليلية إضافية، عبد المنصف حسين رشوان، الصحيفة 65.

الدولية هو أمر مشروع تماماً داخلياً وخارجياً⁽¹⁾. ولا عجب من هذا فنحن نعيش في عصر الدولة ناقصة السيادة وهذا أحد أهم أوجه ظاهرة الكونية. ومن أمثلة التدخل الأجنبي على دول العالم الإسلامي، حرب الخليج 1991م والحصار الاقتصادي على العراق.

حرب الخليج 1991م:

ظهرت أحداث اجتياح العراق للكويت ضمن خديعة أمريكية عام 1991م، تم بموجبها توريط العراق بالدخول لدولة عربية عضو في جامعة الدول العربية وهيئة الأمم، بهدف السيطرة على الساحل الكويتي ونفط الكويت، ثم ما لبثت تلك الخديعة أن استخدمتها الولايات المتحدة لإرسال قواتها للكويت والخليج للهيمنة على المنطقة بحرراً وبراً وجواً، وما خلفته أحداث حرب الخليج الثانية من تشديد الحصار على العراق ومفاعيلها الخطيرة، ثم تمّ الزجّ بحلف غربي واسع النطاق ضد بغداد لقيام الجيش العراقي - لأول مرة - بقصف تل أبيب بصواريخ أرض - أرض، بهدف تهديد العمق الإسرائيلي ما أثار التحالف الدولي وهيئة الأمم الذين يراعون الكيان الصهيوني في المنطقة، فتم إدانة العراق بسلسلة قرارات دولية، وشُنّت عليها حملات جوية راح ضمنها أكثر من مليون ونصف طفل وامرأة عراقية، عدا عن استخدام الولايات المتحدة وبريطانيا "لليورانيوم النابض" في مناطق متعددة من العراق، بهدف إحداث أكثر خسائر ممكنة بين المواطنين العراقيين، وكانت أعداد الضحايا تجاوزت المليون ونصف المليون ضحية.

كان الصراع على العراق واضحاً، إذ تمسك العراق بنفطه وأرضه، ومنع الشركات البريطانية والأمريكية من استثماره، وتمكنت واشنطن وتل أبيب من استثمار الرأي العام العالمي والأوروبي ضد نظام بغداد، وضد نظام طهران على السواء وظلّت المحاكمات السياسية ضدّهما تتواصل، حتى ظهرت آراء ونظرية الاحتواء المزدوج للعراق وإيران من قبل مارتن آندريك وطوني ليك لمحاصرتهم، ومنع أي حركة أو فعل إقليمي لهما، وكانت هذه النظرية بهدف "لجم قوّة الطرفين في تأثيرهما في الصراع العربي الصهيوني، وتمت إشاعة إستراتيجية جديدة لدول الغرب للقضاء نهائياً على أي قوة عسكرية عراقية حتى لا تتأثر إسرائيل بها، وتم التعاون بين لجان التفتيش على أسلحة للدمار الشامل وبين

(1) مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، محمد عبارة، الصحيفة 20.

الأجهزة الإسرائيلية والأمريكية، والتجسس على العراق عبر لجان التفتيش التي تجاوزت مهامها إلى مهام أخرى أثرت في سيادة العراق كدولة عربية مستقلة"⁽¹⁾.

أثر الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق بعد حرب الكويت:

في تشرين الأول 1996م استغاثت منظمة اليونسيف التابعة لهيئة الأمم المتحدة بالحكومات العالمية لمساعدة العراق بغية تجنب المجاعة ذلك لأن 50٪ من النساء والأطفال كانت تتناول أقل من نصف السعرات اللازمة للحياة، ويشير التقرير إلى موت أكثر من 1,4 مليون عراقي نتيجة الحصار الاقتصادي المفروض على العراق وفي تقرير لمجموعة من علماء النفس من جامعة هارفرد بأمريكا زاروا العراق ودرسوا الحالة النفسية للأطفال كتبوا: "أطفال العراق مصابون بأفات الحرب أكثر من أي حالة حرب أخرى في العالم" وأن الأطفال يعملون جهدهم لينسوا ما سمعوا: الناس يصرخون، أصوات متشبهة، طائرات، انفجارات، بكاء الناس، تتابعهم رائحة الرصاص والنيران والأجساد المحروقة.

في سنة 1995م قدمت مؤسسة الغذاء والزراعة FAO التابعة لهيئة الأمم المتحدة تقريراً صادقت عليه مؤسسة الصحة العالمية يبين أن الدمار العسكري، بالاشتراك مع تأثير الحصار المفروض من قبل مجلس الأمن مسؤول عن موت أكثر من 560 ألف طفل في العراق"⁽²⁾.

أما من أمثلة ضرب السيادة الوطنية الحرب على العراق 2003م من قبل القوات الأمريكية لإسقاط نظام رئيسها صدام حسين وكان ذلك تحت غطاء الحرب على الإرهاب.

(1) أمركة العولمة في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، محمد علي سرحان، دمشق، سوريا، صفحات للدراسات والنشر، 2007م، الصحيفة 152.

(2) العولمة والديمقراطية دراسة لأثر العولمة على العالم والعراق، كمال مجيد، دار الحكمة، الطبعة الأولى، 2000م، الصحيفة 201.

المبحث السابع

الحرب على الإرهاب

تعريف الإرهاب:

لغة: "رَهَبٌ، كَعَلِمَ، رَهَبَةً وَرُهْبَانًا، بالضم وبالفتح وبالتحريك، ورُهْبَانًا بالضم ويحرك: خاف... وأرهبه واسترهبه: أخافه، وترهبه: توعدّه"⁽¹⁾.

رَهَبٌ - رَهْبًا، وَرَهْبَةً: خَافَ. وَفَلَانًا: خَافَهُ. فَهُوَ رَاهِبٌ وَذَاكَ مَرْهُوبٌ. أَرَهَبَهُ: أَخَافَهُ وَأَفْزَعَهُ وَجَعَلَهُ يَرْهَبُ جَانِبَهُ.

الإرهابيون: وصف يطلق على الذين يسلكون سُبُلَ العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية⁽²⁾.

اصطلاحاً: قد وُجدَ عدة تعاريف لمصطلح الإرهاب منها:

- "هو محاولة نشر الذعر والفرع لأغراض سياسية، والإرهاب وسيلة تستخدمها حكومة استبدادية لإرغام الشعب على الخضوع والامتثال لها، والإرهاب وسيلة تتخذها دولة تفرض سيادتها على شعب من الشعوب لإشاعة روح الانهزامية والرضوخ لطلباتها التعسفية، أو تستخدم الإرهاب جماعة لترويع المدنيين لتحقيق أطماعها حتى تفرض الأقلية حكمها على الأكثرية ومثالها "الإرهاب اليهودي"⁽³⁾.

- وهي: "مصطلح حديث أطلق على كل متمرّد على السلطة الذي يقترن تمرده مع أعمال شغب وعنف ويتّج عنها أذى للآخرين"⁽⁴⁾.

- "مصطلح يستخدم لوصف أساليب تهدد الحياة تستعملها مجاميع سياسية نصبت نفسها في حكم أو قيادة مجاميع غير مركزية في دولة معينة.

(1) القاموس المحيط، تأليف: العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م، المادة رهب، الصحيفة 118.

(2) المعجم المدرسي، محمد خير أبو حرب، تدقيق ندوة النوري، الجمهورية العربية السورية، وزارة التربية، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1985 م، المادة رهب، الصحيفة 436.

(3) القاموس السياسي، أحمد عطية الله، الصحيفة 45.

(4) الدعوة والجهاد، د. إبراهيم العسل ود. بسام الصباغ، دار بيروت، الطبعة الثانية، 1428 هـ - 2007 م، لبنان، الصحيفة 43.

أما التعريف الذي يستخدمه علماء الاجتماع: الإرهاب هو أساليب متكررة تولد الخوف والقلق يقوم بها أفراد بإشراف مجموعات داخل دولة أو بإشراف الدولة نفسها، وتكون أهداف العملية سياسية عادة وتختلف عن الاغتيالات بكونها ليست موجهة إلى شخص معين ويتم اختيار الأهداف لغرض إرسال إشارات إلى أكبر عدد من الناس والحكومات التي تمثلهم.

تعريف الاتحاد الأوروبي: الإرهاب عبارة عن عمل عدواني متعمد يقوم بها أفراد أو مجاميع وتكون موجهة ضد دولة أو أكثر من دولة لفرض ممارسة الضغط على الحكومات بأن تغير سياساتها الدولية والداخلية والاقتصادية.

تعريف عصبة الأمم لسنة 1973م: الإرهاب هو عمل إجرامي موجه ضد حكومة معينة لغرض خلق حالة من الرعب في نفوس أشخاص أو مجموعة من الأشخاص الساكنين في تلك الدولة⁽¹⁾.

وهناك ثمة فارق بين العنف والإرهاب: فالعنف أن تستخدم القوة في غير موقعها مع خصومك والإرهاب: أن تستخدم القوة مع من ليس يينك وبينه مشكلة مثل خطف الطائرات والرهائن وقتل السياح⁽²⁾ كما أن هناك ثمة "فارقاً بين عنف العولة وعولة العنف: أما الأولى فهي رفض للعولة من الخارج، والثانية فهي صراع داخلي بين أطراف العولة"⁽³⁾.

الحرب على الإرهاب وتسمى أيضاً الحرب العالمية على الإرهاب ويطلق عليه البعض تسمية الحرب الطويلة: وهي عبارة عن حملة عسكرية واقتصادية وإعلامية مشيرة للجدل تقودها الولايات المتحدة وبمشاركة بعض الدول المتحالفة معها، وبدأت هذه الحملة عقب أحداث 11 سبتمبر 2001م التي كان لتنظيم القاعدة دور فيها وأصبحت هذه الحملة محوراً مركزياً في سياسة الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش على الصعيدين الداخلي والعالمي، وشكلت هذه الحرب انعطافة وصفها العديد بالخطيرة وغير المسبوقة في التاريخ لكونها حرباً غير واضحة المعالم وتختلف عن الحروب التقليدية بكونها متعددة الأبعاد والأهداف.

(1) الدعوة والجهاد، د. بسام الصباغ ود. إبراهيم العسل، الصحيفة 43.

(2) الميثاق الإسلامي، الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الصحيفة 60.

(3) العالم العربي والإسلامي بين العولة الأمريكية والإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر، عون آل شليل، الصحيفة 67.

وفي مايو 2010 قررت إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما التخلي عن مصطلح الحرب على الإرهاب، والتركيز على ما يوصف بالإرهاب الداخلي، وذلك في استراتيجيتها الجديدة للأمن القومي.

ونصت الوثيقة على أن الولايات المتحدة ليست في حالة حرب عالمية على الإرهاب أو على الإسلام، بل هي حرب على شبكة محددة هي تنظيم القاعدة والإرهابيين المرتبطين به⁽¹⁾.

مبرراتها عند الولايات المتحدة الأمريكية:

جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في أمريكا عام 2001 لتكون مبرراً لأمريكا وغطاء لإسرائيل لتكثيف ضرباتهم ضد العالم الإسلامي. مع أنه "لم يكن الأصوليون الجدد في حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في حاجة إلى الحادي عشر من سبتمبر لكي يشعلوا الحرب على الإسلام، لأن الحرب على الإسلام كانت قد شنت من قبل ذلك بعقدين أو يزيد لكن أحداث ذلك اليوم الأسود في تاريخ أمريكا،... حملت مع نيرانها المبررات والذرائع توجيه ضربات قاصمة إلى بلاد الإسلام والمسلمين، لقد استغل الأصوليون الجدد الذين عُرفوا بالمحافظين الجدد هذه الأحداث ليعلنوا الحرب على ما رأوا فيه العدو الأكبر على مصالحهم وحضارتهم وهو الإسلام، ولم يتردد الرئيس (جورج بوش الابن) في أن يبعث حرباً صليبية جديدة على من سباهم المسلمين الفاشست"⁽²⁾.

ونعت المسلمين بالفاشست مصطلح جديد بدأت الإدارة الأمريكية في ترديده في إعلامها وخطاباتها بدءاً من رئيس الحكومة جورج بوش الابن مروراً بوزير دفاعه والأمر لا يعدو من إضافة زخم إعلامي جديد لتخويف شعبهم وكل من ينقاد إليهم، كان جورج بوش الابن يدعو إلى ضرورة قيام يمين ديني جذري يستوحي قراراته من الله، خاصة فيما يتعلق بالإسلام، ينبث من الأصولية الجديدة إلى أنحاء العالم، ويتوجه صوب بلاد المسلمين، لقد كان يقول: "إن ما يحركني هو تكليف من الله، كان الله يقول لي:

(1) موقع ويكيبيديا.

(2) مشروع الشرق الأوسط الكبير، أ.د عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، دار السلام، الطبعة الأولى، 1431 هـ - 2010 م، مصر، القاهرة، الصحيفة 62.

جورج اذهب وحارب أولئك الإرهابيين في أفغانستان وقد فعلت، ثم قال لي الله: جورج اذهب وإنه الطغيان في العراق"⁽¹⁾. يعني لم يبقَ له سوى أن يدعي النبوة.

نتيجة أحداث 11 سبتمبر:

قبل الحديث عن نتائج أحداث الحادي عشر من سبتمبر من الناحية السياسية سأذكر أثرها من ناحية السياحة، حيث أدت إلى انكماش حركة السياحة في العالم وإلى خسائر فادحة لشركات الطيران العالمية، كما انخفضت الحركة السياحية بين 60% و70% في بعض دول إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط، ففي مصر تحديداً انخفض عدد السياح إلى 18,4% في شهر سبتمبر 2001م، وفي الأسبوع الأول من الحرب على أفغانستان أعلن في فرنسا أن عدد السياح القادمين من أمريكا الشمالية انخفض بنسبة 5% والقادمين من اليابان انخفض بنسبة 25%⁽²⁾.

أما من الناحية السياسية، "إذا كانت الغاية من التفجيرات هي الانتقام من الولايات المتحدة بسبب مواقفها المتحيزة لإسرائيل على حساب القضية الفلسطينية، فما حصل كان العكس تماماً حيث أصبح ترسيخ إسرائيل في المنطقة أكثر إصراراً لدعوة الإدارة اليمينية الأمريكية والغرب.

كما أن النظرة للعرب والمسلمين أصبحت نظرة شك وريبة مما أدى إلى جعل الإدارة الأمريكية تتحرك نحو قمع المسلمين ووضع مراكزهم ومساكنهم وأموالهم تحت المراقبة الشديدة جداً"⁽³⁾. كما أنه "تم إلقاء القبض على الآلاف من الأشخاص منهم الكثير من المواطنين الأمريكيين من أصول شرق أوسطية وجرت معظم الاعتقالات بصورة غير معهودة في القوانين الجنائية الأمريكية إذ لم يتمتع المشبوهون بحقوق التمثيل

(1) التليفق الصهيوني - الأكاذيب الكبرى، محمود يوسف الكبرا، الطبعة الأولى، 2006م، دار الشجرة للنشر والتوزيع، الصحيفة 125، نقلاً عن جريدة تشرين السورية، عصام داري، الحرب بتكليف إلهي 8/10/2005م العدد 9376.

(2) أعمال ندوة الإرهاب والعولمة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، الرياض 1423هـ-2002م، الصحيفة 346.

(3) العالم العربي والإسلامي بين العولمة الأمريكية والإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر، عون بن علي عبد الله آل شليل، الصحيفة 142.

القانوني لهم من قبل محامين، وقد تم تمرير قانون مشير للجدل وهو قانون الذي منح صلاحيات واسعة للأجهزة الأمنية في استجواب وتفتيش واعتقال والتنصت على كل من يشتبه به دون إتباع سلسلة الإجراءات القانونية التي كانت متبعة قبل الأحداث⁽¹⁾.

لقد عادت أحداث الحادي عشر من سبتمبر على العالم الإسلامي بالسليبات التالية:

- "محرارة الإسلام باسم الإرهاب.
- الهيمنة على المنطقة العربية والإسلامية.
- تحييد البترول من اتفاقيات منظمة التجارة العالمية"⁽²⁾.

أما على الصعيد العسكري: "لقد وضعت تلك التفجيرات الإرهابية الجاهلة باكستان بالقوة في دائرة النفوذ والمصالح الأمريكية بعد أن سمحت للأمريكان بشن الحرب على أفغانستان من أراضيها وسمحت تلك العمليات بوضع القضية الفلسطينية تحت المطرقة الإسرائيلية والسندان الدولي، وسقط العراق تحت الاحتلال الأمريكي من دون معارضة جادة من بقية دول العالم. إن هذه الأحداث أسكتت العالمين العربي والإسلامي إزاء ما جرى من عنف جديد في فلسطين المحتلة ففي 16 ديسمبر 2001م -أي بعد الأحداث بخمسة أيام- ودمرت الطائرات والدبابات الإسرائيلية كل البنى التحتية للسلطة الفلسطينية،.. وقبل هذا اليوم استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو للمرة الثانية خلال سنة واحدة لمنع تبني قرار ضد إسرائيل"⁽³⁾.

وسنأتي بالحديث عن الحروب والاضطرابات التي أصابت العالم الإسلامي، ولكن في البداية سأعدد الحروب التي شنت على العالم الإسلامي في القرن العشرين:

- الثورة الفلسطينية الكبرى 1936 - 1939م.

- اضطرابات القدس 1947م.

- مذبحة دير ياسين 9 أبريل 1948م.

- الحرب العربية الإسرائيلية 1948م.

(1) موقع ويكيديا

(2) أعمال ندوة الإرهاب والعولمة، مركز الدراسات والبحوث، الصحيفة 349.

(3) العربي والإسلامي بين العولمة الأمريكية والإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر، عون بن علي عبد الله آل شليل، الصحيفة 142.

- معركة جنين.
- معركة القدس 15-28 مايو 1948 م.
- معركة باب الواد.
- معركة اللطرون.
- مجزرة قبية 1953 م.
- مذبحة كفر قاسم 9 أكتوبر 1956 م.
- العدوان الثلاثي على مصر 1956 م.
- حرب الأيام الستة 1967 م.
- معركة الكرامة 1968 م.
- حرب الاستنزاف (1968-1970).
- عملية ميونخ 1972 م.
- عملية غضب الله (1972 م- 1979 م).
- عملية فردان 1973 م.
- حرب أكتوبر 1973 م.
- الحرب الأهلية اللبنانية (1975 م- 1990 م).
- عملية عتبيي 1976 م.
- عملية الليطاني 1978 م.
- عملية أوبرا 1981 م.
- حرب لبنان 1982 م.
- تدمير مفاعل تموز النووي العراقي 1982.
- عملية الساق الخشبية 1985 م.
- الانتفاضة الأولى 1987 م.
- حرب الخليج 1991 م.
- العراق تقصف تل أبيب صاروخ ب39، 1991 م.
- عملية عناقيد الغضب 1996 م.
- والصراعات والحروب في القرن الواحد وعشرين هي:
- انتفاضة الأقصى 2000 م- 2004 م.

- الحرب على أفغانستان 2001م.
 - عملية الدرع الواقي 2002م.
 - الحرب على العراق 2003م.
 - عملية قوس قزح 2004م.
 - عملية أيام الندم 2004م.
 - خطة فك الارتباط الأحادية الإسرائيلية 2005م.
 - عملية أمطار الصيف 2006م.
 - العدوان الإسرائيلي على لبنان (حرب تموز) 2006م.
 - حصار غزة 2007م.
 - محرقة غزة 2008م.
 - مجزرة غزة ديسمبر 2008م، يناير 2009م.
 - مجزرة أسطول الحرية 2010م.
- وكانت كل من الحرب على العراق 2003م وأفغانستان 2001م، تحت مسمى أو شعار واحد وضعت الإدارة الأمريكية ألا وهو الحرب على الإرهاب أو الحرب العالمية على الإرهاب.

1- الحرب على أفغانستان 2001م:

"أفغانستان هي القطر الإسلامي الذي قام فيه الجهاد الإسلامي ضد الاتحاد السوفييتي (الملحد)، وكانت الولايات المتحدة -بواسطة أعوانها في العالم الإسلامي كله- تجمع المجاهدين وتدريبهم وتسليحهم وتدفعهم دفعاً نحو أفغانستان التي هي جزء من بلاد الإسلام، لكي تطهره من الكفار المحتلين بحس التعبير السياسي الأمريكي، وكان ذلك بداية نهاية الاتحاد السوفييتي والحكومات الموالية له في أوروبا الشرقية. لكن الولايات المتحدة بعد طرد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان، التمسّت خطورة عليها في هؤلاء العائدين من أفغانستان، فبادرت بضرب المجاهدين بعد أن أطلقت عليهم صفة الإرهاب، لتكون ذريعة إلى القضاء عليهم"⁽¹⁾.

(1) مشروع الشرق الأوسط الكبير، عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، الصحيفة 62.

بدايات الحرب:

في 26 فبراير 1993 تم تفجير سيارة مفخخة في مرآب بناء مركز التجارة العالمية في نيويورك وأسفر هذا الانفجار عن مقتل 6 وإصابة أكثر من 1000 شخص بجروح وقام بتنفيذ هذه المهمة حسب وكالة المخابرات الأمريكية المواطن الكويتي رمزي يوسف الذي كان من أصول باكستانية، والذي دخل الولايات المتحدة بجواز سفر عراقي وهو ابن أخ خالد شيخ محمد أحد قيادي منظمة القاعدة والذي تم القبض عليه في باكستان عام 2003م، وحسب نفس المصدر فإن يوسف قد تعاون مع أمريكي من أصول عراقية لوضع السيارة المفخخة في مرآب بناء مركز التجارة العالمية في نيويورك، انفجرت في الساعة 12,17 ظهراً بتوقيت نيويورك وهرب رمزي يوسف إلى باكستان بعد ساعات من العملية وبقي فيها إلى أن تم إلقاء القبض عليه في 7 فبراير 1995م، وحكم بالسجن المؤبد من قبل محكمة أمريكية، وهو حالياً في أحد سجون ولاية كولورادو⁽¹⁾.

وفي 7 أغسطس 1998م تم تفجير سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في دار السلام عاصمة تنزانيا وفي نيروبي عاصمة كينيا، وتم اتهام منظمة القاعدة بتنفيذ الهجمتين اللتين أسفرتا عن 225 قتيل وجرح أكثر من 4000 شخص وهذه الهجمة أدت إلى انتشار اسم أسامة ابن لادن⁽²⁾ على النطاق العالمي، وقام الرئيس الأمريكي آنذاك بيل كلينتون بإصدار أوامره في 20 أغسطس 1998م بقصف أهداف في السودان وأفغانستان بصواريخ توماهوك وكانت من ضمن الأهداف: مصنع الشفاء للأدوية في الخرطوم الذي زعمت الولايات المتحدة بأنها شركة كانت تساند أسامة بن لادن مالياً، وأما الأهداف في أفغانستان عبارة عن ما وصفه بيل كلينتون بمعسكرات لتدريب الإرهابيين وفي 12 أكتوبر 2000م تم تفجير ناقلة عسكرية أمريكية بحرية في الساعة 11,18 قبل الظهر

(1) ولاية في الغرب الأمريكي، عاصمتها مدينة دنفر، وهي أكبر مدنها، وحسب إحصائيات عام 2000م يسكن حوالي 4,301,261 نسمة، الولاية جبلية في مجملها غير أن هناك سهول ومسطحات في شياها الشرقي. (موقع ويكيبيديا).

(2) أسامة بن لادن: زعيم تنظيم القاعدة، ولد عام 1954م من أب يمني وسعودي مقاول، وأم دمشقية سورية، تكوّن دينياً وسياسياً محافظاً، تزوج في سن السابعة عشرة زوجة سورية، تواصل مع كثير من الشخصيات والتيارات الإسلامية، في الجامعة تأثر بشخصيتين مركزيين في حياته الدينية السياسية هما محمد قطب والشيخ عبد الله العزام. (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 218).

بتوقيت عدن في ميناء عدن في اليمن، كانت الناقلة راسية في المياه اليمنية لغرض التزويد بالوقود حيث اقترب قارب صغير من الناقلة واصطدمت بها محدثاً انفجاراً خلف فتحة بطول 12 متر على جانب الناقلة وقتل 17 من الملاحين وتم إصابة 39 آخرين بجروح وتم فيما بعد اكتشاف أن منفذي العملية كانوا أعضاء من تنظيم القاعدة⁽¹⁾.

وفي 11 سبتمبر 2001م جاءت الأحداث.. وبعد فترة قصيرة من أحداث 11 سبتمبر وجهت الولايات المتحدة أصابع اتهام إلى تنظيم القاعدة وزعيمها أسامة بن لادن، في 16 سبتمبر 2001 صرح بن لادن من على شاشة قناة الجزيرة أن ليس له أي علاقة بالعملية وحسب تعبيره "قد يكون جماعة لهم أهدافهم الخاصة بهم وراء العملية"، وفي 28 سبتمبر صرح بن لادن في صحيفة الأمة بالضربة، ولم يكن له علم بها، ويُذكر أن القوات الأمريكية عثرت فيما بعد على شريط في بيت مهدم جراء القصف في جلال آباد في نوفمبر 2001 ويظهر في الشريط أسامة بن لادن وهو يتحدث إلى خالد بن عودة بن محمد الحربي عن التخطيط للعملية وقد قوبل هذا الشريط بموجة من الفرح في الشارع العربي، ولكن ابن لادن وفي عام 2004م وفي تسجيل مصور تم بثه قبيل الانتخابات الأمريكية في 29 أكتوبر 2004م أعلن مسؤولية تنظيم القاعدة عن الهجوم⁽²⁾.

وكانت القوات المشاركة في البداية هي قوات الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وقوات التحالف الأفغاني المالي التي كانت عبارة عن مجموعة من القوات الأفغانية المختلفة المعارضة لحكومة طالبان الإسلامية، وانضمت فيما بعد قوات من ألمانيا وكندا وأستراليا ونيوزيلندا وإيطاليا وإسبانيا وفرنسا وباكستان وبولندا⁽³⁾ وكوريا الجنوبية.

حجم القوات الأمريكية المشاركة في الحملة:

لقد فاقت القوات الجوية 500 مقاتلة، وأربع مجموعات من حاملات طائرات يدعمها أكثر من 150 سفينة حربية بينها عشر بوارج ومدمرات مسلحة بصواريخ كروز توما هوك، وحشد من القوات البرية والخاصة ومشاة الأسطول يتعدى حجمه 250 ألف

(1) موقع ويكيبيديا.

(2) موقع ويكيبيديا.

(3) جمهورية بولندا: تقع في قارة أوروبا، مساحتها: 312685 كم، عدد سكانها 38626000 نسمة، عاصمتها وارسو، لغتها بولونية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).

رجل بجانب قوات أخرى من دول الناتو خاصة بريطانيا، هذا غير أسلحة الدمار الشامل التي تستخدمها أمريكا عند الحاجة.

حجم قوات طالبان:

إن حجم قوات طالبان أثناء بداية الحرب لم يكن يتجاوز خمسين ألف فرد، وقد يصل بعد التعبئة الشاملة إلى 200 ألف فرد، ودباباتهم وعرباتهم المدرعة الروسية الصنع المتقدمة لا يزيد عددها عن 200 دبابة وعربة مدرعة، و1500 قطعة مدفعية وراجة صواريخ وما لا يزيد عن 10 طائرات و100 قطعة صواريخ مضادة للطائرات، وضعفهم من الصواريخ المضادة للدبابات.

حجم قوات تنظيم القاعدة:

أما تنظيم القاعدة في ذلك الوقت والذي يترأسه بن لادن، وتعتبر أمريكا الهدف الرئيسي لحملتها العسكرية، فلا يزيد حجمه عن 5000 إلى 8000 فرد مسلحين بأسلحة خفيفة ومتشربين على كل الساحة الأفغانية وخارجها.

وافق الكونغرس ومجلس الشيوخ الأمريكي بالإجماع وبسرعة فائقة على منح الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن "40 مليار دولار لحملة الحرب على الإرهاب"⁽¹⁾ 20 مليار دولار إضافية لمساعدة خطوط الطيران الأمريكية في أزمتها الاقتصادية التي مرت بها عقب أحداث 11 سبتمبر 2001م.

"علّق مركز التقويمات الإستراتيجية والعسكرية، وهو مؤسسة متخصصة بالمسائل العسكرية في واشنطن، أن شهراً واحداً من الحرب في أفغانستان كلف الولايات المتحدة حتى الآن نحو مليار دولار"⁽²⁾.

الأهداف الأمريكية للحرب:

لقد ذكرنا بأن الحرب الأمريكية على أفغانستان كانت تحت غطاء الحرب على الإرهاب وبهدف القضاء على أسامة بن لادن، ولكن ذكرت بعض الدراسات بأن هناك أهدافاً حقيقية أخرى لهذه الحرب يمكن وصفها بأنها أهداف استعمارية بحثة هدفها نهب

(1) انظر أمركة العولة في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى (مثلث الخيرات)، محمد علي سرحان، الصحيفة 155.

(2) أمركة العولة في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، محمد علي سرحان، الصحيفة 155.

ثروات الأمم والشعوب حيث كشف الكاتب الأمريكي دونالد لامبرو⁽¹⁾ الهدف الحقيقي للحرب الأمريكية على أفغانستان بقوله: "ربما يرى العالم أفغانستان كتلة من الجبال تعلوها الأتربة والدخان وتنمحي معالمها بين الأطلال المنتشرة في كل مكان، لكن الجيولوجيين كان لهم رأي آخر، فهم يرون أفغانستان عبارة عن ثروة طبيعية منحها الله تعالى إياها ودفن في ترابها أغلى الثروات الطبيعية التي لو توافرت في دولة أخرى لم تشهد كل هذه الحروب لكانت من أغنى الدول وأقواها على الإطلاق".

ويؤكد فريق العلماء الأمريكي من الجيولوجيين والجغرافيين الذين وضعوا خريطة تفصيلية لأفغانستان عقب أحداث حرب الاتحاد السوفيتي مع أفغانستان عام 1978م بقيادة العالم الجيولوجي والجغرافي جاك شرودر⁽²⁾ أن أفغانستان تملك أكبر مخزون في العالم من النحاس الأصفر، وتعد ثالث أكبر دولة تملك مخزوناً من الحديد الخام الذي يدخل في أغلب الصناعات الحديثة المدنية منها والعسكرية، وتعد أيضاً ثالث أكبر الدول التي تملك احتياطياً من النفط والغاز الطبيعي في شمال البلاد وفي بعض أجزائها الجنوبية.. ونظراً للأهمية القصوى لتلك الثروات التي تملكها أفغانستان، فقد فكر مسؤولون أمريكيون ذوو نظرة بعيدة المدى في استغلال تلك الثروات عن طريق عمل خرائط تفصيلية تغطي كل شبر من تراب أفغانستان من حيث الطبيعة الجغرافية، بحيث يمكن من خلالها تحديد مواقعها وتوزيع سكانها وحجم وجودة ثروات البلاد الطبيعية بها في ذلك مناطق موارد المياه، وأيضاً تحديد المناطق التي تكون مصدراً للزلازل.

ويؤكد المسؤولون الأمريكيون أن التكاليف المبدئية لعمل تلك الخرائط بالإضافة إلى نفقات التدريب والبحث تقدر بـ 65 مليون دولار، وأكدوا أن الهدف من وراء تلك الخرائط هو الوقوف على حجم الثروات الحقيقية الموجودة في أفغانستان، وأكدوا أيضاً أنه

(1) دونالد LAMBRO: من مواليد 14 يوليو 1940، صحفي أمريكي ولد في وليسي، ماساشوستس، تخرج من جامعة بوسطن على شهادة بكالوريوس في الصحافة، قائد سياسي ومراسل لصحيفة واشنطن تايمز، وكاتب عمود مشترك وطني من نقابة تحقيقات المتحدة. (موقع ويكيبيديا).

(2) باحث جيولوجي أمريكي يعمل في جامعة ليراسكا، وكالات الأمن الأمريكية، وهو الجيولوجي الأمريكي الوحيد الذي عمل في أفغانستان في السبعينيات، وكان يشرف على عمل أطلس للبلاد إلى أن طرد عام 1978م بسبب تهمة التجسس التي نسبت إليه. (انظر موقع www.BBCarabic.com).

بمجرد الانتهاء من تصميم تلك الخريطة يجب أن يبادر المستثمرون لاستغلال وتصنيع تلك الموارد العظيمة⁽¹⁾.

ضحايا الحرب على أفغانستان:

تقدم التقارير اليومية والميدانية من القادة والمسؤولين صورة فوضوية عن الحرب في أفغانستان، وقد دافع بيان من البيت الأبيض عن صورة الوضع العسكري ملقياً اللوم على الإدارة السابقة التي لم تقدم الدعم الكافي للقوات وظلت مركزة على العراق باعتباره مركز الإرهاب الدولي حسب زعمهم.

كما تقدم التقارير صورة مريضة عن الثمن الفادح الذي يدفعه المدنيون الأفغان جراء الهجمات التي تقوم بها قوات التحالف الدولي وتحدثت عن 114 حادثاً. وبعض الحوادث تنتج عن الهجمات الجوية المباشرة للجدل، ولكن الكم الأكبر من الهجمات على المدنيين يبدو أنها نتاج لقيام جنود قوات التحالف بإطلاق النار على سائقي السيارات الأفغان والعزل، وتعترف التقارير بأن 195 مدنياً قتلوا و 174 آخر جرحوا جراء هذه الهجمات.

ومن الحوادث أيضاً اللا إنسانية في هذه الحرب الإرهابية؛ قصف حافلة محملة بالأطفال عام 2008م وأدت لجرح ثمانية، فيما قامت مدفعية مراقبة للجيش الأمريكي بقصف حافلة لجرح 15 طفلاً⁽²⁾.

ولكن هل يعقل بأن تقصف مدفعية حافلة أطفال ولا يكون هناك قتلى وأن يكون هناك فقط 15 طفلاً، بينما الحافلة تكون عادة حاملة أكثر من 30 راكباً؟! وهل يعقل بأن 114 حادث هجوم وقصف من قبل الجيش الأمريكي وقوات التحالف وبكل إمكانياته الهائلة والموجهة ضد أبرياء عزل من السلاح لم تسفر إلا عن مقتل 195؟! يعني كل حادثة لم تودي إلا بحياة شخص أو شخصين وخصوصاً بينها آلات قصف جوي.

(1) بحث الأهداف الأمريكية للحرب على أفغانستان www.islamstory.com الاثنين 3 كانون الأول 2007.

(2) موقع عين نيوز، مقالة بعنوان: وثائق مريضة عن الحرب بأفغانستان: تضليل وقتل مدنيون وإعدامات واستخبارات كاذبة، الثلاثاء 27/7/2010م.

ومن حالات الهجوم على المدنيين في عام 2007م قامت القوات البولندية بإطلاق صواريخ على قرية أدت لمقتل عدد من المحتفلين في حفلة زواج من ضمنهم امرأة حامل، وتكشف التقارير عن أخطاء قامت بها القوات البريطانية، حيث يذكر كاتبو التقارير أربعة حوادث قصف قامت بها القوات البريطانية في العاصمة كابول في تشرين الثاني-كانون الأول 2007م، وهناك بعض التقارير تصف قصف حفل العرس السابق ذكره بأنه يمكن تصنيفه كجرائم حرب وتكشف التقارير أيضاً أن معظم حالات قتل المدنيين هي نتيجة لرد فعل غاضب ومبالغ فيه من القوات الخاصة الأمريكية، أو وحدة المهام الخاصة 373، ومن داخل هذه الوحدة هناك وحدة خاصة اسمها الوحدة السوداء من أجل ملاحقة وقتل قادة طالبان بدون محاكمة وتحتوي الملفات المتعلقة بعمل هذه الوحدة معلومات عن قائمة من أكثر من ألفين من قادة طالبان والقاعدة من الذين يجب قتلهم أو اعتقالهم، وأثناء عملية ملاحقة للمطلوبين عادة ما يقتل مدنيون، رجالاً ونساءً وحتى رجال الشرطة كانوا في طريق القول وكان مقرر الأمم المتحدة الخاص حول حقوق الإنسان قد اقترن عام 2008م بحدوث إعدامات⁽¹⁾.

ولم يكن القتلى المدنيون والعسكريون الضحايا الوحيدين في حرب أفغانستان بل هناك المعتقلون من قبل وكالة المخابرات الأمريكية حيث مورس عليهم أشد أنواع التعذيب ومن أفضع المعتقلات التي وُجدت بسبب هذه الحرب معتقل غوانتانامو والذي لا يمكن أن أذكر هذه الأساليب بسبب قساوتها الشديدة.

"وقد طالبت منظمة العفو الدولية مراراً بإغلاق معتقل غوانتانامو معتبرة أنه من أهم أولوياتها، كما طالبت الحكومة البريطانية من جهتها الإدارة الأمريكية بإغلاق المعتقل، حيث وصفت مارجريت بيكيت⁽²⁾ وزيرة الخارجية البريطانية في وقت سابق عملية الاعتقال بقاعدة غوانتانامو الأمريكية في كوبا بأنها غير مقبولة.

(1) موقع عين نيوز www.ninnews.net

(2) ولدت مارجريت بيكيت في بلدة أشتون أندرلين بمقاطعة مانشستر الكبرى في شهر كانون الثاني عام 1943م، يحمل اسمها مكانته بين السياسيين البريطانيين الذين يتواجدون في الصدارة منذ عام 1984م، أول امرأة تتولى حقيبة وزارة الخارجية تقلدت مناصب عدة منها وزيرة التجارة والصناعة، ومن ثم رئيسة مجلس العموم البريطاني في عام 1997م، وفي عام 2001 أصبحت أول من تولى وزارة البيئة والأغذية وشؤون الريف. (انظر موقع: www.BBC Arabic.com).

وبخصوص إستراتيجية مكافحة الإرهاب التي تتبعها سياسات الإدارة الأمريكية، أصدرت حكماً ينص على أن إدارة بوش، لا يمكنها اعتقال الأشخاص المقيمين بأمريكا لمدة غير معلومة كمقاتلين أعداء ودون توجيه اتهام لهم⁽¹⁾.

2- الحرب على العراق 2003 م:

وبعد الحرب على أفغانستان ثنت الولايات المتحدة الأمريكية باحتلال العراق بمبررات تصفية النظام السيامي الظالم للرئيس صدام حسين، والقضاء على أسلحة الدمار الشامل التي تسلم بها العراق، ولم تكن هناك ثمة أسلحة تدمير شامل، وبحجة نشر الديمقراطية، وكانت النتيجة أن قامت آلات الحرب الأمريكية بتدمير الأخضر واليابس في العراق، وكذلك إبادة البشر والشجر وكل شيء، ولم تحقق أي إصلاح في العراق بل أفسدت كل شيء⁽²⁾.

بدايات الحرب:

لقد اتخذ التصعيد الأمريكي ضد العراق طوال العام 2002 م وحتى البدء في العمليات العسكرية في آذار 2003 م عدة أشكال أبرزها ما يأتي:

- أ- التأكيد على ضرورة نزع أسلحة العراق غير التقليدية..
- ب- التحذير من أن العراق سيكون قادراً على امتلاك قنبلة نووية في غضون عام..
- ج- اتهام النظام العراقي بالاستمرار في انتهاك الالتزامات الدولية ورفضه الانصياع لقرارات مجلس الأمن⁽³⁾.

الإمكانات العسكرية:

إن هذه الاتهامات الموجهة للرئيس العراقي كانت مؤشرات من الرئيس بوش للإطاحة بالرئيس صدام وكان تطور عمليات الحشد العسكري الأمريكي بمثابة المحدد الرئيسي لموعد الحرب الأمريكية على العراق التي ظلت تتصاعد بكثافة حتى اكتملت

(1) موقع وكالة الأخبار الإسلامية www.islamicnews.net.

(2) مشروع الشرق الأوسط، د. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، الصحيفة 63.

(3) الدعوة والجهاد، د. إبراهيم العسل ود. بسام الصباغ، الصحيفة 281.

بحلول شهر آذار عام 2003م، حيث بلغ حجم القوات الغازية 233 ألف جندي، تضمّ مختلف التشكيلات البرية والبحرية والجوية ثم شارك فيها 180 ألف جندي أمريكي، و48 ألف جندي بريطاني.

وقد وجه الرئيس بوش ورئيس الوزراء البريطاني بليز والإسباني زنار إنذاراً للأمم المتحدة طالبوها فيه بإصدار قرارٍ يتيح لهم استخدام القوة ضد العراق وإلا فإنهم سيكونون مضطرين للذهاب إلى الحرب ضد العراق بدون هذا التفويض، وفي مساء 17 آذار وجه بوش إلى صدام حسين إنذاراً طالبه فيه بمغادرة العراق مع ابنه خلال 48 ساعة.

وفعلاً بدأت الحرب في الساعة الخامسة وثلاثين دقيقة من فجر يوم الخميس 20 آذار 2003م بقصف صاروخية انطلقت من سفن حربية أمريكية راسية في الخليج العربي والبحر الأحمر، ثم بدأ الزحف البري والتحليق الجوي من القواعد العسكرية المتمركزة في بعض البلدان العربية، وبلغت القوات الغازية مشارف بغداد حيث أمطرت المدينة بوابل من القنابل والصواريخ...⁽¹⁾.

لقد ساندت المملكة المتحدة وإيطاليا وإسبانيا وكوريا الجنوبية وبولندا وأستراليا غزو العراق 2003م وعارضت كندا وألمانيا وفرنسا وباكستان ونيوزيلندا الجولة الثانية من الحرب على الإرهاب أي غزو العراق 2003م⁽²⁾.

أما حول الرأي العام عن غزو العراق 2003م فكان هناك "مظاهرات احتجاج في معظم أنحاء العالم، حتى في واشنطن ولندن، تندّد بهذا العدوان وتشجب عمليات تدخّل دولة في شؤون دولة أخرى"⁽³⁾.

وقد أعلن راديو الفاتيكان اعتراض البابا على هذه الحرب وقال عن جورج بوش بأنه لا يحقّ له ادعاء التصرف باسم المسيحية أو باسم القيم الغربية أو حتى باسم الله،

(1) الدعوة والجهاد، إبراهيم العسل ود. سام الصباغ، الصحيفة 282.

(2) موقع ويكيبيديا.

(3) الدعوة والجهاد، إبراهيم العسل ود. سام الصباغ، الصحيفة 282.

"وقال السيناتور إدوارد كينيدي⁽¹⁾، الذي كان قد صوت ضد الحرب على العراق: إن حرب العراق تضعنا أمام احتمال اشتعال الشرق الأوسط، وإثارة موجة جديدة من العداء ضد أميركا في البلاد الأخرى، الأمر الذي يمكنه تدعيم مواقف الإرهابيين خاصة، إذا ما وقف العالم الإسلامي ضدنا. إن حرق العلم الأميركي أصبح من الطقوس المعتادة في عواصم العالم العربي، ووصف أي شخص بأنه أميركي أصبحت سب في العديد من تلك البلدان! وفي أيلول 21-22 كتب النائب اليساري جان كلود لوفور، كتاباً تحت عنوان: لتعلم قول كلمة لا، قائلاً إن الحرب ضد العراق ستكون بمثابة كارثة حقيقية على الشعب العراقي وعلى العالم أجمع، يجب أن يكون واضحاً أن فرنسا لن تشترك في مثل هذه الحرب الصليبية.."⁽²⁾

الأثار والضحايا:

بعد سقوط بغداد في 9 نيسان 2003م بدأت عمليات سلب ونهب واسعة النطاق، وقد نقلت هذه العمليات العالم كله عبر شاشات التلفاز والتي تركت جروحاً عميقة في ذاكرة العراقيين وجميع العالم ومن أشد هذه السرقات على نفوس العرب هي سرقة المتحف الوطني العراقي حيث سرق من المتحف 170000 قطعة أثرية وكانت بعض هذه القطع من الضخامة في الحجم ما يستحيل سرقة من قبل أفراد عاديين، وبرزت شكوك على أن تكون هذه السرقة بالذات منظمة.

ومن السرقات التي حصلت وكان لها دور بارز في الأوضاع السياسية في العراق بعد 9 نيسان 2003م كانت سرقة آلاف الأطنان من الذخيرة الحربية من معسكرات الجيش العراقي وسرقة مركز للأبحاث النووية، حيث قامت شاحنات بنقل محتويات هذا المركز إلى جهات مجهولة⁽³⁾.

(1) إدوارد مور كينيدي: ولد في ولاية بوسطن عام 1932م وهو أصغر أشقاء الرئيس الأمريكي الراحل جون كينيدي، سياسي أمريكي وأحد الأعضاء البارزين في الحزب الديمقراطي ومرشح محتمل لرئاسة الجمهوري، أتم دراسته في جامعة هارفارد ثم حصل على إجازة في القانون من جامعة فيرجينيا، بدأ حياته السياسية منذ 1958 في عام 1962م انتخب شيخاً عن ولاية ماساتشوستس في مجلس الشيوخ. (موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، الجزء 5، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1994م، الصحيفة 356).

(2) التليفزيون الصهيوني، محمود يوسف الكبرا، الصحيفة 110.

(3) <http://eljaideil.maktoobblog.com>

أما حول القتل والضحايا البشرية:

عند البحث عن عدد قتلى وضحايا كلاً من الحرب على أفغانستان والعراق نجد صعوبة في تحديد عددهم، فكثير من المقالات في الصحف وفي الانترنت والكتب لم تنطرق إلى ذكر القتل والضحايا بالعدد وكأن هناك تعتياً مقصوداً حول ضحايا هذه الحرب الإرهابية، ولكن سأذكر بعض ما ورد:

- القتلى من المدنيين العراقيين الذين ثبت وفاتهم بوثائق شهادة الوفاة: 53,372 شهيد.
- القتلى من المدنيين العراقيين بدون شهادة وفاة 47,016 إلى 52,142، حيث نسبة دقة هذه المعلومة 95%.

- القتلى من القوات الأمريكية 3,018.

- الجرحى من القوات الأمريكية 22,834.

- القتلى من القوات الأخرى: المملكة المتحدة 128، إيطاليا 33 قتيلاً، أوكرانيا 18 قتيلاً، بولندا 17 قتيلاً، بلغاريا 13 قتيلاً، إسبانيا 11 قتيلاً، دانمارك 6 قتلى، استراليا قتيلاً⁽¹⁾.

وفي أحد المواقع الكترونية ورد أن ضحايا الحرب الأمريكية على العراق وأفغانستان كانت 3300 أمريكي مقابل 1000000 مسلم قتل.

وسؤالي: هل يعقل أن هؤلاء المليون من المسلمين إرهابيون؟؟

وكما كان معتقل غوانتانامو من آثار الحرب على أفغانستان وأيضاً معتقل "أبو غريب" يمكن أن نعتبره من أحد آثار الحرب على العراق، وقد أظهرت شاشات الفضائيات صوراً لتعذيب المعتقلين قد تم تسريبها حيث مورس أشد أنواع التعذيب في هذا المعتقل، ولكن بالرغم من ذلك لم يتغير شيء بالموضوع! "لقد أثرت هذه الحرب على استقرار المنطقة العربية وعلى تماسك النظام العربي ودور الجامعة العربية فضلاً عن تأثير الاحتلال على جميع القطاعات الاقتصادية العربية من سياحة وتجارة ونقل وغيرها تأثيراً سلبياً وهو ما يستدعي وقفة لتحليل إمكانيات العالم العربي والتي يمكن أن تساعد في توفير المقومات اللازمة للتعاون العربي المشترك"⁽²⁾.

"إن الحرب ضد الإرهاب التي أعلنها الرئيس بوش وبدأت بالحرب على أفغانستان في 7 آب 2001 ثم الحرب التي بدأت في العشرين من آذار 2003

(1) www.marefa.org

(2) العلاقات الدولية بين العولمة والأمركة، محمد نصر مهنا، الصحيفة 395.

والإجراءات الأخرى الموجهة ضد جماعات تعينها في مختلف أنحاء العالم وخصوصاً منطقتي الشرق الأوسط والأقصى دون تمييز ما بين الجماعات الإرهابية الحقيقية وما بين المنظمات التي تقوم بأعمال مشروعة لمقاومة الاحتلال الجائم على أرضها قد أدى لفقدان الثقة في توجه الولايات المتحدة إلى القضاء الحقيقي على الإرهاب وخصوصاً أن إسرائيل قد ركبت الموجة وحصلت على الضوء الأخضر من الولايات المتحدة لتمارس إرهاب الدولة ضد الشعب الفلسطيني الأعزل بكل فئاته وهو ما زاد شعور الإحباط العربي في مواجهة الولايات المتحدة نفسها وبالتالي في مصداقية النظام العالمي الجديد.

وفي السياق ذاته، فإن قيام الولايات المتحدة بتهميش دور الأمم المتحدة والائتلاف حول الشرعية الدولية في غزو العراق، بل والمواجهة السياسية الحادة مع بعض القوى العالمية في هذا المجال قد أوجد ثغرة في النظام العالمي الجديد وقضى على صورة التحالف الغربي وأعطى فرصة للعديد من الدول الكبرى لتعيد صياغة سياستها تجاه الولايات المتحدة⁽¹⁾.

ثم إن إدارة الحكومة بالولايات المتحدة لم تترك بقية العالم الإسلامي مستقراً، حتى في البلاد التي ترتبط معها بصداقة ظاهرة، فهي لا تكف عن بث سياسة التجويع فيها، والسلب الثقافي والتنموي والتعليمي، لتظل هذه البلاد عالقة بركب التخلف. ناهيك عن حصار الشعب الفلسطيني وتجويعه، وضرب فصائله بعضها ببعض لتمزيق وحدتهم، واختلاف الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والطائفية في أقطار عربية إسلامية، مثل: السودان والصومال ولبنان وغيرها.

إن ما قام به الرئيس جورج بوش الابن من إعلان الحرب على بلاد الإسلام كان عملاً منهجياً من الرئيس وعن أحاطوا به من متشددى الأصوليين الجدد منذ يوم دخلوا البيت الأبيض في يناير سنة 2000م يوم قدّم الرئيس مبادرته الأولى التي أطلق عليها: "المبادرة المؤسسة على الإيمان" وكأنه يقدم خطة منهجية لأعمال حكومة دينية، من أهم أعمالها مواجهة الإسلام الخصم المائل أمام أمريكا بعد انهيار عدوها القديم الاتحاد السوفيتي، وتقديم العون والمؤازرة للكيان الصهيوني، باعتبار ذلك أمراً من السماء ورد في التوراة، ولقد توجّ الرئيس جورج بوش الثاني هذا التوجه الأمريكي الذي يضمن أمن الكيان الصهيوني بفلسطين ويضمن تفوقاً مطلقاً لهذا الكيان على جميع البلاد العربي

(1) العلاقات الدولية بين العولمة والأمركة، محمد نصر مهنا، الصحيفة 387.

الإسلامية بتشريع يوجب معاقبة المعادين للسامية من العالم، ولم يكن يعني إلا العالم العربي الإسلامي، حيث تزعم كل من الولايات المتحدة والكيان الصهيوني أن معدلات معاداة السامية فيه أكثر ارتفاعاً منها في أي بلد آخر في العالم⁽¹⁾.

الإرهاب الذي تقوم به إسرائيل:

إن الإرهاب الذي تقوم به إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني واللبناني من مجازر وقتل واعتقال للمدنيين من نساء وأطفال ومرضى ما لا يعد ولا يحصى، وسأذكر على سبيل المثال لا الحصر نموذجاً من نماذج الإرهاب الإسرائيلي، والتي كانت بمساعدة من يزعمون أنهم يحاربون الإرهاب، كلاً من حرب تموز وحصار غزة.

أولاً - حرب تموز:

هي حرب تموز 2006 حسب التسمية الشائعة في لبنان أو حرب لبنان الثانية حسب التسمية الإسرائيلية، وسميت في بعض وسائل الإعلام العربية "الحرب الإسرائيلية على لبنان 2006م" أو "العدوان الإسرائيلي على لبنان" وفي وسائل الإعلام الأجنبية "مواجهة إسرائيل حزب الله 2006م".

بدايتها: في خضم الصراع العربي الإسرائيلي وإصرار إسرائيل على إبقاء المخطوفين والأسرى لديها وإصرار حزب الله على تبني تحريرهم، وبعد مرور حوالي 30 عاماً على سجن بعض اللبنانيين، سمير قنطار، وبعد يأس المفاوضات غير المباشرة لإطلاق سراحه، قرر حزب الله أسر جنود إسرائيليين لتحرير بقية اللبنانيين وغيرهم من المعتقلات الإسرائيلية. وفي 12 تموز 2006م شنّ حزب الله عملية الوعد الصادق، والتي أدت إلى أسر جنود إسرائيليين، وفوراً قامت القوات الإسرائيلية باقتحام الجدار الحدودي ودخلت إلى الأراضي اللبنانية فكان حزب الله مترصداً للإسرائيليين وقصف الدبابتين فقتل 8 جنود إسرائيليين من بينهم "يهود غولد فاسر" و"إلداد ريغف" الذين أسرا إلى لبنان دون الإبلاغ عن مصرعهما.

تعريفها: هي العمليات القتالية التي بدأت في 12 تموز 2006م بين قوات من حزب الله اللبناني وقوات جيش الدفاع الإسرائيلي والتي استمرت 34 يوماً في مناطق مختلفة من لبنان، خاصة في المناطق الجنوبية والشرقية وفي العاصمة بيروت، وفي شمالي

(1) مشروع الشرق الأوسط الكبير، أ.د. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب، الصحيفة 63م.

إسرائيل، في مناطق الجليل، الكرمل، ومرج بن عامر، وكانت الحرب تؤثر على منطقة هضبة الجولان أيضاً.

وفي اليوم التالي: شن الجيش الإسرائيلي هجوماً جويًا على جنوب لبنان مستهدفاً محطات الكهرباء ومطار بيروت وشبكة من الجسور والطرق مما أدى إلى مقتل العشرات، كما انضمت قوات بحرية إسرائيلية للهجوم، واستدعى الجيش الإسرائيلي فرقة احتياط مؤلفة من ستة آلاف جندي لنشرها سريعاً شمال إسرائيل، تحت تعليق إعادة الأسيرين إلى إسرائيل. وفي نفس اليوم قام الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله بعقد مؤتمر صحفي أعلن فيه أن الجنديين الإسرائيليين تم ترحيلهما إلى مكان بعيد وأن العملية عملية فردية يتحمل مسؤوليتها الحزب وحده ولا علاقة للحكومة اللبنانية بها، وفي نفس المؤتمر دعا حسن نصر الله الحكومة الإسرائيلية للتفاوض الغير مباشر لإتمام تبادل الأسرى وهددها بأن قوات حزب الله جاهزة للتصعيد إذا بادرت هي بالتصعيد، وبعدها فرضت إسرائيل حصاراً بحرياً وجوياً على لبنان.

وسميت العملية العسكرية الإسرائيلية لتحرير الجنديين بعملية "الثواب العادل" من قبل الحكومة الإسرائيلية، وسميت العملية العسكرية لأسر الجنديين بعملية "الوعد الصادق" حسب إعلام حزب الله.

نتائج حرب تموز:

ومن نتائج هذه الحرب كان مقتل نحو 1200 شهيد لبناني من بينهم 500 مقاتلاً، أما الجرحى ما بين 4200 جريح مدني و4000 عسكري.

أما القتلى الإسرائيليين: حوالي 119 جندياً و44 مدنياً حسب اعتراف الجيش الإسرائيلي والجرحى ما بين 450 مدني و400 جريح عسكري، أي أن الخسائر البشرية اللبنانية أكثر بعشرة أضعاف من الإسرائيلية، مع العلم بأنه لا توجد إحصائيات دقيقة.

أما حول اللاجئين اللبنانيين: حدث أثناء الحرب نزوح أعداد كبيرة من اللبنانيين قدر عددهم بنصف مليون نازح لبناني من مناطق القتال فقد استقبلت مدينة صيدا أكثر من مئة ألف لبناني وتوجه القسم الأكبر إلى سورية حيث تم إكرامهم ومعاملتهم معاملة حسنة، وبلاد أخرى، وتم إجلاء نحو 2000 من الرعايا الأجانب إلى سورية وقبرص، وقتل أثناء النزوح 18 مدنياً لبنانياً في قصف إسرائيلي.

لقد شهد الهجوم الإسرائيلي دعماً كاملاً من قبل الحكومة الأمريكية وأعوانها، فقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية أن واشنطن تكشف جهودها لإرسال قنابل موجهة بالغة الدقة إلى إسرائيل التي طلبت تسريع الصفقة بعدما بدأت هجومها على لبنان ورفضت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس الدعوات الدولية لوقف فوري لإطلاق النار في لبنان مما دفع إلى القول: إن عملية إسرائيل كانت مدروسة وميّنة وتنتظر الولادة، وسارعت كوندوليزا رايس إلى القول أن القتل في الشرق الأوسط هو غرض الشرق الأوسط الجديد⁽¹⁾.

ثانياً - حصار غزة:

هو حصار خانق قامت إسرائيل بفرضه على قطاع غزة إثر نجاح حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات التشريعية في 2006م قبل دخول حماس غزة بعام، ثم عززت إسرائيل الحصار في 2007م بعد سيطرة حماس على غزة في حزيران 2007م، ويشتمل الحصار على منع أو تقنين دخول المحروقات والكهرباء والكثير من السلع، من بينها الخبز والبسكويت والدواجن واللحوم ومنع الصيد في عمق البحر، وغلق المعابر بين القطاع وإسرائيل، كما هدمت إسرائيل مطار غزة الدولي وهو المطار الوحيد في قطاع غزة كلياً مما زاد شدة الحصار والمعاناة⁽²⁾.

وفيما يلي عرض لبعض ما خلفه هذا الحصار:

- أدى الحصار إلى وفاة ما يقرب من 80 مريضاً فلسطينياً بسبب نقص الدواء ووسائل العلاج الأخرى التي يحتاجها المرضى فضلاً عن منع الكيان الصهيوني خروج المرضى الفلسطينيين للعلاج في الضفة الغربية والدول العربية المجاورة.
- كما تسببت العمليات الصهيونية المستمرة في استشهاد ما يقرب من 40 شهيداً فلسطينياً، هذا بخلاف آلاف الجرحى الذين يرقدون في غزة.
- حسب وكالة رويتر للأباء فإن هناك 900 مريض في غزة يسعون للحصول على إذن سفر منهم 350 مرضهم خطير.

(1) انظر www.wikipedia.com.

(2) موقع ويكيبيديا www.wikipedia.com.

- وحسب تصريحات وزارة الصحة الفلسطينية، فإن 1700 مريض قلب وفشل كلوي وطفل حديث الولادة مهددون بالموت نتيجة توقف غرف العمليات وأجهزة التنفس الاصطناعي وغرف الرعاية المركزة.

- كما أدى الحصار إلى إغلاق أكثر من 3500 مؤسسة صناعية وتجارية وحرفية، مما أدى إلى فقدان أكثر من 65 ألف فلسطيني عملهم، وتقدر الخسائر اليومية للاقتصاد الفلسطيني بحوالي مليون دولار.

- وعلى صعيد الاستيراد من الخارج تشير المعلومات بأن 2000 مستورد فلسطيني تكبدوا خسائر فادحة نتيجة تراكم الحاويات في الموانئ الإسرائيلية، والتي يقدر عددها بحوالي 2500 حاوية.

- وتبلغ الخسائر الإجمالية المتراكمة لقطاع الصناعة في غزة نحو 23 مليون دولار منذ 12/ حزيران/ 2007م وحتى الآن، وحسب الإحصائيات الفلسطينية والدولية الرسمية ازدادت نسب الفقر بين الأمر الفلسطينية؛ إذ ارتفعت نسبة السكان الفلسطينيين الذين يقعون تحت خط الفقر من 22% إلى أكثر من 67% على مستوى الأراضي الفلسطينية، وحالياً تبلغ نسبة الفقر في قطاع غزة نحو 90% بعد أن كانت 81,4% العام الماضي⁽¹⁾.

إن إسرائيل ووجودها في فلسطين وتعدّتها على دول الجوار ومحاولة احتلالها لها، كان دائماً مدعوماً دعماً كبيراً من قبل الحكومات الغربية عموماً والولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً، فمثلاً "تقدم الحكومات الألمانية المتعاقبة ومن أموال شعبها الهبات والمساعدات لدولة إسرائيل العدوانية وتزودها بالغواصات المتطورة (دولفين) والقادرة على حمل رؤوس نووية تمكنها من ممارسة العدوان والتهديد على شعوب المنطقة والتي تتفوق عليها إسرائيل بقوة السلاح والتكنولوجيا الغربية"⁽²⁾.

كما قامت الحكومات الغربية في بداية الستينات من القرن العشرين بتزويد دول إسرائيل بمفاعل نووي فرنسي، أنتج وينتج الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل ليهدد كامل دول منطقة الشرق الأوسط وشعوبها، كانت تلك المكافأة الفرنسية لدولة إسرائيل لقيامها بالعدوان على مصر واحتلال أراضيها حتى الضفة الغربية من قناة

(1) www.ikhwanonline.com

(2) التفيق الصهيوني، محمود يوسف الكبرا، الصحيفة 131.

السويس بالعدوان الثلاثي على مصر واحتلال أراضيها حتى الضفة الغربية من قناة السويس (إسرائيل، فرنسا، بريطانيا) على مصر عام 1956 م. ويقوم هذا المفاعل الفرنسي بتطوير أسلحة جوية تدميرية دون مراقبة أو محاسبة دولية أو انضمام لمعاهدة منع الانتشار النووي.

بينما ساعدت القوى الغربية إسرائيل في ضرب المفاعل النووي العراقي في العام 1981 م وفي تصريح لمحطة BBC في 9/ أيلول/ 2006 م: إن بريطانيا قدمت إلى إسرائيل سرّاً كميات من البلوتونيوم⁽¹⁾ عام 1966، وتفيد معلومات العالم النووي الإسرائيلي مردخاي مغنونو، أن إسرائيل تمتلك أكثر من 200 رأس حربي نووي⁽²⁾ وقد ذكرت عن المساعدة المالية الأمريكية لإسرائيل والتي تقدر بـ 205 مليون دولار.

وما زال السؤال يُطرح: كيف يتبنى الغرب وخصوصاً أمريكا فكرة الحرب على الإرهاب وهم الراعون الحقيقيون والداعمون الدعم المادي والمعنوي للإرهاب؟! لقد ذكرت نماذج من الحروب التي شنتها كل من أمريكا وإسرائيل ضد بعض الدول الإسلامية بحجة القضاء على الإرهاب، كما ذكرت في الباب الأول من هذا البحث إحصائيات عن بعض المجازر التي ارتكبتها إسرائيل ضد الفلسطينيين واللبنانيين؛ لأبين من هم الإرهابيون في تلك الحروب؟! ولكن لكي يتحول إيماننا بأن الغرب هم الإرهابيون إلى يقين، سأذكر الدراسة التي أوردتها الباحثة تانيا هسسو (المحللة السياسية) في معرض تحليلها حول العنف داخل الديانة الواحدة وكذلك الديانات فيما بينها لتبين هذه الدراسة أي أمة هي أكثر عنفاً وأكثر قتلاً بين الأمم.. مع العلم بأن إحصاءات القتل هي خلال المئة سنة الأخيرة أي منذ 1907 م إلى 2007 م، وهي كالتالي:

الذين قتلوا وكان المسلمون طرفاً في القتال:

- في إسرائيل عام 1948 م يهود ضد مسلمين 3000 يهودي قتل مقابل 11000 مسلم قتل.

(1) البلوتونيوم: عنصر فلزي من فصيلة المواد الإشعاعية، رقه الذري 94، وزنه الذري 239، اكتشفه سيورج عام 1940 م مع آخرين، وقد نتج البلوتونيوم من انشطار ذرة الأورانيوم، واستخدم كإداة ناسفة من صنع القنبلة الذرية الأولى، لهذا يعتبر من المواد الاستراتيجية. (القاموس السياسي، أحمد عطية الله، الصحيفة 213).

(2) التليفزيون الصهيوني، محمود يوسف الكبرا، الصحيفة 132.

- حرب السويس: يهود ضد مسلمين 80 يهودياً قتل مقابل 4000 مسلم قتل (شهيد).
- حرب الأيام الستة 1967م: يهود ضد مسلمين 750 يهودياً قتيلاً مقابل 16000 مسلم قتل (شهيد).
- حرب الاستنزاف المصرية: يهود ضد مسلمين 1000 يهودي قتل مقابل 5000 مسلم قتل (شهيد).
- حرب 1973م: يهود ضد مسلمين 2500 يهودي قتل مقابل 15000 مسلم قتل (شهيد).
- الإسرائيليون ضد الفلسطينيين الانتفاضة الثانية: 350 يهودياً مقابل 5500 مسلم.
- الحرب الأهلية اللبنانية (1970م - 1990م): مسيحيون ضد مسلمين 150000 إنسان قتل.
- إسرائيل ضد لبنان 1982م، يهود ضد مسلمين 18000 إنسان قتل.
- العراق (نظام صدام حسين) مسلم ضد مسلم -ولكن بتحريض أمريكي- 300000 إنسان قتل.
- البوسنة والهرسك غالبية القتلى من المسلمين: 175000 إنسان قتل.
- الحرب العراقية الإيرانية: مسلم ضد مسلم مليون قتل مسلم.
- الجزائر: مسيحيون ضد مسلمين مليون مسلم.
- أفغانستان: سوفيت ضد مسلمين 2 مليون مسلم.
- أحداث الحادي عشر من سبتمبر: معظم القتلى من المسيحيين 3000 قتل.
- الحرب الأمريكية على العراق وأفغانستان مسيحيون ضد مسلمين: 3300 أمريكي مسيحي مقابل مليون مسلم.
- أحداث الجزائر مسلم ضد مسلم: 60000 مسلم قتل.
- وبالتنظر التحليلي لهذه الأرقام يمكن الحصول على صورة عامة مفادها الآتي:
- إن جميع المسلمين الذين قتلوا على يد مسلمين خلال مئة سنة هو: مليون وأربعمئة ألف مسلم.
- غير المسلمين الذين قتلوا على يد مسلمين هم 25500 قتل.
- المسلمون الذين قتلوا بيد غير المسلمين 450000 قتل⁽¹⁾.

(1) موقع ابتسامة www.ibtesama.com

وبالنظر إلى تلك الإحصائيات أترك للقارئ الحكم عن مدى صحة ما قاله الكاتب السياسي اليهودي صامويل هنتنغتون عن الإسلام في كتابه صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، حيث قال:

"المسلمون يشكلون خمس سكان العالم ولكنهم في التسعينيات كانوا أكثر تورطاً في العنف ما بين الجماعات عن أي شعب في حضارة أخرى"⁽¹⁾.
وقال أيضاً: "الصراعات التي كان المسلمون طرفاً فيها كانت دائماً كثيرة الضحايا"⁽²⁾.

وقال أيضاً: "مفهوم اللاعنف غائب عن الفكر والممارسة الإسلامية"⁽³⁾.
ومما سبق يمكن لنا القول بأن أمريكا لا تريد محاربة الإرهاب بل تريد زرع الإرهاب في الدول الإسلامية وخصوصاً دول الوطن العربي من خلال تشويه صورة الإسلام لتصل إلى عوالة الوطن العربي والدول الإسلامية بنمط واحد هو الفوضى والاضطراب لتزيد من نسب الفقر والجهل والمرض والبطالة، وبالتالي تنهب ثروات هذه البلاد وبنفس الوقت تجعلها سوقاً لتصريف منتجاتها.

"وتتخذ خطط التخريب على يد الأمريكان نكهتها الخاصة ضمن السلوك الأمريكي المنفلت من الضوابط والقيم، وفي كتاب نعوم تشومسكي (501 سنة والغزو مستمر) التفاصيل الكثيرة من هذه النزعة التدميرية للأمريكان والغربيين عموماً، وهي نزعة تغذي من تراث الهمجية الرومانية، لكنها تأخذ بعدها الشامل والمقنن بالرأسمالية، ويتجه للأمريكان من هنا إلى احتواء الكوكب بسكانه وبلدانه، ليكون ولاية أمريكية، ولكن لا تتمتع بحقوق الولاية إلا من حيث خضوعها للقانون الفيدرالي"⁽⁴⁾.

(1) صدام الحضارات، صامويل هنتنغتون، الصحيفة 416.

(2) صدام الحضارات، صامويل هنتنغتون، الصحيفة 417.

(3) صدام الحضارات، صامويل هنتنغتون، الصحيفة 427.

(4) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 30.

الفصل الثالث

الآثار الثقافية

المبحث الأول: الهوية الثقافية في ظل العولمة

المبحث الثاني: أثر العولمة على المثقف

المبحث الثالث: المثاقفة

المبحث الرابع: أثر العولمة على اللغة العربية

المبحث الخامس: أثر العولمة على التربية والتعليم

المبحث السادس: العولمة والتخطيط السلبي ضد العولمة

المبحث السابع: أثر العولمة على الإعلام

المبحث الثامن: الاتجاه نحو نشر ثقافة الاستهلاك

المبحث التاسع: ثقافة الاختراق

توطئة

تعريف العولمة الثقافية ومفهومها وأهدافها

تعريف الثقافة:

لغة:

"ثَقِف - ثقفاً: صار حاذقاً فطناً - فهو ثَقِف، كجبرٌ.

ثَقَافٌ: كسحابٍ: فُطِنَ.

ثَقَّفَه تثقيفاً: سَوَّاهُ وثاقفه فَثَقَّفَه كنصره، غالبه فغلبه في الحِذْقِ"⁽¹⁾.

ثَقِف فلاناً العلمَ والصناعة: ثَقَّفاً وثقافةً: حدَّقَها.

وِثَقِف الحديث: فهمه بسرعةٍ.

والثقافة: أصل معناها الحِذْقُ والفطنة. وهي: العلوم والمعارف والفنون والآداب

وشؤون الحياة التي يُطلب الحِذْقُ فيها.

اصطلاحاً:

الثقافة: ما صنعه الإنسان في بيئته مادياً كان أو معنوياً كالمنشآت والمخترعات

والاكتشافات والأجهزة والآداب والفنون والقانون والأنظمة، وثَقِف فلاناً: أدبه وهذَّبه

وعَلَّمَه، فهو مثقف وهي مثقفة"⁽²⁾.

وتعرف الثقافة أيضاً: "هي ذلك الكل المركب من التراث بما يحوي من قيم

ورموز، وما يضاف إليه من إبداعات وإسهامات ليشكل ذلك كله طريقة للحياة، وتبلور

عندئذ الهوية القومية، ليتأكد وعي الإنسان وإحساسه بالانتماء إلى الأمة العربية"⁽³⁾.

لقد مرت الثقافة الإسلامية في عصرٍ تفاعلت فيه مع الثقافات والحضارات

الأخرى فأخذت وأعطت، وما أخذته من الثقافات اليونانية والفارسية أدخلته في سياق

فكرها ورؤيتها، كما تركت بصماتها على الغرب بعد الحروب الصليبية وكان تأثيرها على

الشعوب الغازية ملحوظاً لأنها كانت الأقوى فكراً والأشمل رؤية والأسمى فضيلة.

(1) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة ثقف، الصحيفة 1027.

(2) المعجم المدرسي، الصحيفة 168، مادة ثقف.

(3) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 94.

"والمواجهة المعاصرة بين الثقافة الإسلامية والغرب والتي ابتدأت مع بداية العصر الاستعماري أوجدت حالة من فقدان التوازن، والثقافة الإسلامية الآن تصارع وتراهن على الصمود، من خلال تمسكها بثوابتها وخصوصياتها، ومن الطبيعي أن يقع ذلك الاحتقان الداخلي وأن تتعدد المدارس في نظرتها لذلك الاصطدام بين ثقافتنا والغرب، بين المدرمة السلفية والمدرسة الاستسلامية والمدرسة التوفيقية، ومن الطبيعي أن كل مدرسة تدافع عن رؤيتها واجتهادها، حول طبيعة العلاقة بين الذاتية والعالمية، وما زالت مجالس الحوار عامرة برواد هذه المدارس، وليس هناك تناقض بين الذاتية والعالمية، فالذاتية هي تعبير عن خصوصية، والعالمية إطار التعاون"⁽¹⁾.

قد أدت العولمة بسبب هيمنة الثقافة الغربية عن طريق وسائل إعلامها، إلى وضع "الثقافة العربية في حالة من العزلة حيث توقفت عن النمو، في ظل وضعية مضطربة جاءت كنتيجة لاحتكاكها مع ثقافة الغرب، وعجزها عن مجاراة هذه الثقافة المتطورة علمياً وتقنياً، كنتيجة لعملية تحديث تمت من داخل الثقافة ذاتها"⁽²⁾.

وربط بعض الباحثين مصير الثقافة بمصير الدولة التي تعيش تحت رعايتها وبالتالي قوة الثقافة من قوة الدولة، حيث وصل بعضهم إلى خلاصة تتمثل "انهيار السيادة الثقافية التي تنتمي إلى كيان الدولة الوطنية وسيادتها إذ إنه هو الوعاء الجغرافي السياسي الذي تنعماً فيه ثقافة مجتمع ما فتصير ثقافة وطنية، ولا ينبغي أن يفهم من ذلك بالضرورة أن الدولة تخلق الثقافة الوطنية بل هي تساعد على ذلك متى أمكنها أن تحيط الحياة الثقافية والنظام الثقافي بأسباب الحماية والتحقق الطبيعي والتجدد"⁽³⁾.

ويلخص الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه قضايا في الفكر المعاصر حالة الثقافة الإسلامية في عصرنا الراهن بـ"إيلي، حيث قال: "في الخمسينات والستينات وما قبلها، وهي المرحلة التي تريد العولمة ودعاتها إقصاءها وإعدامها، كانت الثقافة ثقافتين: ثقافة استعمارية امبريالية، وثقافة وطنية تحررية. أما اليوم فالتصنيف الذي يريد تكريسه

(1) الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، الصحيفة 97.

(2) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 105.

(3) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 106.

الواقعون تحت تأثير إيديولوجيا العولمة هو ذلك الذي يجعل الثقافة صنفين: ثقافة الانفتاح والتجديد، وثقافة الانكماش والجمود، ولو سموا الأشياء بأسمائها لقالوا: ثقافة التبعية، والثقافة الوطنية".

أهداف العولمة على الثقافات الإسلامية:

والعولمة الثقافية عند استخدام هذا اللفظ وتنزيل مفهومه على العالم الإسلامي فإنه يقصد منه التدخل المباشر في الثقافات الإسلامية وخصوصياتها وذلك لتحقيق أهداف خطيرة من أهمها:

- 1 - تشويه الثقافات الذاتية التاريخية للأمة الإسلامية.
- 2 - بث الشبهات في أساسات تلك الثقافات من خلال التشكيك في مرجعياتها الأصلية (الكتاب والسنة)، ويتضمن ذلك دعم وتشجيع الفئات الطائفية التي تتبنى في أصل عقيدتها ذلك النوع من التشكيك.
- 3 - إضفاء ألوان من القدسية الثقافية على الكتاب الذين يختطون ذلك المنهج، سواء باسم الأدب أو الفن أو السياسة أو الاقتصاد أو التربية.. إذ تمنح هؤلاء الجوائز العالمية، كجائزة نوبل التي مُنحت لنجيب محفوظ⁽¹⁾، وجائزة الأدب التي مُنحت لأدونيس في مطلع 2004م.
- 4 - إقحام المرأة في كل المجالات دون استثناء، يقصد استغلالها باسم الثقافة والفن لتكون أداة ميدانية لتطويع الشعوب الإسلامية للهجمة الثقافية الغربية، ويتجسد ذلك أكثر ما يتجسد ببناء ما يسمى بثقافة الجنس والتي تتضمن استغلال صورة المرأة، والحديث عن جسدها، وإبراز مفاتنها، سواء في الكتب أو الصحافة أو المجلات أو التلفزيون، ويدخل ضمن هذا الهدف إلهاء المرأة المسلمة بأمور خارج منزلها بغية عزلها عن هدفها الأساس وهو تربية الأجيال.
- 5 - تغليب المنتج الثقافي العلماني والليبرالي والقومي على المقابل الإسلامي، ليكون ذلك المنتج هو الصبغة العامة المؤثرة في ثقافة الشعوب.

(1) نجيب محفوظ: روائي مصري، ولد في القاهرة عام 1911م، أعماله كثيرة، ومنها (قصر الشوق، واللص والكلاب، أولاد حارتنا) تحلل الحياة المصرية في عمقها الاجتماعي - السياسي، نال جائزة نوبل للآداب 1988. (ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 628).

- 6- تغيير المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية، وذلك باستغلال ما بقي منها من آثار ضعيفة تذكر الطالب المسلم بدينه وتاريخه.
- 7- الاستحواذ على الطاقة المعرفية في العالم الإسلامي بربطها بالثقافة العلمانية وذلك لتحقيق غايتين: الأولى حرمان المجتمع المسلم من تلك الطاقات، والثانية: استغلالها في المساهمة في بناء الكيان الحضاري الغربي.
- 8- إدخال العالم الإسلامي في بوتقة الحركة الثقافية العالمية، بما تتضمنه من مفهومات مصطلحية ذات طابع جماهيري كالديمقراطية، أو طابع عقدي كالعلمانية، أو طابع انعتاق كالليبرالية، أو طابع انتماهي كالوطنية والقومية⁽¹⁾.
- عند الحديث عن أثر العولمة على الثقافة الإسلامية لابد من التأكيد على النقاط التالية:

- 1 - الهوية الثقافية في ظل العولمة.
- 2 - العولمة واللغة العربية.
- 3 - أثر العولمة على المثقف.
- 4 - المثاقفة.
- 5 - أثر العولمة على الإعلام.

(1) الإسلام والعولمة، د. سامي صالح الدلال، الصحيفة 64.

المبحث الأول

الهوية الثقافية في ظل العولمة

لقد أصبحت علاقة الهوية بالعولمة مثار اهتمام وتساؤلات في الأوساط الفكرية والثقافية، ولعل مرجع ذلك الخطر الداهم والسريع الذي تواجهه الهويات أمام زحف تيار العولمة، حيث إنها تصدم الهوية وقادرة على إحداث حالة من الإرباك في داخلها من خلال المساس بمنظومة القيم⁽¹⁾.

تعريف الهوية:

إن التحدي الأكبر الذي يواجه هذه الأمة ويهدد وجودها، بسبب الإعلام الغربي المرئي والمسموع والمكتوب وبالإضافة إلى الغزو الثقافي الذي يستهدف تفكيك هذا المجتمع والتشكيك في قيمه وأخلاقه، هو تحدي الهوية والانتماء.

يقصد الهوية الثقافية المميزات التي تميز وتخص حياة مجتمع بعينه، وترتبط بالماضي والمستقبل. وهوية المجتمع ليست استاتيكية⁽²⁾ ثابتة، وليست ديناميكية⁽³⁾ بالمعنى التام، بل هي تتطور وتتغير بتطور حياة المجتمع بحيث يحافظ المجتمع على خصوصياته التي تكون دائماً مبعثاً للفخر والاعتزاز بالانتماء.

وقد عرفها بعض الباحثين بأنها: "مجموع السمات الثقافية التي تسيطر خلال مدة تاريخية طويلة الأمد، وتميز مجموعة بشرية عن سواها، وهي نتيجة أوضاع وشروط اجتماعية وتاريخية إلى معطى تاريخي متحرك وليست معطى ثابتاً وقلبياً، ولا يعترها الطابع السكوني إلا في المجتمعات الراكدة. ونستفيد مما سلف أنها تكون قابلة للتحوّل مع الثقافات الأخرى بحيث تؤثر وتتأثر، تفيد وتستفيد مع شرط المحافظة على جوهرها وأصالتها"⁽⁴⁾.

- والهوية الثقافية لأي شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، هي ذلك القدر الثابت والجوهري المشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن

(1) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 122.

(2) استاتيكية static: راكن أو ساكن أو سكوني (www.almaany.com).

(3) ديناميكية dynamic: متحرك ونشط (www.almaany.com).

(4) الإعلام والعولمة والهوية المؤثر والتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 34.

غيرها من الحضارات، أو هذا الشعب من الشعوب عن غيره والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعاً تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى. وللهوية ثلاثة أركان رئيسية هي: العقيدة، واللغة، والتراث الثقافي⁽¹⁾.

"والهوية كلمة مولدة مشتقة من الـ(هو) أي فعل الكينونة وتعني الوجود، واستخدمها الفلاسفة كمصطلح يدل على الخصوصية، وهوية الشيء خصوصيته ووجوده المتفرد، والهوية ما يكون به الشيء وما يميزه من غيره"⁽²⁾.

إذا عرفنا المفهوم اللغوي لكلمة (هوية) أو استندنا إلى المفهوم الفلسفي الحديث كما تقول المصادر، فإن المعنى العام للكلمة، لا يتغير مطلقاً وهو يشمل الامتياز والتفرد عن الغير والمطابقة التامة للنفس أي خصوصية الذات، وما يتميز أو يتفرد به الفرد أو المجتمع عن الغير من خصائص ومميزات، ومن قيم ومقومات، إذاً تعني الهوية، هي كل ما يشخص أو يصف الذات ويميزها. فالهوية في الأساس تعني، التفرد والتميز والاختلاف، والهوية هي السمة الجوهرية والأساسية العامة لثقافة من الثقافات⁽³⁾.

وتعرف الهوية الإسلامية بما يلي: "تفرد الشخصية العربية الإسلامية بمجموعة من الصفات والخصائص والمميزات التي تميزها من باقي الهويات الأخرى والتي تتضمن اللغة والدين والعادات والتقاليد والأعراف والقيم الأخلاقية والتي اصطبغت بصيغة ديانة الإسلام وعرقية العروبة منذ زمن بعيد"⁽⁴⁾.

"إن مشكلة هويتنا الثقافية ليست في اكتساح العولمة والأمركة على ما نظن ونترهم، بل في عجز أهلها عن إعادة انتصارها وتشكيلها في سياق الأحداث والمجريات، أو في ظل الفتوحات التقنية والتحويلات التاريخية، أي عجزهم عن عولمة هويتهم وأعلمة اجتماعهم وحوسبة اقتصادهم وعقلنة سياساتهم وكونة فكرهم ومعارفهم"⁽⁵⁾.

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، د. عابدين الشريف، الصحيفة 54.

(2) الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، الصحيفة 94.

(3) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، د. عابدين الشريف، الصحيفة 34.

(4) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، د. عابدين الشريف، الصحيفة 51.

(5) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغشي، الصحيفة 125. (معلومات الكتاب موجودة في الصحيفة 9).

"ويسعى الغرب اليوم إلى تذويب الانتماءات والخصوصيات الإسلامية، وصياغة نموذج غربي يجسد قيم الغرب وعلى أمتنا أن تختار، فإما الهوية بجميع مكوناتها الثقافية والذهنية، وإما الانصهار في نموذج غربي سرعان ما يرفضه جسد هذه الأمة"⁽¹⁾.

إن الغرب لا يحاول ضمّ الثقافة الإسلامية إلى ثقافته ولا يقبل أحداً من أبناء الهوية الإسلامية كغربيين حتى ولو كانوا غربي الأصل، حيث يجب أن نأخذ في عين الاعتبار أن الأوروبيين يرون فئة المسلمين كثفة عرقية جديدة لثلاثة أسباب:

"أ- كل شخص من أصول إسلامية يفترض أن يشارك في الحضارة الإسلامية نفسها، أيّا تكن ثقافته الأصلية الفعلية (تركية أو عربية أو بوسنية)، أي إن الدين يعتبر مكوناً أساسياً لتلك الثقافات، وهو مكون يمكن عزله واعتباره ثقافةً بحد ذاته.

ب- تنسب هذه الثقافة إلى الشخص أيّاً يكن إيمانه (وقد نتحدث عن المسلمين الملحدّين) وهي غير مرتبطة بالتدين.

ج- يكون مجموع تلك السمات هويةً للمجموعة ويفرق إذ ذاك المسلمين عن الآخرين، بيد أن الآخرين في هذه الحالة هم الفرنسيون الأصليون وليس المسيحيين المؤمنين"⁽²⁾.

هناك نمطان لفهم قضية الهوية، فهم ذاتوي وفهم موضوعي:

"فهم ذاتوي لفهوم الهوية قد أفرز موقفين متكاملين إزاءها: موقف صادر عن البلدان التي طورت ثقافتها وأعطتها صبغة عالمية وكونية وقد يتمظهر هذا الموقف في إرادة الهيمنة والاستغلال والتمركز اقتصاداً وسياسةً وثقافة، وموقف صادر عن الثقافات الأخرى العرقية التي كثيراً ما تأخذ صبغة الدفاع عن الذات فتتنظم نفسها للصمود. ولعل صموئيل هنتنغتون في كتابه حول صدام الحضارات يعني بتأكيد على هذه الصراعات أن الهويات لا يمكن أن تأخذ غير هذه الصبغة التوتيرية وأن محرك التاريخ يكمن في صراع الهويات.

(1) الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، الصحيفة 94. (معلومات الكتاب في الصحيفة 60).

(2) عولة الإسلام، أوليفيه روا، ترجمة لارا معلوف، الطبعة الأولى، 2003، دار الساقي، بيروت، لبنان، الصحيفة 70.

والفهم الموضوعي لهذه الإشكالية يحاول إقرار تناظر وتناسق بين الهوية والعقل في صبغته المفتوحة والكونية في الآن نفسه، وهو فهم يأخذ بعين الاعتبار ثوابت الوجود ومتغيرات ويفتح الوجود على الحياة بتغييراتها ومفاجأتها ونضالها وتوتراتها⁽¹⁾.

إن رحلة المحافظة على الذات في زمن العولمة تحتاج إلى سلاحين: سلاح الانتماء والهوية، وسلاح العلم والمعرفة، "فسلاح الهوية يحمينا من أخطار الذوبان والضياع والتهيه، وسلاح العلم والمعرفة يحمينا من أخطار التخلف والجمود، وهنا يجب التأكيد على أمر هام، هو أن العلم هو الطريق الوحيد للمعرفة والمعرفة هي الطريق الوحيد للتنمية، والتنمية الحقة هي طريق التقدم، ولا يمكن أن نحقق أي تقدم في مسيرتنا في غياب استراتيجية سليمة للتنمية المعرفية والاقتصادية والاجتماعية"⁽²⁾.

لقد استطاع الاستعمار الفرنسي أن يفرض هويته الثقافية على بلاد المغرب العربي الثلاثة (الجزائر وتونس والمغرب) حتى يومنا الحاضر، حيث يتفق الباحثون أن الاستعمار الفرنسي أعطى أهمية أكبر من الاستعمار الانجليزي بالنسبة للاستعمار الثقافي، وذلك أن دول المغرب الثلاث تشكو أكثر من نظيراتها بالشرق العربي من أعراض التبعية الثقافية للمجتمع الفرنسي منذ استقلالها.. "فأخطار عولمة الامبريالية الثقافية المعاصرة سواء كانت أمريكية أو انجليزية أو فرنسية، ليست بالخطاب الإيديولوجي الذي تسعى للترويج إليه المجتمعات النامية. فالانتشار الواسع لاستعمال اللغة الانجليزية (الأمريكية) أو الفرنسية في مجتمعات إفريقيا وآسيا بدل استعمال اللغات الوطنية والمحلية لهذه الشعوب لا يمثل فقط تفقيراً لتلك اللهجات واللغات، وإنما ينطوي أيضاً على أن الجهاد من أجل الفوز بالاستقلال اللغوي والثقافي لن يكون أمراً هيناً، وذلك يعني نهاية الأمر أن عمر التبعية الثقافية، متى تجذرت الرموز الثقافية للآخر بالمجتمع التابع، ليس بقصير"⁽³⁾.

(1) الحداثة وما بعد الحداثة، فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري، دار الفكر، 2003، دمشق، الصحيفة 200.

(2) الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، الصحيفة 95.

(3) التخلف الآخر عولمة أزمة الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث، محمود الذواودي، الطبعة الأولى 2002م، الأطلسية للنشر، الصحيفة 46.

وأخيراً إن العولمة التي تنبثق من الحداثة المادية، تحتوي على مخاطر عديدة تتهدد الهوية والثقافة الوطنيتين في آن واحد مما يؤكد ضرورة تقوية العلاقة بين الهوية والثقافة لأن الحفاظ على الهوية والثقافة وقاية من السقوط الحضاري وصيانة للذات وتعزيزاً للمقدرات التي يمكن التصدي بها لضغوط التحديات مهما تكن⁽¹⁾.

(1) العالم الإسلامي في عصر العولمة، عبد العزيز بن عثمان التويجري، الصحيفة 58، (بتصرف).

المبحث الثاني

أثر العولمة على المثقف

المثقف هو: "ذلك الشخص القادر على فهم حركة المجتمع من حوله، أو الذي يحاول فهم هذه الحركة، ومن ثم اتخاذ موقف فكري أو ذهني منها قد يكون أساساً لبناء مشروع حول طبيعة هذه الحركة ومستقبلها"⁽¹⁾.

لقد اختلف الباحثون وتعددت آراؤهم حول مدى تأثير العولمة على المثقف بشكل عام والثقافة الإسلامية بشكل خاص فمثلاً يذهب الدكتور عابد الجبري: "أن العولمة لا تمثل خطراً لمستقبل الثقافة الإسلامية وذلك لأن الثقافة في كل بلد مرتبط بما يفعله أهلها، والثقافة لا تصنع مصيرها بنفسها بل أهلها هم الذين يصنعون هذا المصير، وهم الذين ينشرونها ويعمقونها ويعمونها، فالأمر متوقف على المسلمين وعلى العرب دولاً وأفراداً، ومثقفين، بطبيعة الحال هناك مشاكل على صعيد التعليم، وهناك آفاق مغلقة أمام الشباب ومع ذلك فليس هذا هو نهاية العالم"⁽²⁾. ويذكر أيضاً بأن هناك نخبة من الشباب في زمننا الحاضر تتكون أوسع وأعمق من النخب الماضية.

وبناء على ما سبق أقول: إن الثقافة العربية الإسلامية، كما أي ثقافة، تعتمد أولاً وأخيراً على أبناء هذه الثقافة، وبالتالي العولمة ليس لها تأثير على الثقافة مباشرة، بل التأثير يكون من قبل أبنائها، إذن لمعرفة واقع الثقافة الإسلامية لابد من معرفة حال أبنائها وخصوصاً المثقفين.

و"علينا أن نعترف أن الانتماء الديني للمسلمين قد تعرّض في فترة من الفترات إلى التجاهل، فانبهر بعض الناس بالثقافات الأخرى، ولذا أضحي من الثقافة أن يقرأ المرء الإنتاج الفكري والأدبي الأوروبي، ويتبع المفكرين الأوروبيين على أنهم أعلام العصر. بل إن هناك من دعا إلى تبني الثقافة الأوروبية،... وترددت أقوال تدعو إلى تمجيد الثقافة الأوروبية، وصلاحياتها لكل زمان ومكان، بينما تبقى الثقافات الماضية ومنها الإسلامية، ثقافة تاريخية ماضوية نسبية، صلحت في زمان مضى، وفي مكان محدد، ولم تعد كذلك بعد ذلك"⁽³⁾.

(1) الثقافة العربية في عصر العولمة، تركي الحمد، دار الساقي، الطبعة الأولى، 1999م، بيروت لبنان، الصحيفة 163.

(2) الإسلام والعولمة، محمد إبراهيم مبروك، الدار القومية العربية، الصحيفة 30.

(3) فكر الانتفاء في زمن العولمة، علي بن إبراهيم النملة، دار العبيكان، الطبعة الأولى، 2006م-1427هـ الرياض، الصحيفة 37.

الأفكار التي حاول النظام العالمي عوالة الثقافة الإسلامية بها:

وهذا لم يأت من فراغ بل حاول النظام العالمي الجديد بعوالة ثقافة الأمة الإسلامية عن طريق وسائل الإعلام واستضافة أرباب العقول واحتضانهم وبالتالي بث عدة أفكار في ثقافات أولئك المثقفين أذكر منها:

"ثقافة عدم الفصل والتفريق بين جنس الرجل وجنس المرأة، حتى في الظهور الجسدي والعلاقات المفتوحة بين الجنسين.

- ثقافة فن الرقص والغناء والموسيقا، واعتماد المفاتن البشرية الأنثوية منها خاصة، فهي عناصر جمالية يجب إبرازها، وتوظيفها لخدمة ثقافة النظام العالمي الجديد وأهدافه.

- ثقافة الفصل بين الدين وأنظمة الحياة المختلفة، لئلا يشكل الدين عائقاً أمام التغيير والتطوير للأنظمة، والأعراف في المجتمع.

- ثقافة الإبهام العلمي والتقني، واتخاذ التطور في هذين المجالين دليلاً على صحة التوجه في مجال العلاقات السياسية والإنسانية والاقتصادية والإدارية وغيرها.

- ثقافة تغييب أحكام الشريعة الإسلامية بنشر ثقافة الغرب.

- ثقافة التشكيك في قدرة العلوم الإسلامية والفقه الإسلامي على حلّ مشكلات العصر في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

- ثقافة التشكيك في مصادر الفقه الإسلامي عموماً وعدم مواكبتها للعصر"⁽¹⁾.

فالعوالة غيرت من معنى المثقف ونوع الثقافة التي يتشقف بها، "فالمثقف في عيون كثير من المثقفين هو الذي عادة ما يخرج عن انتهاءاته الدينية والعرقية والذاتية والوطنية، ليكون رسولاً لثقافة أخرى ووطن آخر، وغيره من المتممين ليسوا مثقفين، فإن كانوا متدينين فهم متطرفون، وإن كانوا عرقيين فهم عنصريون، وإن كانوا تراثيين فهم رجعيون، وإن كانوا وطنيين فهم إقليميون محليون"⁽²⁾.

وقد لوحظ في السنوات الأخيرة أن هناك انفصاماً ملحوظاً بين ثقافة النخبة وثقافة الجماهير العربية نتيجة شيوع الأمية، ويمكن القول إنه يوجد حلقة ضيقة بين المثقفين تكاد تتخاطب مع نفسها وبذات الوقت توجد دائرة واسعة من الأميين لا يقرؤون

(1) العوالة وأثرها في الثقافة الإسلامية، أعمال الملتقى الدولي للجزائر، الصحيفة 270-271.

(2) فكر الانتماء في زمن العوالة، علي بن إبراهيم النملة. الصحيفة 38.

ولا يكتبون، أي يخضعون فقط لعمليات تزييف الوعي التي تمارسها وسائل الإعلام، ومن هنا فالعقل الشعبي العربي يتشكل بعيداً عن تأثير النخبة المثقفة والتي عجزت لأسباب سياسية واجتماعية وثقافية عن أن تمد جسورها إلى الجماهير.

وهناك أسباب أخرى تحد من دور المثقف: "وهي إشكالية نقص الوعي التي تنتاب بعض المثقفين العرب إزاء بعض القضايا المصرية للبلدان العربية، ويظهر ذلك جلياً في أن المثقف العربي اليوم تنقصه المعلومات في كثير من القضايا الثقافية أو السياسية،... ونقص المعلومات يعني تشوهاً خطيراً في التكوين الثقافي من حيث تحديد الرؤية واتخاذ الموقف،... أما الآن فإن نقص المعلومات مع تفجر المادة الخام لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات تحدث تشوهاً أكثر من ذي قبل لدى المثقف، خاصة أن هذه المعلومات تكيف حسب ما يراد لها، وتستخدم وسائل ما زلنا متخلفين عنها"⁽¹⁾.

ومن الأسباب أيضاً التي تحد من دور المثقف: هي علاقة المثقف بالمجتمع، "فهي علاقة بنوية أي علاقة بين البنية الثقافية والبنية الاجتماعية، ولا يمكن حصرها في علاقة بين فرد وكيان جمعي، فهي علاقة مركبة ومتداخلة ومتفاعلة بين إنتاج الأفكار والرموز وبين البيئة الاجتماعية. ولكن ثمة خلل في هذه العلاقة البنوية بين المثقف والمجتمع،... حيث إن عجز المثقف العربي من إيجاد لغة اتصال بالمواطن العادي، فرض عليه نوعاً من العزلة، وبذلك غدا منعزلاً عن واقعه أو متقوقعاً داخل ذاته يجتر ثقافته السلفية أو يترجم ثقافة غيره، أو يخلق في تصورات طوباوية ليست متجذرة في مجتمعه، ومن ثم فمن المتوقع ألا تتحول الثقافة في المجتمع العربي إلى جزء عضوي من الحياة الاجتماعية بحيث يمكنها من التفاعل مع المشكلات اليومية للأحداث والقضايا، ما يمكن أن يخلق تلاحماً أساسياً بين الفكر والواقع بين النظرية والتطبيق، وقد ينأى المثقف العربي بنفسه عن تناول القضايا المجتمعية تحت ستار التأكيد على الموضوعية والابتعاد عن الانحياز الأيديولوجي، وهذا مبرر محصلته النهائية مثقف بلا دور"⁽²⁾.

ومن الأسباب التي تحد من دور المثقف أيضاً: "عدم توفر المناخ الملائم للفكر وللإنتاج الفكري بسبب غياب حرية الفكر المسؤولة والحرية عموماً في البلدان العربية على مختلف الأصعدة، إذ ثمة حالات لا يسمح للمثقف فيها التعبير عن نفسه بأية وسيلة،

(1) مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة، نجاح قدور، الصحيفة 76.

(2) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 153.

وفي حالات أخرى يلاحق أو يعاقب إذا تجرأ وتصدى للمنع، ولكن هذا المنع الذي تقوم به الحكومة في الدرجة الأولى غير مقصور عليها، فهو قائم في المجتمع بشكل عام، في الشارع وفي المصنع وفي المجتمع وغيرها، وبعضنا لبعض عند التفرد الفكري، بالإضافة إلى ضعف المؤسسات التي يفترض أن ترعى البحث العلمي وتشجع المثقف وتضمن نشر إنتاجه وتوزيعه وتعميمه، وتقوم بحماية المثقف وفكره معاً إذا تعرض أي منها للملاحقات والخطر، مثل هذه المؤسسات ضعيفة إلى حد العجز ذاته وتحت ضغوط مستمرة من القوى الكابحة⁽¹⁾. بالإضافة إلى أن بعض الجهات التي لها مصالح معينة دفعت أموالاً بسخاء على بعض المثقفين، ضعاف النفوس، ليستخدم قلمهم خدمة لمصالحهم، وبالتالي حرم المجتمع العربي من دور مهم للمثقف الذي يتمتع بمصداقية.

فالمثقف هو المنتج للأفكار والمستهلك لها وهو أداة التعريف بها، وبالتالي يجب أن يتميز المثقف بخصوصية تفاعله مع مجتمعه، والتزامه بقضايا الوطن والإنسانية، دون أن يكون عليه أي مؤثرات خارجية ويمتهد المصداقية، "ومن هذا المنطلق يصبح المثقف أداة التغيير والتأصيل والتصحيح، ويتمثل دوره في التنوير عن طريق التعريف بمعايير الحق والفضيلة في الأفكار والمواقف ولذلك يمتحن المثقف، لأنه يوصف بالتمرد على التقاليد والقيم السائدة، وسبب محتته أن ثقافته تفرض عليه أن يقوم بمهمة التغيير والتصحيح، وارتبطت حياة أعلام الثقافة في تاريخنا بالمحن والنكبات، بسبب تشويه أفكارهم، لأن مهمة المثقف تتمثل في التوعية وإبراز السلبيات وتصحيح الفاسد من الأفكار والعادات، والمثقف الناجح هو القادر على إحداث الوعي المطلوب في مجتمعه في التطلع إلى الأفضل"⁽²⁾.

(1) مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة، نجاح قدور، الصحيفة 68.

(2) الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، الصحيفة 96.

المبحث الثالث

المثاقفة

يتحدثون عن المثاقفة، على صيغة مفاعلة، وهي "فعل مشترك، يتم بين طرفين فأكثر، ويكون في هذا الفعل أخذ وعطاء، أي يكون هناك تأثير وتأثير"⁽¹⁾.

إن العجز في مجال اللغة، والتراجع الحضاري في المجتمعات الإسلامية في الدول العربية والتي تصنف بأنها دول نامية، ويضاف إلى ذلك ضعف تمكّن الدين في النفوس لدى أولئك الطلاب الذين يهاجرون إلى المجتمعات الغربية (أي الدول المتقدمة) كل ذلك أدى إلى ضعف أو حتى عدم تأثير الثقافة الإسلامية في المجتمعات الغربية، حيث انعدمت صفة التبادل والتشارك بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وبالتالي انعدم مفهوم المثاقفة بين أبناء الحضارتين.

وقد أشار إلى ذلك المؤلف الفرنسي موريس موكاي في كتابه المشهور: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، إذ أكد على إمكانية تأثير الطلبة المسلمين الدارسين في تلك المجتمعات، حيث يقول: "إنّ التحدّث حالياً في الغرب عن الله في الأوساط العلمية يعتبر فعلاً علامة الرغبة في التفرد. ولهذا الموقف تأثيره السيئ على العقول الشابة والمسلمة منها أيضاً، والتي تتلقّى تعليمنا الجامعي"⁽²⁾.

ولابد من القول إن البعثات الدراسية إلى الخارج قد يسّرت عملية اندماج المسلم في الحضارة الغربية، وبالتالي اكتسب شيئاً من أساليب الحياة الغربية، ومن الاتجاه الغربي في التفكير والعلم والسلوك، وربما لا أخطئ إذا قلت أنه اكتسب الشيء الكثير. ومما سبق نصل إلى أن "المثاقفة بمفهوم صياغة الفعل، القائمة على الأخذ والعطاء، والتأثير والتأثر، لم تعد مثاقفة، وإنما قد يصدق عليها موضوعياً التقف، أو التأثر، أو الأخذ من طرف واحد فقط"⁽³⁾.

(1) فكر الانتهاء في زمن العولمة، علي بن إبراهيم النملة، الصحيفة 41.

(2) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس موكاي، دار الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1991م، الصحيفة 141.

(3) فكر الانتهاء في زمن العولمة، علي بن إبراهيم النملة، الصحيفة 44.

وتبرز مزايا الثقاف، أو الثقافية، وأهميته من خلال دراسة الحضارات والثقافات المختلفة، فالثقاف هو الحل الأمثل الذي يكمن في التواصل بين الثقافات المتعددة.

مزايا الثقاف:

1- إذا اعتبرنا أن الثقافية هي لقاء وتواصل بين كل الثقافات بدون استثناء، فإن الثقافية لا تستوعب ولا تلغي الأقليات الثقافية، بل تضمن لها وجودها وحرّياتها ومكانتها.

2- إذا اعتبرنا الثقافية هي ترتيب لتجاوز إيجابي بين البشر، فإنها لا تلغي الاختلافات والصراع والتصادم بين الحضارات فواقعيتها تفرض عليها أن تعطي لكل ذلك دوره في تطوير المجتمعات، ولكن مهمتها الأولى تصبح من خلال التواصل والتجاوز، تخفيف التوتر، والتقليل من المتميزات الثقافية.

3- وإذا اعتبرنا أن الثقافية هي إقرار للغيرية، فإنها سوف تلغي في مستوى المبادئ على الأقل إمكانية التباهي بفكر الهيمنة وبالمركزية واعتبار البعض منها وكأنها متوحشة فمزية الثقاف تكمن في جمع مزايا النظرية اللاستيغابية ومزايا النظرية الصدامية، مع التأكيد على إمكانية التسالم الحقيقي بين البشر ورفض الحرب والهيمنة وكل أسباب الانتهاكات الثقافية⁽¹⁾.

وهناك ثمة فارق بين العولة والمثاقفة: فالمثاقفة انفتاح وتواصل حضاري متكافئ يخدم الثقافات ويوطدها ويطورها دون أن يلغي خصوصياتها وهي بالتالي لا تعني الانغلاق وعبادة الذات وتقديسها، بل الانفتاح المتوازن الواعي المدرك لتطورات التاريخ وضروراته وطبيعة التجديد المتواصل دون الانخلاع من الجذور الحضارية، فالمثاقفة هي الرغبة في الأخذ والعطاء والتعارف والحوار، وبين العولة التي هي إرادة اختراق الآخر وسلبه خصوصيته، وبالتالي نفيه من العالم، أي أن المثاقفة هي إغناء للهوية الثقافية، بينما العولة هي اختراق وتجميع لها⁽²⁾.

(1) الحدائنة وما بعد الحدائنة، فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري، الصحيفة 255.

(2) ربيع العصر العولة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 51.

المبحث الرابع

أثر العولمة على اللغة العربية

توصف العولمة الثقافية بأنها من أكثر جوانب العولمة خطورةً وتعقيداً وإن عنصر اللغة هو إحدى أركانها الرئيسية، حيث "تعد اللغة من أبرز خصوصيات الثقافة ومقومات الهوية الثقافية لأي شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، فاللغة العربية مثلاً تعد هي الميزة الأبرز لأبناء الأمة العربية وللثقافة العربية الإسلامية على حد سواء، واللغة كما هو مؤكد، تمثل أحد عناصر أو عوامل الوحدة أو أهمها على الإطلاق، وكذلك يعد الدين مقوماً رئيساً من مقومات الثقافة وأحد عناصر قوتها، فعندما انتشر الدين الإسلامي على سبيل المثال في مناطق متفرقة ومختلفة ومتعددة من العالم نشر أيضاً الأخلاق الإسلامية والعادات واللغة واستطاعت الحضارة الإسلامية أن تبني علومها ومعارفها آنذاك بفضل قوة الثقافة العربية الإسلامية"⁽¹⁾. وهنا تكمن أهمية اللغة العربية.

"تسعى الدول الكبرى إلى نشر لغاتها عالمياً بشتى الأشكال، نتيجة لسياسات القوى في العالم وما ارتبط بها من حركات استعمارية أدت إلى نشر لغة المستعمر في أوساط الشعوب المستعمرة، لتصبح هذه اللغات من أكثر اللغات انتشاراً في العالم، ورغم انحسار الاستعمار خلال النصف الثاني من القرن العشرين نرى استمرار التراث الاستعماري في الدول المستقلة، وبقاء لغة المستعمر السابق في الدول المستقلة، كضرورة للاستفادة من القدر العلمي والتقني والثقافي في تلك الدول التي تتحدث بتلك اللغات كلفة أم، واندفاع أبناء الشعوب الأخرى لتعلم لغات الدول الكبرى الأكثر تقدماً في العالم لاستخدامها في الدراسة والإطلاع والبحث العلمي، والتعامل مع وسائل الاتصال المتقدمة والحديثة، وفي العلاقات الدولية والتفاهم بين الشعوب، والتبادل الإعلامي الدولي"⁽²⁾.

ومن المعلوم أن الثقافات المحلية تضعف مع نمو الثقافة العالمية، وبالتالي فإن اللغة المحلية ستضعف وربما تختفي أمام اللغات العالمية "ويوجد الآن على سبيل المثال عدة آلاف من اللغات يتوقع أن يختفي 90٪ منها خلال القرن الحادي والعشرين، بحيث

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 34.

(2) العولمة والتبادل الإعلامي الدولي، د. صابر فلهوط ومحمد بخاري، الصحيفة 60.

لا يبقى سوى ما يتراوح بين 250 و 600 لغة، ويترتب على هذا أيضاً سيادة اللغة الإنكليزية كلغة عالمية⁽¹⁾.

وذكر في بعض الدراسات "أن لغة المرء هي أيسر وأكفأ أداة لنقل المعرفة إليه، وأن تلقي العلم بلغة أخرى غير لغته الأم يحد من قدرة الطلاب على الاستيعاب ومن ثم قدرتهم على الابتكار والإبداع" ولهذا تعرض بعض الدول على أن تتم دراسة العلوم بلغتها الوطنية وعلى سبيل المثال: تقوم اليابان، وكوريا، والدانمارك، والسويد، والتشيك⁽²⁾، واليونان، واليابان، وإندونيسيا، وكمبوديا، وحتى الكيان الصهيوني؛ بتدريس الطب بلغتها الوطنية⁽³⁾.

وقد قام اثنان من أساتذة كلية الهندسة بجامعة القاهرة بدراسة أكاديمية لأداء الطلاب الجامعيين ذوي الخلفيات التعليمية المختلفة، ومن بين هذه الفئات فئة الطلاب القادمين من المدارس الحكومية العادية، وفئة الطلاب القادمين من مدارس اللغات الخاصة، وحلة الشهادات الأجنبية وغيره، "وأسفرت الدراسة على مدى خمس سنوات دراسية أن أعلى معدلات التفوق والنجاح كانت بين الطلاب القادمين من المدارس الحكومية إذ كانت نسبة النجاح بينهم 91,1% يليهم في الترتيب طلاب مدارس اللغات المصرية بنسبة 86,5%، ولم تزد نسبة النجاح بين طلاب المدارس الأجنبية عن 36,5%"⁽⁴⁾.

(1) التربية والتعليم في الوطن العربي، عبد العزيز بن عبد الله السنبلي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2004م، الصحيفة 34. وتشير بعض الدراسات إلى أن عدد اللهجات المحكية في العالم اليوم يقدر عددها ما بين خمسة آلاف وسبعة آلاف، بينها أربعة آلاف إلى خمسة آلاف لشعوب أصلية، إلا أن هناك أكثر من 2500 لغة مهددة بالاندثار وبالاختفاء فوراً، وكثير منها سيفقد تلقائياً صلاته مع الطبيعة. ويقول الخبراء في هذا المجال أن 234 لغة أصلية معاصرة قد اختفت كلياً وحذروا من أن 90% من اللغات التي تتحدث بها الشعوب في دول العالم سوف تختفي خلال القرن الحادي والعشرين. (الإعلام والعولة والهوية بين المؤثر والمتأثر، الصحيفة 176).

(2) جمهورية التشيك: تقع في قارة أوروبا، مساحتها: 68866 كم، عدد سكانها: 10267000 نسمة، عاصمتها: براغ، اللغة تشيكية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 89).

(3) الآثار السلبية للعمولة على لوطن العربي وسبل مواجهتها، عبد الرشيد الحافظ، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى 2005م، الصحيفة 104.

(4) الآثار السلبية للعمولة على لوطن العربي وسبل مواجهتها، عبد الرشيد الحافظ، الصحيفة 105.

وهذا لا يعني أن الإسلام يحرم تعلم اللغات الأخرى غير اللغة العربية ويمنع ذلك، بل على العكس تماماً، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة بتعلم لغات الأقوام الأخرى، فقد ورد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أتى بي إلى النبي صلى الله عليه وسلم مَقْدَمُه المدينة فقبل له صلى الله عليه وسلم هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه صلى الله عليه وسلم فأعجبه ذلك. فقال لي صلى الله عليه وسلم: "تعلم كتاب يهود - أي كتابتهم ولغتهم - فإني ما آمنهم على كتابي" قال زيد: ففعلت، فما مضى لي نصف شهر حتى خذفته، فكنت أكتب له إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، فقد أمر صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم العبرانية، ليكتب اليهود بلغتهم وليأمن تلاعبهم في المكاتبات ولغير ذلك، ومن ثم قيل من تعلم لغة قوم أمن مكرهم⁽²⁾.

إذن الثقافة الإسلامية تشجع على تعلم اللغات الأخرى وتحض عليها وخصوصاً اللغات ذات الأهمية في عصرنا الحاضر، كالانجليزية والفرنسية، ولكن بهدف الترصد لكل منتج ثقافي غربي يحاول إبداءنا كمسلمين وتشويه حضارتنا الإسلامية، وأخذ كل ما هو مفيد ونبت ما هو مؤذٍ، لا بهدف الإعجاب بالثقافات الأخرى والتشبه بهم وبكل ما هو مخالف للشريعة الإسلامية، كما يجب أن يتم تعليمها كلغة إضافية، لا أن يتم تلقي العلوم بها.

(1) عزاه الحافظ في الإصابة إلى البخاري تعليقاً، وإلى البغوي وأبي يعلى موصولاً عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه، الصحيفة 593، الجزء الثاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992 م. وجاء في رواية الترمذي: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود قال إني والله ما آمن يهود على كتابي، قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إلي قرأت له كتابهم (سنن الترمذي، للترمذي، رقم الحديث، 2010، حديث حسن صحيح) نقلاً عن موقع الدرر السنية (www.dorar.net).

(2) انظر: سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خصاله المجيدة، عبد الله سراج الدين الحسيني، دار الفلاح، حلب، الطبعة الأولى، 1427 هـ - 2006 م، الصحيفة 115.

إن الغرب يحاول تقديم اللغة العربية، وبالتالي الحضارة العربية والإسلامية "على أنها لغة رجعية وتخلف والواقع". "أن اللغة العربية لم تكن ولن تكون يوماً لغة عنف وإرهاب، وإذا نظرنا إلى اللغات الغربية الواسعة الانتشار مثل الانجليزية والفرنسية وحتى الألمانية، وجدناها قدمت لغة الحروب المستمرة، ومن بينها حربان عالميتان أودتا بالملايين من البشر بينما اللغة العربية وعلى مدى التاريخ العربي قدمت للإنسانية كل ما يدفع للتقدم العلمي والثقافي والحضاري، وحتى وقتنا الحاضر ما تزال اللغات الأوروبية التي تقدم التكنولوجيا والعلوم المتطورة تقدم في الوقت لغات الاغتصاب والمخدرات والجنس والإباحية، وإذا كان الغرب يتهم اللغة العربية بأنها لغة رجعية فإنه يتجاهل عن عمد ما للعربية من دور أساسي في التقدمية. فالرجعية في نظر الغرب أن يكون للعرب قيم سامية وعلاقات روحانية رامية، فهم يريدون لهذه اللغة أن تكون لغة إباحية وشذوذ جنسي ومخدرات، عندها يصفونها بالتقدمية وعدم التعصب"⁽¹⁾.

اليوم ونحن في عصر السرعة والتكنولوجيا في عصر تم فيه عولمة الإعلام وعولمة الصورة التي تبث عبر وسائل عديدة كالتلفزيون والانترنت والإعلانات، شهدت اللغة العربية حرباً إعلامية كبيرة وخصوصاً وأن اليد المهيمنة والفاعلة في الإعلام هي يد غربية بكل المقاييس وفكرها استعماري، وتهدف هذه الحرب إلى إحلال اللهجات العامية بدل اللغة العربية الفصحى وذلك من خلال عدة طرق إعلامية⁽²⁾:

1- بث مسلسلات خاصة بالأطفال مما يسمى الصور المتحركة، بعض هذه المسلسلات تستخدم اللهجات العامية المحلية، ولا يخفى ما لذلك من تأثير على انعكاس اللغة على عقل الطفل. "كما أن العديد من البرامج الأجنبية تعرض دون ترجمة مصاحبة لها، وبالتحديد فإن أغلب برامج الأطفال (الرسوم المتحركة) يتلقاها الطفل دون ترجمة وهذه تسهم في التكوين الثقافي المبكر للطفل الذي يجد نفسه معزولاً عن جذوره الثقافية، والتوسع في بث البرامج الإعلامية باللغات الأجنبية، واللغة الإنكليزية بالتحديد سيدفع في اتجاه تعلمها، وتلقي مضامينها الثقافية، وسيستج هذا الوضع تراجعاً في استخدام اللغة العربية وعدم الاهتمام بأدائها المختلفة وهنا ينبغي

(1) البعد الديني للغة العربية وأثرها في التضامن العربي والإسلامي، د. محمد شيخاني، دمشق، دار

فتية، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001م، الصفحة 112.

(2) انظر البعد الديني للغة العربية، د. محمد شيخاني، الصفحة 118-119.

التأكيد على استخدام الوسائط المتقدمة لتسهيل تعلم اللغة العربية، والتوسع في عملية الترجمة، عند تقديم الأعمال الأجنبية المرئية أو المقروءة⁽¹⁾.

ومن الجدير بالذكر بأن هناك بعض الفضائيات العربية أحدثت مؤخراً تقوم بالتأكيد على اللغة العربية الفصحى ولها آثار جيدة على عقول الأطفال وثقافتهم، وهنا يبرز دور الأهل في مساعدة أبنائهم على اختيار الأفضل لهم.

2- كثرة الدعايات والإعلانات المروّجة للمواد الاستهلاكية، والتي تستخدم بعض الألحان الخفيفة والكلمات العامية، مما يجعل الأطفال يرددون هذه الأغاني في كل مكان، وربما ليس الأطفال فقط بل الكبار أيضاً، وطبعاً هذه الإعلانات ليس لها أثر على اللغة العربية فقط، بل هي تروج لنمط استهلاكي جديد، يجعل المجتمع الإسلامي سوقاً لتصريف البضائع والمنتجات.

3- نشر الكثير من القصص والأشعار العامية مما سمي بالزجل وذلك في صحف ومجلات تصدر من فئات مشبوهة معادية للغة العربية، وطبعاً هذه القصص ليس الانتقاد الوحيد لها أنها باللهجة العامية بل يضاف إليه المضمون الذي يحوي ما هو مخّل للآداب والأخلاق والعادات الإسلامية.

4- ظهور محطات إذاعية تستخدم اللهجة العامية حتى في أخبارها الرئيسية وفي الوقت نفسه تبث هذه الإذاعات أغاني الميوعة والخلاعة والبرامج التخريبية وتوظف مذييعات لا يُجِدْنَ سوى الضحك والميوعة، وهن أبعد ما يكون عن الثقافة.

5- التهاون الشديد مع طلاب المدارس حتى الجامعيين في استخدامهم العامية، وقد تجلّى انعكاس ذلك في الضعف لدى الطلبة والخريجين الجامعيين في الجامعات اللبنانية والجزائرية، ويات يشرب ذلك الضعف إلى الجامعات القوية في سورية ومصر.

6- عدم وجود برامج مكثفة وحلقات تلفزيونية مخصصة عن اللغة العربية دائمة ومستمرة، مع العلم بأنه يجب أن تكون هذه البرامج بأسلوب شيق ولطيف.

كما لا تخلو الأفلام السينمائية التي تبث باللهجات العامية من آثار سلبية على اللغة العربية، "فمن المعروف أن الأفلام السينمائية أمر طارئ على المشرق العربي والإسلامي، وقد تقدمت السينما العربية في هذا المجال من حيث فنياتها وكوادرها وأجهزتها، ويعتبر الفيلم السينمائي من أهم الصناعات الفنية التي غرّزت دور السينما العربية والشاشة

(1) الثقافة العربية والعولة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 104.

الصغيرة إذ إنها تجسد حياةً بصورة مصغرة، ومنذ البدايات ظهر أن التوجه اللغوي في غالبية الأفلام وخاصة المصرية كان يميل لاستخدام العامية المصرية أو غيرها⁽¹⁾.

وإن ما يزيد من خطورة ظاهرة استخدام اللهجة العامية أو المحلية في الحياة اليومية والمعاملات وفي غالبية الإعلام المرئي والمسموع، "وجود اتجاهات تبني دعوة استبدال اللغة العربية الفصحى الأم بلهجات ولكثات مغرقة في محلياتها حتى بما لا يتجاوز حدود القرية أو الضيعة الصغيرة، ووجود بعض الإعلام من المثقفين العرب ممن يتبنون ذلك الموقف مما يزيد من صعوبة وطورة التحدي اللغوي الذي يواجهه العرب و ينتظر منهم خوضه"⁽²⁾.

ويلخص حال اللغة العربية في زمن العولمة "بالإقصاء المستمر للغة العربية عن حياتنا بصورة عامة بمظاهر شتى منها انسحاب اللغة الفصحى من حياتنا اليومية في خطابنا الشفهي أو المكتوب وفي المخاطبات الرسمية، وفي أجهزتنا الإعلامية الرسمية وغير الرسمية، والسماح باستخدام اللهجات العامية المحلية في تلك الأجهزة الإعلامية بل وبخليط من اللغات واللهجات لاهي بالفصحى ولا بالعامية، وشيوع استخدام اللغات الأجنبية في أسماء المحلات التجارية والشركات والمؤسسات وفي الإعلانات التجارية دون أي ضابط، وانتشار المدارس العامة والخاصة والأجنبية التي تدرّس العلوم المختلفة بلغات أجنبية منذ بداية المرحلة الأساسية من التعليم، وضعف حركة التعريب والترجمة إلى العربية، وإهمال الدراسات والبحوث المتعلقة بمعالجة اللغة العربية آلياً بواسطة الحاسوب وحالة التبعية اللغوية باعتبارنا مجرد متلقين ومستهلكين لكل شيء من منتجات الحضارة الغربية الحديثة، وكل ما نستهلكه من ثقافة أو فكر أو سلع تأتي باللغة الأجنبية لغة المنتجين لها"⁽³⁾.

وأرى أن هذه التحديات التي تواجهها اللغة العربية بازدياد لا ينقصان، مما يهدد الهوية الثقافية الإسلامية، ولذلك لا بد من وجود تحرك حكومي وذلك بسن قوانين وإجراءات وعقوبات صارمة ضد من يستبدل اللغة العربية بلغة أجنبية في المعاملات والملصقات على الواجهات والمحلات التجارية كما في الدعاية والإعلان.

(1) البعد الديني للغة العربية، د. محمد شيخاني، الصحيفة 121. (معلومات الكتاب في الصحيفة 223).

(2) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 59.

(3) الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، عبد الرشيد عبد الحافظ، الصحيفة 49.

المبحث الخامس

أثر العولمة على التربية والتعليم

"إن مشكلة استمرار الهيمنة الأجنبية على بعض الدول العربية وتزايدها عن طريق إحكام السيطرة الاقتصادية والابتزاز السياسي واستخدام القوة المباشرة أو من خلال طرف ثالث، ومشكلة مواجهة خطر الغزو الثقافي- الحضاري الناجم عن طوفان شبكات الاتصال والقنوات الفضائية، ومشكلة مواجهة التحديات الداخلية، ومنها الصراع بين الدول العربية والانقسامات الداخلية، وانتشار الحركات الدينية المتطرفة، وازدياد قوتها واستخدام العنف لفرض سيطرتها، والغزو البشري الثقافي الأجنبي والآسيوي خاصة في دول الخليج العربي"⁽¹⁾.

كل هذه التحديات كان لها تأثير واضح على الواقع التربوي والتعليمي في الوطن العربي والعالم الإسلامي، ومن هذه الآثار "هروب الكفاءات البشرية المتعلمة والمؤهلة إلى خارج الوطن العربي، وتفاقم الفساد وانحيار النسق القيمي الخلفي، ونمو الثقافات الغربية، وضعف التخطيط التربوي والتعليمي، وعدم استقرار السياسات التربوية"⁽²⁾.

إن العولمة التربوية "هي نتاج حتمي للعولمة الاجتماعية والثقافية، حيث تسعى الدول الغربية إلى تقديم نماذج تربوية مبهرة لتدل من خلالها على أن التربية الغربية تتفوق على نظيراتها من أنواع التربية الأخرى في الدول النامية"⁽³⁾.

وفي خطة عولمة التربية والتعليم نجد نشر اللغة الانجليزية بفرضها في المواد الدراسية منذ المرحلة الابتدائية، "وإن هذه الخطة المرسومة لها هدفها المرسوم للهيمنة التربوية والتعليمية لتغريب البلدان بأسلوب العولمة الأمريكية لتنشئة شبابنا على رفع مكانة اللغة الانجليزية في ميادين العلم والمعرفة فلا مكانة للغة القرآن كاللغة الرسمية ولغة العلم للمسلمين وكذلك اللغات القومية، وتعطلت محاولات إعادة رفع اللغة العربية وترجمة العلوم ومصطلحاتها إلى لغاتنا"⁽⁴⁾.

(1) التربية والتعليم في الوطن العربي، د. عبد العزيز بن عبد الله السبل، الصحيفة 131.

(2) التربية والتعليم في الوطن العربي، د. عبد العزيز بن عبد الله السبل، الصحيفة 131.

(3) التربية في الوطن العربي، د. يعقوب نشوان، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م، الأردن، الصحيفة 93.

(4) عالمية الإسلام والعولمة، طه مرقاقي، الصحيفة 171.

واقع التربية والتعليم في الدول العربية والإسلامية:

"إن التربية العربية في تعاملها مع العولمة وتحدياتها، تجدد نفسها في مازق حقيقي نابغ من محافظتها الشديدة من جانب، ولكونها جزئية في نظام سياسي وثقافي واقتصادي بطيء التجاوب مع الإيقاع العالمي، وله طبائعه وخصائصه وأنظمتها من جانب آخر"⁽¹⁾.

وليس بخاف على أحد أن التربية العربية لم تستطع أن تواكب روح حضارة العصر، باعتبارها جاءت امتداداً للتربية التي سادت قروناً طويلة كانت فيها الأمة تعيش عصر الانحطاط، واستمرت التربية بصفة عامة معرضة لنوع من التسييس، بالإضافة إلى عدم تخلصها من بعض النظريات الماضوية ذات الطابع القهري على الرغم من انتشار الاتجاهات التربوية الحديثة التي تدعو إلى التربية من أجل الديمقراطية والتربية للتقدم، والتربية الإنسانية التي تراعي قدرات المتعلم وطاقاته وحرية وفردية وحقوقه الإنسانية⁽²⁾.

في فترة الاستعمار وما قبلها، اضطر المستشرقون لاعتماد بعض جوانب التراث الإسلامي الصحيح، لذلك أحاطوا هذا التراث ببعض التعليقات بهدف تضييقه والتقليل من قيمته، ومن ثم فرض هذا التراث الذي هو خليط من جاهليات مختلفة على مناهج التعليم في بلادنا خلال فترة الاستعمار بواسطة مدارسهم ودور نشرهم ومطابعهم وصحفهم، "فنشأ كثير من المسلمين يعتقدون بأن الذي بين أيديهم هو التراث الإسلامي وهو تراث يبعث على الخجل والاستخفاف لأنه لا يرتفع لمستويات تشرف أولاً، وليس فيه شيء من نتاج المسلمين ثانياً، وخاصة وقد درسوه مقارناً بالتراث الأوروبي دراسة تظهر التراث الأوروبي بمظهر التراث الكامل الرفيع، وما درى أبناء المسلمين أن التراث الإسلامي الصحيح ما زال إما حبيس المخطوطات والمتاحف، وإما حبيس المكتبات بعيداً عن مناهج التعليم والدراسة والبحث... ويعد أن وضعوا هذا المنهاج النظري في كيفية عرض التراث الإسلامي وضعوه موضع التطبيق في المدارس والجامعات التي بنوها في الشرق والغرب ولقنوها لأبناء المسلمين الذين يؤمنون هذه المعاهد"⁽³⁾، وإن هذه المدارس

(1) التربية والتعليم في الوطن العربي، د. عبد العزيز بن عبد الله السنبلي، الصحيفة 129.

(2) التربية والتعليم في الوطن العربي، د. عبد العزيز بن عبد الله السنبلي، الصحيفة 132.

(3) الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي، ماجد كيلاي، دار السعودية، الطبعة الثانية، 404هـ-

1984م، الصحيفة 109.

والجامعات مازالت إلى يومنا هذا موجودة في البلدان العربية وتدرّس موادها باللغة الانجليزية وتحاول تهميش اللغة العربية في مناهجها، هذا غير أنها تأخذ طابع الاختلاط من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية، ولا يخفى ما لهذا الاختلاط من خطورة على أخلاق الشباب الناشئ وحتى على مشاعرهم وخصوصاً في مرحلة سن المراهقة، ومن المؤسف أن هذه المدارس من الناحية الاجتماعية، تستقطب الطلاب والطالبات أبناء الطبقة العالية والراقية في مجتمعنا، فهي ذات رسوم عالية.

إذا نظرنا إلى واقع مناهج التعليم في البلاد الإسلامية نجد أنها لم تنجح كأداة للقدم الحضاري ولا تزال بعيدة من تحقيق أهداف الأمة، "لأننا بكل أسف ما زلنا في مناهجنا الابتدائية وما حولها وفي جزء من المناهج الثانوية، نعتمد على الحفظ والاستظهار، والمدرس يعيد تدريس المادة سنوات وسنوات دون أن يطور قدراته بالالتحاق بأي دورات أو مجالات تدريب، والمؤسسات التعليمية لا تعينه على ذلك، وفي الوقت الذي يعد فيه الحاسب الآلي من عناصر الدراسة الأساسية في الغرب، لا يزال مجهولاً أو هامشياً عندنا، ولهذا ظلّ التعليم دوامة مغلقة وضعيفة وغير قادرة على الإبداع ولا حتى مجرد التأهيل والتصحيح"⁽¹⁾.

وأعلنت أمريكا بدون حياء تدخلها في شؤون التربية والتعليم للمؤسسات الإسلامية من مستوى روضات الأطفال إلى الجامعات الإسلامية والمدارس الإسلامية الشعبية والحوزات العلمية، حتى في مناهج دراستها وربما في القرآن الكريم نفسه "في ماليزيا قررت حكومتها إلغاء المساعدة المالية للمدارس الأهلية الدينية وأعلنت وزارة التربية والتعليم دراسة وتغيير منهج الدرّس الديني في المدارس الحكومية"⁽²⁾، ولم تكتفِ سياسة عولمة التربية والتعليم عند هذا بل "فرضت اتفاقيات الاعتراف بالكيان الصهيوني على الدول العربية الموقعة أن تحذف من مناهج تعليمها كل ما يفضح سلوك اليهود والدول الاستعمارية عبر التاريخ بل حذفت بعض الدول من مناهج الصفوف الابتدائية والإعدادية الآيات القرآنية التي تتحدث عن بني إسرائيل وتكشف انحرافاتهم وتحريفهم للدين ومعاداتهم ودمويتهم تجاه بقية الشعوب والعقائد السماوية وخاصة الإسلام"⁽³⁾.

(1) التربية والتعليم في الوطن العربي، د. عبد العزيز بن عبد الله السنبلي، الصحيفة 133.

(2) عالمية الإسلام والعولمة، طه مرقاتي، الصحيفة 171.

(3) البعد الديني للغة العربية، د. محمد شيخاني، الصحيفة 116. (معلومات الكتاب في الصحيفة

وبالتالي فالتطبيع والغزو الثقافي ركنان أساسيان في سياسة العولمة التي تريد فرضها الولايات المتحدة الأمريكية.

عيوب المناهج التي وضعت للعالم الإسلامي:

- 1- "أمية التفكير، حيث قصد بها أن تخلق من الدارس إنساناً مجترأ كل جيل يجتر لما بعده دون تمحيص أو زيادة، وكان لهذا أبعاد الأخطار فقد قتلت روح البحث في نفوس الدارسين، ليظلوا أسرى لأفكار الأوروبيين تلك الأفكار التي تخدم مصالح الصهيونية والاستعمار الغربي فقط، أي الأفكار الهدامة لا الأفكار البناءة.
- 2- مناهج نظرية بعيدة عن التجربة العلمية، لتجعل الهدف من الدراسة هدفاً مادياً فقط لا يتعدى جمع المال والمركز الاجتماعي، ونتيجة لهذه الظاهرة يتحول الدارسون غالباً لدراسة ما يوفر المال والجاه وبذلك تضخم الجانب المادي وهبط الجانب المعنوي ولم يبق لدراسة العلوم النظرية من أدب وديانة سوى من تخلفوا عن الحصول على المعدلات المشتركة لذلك، أو انقطع بهم المال الذي يمكنهم من ذلك".⁽¹⁾
- 3- "مناهج تزرع الغرور الأدبي والمادي: حيث يرفض الخريج مواصلة البحث وفي ذات الوقت يرفض قبول أي رأي يخالف هواه، كما أنه يفترض بنفسه أنه موسوعة علمية متجددة لا تتحدد بمكان ولا تتوقف بزمان، وذلك من الناحية الأدبية، أما من الناحية المادية يرفض الخريج الحياة المتوسطة في المأكل والملبس والمسكن.
- 4- ومن عيوبها أيضاً: إفساد الفطرة في نفس الدارس فتفسد أجهزة الفكر والشعور فيه، وتجعله يستهتر بجميع القيم الإنسانية كلها، ويتجرأ على المعايير الخلقية ولا يقيم للعادات والتقاليد وزناً".⁽²⁾

وللانتقال من هذا الواقع المرير لحال الأمة، وتمكين الناشئة، وتمكين الناشئة من مواجهة تيارات العولمة "يحتّم ربط الناشئة بالعقيدة الإسلامية، وترسيخ القيم والمبادئ في نفوسهم، وإعدادهم الإعداد الصحيح وأن نتقدم إليهم بلغة يفهمونها، ونقدم لهم نموذج الحضارات العربية والإسلامية،... إن التربية العربية في إطار العولمة يجب أن تساعد الأطفال والراشدين على تفهّم أفضل لثقافتهم الخاصة، الماضي فيها والحاضر، ولكن في

(1) انظر: التربية والتعليم في الوطن العربي، د. عبد العزيز بن عبد الله السنبلي، الصحيفة 133.

(2) الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي، ماجد كيلاني، الصحيفة 118-119 بتصرف.

نطاق مجتمع عالمي يعتبر فيه انفتاح الثقافات الخاصة على بعضها وحوارها مع بعضها، وإيجابية تعاملها مع غيرها هو الوسيلة الوحيدة لازدهار أي منها⁽¹⁾.

أما عن واقع التربية والتعليم في الدول الغربية:

لقد استطاعت التربية الغربية من إعداد آلاف من العلماء في كافة المجالات والمهندسين والتكنولوجيين المهرة وذلك بفضل ما تجده من دعم وإمكانات هائلة، في حين نجد أن المشكلات التربوية في الدول النامية في إطار وتنعقد مع مرور الزمن كما أن التربية الغربية تستخدم طرائق وأساليب حديثة...، يضاف إلى ذلك أن محتوى الكتب والمقررات الدراسية في الدول المتقدمة تحاكي منجزات العصر وتقدم للتلاميذ أحدث ما تم التوصل إليه من معرفة في حين تظل المقررات في الدول النامية تتحدث عن قديم المعرفة ولا تتابع التطور المعرفي المتلاحق⁽²⁾.

غير أن مناهجهم لا تخلو من تشويه صورة العرب والمسلمين، فمثلاً "خلص الباحث (إياد قزاز⁽³⁾) من تحليل 36 كتاباً مدرسياً للعلوم الاجتماعية مقررة على طلبة المدارس الابتدائية في كاليفورنيا إلى "وجود صورة مشوهة للإسلام تفرط في تأكيد عدوانيته، فضلاً عن صورة الرقّ ومركز المرأة المتدني، كما خلط مؤلفو الكتب المدرسية عمداً بين القرآن والأحاديث الشريفة وجرى تصوير العرب كشعب بدوي"⁽⁴⁾.

كما ظهر بحث قيم في مدريد يبين كيف تركز المقررات المدرسية في أسبانيا "على نزع الصفة الإلهية عن الدين الإسلامي، وعدّه مجرد انحراف عن المسيحية، كما أنها تختزل ثمانية قرون من الحضور الإسلامي في الأندلس في مجرد صراع بين الملوك الكاثوليك والمسلمين مع تغيب شبه تام لكل ما أنجزه العرب والمسلمون هناك من علوم وفنون وتقاليد وأعراف عمّ شعاعها أوروبا قاطبة"⁽⁵⁾.

(1) التربية والتعليم في الوطن العربي، د. عبد العزيز بن عبد الله السنبلي، الصحيفة 134.

(2) التربية في الوطن العربي، د. يعقوب نشوان، الصحيفة 93.

(3) إياد قزاز: هاجر الدكتور إياد قزاز من بغداد ليستقر في الولايات المتحدة، تخرج من جامعة كاليفورنيا بيركلي، ويعمل أستاذ العلم الاجتماع في ولاية جامعة كاليفورنيا منذ عام 1969م، ويدرس مادة الحضارة والمجتمع في الشرق الأوسط منذ أوائل السبعينات. (www.aawsat.com).

(4) الهوية الإسلامية في زمن العرلة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، الصحيفة 178.

(5) الهوية الإسلامية في زمن العرلة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، الصحيفة 178.

وإن هذا التشويه والتغيب لفضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية يكاد يكون مشتركاً في المناهج التعليمية في المراحل الدراسية في كل الدول الغربية تقريباً مثل بريطانيا وألمانيا وفنلندا والدانمارك وهولندا وإيطاليا. وذلك بغية تنشئة أبنائهم على كراهية كل ما يمتّ إلى الإسلام بصلة وبالتالي قطع الطريق أمام أي تقارب أو حوار مع المسلمين، وبالتالي الحدّ من اعتناق غير المسلمين الغربيين للإسلام.

ومن المؤسف ألا يستلهم المسلمون المعاصرون من التجربة التربوية الإصلاحية التي قامت بها أمريكا بعدما عانى أبنائها من الآثار المدمرة لمؤسسات العبث التربوي القائمة حيث بلغت نسبة الذين أوقفوا إرسال أبنائهم وبناتهم إلى مدارس الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي 45٪ والنسبة في ارتفاع مستمر، "بعد أن رأت الأسر الأمريكية كيف تفرس المخدرات وجرائم القتل والفوضى الجنسية أبنائها وبناتها في مدارس الدولة ومناهجها، ثم أقاموا بدل التعليم الحكومي مجالس تربية خاصة ووضعوا مناهجهم وبرامجهم التربوية الخاصة، وإشرافهم الخاص الذي يوجه أولياء الأمور إلى كيفية تعليم أبنائهم وبناتهم في بيوتهم، وأطلقوا على هذا التنظيم اسم التربية البيتية Home education وتدرجوا بها من المرحلة الابتدائية حتى الجامعة، وللحركة مطبوعاتها ومجلات التي تعرف بها وتدعو بقية المواطنين إلى الانضمام إليها"⁽¹⁾.

يورد التقرير الذي تصدره مؤسسة الفكر العربي للعالم الثالث، بمشاركة نخبة من المثقفين العرب وهيئة استشارية مؤلفة من مفكرين وأكاديميين وأخرى للتحليل تجمع أبرز المتخصصين، حقائق ووثائق تؤكد حجم التحديات التي يواجهها العرب، خصوصاً فيما يتعلق بالبحث العلمي والمعلوماتية وهما موضوعان لا تزال مجتمعاتنا تتقدم حيثاً باتجاه ما في ظلّ الكثير من العوائق وفي مقدمتها انخفاض مستويات التمويل والإنفاق المتخلفة عن المعدل العالمي عموماً، ويشير التقرير إلى أن ما يصرف على البحث العلمي والعربي قليل ولا يكاد يذكر، وأن العالم العربي يحتلّ موقعاً ملاحظاً لقارة إفريقيا في هذا الشأن وبمعدلات لا تتجاوز 0,2٪ من إجمالي الدخل القومي العام⁽²⁾.

(1) هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم، الإمارات

العربية المتحدة، دبي، الطبعة الثانية، 1439هـ-2009م، الصحيفة 489.

(2) مجلة العربي، العدد 628، مارس 2011، مقالة ثناء عطوان، الصحيفة 194.

ويعد الإنفاق العام على التعليم والصحة والقضايا العسكرية مؤشرات ضرورية تعكس مدى اهتمام الحكومات بصحة وتعليم وأمن بلادها وشعوبها، كما أنها تعكس المستوى التنموي الذي يعيشه أي مجتمع، وحيث تبلغ نسبة التعليم في العالم الإسلامي 63,2٪ غير أن معدل الإنفاق عليه لا يتجاوز 4٪ من الناتج القومي الإجمالي في حين يبلغ هذا المعدل في الدول المتقدمة 5,18٪، وتتصدر غويانا دول العالم الإسلامي في نسبة التعليم 98,1٪، تليها المالديف 93,2٪، ثم بروناي 88,2٪، وأقل هذه النسب في النيجر 13,6٪، يليها الصومال 24٪ ثم مالي 31٪.

ويضيء التقرير على ثغرة في غاية الأهمية تتمثل في عدم وجود مرصد عربي يهتم ببناء المؤشرات الكمية والنوعية العربية ويضمن صدقية البيانات حول البحث والنشر العلمي والإبداع العربي، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى نقص في المعلومات الواردة من الدول العربية، إذ أن معظم الأرقام التي تقدمها ملفات تقرير هذا العام باستثناء ملف الإبداع والمتعلقة بواقع المعرفة والثقافة في بلداننا تنسب لجهات ومؤسسات أجنبية مثل البنك الدولي واليونسكو والاتحاد الدولي للاتصالات والمتدى الاقتصادي العالمي والمنظمة العالمية للملكية الفكرية، وذلك في ظل غياب مؤسساتنا الوطنية العربية المعنية بتوفير معلومات وأرقام حول ملفات وقضايا مجتمعاتنا⁽¹⁾.

ولقد تطرق التقرير إلى أفضل الجامعات العربية ومراكز البحوث ونسبة هجرة العقول العربية، "حيث سجل في أحدث تصنيف معلن لجامعة شنغهاي (2010) اختراقاً مميزاً لقائمة أفضل جامعات العالم وهما: جامعة الملك سعود وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، أما في تصنيف مجلة تايمز البريطانية فقد جاءت جامعة الإسكندرية في المرتبة الـ 149 من 200 جامعة. وتشير المعطيات إلى ترهل مراكز البحوث لدينا وحاجة الجامعات العربية إلى أكثر من مئة وخمسين ألف حامل دكتوراه للقيام بمهام التعليم الجامعي والبحث العلمي"⁽²⁾.

البحث العلمي في العالم العربي:

مفهوم البحث العلمي: يعرف خبير اليونسكو في مجال البحث العلمي د. جون ب ديكسون، البحث العلمي بأنه: "استقصاء منهجي في سبيل زيادة مجموع المعرفة"⁽³⁾.

(1) مجلة العربي، العدد 628، مارس 2011، مقالة ثناء عطوان، الصحيفة 194.

(2) مجلة العربي، العدد 628، مارس 2011، مقالة ثناء عطوان، الصحيفة 195.

(3) التكنولوجيا والعولمة الثقافية، حواس محمود، 1423هـ - 2003م، دمشق، الصحيفة 24.

ويعرف البحث العلمي أيضاً: "بأنه جهد علمي منظم يقصد به الكشف عن معلومات جديدة تسهم في تطوير المعارف الإنسانية وتطوير آفاقها"⁽¹⁾.

إن الإنفاق على البحث العلمي في العالم العربي لكل فرد من السكان لا يزيد عن 2,4٪ دولار بينما يتراوح ما بين 50 و100 دولار في الدول المتقدمة، وحول عدد الباحثين، فتشير تقديرات اليونسكو إلى أن تفاوتاً كبيراً يسود المستوى العلمي والتكنولوجي بين الدول العربية والعديد من دول العالم، خاصة المتقدمة صناعياً فعدد الباحثين العلميين في المنطقة العربية يقدر بنحو 318 باحثاً لكل مليون من السكان.

وحول الإنتاجية العلمية في العالم العربي: يمكن الإشارة إلى أن 90٪ من المنشورات البحثية في العالم العربي لها صلة مباشرة بالمشاكل المحلية، وتفيد دراسة لليونسكو بأن الإنتاجية العلمية في العالم العربي متدنية جداً، فقد كان هناك على سبيل المثال 7 آلاف باحث، وكان من المتوقع أن ينتج هؤلاء ما بين 8000 و14000 بحث سنوياً، إلا أن المنشور فعلاً بلغ 847 بحثاً أي بحدود 10٪ من المتوقع.

وقد جاء في دراسة حديثة نشرت في مجلة المستقبل العربي أن أعمال البحث العلمي في البلدان العربية ذات طبيعة تطبيقية صرفة حيث إن 38٪ من منشورات هذه الأعمال في الطب، 20٪ في الزراعة، 17٪ في الهندسة، ومثلها في العلوم السياسية، 8٪ في الاقتصاد والإدارة، وارتفع الإنتاج الكلي من تلك المنشورات في العالم العربي من 465 منشوراً في عام 1967 إلى نحو 6000 في عام 1995 م، وبلغ معدل النمو السنوي منذ عام 1967 م في مجمل منشورات العالم العربي 10٪ وإن كانت نسب النمو مختلفة من بلد إلى بلد، وتجدر الإشارة إلى أنه في عام 1990 م كانت البلدان الرئيسية الثلاثة في ترتيب الإنتاج البحثي هي مصر 37٪، والسعودية 20٪، والكويت 12٪، وفي نفس العام بدأ نصيب الفرد من هذا الإنتاج في الكويت يصل إلى معدل الدول الأوروبية، وهذا لقد أنتج علماء الأقطار العربية عام 1996 م نحو 8000 بحث علمي لمجلات عالمية محكمة⁽²⁾.

(1) كتاب ورقات في البحث العلمي، د. عبد الحميد الهرامة، مقررات كلية الدعوة الإسلامية، السنة

الرابعة، الصحيفة 19.

(2) التكنولوجيا والعولمة الثقافية، حواس محمود، الصحيفة 25-26 بتصرف.

الإنفاق العربي على البحث العلمي:

"رغم ارتفاع الإنفاق الإجمالي على التعليم من 18 مليار دولار عام 1980 إلى 28 مليار دولار عام 1995 م، فإن القيمة الحقيقية لهذا الإنفاق بعد أخذ معدلات التضخم في عين الاعتبار، كانت في انخفاض مستمر، وربما ينعكس هذا على جانب البحث والتطوير حيث لا يتجاوز نصيب الدول العربية 3,8% من العاملين في هذا الحقل، كما أن الإنفاق على البحث والتطوير في الدول العربية يساوي فقط 0,4%⁽¹⁾ من الإنفاق العالمي، ويعادل هذا الإنفاق 0,2% من الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية مقارنة بالمتوسط العالمي البالغ 1,4%⁽²⁾." "بينما إسرائيل وحدها تنفق على هذا المجال 3% من مجموع دخلها القومي"⁽³⁾.

هجرة العقول:

"تعتبر ظاهرة هجرة العقول والكفاءات العلمية العربية إلى الدول المتقدمة ظاهرة خطيرة تسبب في نزيف ثروة بشرية لا تقدر بثمن وفي إبقاء المجتمع العربي على حالة من التخلف والتبعية في سياق من مرور العرب في مرحلة تتسم بتحديات حضارية كبرى تتمثل في تطور الغرب مادياً وتقنياً ومعلوماتياً، وتختلف العرب في هذه المجالات"⁽⁴⁾. ويقصد بالعقول هم النخبة من أفراد المجتمع الذين اتسموا بالقدرة على التفكير والتغيير في بنى المجتمع، وتكمن خطورة هجرتهم بأنهم هم النخبة القادرة على مواجهة الغزو الثقافي.

وحول حجم الظاهرة: تعتبر مصر الدولة العربية الأولى التي تعاني من ظاهرة هجرة كوادرها العلمية، فبينما كان ترتيب مصر هو التسعين في الستينات، أصبحت تحتل المرتبة الأولى في الثمانينات حسب إحصائيات الأمم المتحدة وتوجد 60% من العلميين

(1) وفي دراسة أخرى: الإنفاق على البحث والتطوير في الدول العربية يساوي فقط 0,31% (الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، الصحيفة 198).

(2) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 122.. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

(3) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، الصحيفة 198.

(4) التكنولوجيا والعولمة الثقافية، حواس محمود، الصحيفة 10.

والمهندسين المصريين في الولايات المتحدة الأمريكية، وتبين الإحصائيات أن نصف المهندسين ونسبة 75٪ من علماء الطبيعة العرب المهاجرين هم من المصريين⁽¹⁾.
 "كما شهد العراق هجرة حوالي 7300 عالم تركوا بلدهم بسبب الأحوال السياسية والأمنية، وإجمالاً فإنه منذ العام 1977م وحتى الآن هاجر أكثر من 750000 عالم عربي إلى الولايات المتحدة الأمريكية"⁽²⁾. ويذكر أنطوان زحلان "عضو لجنة الأمم المتحدة الاستشارية لاستخدام العلم والتكنولوجيا وخبير عربي في العلوم والتقانة" أن نسبة المهاجرين العرب في عام 1976م تتوزع على النحو التالي: 50٪ من الأطباء، 23٪ من المهندسين، 15٪ من الفيزيائيين، ومن بين مجموع المهاجرين يمثلون 24 ألف طبيب، 17 ألف مهندس، 7500 فيزيائي، وفي عام 1980م وحده هاجر 50٪ من الحاصلين على الدكتوراه في مجال العلوم ومجموعهم سبعة وعشرون ألف خريج، كما هاجر نصف الحاصلين على الدكتوراه في الهندسة إلى البلاد المتقدمة، وفي الستينات هاجر 90٪ من حملة الدكتوراه في الحقول العلمية والفنية في العالم العربي⁽³⁾.

"وتظهر الأرقام أن 54٪ من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلادهم وأن 34٪ من الأطباء الأكفاء في بريطانيا يتمون إلى الجاليات العربية"⁽⁴⁾، وتقول إحدى الدراسات إن 2 مليون عقل عربي مهاجر هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا وغرب أوروبا وأستراليا في الفترة بين عامي 1948 و 1985م، وفي عام 1989م وحده سمح بدخول 18094 مهاجراً عربياً إلى الولايات المتحدة الأمريكية منهم 9,6٪ من التقنيين والمتخصصين، وتجذب الولايات المتحدة الأمريكية كفاءات عربية من تخصصات أخرى وخاصة من علماء الاجتماع وأساتذة الجامعات، وفي الحقبة ما بين 1959م-1973م بلغ نصيب كندا من الكفاءات العربية المتخصصة 33789 منهم 16146 من مصر، 11730 من لبنان، 1913 من سورية، أربعة آلاف من

(1) التكنولوجيا والعولمة الثقافية، حواس محمود، الصحيفة 10، وانظر مجلة العربي العدد 628 الصحيفة 195.

(2) مجلة العربي، العدد 628، الصحيفة 195.

(3) التكنولوجيا والعولمة الثقافية، حواس محمود، الصحيفة 12.

(4) مجلة العربي، العدد 628، الصحيفة 195. وفي دراسة 70٪ من المبعوثين العرب لا يعودون، (التكنولوجيا والعولمة الثقافية، حواس محمود، الصحيفة 10).

العراق والأردن وفلسطين، وكان من بين المهاجرين من مصر وسورية ولبنان، 824 مهندساً، 806 أستاذ ومبعوث جامعي، 763 طبيباً، 3024 فنياً.

وتشير دراسة للأمم المتحدة أن حجم الهجرة السنوية يبلغ عشرة آلاف متخصص عربي من لبنان وسورية والعراق ومصر والأردن والجزائر والمغرب، وتقول منظمة اليونسكو عام 1977م أن عدد الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج يربو على 100 ألف طالب، وتشكل هذه النسبة 14٪ من المجموع العالمي للطلاب الدارسين خارج بلدانهم⁽¹⁾.

إن هذا التوجه من طلاب البلدان العربية إلى البلدان الغربية لم يكن عفويًا ولن يكون وليد صدفة بل هناك مساعٍ وإعلام وحملات ترويج للغرب ولثقافته لتستقطب أكبر عدد من المفكرين والعلماء وذلك من خلال المراكز الثقافية والبعثات العلمية وإتفاقيات التعاون الثقافي فمثلاً أمريكا تسعى لنشر تعليم اللغة الإنكليزية وأنظمة التعليم الأمريكية في الخارج، وتقديم المنح الدراسية لطلاب من الدول الأخرى، واستيعاب الطلاب الوافدين من الدول الأخرى الراغبين في الحصول على التعليم في مؤسسات التعليم والجامعات الأمريكية، ومن خلال إتفاقيات التعاون الثقافي الموقعة بينها وبين الدول الأخرى إضافة لبرامج المساعدات الثقافية الأمريكية للدول النامية.

أما بريطانيا: فهي إضافة لوسائل الإعلام الجماهيرية الدولية، تمارس حملاتها الإعلامية والدعائية والثقافية الدولية من خلال المجلس البريطاني الذي تملكه بثلاث مخصصاته المالية، مؤسسات التنمية البريطانية فيما وراء البحار. وتدخل معظم الوظائف التعليمية التي يقوم بها المجلس البريطاني في إطار برنامج المعونة الفنية، ويعمل المجلس في أكثر من ثمانين دولة، بتعليم اللغة الإنكليزية، مكرزاً على تدريب معلمي اللغة الإنكليزية في هذه الدول، وللمجلس البريطاني مكاتب في أكثر من خمسين دولة ويعمل على تنمية الاتصالات بين العلماء والفنانين والمهنيين وغيرهم من مثقفي الدول النامية، إضافة لإيفاده العديد من الدارسين من تلك الدول إلى انكلترا للتحصيل العلمي والدراسي.

أما فرنسا: فتمارس حملاتها الإعلامية والدعائية الثقافية الدولية، إضافة لوسائل الإعلام الدولية من خلال رابطة أليانس فرنسيس التي أحدثت في عام 1883م بهدف مضاعفة تأثير فرنسا في الخارج ونشر الثقافة واللغة الفرنسية في العالم. ويتبع لرابطة

(1) التكنولوجيا والعولمة الثقافية، حواس محمود، الصحيفة 12.

أليانس فرنسيس (1010) لجنة وجمعية في الخارج تقوم بتنظيم المؤتمرات والاجتماعات، وافتتاح المكتبات و600 مركزاً، منتشرة في أنحاء مختلفة من العالم⁽¹⁾.

وتتابع الدول الغربية مسيرتها في نشر ثقافتها ولغتها في الدول الأخرى وخصوصاً الدول العربية وذلك من خلال المراكز الثقافية التابعة لسفاراتها، ويتولى إدارة تلك المراكز المستشارون أو الملحقون الثقافيون المعتمدون في السلك الدبلوماسي المتواجد في ذلك البلد، على خلاف الدول الإسلامية العربية فمعظمها غير قادر على فتح مراكز ثقافية لها وبالتالي غير قادرين على نشر ثقافتنا الإسلامية ولغتنا العربية الأصيلة في البلدان العربية، وبالتالي لا عجب أن تتعرض ثقافتنا للتشويه والتهميش.

معدلات الأمية في الدول العربية:

"حققت الدول العربية انخفاضاً في معدل الأمية بين البالغين من 60% عام 1980م إلى 43% في منتصف التسعينات، وهذا يعني بقاء 68 مليون أمي بين سكان الدول العربية ورغم انخفاض معدل الأمية، فإنه لا يزال أعلى من المتوسط العالمي البالغ 22,6%، ومتوسط البلدان النامية البالغ 29,7%، وبلغ معدل الأمية في الدول الصناعية 1,3% في الفترة الزمنية نفسها"⁽²⁾.

أما نسبة الإناث الأميات في الدول العربية مقارنة بالدول المتقدمة، 63% من أصل عدد الأميين الإجمالي. "أما نسبة الأطفال الذين لا يصلون إلى الصف الخامس الابتدائي تصل إلى 7% في الدول العربية، و32% في إفريقيا وجنوب الصحراء، و35% في جنوب آسيا، و17% في جنوب شرق آسيا، في حين أن هذه النسبة في البلدان الصناعية لا تتجاوز 1%"⁽³⁾.

واقع الشعر والأدب في الوطن العربي:

في ملف التأليف والنشر يطرح التقرير الذي تصدره مؤسسة الفكر العربي للعام الثالث، سؤالاً رئيسياً حول ماذا قرأ العرب وماذا كتبوا في المقابل، "ويتضح أن الأكثر شراءاً للكتب والأكثر اعتياداً على القراءة هم من الفئة العمرية التي تتراوح بين

(1) العولة والتبادل الإعلامي الدولي، د. صابر فلهوط ود. محمد البخاري، الصحيفة 101.

(2) العولة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 121.

(3) الهوية الإسلامية في زمن العولة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، الصحيفة 198.

العشرينيات والثلاثينات على الرغم من تراجع التعليم بالعربية، كما تظهر الأرقام أن نحو 70٪ من القراء يفضلون الكتب العربية، ونحو 20٪ يفضلون الكتب المترجمة من لغات أجنبية إلى اللغة العربية، كما أن أغلبية القراء يفضلون الكتاب العرب مقارنة بالأجانب والنسبة الأكبر منهم يقرؤون في مجال الأدب يليهم من يفضلون قراءة الكتب المتعلقة بالأديان، علماً أن فئة الكتب الدينية كانت تستحوذ على النسبة الأعلى من استطلاعات الرأي السابقة⁽¹⁾.

أما حول موضوع اللغة العربية والترجمة في ذلك التقرير فقد ذكر ما يلي:
"حظيت قضية اللغة العربية باهتمام لافت في ظل المخاوف من ضعف الناطقين باللغة العربية وضعف العربية نفسها في المدارس والجامعات وأيضاً في الإعلام والصحافة، وفي مجال تعريب العلوم وصك المصطلحات، إذ احتلت اللغة العربية المركز الرابع بين لغات العالم وقد جاءت بعد الانجليزية والصينية والإسبانية، كما استحوذ موضوع الترجمة على اهتمام عربي واسع النطاق، خصوصاً من قبل وزارات الثقافة والمؤسسات الثقافية العربية، ولوحظ توسيع قوس اللغات التي يترجم عنها العرب على الرغم من أن معظم الترجمات بقيت محصورة باللغتين الانجليزية والفرنسية، وحفلت سنة 2009م بعدد وافر من المؤتمرات والندوات ودروس العمل التي ناقشت النشاط الترجمي والمعاني الثقافية والحضارية والسياسية للترجمة في ظل عالم معولم"⁽²⁾.

ويذكر بأن إجمالي ما يترجمه العرب سنوياً لا يزيد عن 300 كتاب مع العلم بأن هذا العدد أقل من خمس ما تترجمه دولة مثل اليونان، وإجمالي ما ترجمناه منذ عصر المأمون إلى الآن في حدود عشرة آلاف كتاب، وهو يساوي ما ترجمه إسبانيا في عام واحد. مما سبق نجد أن جهود الترجمة العربية تنتظر مشروعاً كبيراً يُسخر له إمكانيات مناسبة، وفق خطة ملائمة قائمة على استراتيجية واضحة، وعدم تشتيت جهات الترجمة، ومراعاة الاتفاق على توحيد المصطلحات التي يتم ترجمتها⁽³⁾.

أما الشعر: يلحظ التقرير افتقار الشعر عموماً إلى المتابعة النقدية وإلى القراءة معاً على عكس الرواية الأشد حضوراً من الشعر والأكثر استقطاباً للكتاب أيضاً، إذ أن

(1) مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة، د. نجاح قدور، الصحيفة 65.

(2) مجلة العربي، ثناء عطوان، بيروت، العدد 68 مارس 2011م، الصحيفة 196.

(3) الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، عبد الرشيد عبد الحافظ، الصحيفة 107.

العديد من الشعراء والمرحّحين اتجهوا إلى كتابة الرواية بعدما وجدوا فيها فسحة أوسع للتغيير⁽¹⁾. وأخطر ما أصاب الشعر العربي في وقتنا الحاضر، هو الشعر باللهجات العامية كالحلّيجية مثلاً، والترويج له عن طريق المسابقات في بعض الفضائيات العربية، حيث تجد برنامج للشعر والشعراء، وتجد الرابع في تلك المسابقات شعره باللهجة العامية، ولا بد من الانتباه للرواية الشعبية ومضمونها، ففي دراسة أجريت لـ 300 رواية شعبية لوحظ فيها، "أن التوجه المعادي للإسلام في هذه الروايات بدأ بالتزايد بشكل كبير، كتماً ونوعاً، منذ مطلع السبعينات، ويحتلّ الإسلاميون في هذه الروايات موقع المجرمين والأشرار، الذين يحاول أبطال مكتب التحقيقات الفدرالي⁽²⁾ الأمريكي، أو غيرها من الأبطال الآخرين أن ينقذوا العالم من مؤامراتهم الشيطانية⁽³⁾".

(1) مجلة العربي، العدد 628، الصحيفة 195.

(2) الفدرالية: شكل من أشكال الحكم تكون السلطات فيه مقسمة دستورياً بين حكومة مركزية (أي حكومة فدرالية أو اتحادية) ووحدات حكومية أصغر (الأقاليم، الولايات)، ويكون كلا المستويين المذكورين من الحكومة معتمد أحدهم على الآخر وتتقاسم السيادة في الدولة.
(www.wikipedia.com).

(3) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، الصحيفة 180.

المبحث السادس

العولمة والتخطيط السلبي ضد الدين

كما هو معروف إن للدين فاعلية وأثراً كبيراً في صياغة الهوية الثقافية والحضارية للأمم والشعوب، فقوام كل هوية ثقافية أصيلة، هو الدين الذي ينشئ منظومة من القيم الأخلاقية والخصوصيات الثقافية المميزة.

يتفق العديد من الخبراء في أن العولمة وسياساتها تنطوي اليوم على إمكانات الإضرار بالأديان وإفادتها في الوقت نفسه، فمن ناحية تقوم العولمة خاصة في جانبها الإعلامي والثقافي، بالترويج للأنماط الاستهلاكية، والتحلل من القيم والمبادئ وذلك بتحدي المنظومات الدينية والأخلاقية وإضعاف إقبال النشء الجديد عليها. مصداقاً لذلك إن الهوية الدينية الإسلامية مثلاً في المجتمعات الأوروبية هي الأكثر تعرضاً لانعكاسات العولمة وتحدياتها، باعتبار أن العولمة في صورتها الراهنة، هي ثقافة الاختراق. ومن ناحية ثانية: فإن نفس هذه المنظومات الدينية، تعتبر من أكبر المتفعين من العولمة، لاسيما من جهة استثمار أجهزة وسائل الإعلام والاتصالات الرقمية الحديثة وتوظيفها لترويج رسالتها الدينية التبشيرية⁽¹⁾.

لقد ساهمت العولمة بشكل كبير وفي كثير من الحالات في إعادة بعث الهوية الدينية كالجماعات الدينية ذات التوجه الاجتماعي حيث "تحاول الجماعات الدينية ذات التوجه الاجتماعي الوصول إلى الله عن طريق السعي الشخصي بدلاً من مؤسسات الهيئات الدينية، فهي تركز على قدرة الطائفة على تحسين حياة أفرادها عن طريق جهد الجماعة. ولقد ظهر الكثير من هذه الجماعات ضمن طوائف الروم الكاثوليك بقيادة قساوسة أصغر سناً وأكثر راديكالية⁽²⁾ من غير الراضين عن التسلسل في المناصب الكنسية والداعين إلى تحرير لاهوتي يطعم الراديكالية الإنجيلية بسمت من الماركسية اللينينية"⁽³⁾.

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 177.

(2) الراديكالية: أصلها كلمة Radical، وتعني أصل أو جذر، ويقصد بها عموماً (مثل كلمة أصولية) العودة إلى الأصول والجذور والتمسك بها والتصرف أو التكلم وفقها، وهي فلسفة سياسية تؤكد الحاجة للبحث عن مظاهر الجور والظلم في المجتمع واجتثاثها. (www.wikipedia.com).

(3) حالات الفوضى والآثار الاجتماعية، عمران أبو حجلة، الصحيفة 162.

إن التهديدات الثقافية والآثار السلبية للعولمة وخصوصاً على الهوية الإسلامية، قد تؤدي، "إلى فرار الناس إلى الدين وبالتالي يلوذون به ويحتمون بعقائدهم لدرجة التعصب والعنف والقتال، لأنهم يشعرون أنهم مهددون في أعز شيء عندهم، ولشدة خوفهم من الاستئصال والانسلاخ قسراً عن معتقداتهم، لأن الصراع يسهل أن ينشأ عندما يشعر الإنسان أنه مهدد في جانب من ذاتيته.

وقد يؤدي ذلك أيضاً إلى ظهور الأقليات العرقية وسلوكها العنيف مما يهدد السيادة الوطنية لبلد ما من البلدان ويمزق وحدتها الثقافية السائدة، وعقيدتها الدينية، نفهم من ذلك، إن العولمة من خلال ما تنشره أدواتها الإعلامية من قيم وأدوات ومبادئ تتنافى والمعتقدات الدينية، لشعوب الدول الوطنية، فإنها تدفع بالبعض إلى انتهاج سلوكيات متطرفة يوصف بعضها اليوم بالإرهاب أو بالأعمال الإرهابية"⁽¹⁾.

ربما من هنا ظهرت مصطلحات جديدة لجماعات إسلامية كالأصولية الإسلامية والإسلاموية أو الإسلامويين والإسلام فويا. وحول مفهوم هذه المصطلحات:

1- الإسلاموية: "يجري التفريق بين الإسلام كدين، وبين الإسلاموية كحركة سياسية عادية، توظف التدين الشعبي لأغراضها الاجتماعية والسياسية، وخصوصاً لأغراض الاستيلاء على السلطة. كما يجري التفريق بين الإسلامي بوصفه سلوكاً سويتاً للمسلم المؤمن المتدين، وبين الإسلاموي بوصفه تعبيراً عن استعمال الدين كسياسة..

وتدل الإسلاموية منذ العام 1970م على التيارات الأكثر تطرفاً وعنفاً في الإسلام المعاصر، التي تريد أن تجعل من الإسلام من الدين الإسلامي الحنيف والقيم، أكثر من ديانة في جوهرها، تريد أن تتخذ سلاحاً أيديولوجياً سياسياً لاجتذاب الجمهور العربي أو الإسلامي، المتخبط بين الأديان والسياسات. ولهذا تنزع الحركات والجماعات والتيارات الإسلاموية إلى المناداة بالتطبيقات الصارمة للشريعة (الحكم لله)، وإلى إنشاء دول إسلامية ثورية"⁽²⁾.

وإن جوهر إشكالية الإسلاميين هي إبراز فساد النظام العلماني، كإطار للحدثة، تماماً كما أن جوهر إشكالية الشيوعية هو إبراز تناقضات الرأسمالية وتقريب أجل انهيارها

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 178.

(2) ملحق الموسوعة السياسية، خليل أحمد خليل، الصحيفة 40.

الحتمي، لإزالة الاستغلال والعبودية والاستلاب، وإقامة نظام الاشتراكية وأساسه إلغاء الملكية الفردية، بل إن الإسلاميين لا يبررون استلهاهم النصوص الدينية القديمة على أساس ديني ولكن من منطلق ما تتضمنه في نظرهم من مناهج أنجع لتحقيق التقدم والازدهار والقوة للمجتمعات، أي لإخراجها من تحت السيطرة الاستعمارية والحرية والكرامة والعدالة للأفراد، ودافعهم إلى ذلك مشكلة الغير من الشعوب والأمم في الحرية والرفق الحضاري لا الانفصال الفعلي عنهم⁽¹⁾.

2- الإسلام فوييا: "دخلت كلمة الإسلام فوييا قاموس السياسة الأوربية وتحولت إلى مفردة لها معان محددة في عصرنا كما حصل في القرن التاسع عشر مع مفرد اللاسامية، وتحت مفرد "الإسلام فوييا" وهي كلمة يقصد بها الإرهاب الإسلامي، كمصطلح لمعنى الخوف من الإسلام، بدأت تعقد المؤتمرات السياسية وتدار الندوات الفكرية لمعالجة مواضيع المخاوف من الإسلام والمسلمين وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية"⁽²⁾.

3- الأصولية: "تقال على معنيين:

1- النزعة المحافظة لدى بعض الأوساط البروتستانتية، لاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث لا يقبل سوى تأويل حرفي للكتاب المقدس، وتُرفض كل قراءة تاريخية وعلمية لهذا الكتاب.

2- نزوع بعض أتباع ديانة معينة للعودة على ما يعتبرونه أصلاً، أساساً لمعتقدهم الراهن. بهذا المعنى الأصولي هو المحازب المتحزب، المقلد لسابقه الأقدم فالأقدم، وهو الباحث عن نفسه، لا في واقعه الراهن بل في موروثه الأصولي.

كما يقال الأصولية بمعنى التهامية أو الكمالية، فتكون في هذا المجال الديني - السياسي، مثلاً تعبيراً عن موقف وعن استعداد فكري إزاء بعض المعتقدات التي ترفض باسم الاحترام القاطع للتقليد أو التراث الغابر كل تطوّر أو تحول، مثل الأصولية الإسلامية⁽³⁾.

(1) ثقافة العولة وعولة الثقافة، برهان غليون، الصحيفة 121

(2) صورة الإسلام في الإعلام الغربي، د. محمد بشاري، الصحيفة 74.

(3) ملحق الموسوعة السياسية، خليل أحمد خليل، الطبعة الأولى، 2004م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الصحيفة 41.

والأصوليون يسعون إلى خلق مجتمع ذي توجه تقليدي محولين قوانينه، وأخلاقياته، وعاداته الاجتماعية، وأحياناً تركيبته السياسية بما يتفق مع النصوص الدينية الصارمة، وهم يعارضون الحكومات القائمة، لأنهم يريدون السيطرة على مجالات رئيسة في البلاد كالتعليم. وهي مجالات تخضع بصراحة لسلطة الحكومة الرسمية، وكثيراً ما يتم قرن الأصولية الدينية بالتفسير الحرفي للنصوص الدينية التي تقدم بيانات جاهزة سلفاً لإحداث إصلاح راديكالي. ويمكن العثور على أصوليين بين أتباع كثير من الديانات المسيحية والإسلام واليهودية، وهناك من يعتقدون بوجودهم بين الهندوس والبوذيين⁽¹⁾.

وأهم حركة أصولية ظهرت في السنوات الأخيرة هي حركة الأصولية الإسلامية والتي من مبادئها: "أن السياسة والدين لا ينفصلان وأنه سواء كان ذلك طوعاً أو كرهاً، فإن على المسلمين كافة أن يطيعوا قانون الشريعة. ويسعى بعض الأصوليين المسلمين إلى تسلم سلطة الدولة عن طريق النضال المسلح، بينما يرى بعضهم أن يتم ذلك عن طريق التغيير المتنامي من خلال صندوق الاقتراع، بينما يستخدم غير هؤلاء الجمع بين عدة وسائل، مثل زيادة النضال خارج البرلمان، والدعوة الدينية داخل المجتمع، والضغط على الحكومة من خلف الكواليس. وغلب على الحكومات التي يعارضونها أن تكون أنظمة سياسية مغلقة تسيطر عليها نخبة سياسية واقتصادية متعاسكة"⁽²⁾.

كما توصف بعض الحركات الإسلامية اليوم بأنها أصولية، "ويرى منتقدوها أنها ليست من الأصولية بشيء، كما عرفها الغرب، إنما هي في نظرهم خصوصاً في ضوء أحداث الجزائر وإيران وسواهما حركات سياسية دينية رجعية ظلامية، ومعادية للتقدم، والديمقراطية، ويرون فيها حراكاً سلفياً يعود إلى ابن تيمية تارة وإلى ابن حنبل تارة أخرى وينفون عنها طابع الإصلاحية الذي ارتدته بعض الجماعات والحركات الإسلامية العربية في ظروف التحرر الوطني والقومي، والنضال لأجل الاستقلال وبناء دولة وطنية حديثة"⁽³⁾. ولعل الباحثين الغربيين عندما يذكرون الأصولية الإسلامية يقصدون المفهوم الأخير أي الرجعية والظلامية وأنها معادية للتقدم والحداثة بالإضافة لصفة الإرهاب.

(1) حالات الفوضى الآثار الاجتماعية، ترجمة عمران أبو حجلة، الصحيفة 162.

(2) حالات الفوضى الآثار الاجتماعية، ترجمة عمران أبو حجلة، الصحيفة 162.

(3) ملحق موسوعة السياسة، خليل أحمد خليل، الصحيفة 42.

"لقد استخدم الإعلام الغربي لفظة الأصولية الإسلامية في معرض الإدانة والتشويه لصورة الإسلام في الغرب، وجعلها مقترنة بالتطرف والعنف والتخلف والجمود، وهذا استخدام خاطئ ومغرض، فالتطرف ظاهرة عالمية في الشرق والغرب، وهو في أمريكا كما هو في اليابان، وهو في أوروبا أشد خطورة، لأنه يعبر عن عنصرية واضحة وكراهية للعرب والمسلمين"⁽¹⁾.

ومن أمثلة هذه الكراهية المحاضرة التي ألقاها المستشرق المصري "يفيتش" في البلقان، عن صراع الحضارات يؤكد فيها تلازم الإسلام للعنف والإرهاب حتى في أحكامه الشرعية وتلخص أفكاره بما يلي:

"-غربة الحضارة الإسلامية عن الحضارة الأوروبية، ولذلك يصبح كل مسلم في أوروبا بالنسبة له غير أوروبي أو أوروبياً مزيفاً لأن الحضارة الإسلامية هي حضارة عربية ليس لها مكان في أوروبا.

- ترادف الإسلام مع العنف والقتل، إذ يرى أن الإسلام يقوم على مفهوم التقرب إلى الله بذبح الحيوان (القربان) ولذلك لا يوجد سوى خطوة واحدة تفصل المسلم بين ذبح الحيوان وذبح الإنسان للتقرب إلى الله.

- عداة الإسلام للتسامح والتعايش مع الآخرين ولذلك يصبح الإسلام كما يقول "يفيتش" خطراً على المجتمعات الحديثة.

- تدمير الإسلام لكل ما هو غير مسلم، إذ يذكر "يفيتش" باستمرار أن الشريعة الإسلامية تحلل تدمير كل من يدين بدين آخر"⁽²⁾.

إن لفظة "الأصولية" في الإسلام لم تستخدم بهذا المعنى أبداً، "فالأصولي هو العالم بقواعد الأصول، ووظيفته البحث عن القواعد الكلية وعن الأدلة الشرعية، وتأتي لفظة الأصولي مرادفة للفظه الفقيه، فهناك الأصوليون وهناك الفقهاء، وتختلف مهمة كل منهما على الآخر، فالفقيه مهمته استنباط الأحكام الجزئية من الأدلة الشرعية والأصولي يبحث عن القواعد التي يعتمد عليها الفقهاء في استنباط أحكامهم"⁽³⁾، فستان ما بين "الأصولي" عند المسلمين و"الأصولي" عند الغربيين أو حسب الإعلام الغربي.

(1) الثقافة الإسلامية في النظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، الصحيفة 110.

(2) الحداثة وما بعد الحداثة، فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري، الصحيفة 250.

(3) الثقافة الإسلامية في النظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، الصحيفة 109.

ولكن وجود هذا الاختلاف في استخدام اللفظ لا ينفي وجود الأصولية بين المسلمين وبالمعنى المتطرف في عصرنا الحاضر، حيث "تقاوم التجمعات الأصولية القيم الإسلامية السائدة في المجتمع بنفس الحساس الذي تقاوم به القيم الأوروبية الدخيلة، ويعتبرون أن القيم الإسلامية السائدة لا تمثل القيم الإسلامية الأصيلة، وهي قيم اجتماعية ذات رسوخ تاريخي، ولهذا فهم يطالبون بتصحيح المفاهيم الإسلامية، ومقاومة رموز الإسلام التقليدي من أفكار موروثة وعلما تقليديين، ولا يثقون بالعلماء الذين لا يشاركونهم أفكارهم، ويصفونهم بعلما المناسبات الاجتماعية وعلما المناصب والحفلات، ويستفيدون من أخطاء أولئك العلماء في تشويه سمعتهم"⁽¹⁾.

ومما يجب ملاحظته أن الغربيين يستخدمون لفظ "الأصوليين" و"الإسلاميين" وغالباً يكون المعنى واحد، أي أولئك الذين يقومون بتفجيرات وعمليات انتحارية في الدول الغربية.

وقد ذكر أوليفيه روا في كتابه عولة الإسلام دراسة عن شخصيات الاعتداءات في الغرب وعن بعض السجناء الذين يحتجزهم الأمريكيون في سجن غوانتانامو، وقد ذكر أنهم باستثناء السعوديين يتشاطرون جميعاً الميزات نفسها، "إنهم قوميون مغتربون: لا يعيشون في البلد حيث وُلدوا ولديهم أحياناً جنسيات غربية (فرنسية، بريطانية، أو أمريكية) وقد درسوا جميعهم تقريباً أو عاشوا في عدة بلدان، كما تابعوا دروساً عصرية (وهي غالباً جيدة) وعاشوا شبابهم على الطراز الغربي (ملاة ليلية، فتيات، كحول)، واجتماعياً هم إما متحدرون من طبقات متوسطة، ولما آتوا من أحياء تتسم بالعنف، وغالباً مع قدر من المعاناة والمخدرات والارتداد في السجن... كما أنهم انفصلوا عن عائلاتهم ووطنهم الأم والبلد الذي يستضيفهم، والتحقوا بأخوية دولية. وهنا تتفاجأ العائلات كلها تقريباً وتصدم باكتشافها وفاة أحد أقربائها في عملية انتحارية أو بتواجهه في غوانتانامو (في المقابل، ترك الانتحاريون⁽²⁾ الفلسطينيين جميعهم عائلاتهم يوم موتهم والعائلات كلها تفتخر بإنجاز قريبها - أي موته-) "⁽³⁾.

(1) الثقافة الإسلامية في النظام العالمي الجديد، محمد فاروق النبهان، الصحيفة 57.

(2) أخطأ المؤلف عندما وصف العمليات التي يقوم بها الفلسطينيون في بلدهم ضد العدو الإسرائيلي بأنها انتحارية، بل هي عمليات استشهادية يفخر كل المسلمين بها.

(3) عولة الإسلام، أوليفيه روا، الصحيفة 204.

وسأذكر بعض الأمثلة التي ذكرها المؤلف:

مثلاً قائدا الطائرتين الانتحاريتين ضد مبنى التجارة العالمية وهم: محمد عطا المولود في مصر، ومروان الشاهي من الإمارات العربية المتحدة، وزياد الجراح المولود في لبنان، وجميعهم أبناء عائلات مسورة وقد عاشوا حياةً على الطراز الغربي، تركوا بلادهم بين عامي 1992 م و1996 م وانتقلوا إلى هامبورغ حيث درسوا الهندسة المعمارية وتابعوا دروساً في جامعة العلوم التطبيقية، ارتدوا إلى الإسلام -حسب تعبير الباحث- في إطار مسجد القدس حيث التقوا، وقد كانت أخبارهم قد انقطعت عن عائلاتهم، وفي عام 1997 م ذهبوا جميعاً إلى أفغانستان وعادوا منها بعد سنة، كما ذهبوا في حزيران 2000 م إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتحقوا بمدارس لتعليم قيادة الطائرات.

ومن بين سجناء غوانتانامو، عاصف إقبال: (عمره 20 عاماً) من تيبتون، وكان يشرب الكحول ويعاكس الفتيات ومن ثم أعلن أنه ذاهب إلى باكستان ليعقد زفافاً مديراً، وشفيق رسول (24 عاماً) من تيبتون أيضاً، وكان معروفاً كشخص غير ملتزم ويرتدي ثياباً ماركة آرماني، وكانت لديه حبيبة تدعى شيرلي، ومنهم أيضاً، نزار طرابلسي، وهو لاعب كرة قدم من أصل تونسي عمره 31 سنة، ويعيش في بلجيكا، وكان معروفاً كمهرب مخدرات ومتعاطٍ لها⁽¹⁾.

ولم أذكر هذه الأمثلة إلا للوصول إلى حقيقة مهمة أن المناضلين الإسلاميين المتورطين في شبكات متهمه بالإرهاب ليسوا إلا ثماراً مثالية للتغريب والعودة، فهم يحملون هوية إسلامية بعقول غريبة.

(1) للاستزادة في هذا الموضوع انظر: عولة الإسلام، أوليفيه روا، الصحيفة 204 إلى 212.

المبحث السابع

أثر العولمة على الإعلام

"الآن الامبريالية الأمريكية لا حاجة لها أن تنشئ إمبراطورية كبرى تضم العالم كله تحت قيادتها كما حصل فيما مضى، فهذا المفهوم أصبح قديماً ولم يعد له من مبررات، الآن تستطيع أن تتحكم بالعالم من واشنطن من المركز الإمبريالي، عبر السلعة، وعبر الجيش، وعبر المعلومة، عبر هوليوود، وإنتاج البرامج... من هنا سنجد أن العولمة الآن في ظل الإمبريالية تأخذ شكل الهيمنة الاقتصادية والثقافية، وليس شكل الغزو المباشر وتوحيد العالم بإمبراطورية واحدة"⁽¹⁾.

وإن كان لي رأي وهو: العولمة تأخذ شكل الهيمنة الاقتصادية على جميع دول العالم وشكل الهيمنة العسكرية على الدول الضعيفة وشكل الهيمنة الثقافية لربما على الدول التي تتميز بقليل من القوة عن غيرها من الدول، وذكرت بأن السلاح الأساس في الهيمنة الثقافية هو الإعلام.

"فالعولمة باعتبارها دعوة لتبني نموذج معين، إنما هي إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمرته، وتعطي كل الأهمية والأولوية للإعلام، في سبيل إحداث التغييرات المطلوبة، إذ أن الهيمنة العالمية، تعني تكريس سلطة تكنولوجيا الإعلام التي ترسم الحدود العولمية الجديدة، أي حدود المجال الثقافي التي ترسمها وسائل الاتصال"⁽²⁾.

إن وسائل الإعلام بتعدد مظاهرها كالمقروءة والمسموعة والمشاهدة ليست إلا "امتداداً للحواس التي من خلالها يتم التواصل ويحصل الإدراك فالمكروفون امتداد للأذن، والتلفاز امتداد للبصر، والكمبيوتر امتداد للذكاء؛ من حيث هو تذكّر أو تخيّل أو إدراك آني، وما يتضاف داخل هذا الأسلوب من الوعي هو تقليص المسافة"⁽³⁾.

ومن حيث إن الإعلام هو: حدس للأشياء فإن من أهم آثاره أنه يستطيع أن يفقد الشعور أو الإحساس بالأمور العظيمة لتتحول إلى لحظة سطحية لا تنفذ إلى العمق، فهي

(1) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 29.

(2) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 16.

(3) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 161.

"تكتفي بما تراه أو تسمعه فيبدو العالم والأشياء صوراً باهتة والأحداث حالات متكررة عادية ومألوفة مما يقتل في كل لحظة شعوراً متعاطفاً أو لحظة وعي حادثة وهو ما تسعى العولمة إلى تجريده من خلال تحويلها للأحداث المؤلمة والدموية إلى أحداث مألوفة تشاهد كما لو كنا نشاهد أفلاماً كرتونية"⁽¹⁾.

ففي "نشرات الأخبار الموجهة وعلى سبيل المثال: لا تجد نشرة أخبار إلا وفيها خبر عن العدو الإسرائيلي وصور لزعيماته، مما يهون الأمر على المشاهد ويحاول الوصول إلى تطبيع الرأي العام"⁽²⁾، وهذا ما حدث فعلاً عند مشاهدة الأخبار المتعلقة بالقضية الفلسطينية حيث بات خبر استشهاد فلسطينيين أو ثلاثة أو حتى عشرة واعتقال العشرات على يد القوات الإسرائيلية خبراً طبيعياً لا يثير أي شعور أو إحساس داخل نفوس الناس في جميع دول العالم سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية، لا بل أكثر من ذلك وكأننا اليوم لا نشاهد هكذا خبر على الإطلاق في القنوات الإخبارية العربية أو غير عربية من باب أولى.

"إن الإعلام كمنظومة متكاملة الأدوات والوسائل والسبل، تشكل قوة ضغط كبيرة وفاعلية هائلة حيث تستطيع أن تصل إلى الجميع، وتقدم صوراً مبهرة لعالم آخر، يأخذ صيغة الحلم فيخترق الحواس والعقول عبر ما يستطيع أن يقدمه متجاوزاً كل الممنوعات والمحرمات وأخلاقيات المجتمعات وقيم الحضارة الإنسانية لذلك المجتمع، ثم فرض صورة جديدة ونمط جديد، لحياة وتربية وطرائق تفكير"⁽³⁾.

إن وظيفة المنظومة الإعلامية هي: "أن تتسلى وتلهى وتعلم وترسخ القيم والمفاهيم والمعتقدات وأنهاط السلوك الغربي على الآخرين، كما يرى أحد الخبراء الغربيين، ولتحقيق ذلك أصبحت ميزانية الإعلام موازية تماماً لميزانية الدفاع في بعض الدول فإحصائيات عام 1986م تقول إنه بلغ رقم اقتصاد الإعلام في الغرب والاتصالات مبلغ 1175 بليون دولار تقريباً منها 505 بليون دولار للولايات المتحدة الأمريكية، و267 بليون دولار للجماعات الأوروبية و253 بليون دولار لليابان، و150 مليون دولار للآخرين في العالم"⁽⁴⁾.

(1) حقيقة العولمة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 162

(2) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 74.

(3) ربح العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 34.

(4) جريدة الوطن، رامي منصور، العدد 1118، 16/3/2011.

"إن هذا النمو الهائل في اقتصاديات الإعلام والاتصالات والمعلومات قد أفضى إلى مزيد من التداخل بين عولمة الإعلام وعولمة الاقتصاد.. فالإعلام أصبح صناعة وقطاعاً مؤثراً في الاقتصاد العالمي ومثل هذا القطاع 40% من الإنتاج الصناعي العالمي، وتضم أكثر من 60% من اليد العاملة في العالم الصناعي"⁽¹⁾.

وإن الميزانيات الضخمة التي وضعت للإعلام في دول الشمال جعلته يتحكم بقوة في الإعلام الموجه نحو دول الجنوب الأمر الذي أحدث خللاً في المنظومة الإعلامية، وقد فشلت جميع الجهود والمبادرات التي بذلت في إطار الأمم المتحدة لوضع أسس لقيام نظام إعلامي جديد يحقق التوازن بين الشمال والجنوب.

التلفزة:

أظهرت الدراسات أن التلفزيون يعتبر من أكثر وسائل الإعلام الجماهيرية تأثيراً على الجمهور الإعلامي، مع العلم بأن أجهزة التلفزيون كانت "موجودة في 8000 منزل في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها سنة 1946م، وفي سنة 1994م أصبح 886 مليون منزل في العالم تملك أجهزة تلفزيونية، إضافة إلى تزايد عدد ساعات المشاهدة"⁽²⁾.

واعتقد إذا أجريت دراسة جديدة في عامنا هذا، سنجد أن أعداد التلفزيون ستكون أكثر من أعداد الأسر والمنازل، ذلك لأن اليوم ليس في كل منزل جهاز تلفاز بل في كل غرفة بالمنزل يوجد جهاز تلفاز، ومع هذا التزايد يزداد تأثير الأجهزة الإعلامية على الأسر، أي يزداد تأثير العولمة على جهاز التلفاز.

"ويؤكد تأثيره النسبة المرتفعة لساعات المشاهدة يومياً، في أوساط المشاهدين للبرامج التلفزيونية، ويعد التدفق الإعلامي الدولي عبر القنوات التلفزيونية الفضائية، مؤثراً بصورة خاصة على النساء والأطفال الأكثر تعرضاً للبرامج التلفزيونية، ويعد التدفق الإعلامي الدولي عبر القنوات التلفزيونية الفضائية، مؤثراً بصورة خاصة على النساء والأطفال الأكثر تعرضاً للبرامج التلفزيونية في الدول المتقدمة، ومجمل سكان الدول الأقل تقدماً، وأن النموذج الإعلامي التلفزيوني الغربي المسيطر، أو النموذج الاشتراكي الآخذ بالأفول، لا يلبى الحاجات الإعلامية للدول النامية"⁽³⁾.

(1) العولمة، ندوة، نعيم محمد شومان، الصحيفة 86.

(2) التربية والتعلم في الوطن العربي، د. عبد العزيز بن عبد الله السنبلي، الصحيفة 34.

(3) العولمة والتبادل الإعلامي الدولي، د. صابر فلهوط و د. محمد البخاري، الصحيفة 90.

ومن الغريب أن بعض الدول الغربية يشكو من عولمة الثقافة على الهوية كما تشكو من أثر التلفزة الأمريكية على الأطفال، فمثلاً: نجد "أن هناك دراسة في استراليا وهي بلد غربي يشكو من مواد التلفزة الأمريكية على الأطفال لأنها تؤدي إلى فقدان الانتماء وإلى أزمة أخلاقية وغربة ثقافية وكذلك كندا حيث عبرت وزيرة الثقافة الكندية عن انزعاجها من الهيمنة الثقافية الأمريكية، قائلة: من حق الأطفال في كندا أن يستمتعوا بحكايات جداتهم، ومن غير المعقول والمقبول أن تصبح 60٪ من برامج التلفزيون الكندي مستوردة، وفي الفلبين، أجريت دراسة على 255 طالباً وجد فيها أن التعرض للمواد التلفزيونية الأمريكية قد ارتبط إيجابياً بتأكيد هؤلاء الطلاب على قيمتي المنفعة والمادية، باعتبارهما القيمتين الأكثر أهمية في حياتهم في حين تدنت لديهم قيم فلبينية مثل الصفح والتسامح والتضحية والحكمة، هذا فضلاً عن الدراسات التي تعانيها الشعوب الشرقية غير الإسلامية، وسائرة في الفلك الغربي كاليابان وكوريا الجنوبية من العولمة، ومن نتائج إحدى الدراسات التي أجريت عن أثر البرامج التلفزيونية الأمريكية على الشباب الكوري، أن هذه المواد أدت إلى تأثير بالغ على القيم التقليدية الكورية، فأصبحت الفتيات أكثر تحملاً من القيم الأسرية والأخلاقية⁽¹⁾، ولكن هل ثمة دراسة عن أثر البرامج المستوردة الأمريكية الإسرائيلية على الشباب المسلمين؟!

إذن في المجال التلفزيوني بالذات وأكثر من غيره تزداد المخاوف من الغزو الثقافي والتهديد الموجه ضد الثقافات القومية في العالم الثالث. كما "يلاحظ أيضاً ازدياد أوجه التفاوت في مجال التلفزيون سواء ما يتعلق بأجهزة الاستقبال أو محطات الإرسال فنلاحظ أن نصيب العالم الثالث كله لا يزيد عن 16٪ من أجهزة استقبال التلفزيون في العالم بينما تزداد النسبة في مجال الإرسال إذ تبلغ 28٪"⁽²⁾.

أما حول التدفق الإعلامي لوكالات الأنباء: "إن هناك سيل جارف من المعلومات بين شمال القارة الأمريكية، والقارة الأوروبية، وإن هناك اتجاهاً واحداً للتدفق الإعلامي، يتركز من شمال الكرة الأرضية إلى جنوبها، يستقبل من خلاله العالم أكثر من 90٪ من المواد الإعلامية عبر لندن وباريس ونيويورك.

(1) انظر جريدة الوطن، العدد 1118، رامي منصور، 16/3/2011.

(2) قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، د. عواطف عبد الرحمن، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، بإشراف أحمد مشاري العدواني، 1423هـ - 1990م، الصحيفة 13-14.

وبعد التدفق الإعلامي في اتجاه واحد، انعكاساً لسيطرة النظم السياسية والاقتصادية للدول المتطورة والمسيطرة في العالم والتي تؤكد دائماً على تبعية الدول الأقل تطوراً والدول النامية للدول المتقدمة من خلال تركيز وسائل إعلامها الدولية على الأزمات والصراعات والصدمات العنيفة⁽¹⁾.

وحول عدد وكالات الأنباء الموجودة في العالم؛ مما يجب معرفته أن الأرقام لا تحمل أية دلالات، "فإذا كانت دول العالم الثالث تملك حوالي 75 وكالة أنباء وطنية في مقابل 28 وكالة أنباء أوروبية، و3 وكالات أنباء أمريكية عدا وكالات الأنباء الاشتراكية فإن احتكار وكالات الأنباء الأربع لحركة الأنباء في العالم كله يتجاوز القيمة الظاهرية لأية دلالات رقمية أو كمية"⁽²⁾.

"وهذا يوضح مدى سيطرة الوكالات الأربع الرئيسية للأنباء في العالم، على التدفق الإعلامي الدولي إضافة لبثها المواد التلفزيونية المصورة أيضاً، كما وتوضح الدراسات أن هذه الوكالات تركز في أنبائها على الأخبار السلبية والسيسة عن الدول الأقل تطوراً والنامية في العالم، كالنساء والعنف والكوارث أكثر من تناولها للأنباء الخاصة بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية والعلمية واحتياجاتها، بالتأكيد على الأحداث الجارية دون تناول العوامل المسببة لتلك الأحداث، إضافة لتركيز هذه الوكالات على الصفوة في المجتمع، أكثر من اهتمامها بالقطاعات العريضة من المجتمع"⁽³⁾.

ولقد أدى دخول وسائل الإعلام الجماهيرية ووكالات الأنباء الغربية إلى المجتمعات العربية، "إلى تناقض ظاهري بين هذه المجتمعات حيث إنه باعد بينها، كما أن تفاعل وسائل الإعلام مع الأنظمة العربية المختلفة خلق وعياً مختلفاً للواقع العربي في مجتمعه كله، وأدى هذا إلى مشاركة جماهيرية مختلفة، فوسائل الإعلام تقرر ما هو الحدث، من حيث أنها تقرر لائحة ما يستطيع المواطن أن يقرأه أو يراه أو يسمعه من خلال هذه الوسائل وعرضها للأحداث في الغالب، متأثرة بمقدرة مسؤوليها (من محررين وإداريين) على استيعاب الحدث وتقديمه في قالب صحيح وبالتالي فعمل

(1) العولة والتبادل الإعلامي الدولي، د. صابر فلحوط ود. محمد البخاري، الصحيفة 87.

(2) قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، د. عواطف عبد الرحمن، الصحيفة 14.

(3) العولة والتبادل الإعلامي الدولي، د. صابر فلحوط ود. محمد البخاري، الصحيفة 89.

وسائل الإعلام لا ينحصر في تقدير ما يحدث، بل يتعداه إلى تصوير ما يحدث بالأسلوب الذي تراه مناسباً⁽¹⁾.

كما تساهم وسائل الإعلام الجماهيرية في خلق تصور وفهم أو سوء فهم أو عدم فهم الشعوب لبعضها البعض وقد تكونت هذه الظاهرة، كنتيجة حتمية لانعدام التوازن في التدفق الإعلامي الدولي، ونتيجة للتشويه الناتج عن وصف الدول الأقل تطوراً، والدول النامية من خلال المواد التي تنشرها وتبثها مصادر الأنباء المسيطرة في العالم، بشكل سلبي يعطي صورة الاضطراب والفوضى والعنف والفساد والفشل عن تلك الدول⁽²⁾.

وهذا ما حدث في الإعلام الغربي عن الإسلام حيث قام بتشويه الإسلام وتصويره بأنه دين عدواني، ودين إرهاب وترويع وتخويف، كما أنه دين غدر ومدمر للعمران والحضارة وأن القرآن مصدر للعنف واستباحة دماء الأبرياء وظهرت هذه الصورة أكثر بعد أحداث 11 أيلول عام 2001م، ولكن هذه الصورة السلبية عن الإسلام كان لها إيجابيات تذكر، فيذكر أنه في إيطاليا 70 ألف إيطالي كاثوليكي تحولوا إلى الإسلام، ويعد ذلك رقماً كبيراً ومفاجئاً ويمكن إضافة رقم 24 ألفاً من الأمريكيين من اعتنقوا الإسلام، منذ أحداث 11 أيلول سبتمبر إلى غاية منتصف تشرين الأول الذي يليه.

وهذه نقطة مهمة، خاصة أنها تمت في فترة زمنية يتعرض فيها الإسلام والمسلمون للتحريض والتضييق على المسلمين بصفة عامة، ولكن ما حصل، أن بعد الاعتداءات التي حصلت وبعد الاتهامات التي وجهت للمسلمين، تصاعدت نسبة شراء الكتب التي تعرف بالإسلام، ومن ثم تصاعدت نسبة الراغبين في معرفة الإسلام سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أم في الدول الأوروبية، وبالتأكيد هذا لم يكن في حسابان الإعلام الغربي⁽³⁾.

أما المجال السينمائي الذي لا يقل خطورة وأهمية عن مجال التعليم في غرس القيم والأفكار والتصورات، كما أن هذا المجال يعدّ العامل الأبرز الذي تعتمد عليه السياسة الأمريكية في إقناع شعبها وتبنيته نفسياً لتقبل القضايا التي يسعون إليها، ففي الأفلام

(1) العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية، أعمال الملتقى الدولي للجزائر، الصحيفة 357.

(2) العولمة والتبادل الإعلامي الدولي، د. صابر فلحوط و د. محمد البخاري، الصحيفة 91.

(3) صورة الإسلام في الإعلام الغربي، د. محمد بشاري، الصحيفة 124. بتصرف.

السينمائية القديمة والحديثة على السواء يصور العربي المسلم على أنه مخلوق بعيد عن الحضارة، متشرد لا تحكمه الضوابط الأخلاقية، وبخاصة في الاتصالات الجنسية، وفي الأفلام الحديثة وخاصة في الثمانينات، وما بعدها، يصور العربي كإنسان همجي، ومن النادر أن تسمع اعتراضاً على هذا التصوير من المشاهدين أو من الصحف، لأن هذا الأمر أصبح مألوفاً وسائداً. "كما يُلاحظ من وسائل الإعلام الغربي، أن تحاول إظهار العرب في صورة من التخلف والإرهاب، مع عدم نسيان تأثير الأفلام الهوليوودية على أنماط السلوك الإنساني في العالم، وكذا ما تبثه المحطات الفضائية العالمية من برامج ومسلسلات وأفلام ودعايات"⁽¹⁾.

جاء في كتاب للبروفيسور دوغلاس كيلز ومايكل رايان: "إن التصوير العنصري للعرب بأنهم جماعة من الأثرياء الجشعين في أفلام المؤامرات التي يشركون فيها العرب، يُشعر المشاهد كأن العرب هم الملمومون عن كل المشاكل الاقتصادية في هذا العصر. وفي العديد من الأفلام السياسية المثيرة، يصور العرب على أنهم جماعات من الإرهابيين المتعصبين الذين يقتلون ضحاياهم بدم بارد، وأنهم يفتقرون إلى المشاعر الإنسانية وهكذا أصبح العرب يمثلون دور الأوغاد في أفلام هوليوود"⁽²⁾.

أما ملف السينما العربية: يبرز هذا الملف ظاهرة استجذبت منذ العام 1990م وهي تفوق الأفلام الهندية على الأفلام المصرية إذ فاق عددها في العام 2009م ضعف عدد الأفلام المصرية. فيما اعتبر العام 2009م من أكثر الأعوام ازدهاراً في تاريخ الأفلام الفلسطينية وبقيت السينما المصرية من ثلاثة أسواق في العالم تنال فيها الأفلام المحلية الحصة الأكبر من السوق وذلك يعود لقوانين وإجراءات تحمي الإنتاج المحلي"⁽³⁾.

وهناك عدة وجهات نظر حول البث الإعلامي المباشر فبعض الدارسين "ينظر إلى البث الإعلامي المباشر، على أنه هيمنة ثقافية وتسلط على عقول أبناء العالم الثالث..، ويذهب بعض الباحثين إلى أن الخطورة والإسفاف تتمثل في بعض القنوات التجارية التي تتجه للتركيز على العنف والإثارة الجنسية والإباحية، مما يتصادم مع الثقافات المحلية في البلدان النامية، ومنها الثقافة العربية الإسلامية. وينظر بعض الدارسين إلى البث

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 74.

(2) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، د. خليل نوري مسيهر العاني، الصحيفة 181.

(3) مجلة العربي العدد 628، الصحيفة 196.

الإعلامي المباشر، بشكل إيجابي، على أنه يسهم في إثراء المعرفة ونشر الثقافات، وتوسيع نطاق التعليم والوعي، واحترام حقوق الإنسان في نشر المعلومات⁽¹⁾.

إن من الأهمية أن نذكر المسؤولين عن القنوات والمحطات التلفزيونية العربية والإسلامية، بضرورة حسن اختيار المواد الثقافية والإعلامية والترفيهية التي يتم بثها على شاشات التلفزة، بالإضافة إلى الارتقاء بمضمون البرامج التي يتم عرضها لتلبي حاجات الناس وتثري عقولهم، وترتقي بأفكارهم، لا أن تهبط بثقافتهم ووعيهم وقيمهم.

وقد جاء في بعض الدراسات والإحصاءات حول الإذاعة والسينما والتلفزيون والفيديو ما يلي:

"جميع الوسائل الإعلامية لا يتجاوز تأثيرها 30٪ من قوة تأثير التلفزيون والفيديو، وإن الدراسات والأبحاث أثبتت أن بعض الطلاب عندما يتخرج من المرحلة الثانوية يكون قد أمضى أمام جهاز التلفزيون قرابة 15 ألف ساعة، بينما لا يكون قد أمضى في حجرات الدراسة أكثر من 10800 ساعة على أقصى تقدير ومعدل حضور بعض الطلاب في الجامعة 600 ساعة سنوياً بينما متوسط جلوسه أمام التلفزيون 1000 ساعة سنوياً"⁽²⁾.

ويجب تحديد نسبة بث المواد الأجنبية في وسائلنا الإعلامية "فالمواد الإعلامية الأجنبية هي بنت واقعها، وتعبر عن ثقافته وقيمه، وفي أغلبها مواد ترفيهية لا تحمل أية قيم أو معانٍ إيجابية، ولا يعني ذلك المقاطعة الكاملة لكل ما هو أجنبي بل الواجب اختيار المواد المناسبة التي لا تتعارض مع قيمنا ومبادئنا وتحمل قيماً إيجابية ومعارف وعلوماً أو ترفيهاً بريئاً بعيداً عن الإسفاف والإثارة"⁽³⁾.

مع العلم بأن تحديد نسبة بث البرامج الأجنبية هي سياسة متبعة لدى العديد من الدول الغربية التي تحترم ثقافتها وقيمها. "فأخذ القوانين المعمول بها في دول الاتحاد الأوروبي الذي دخل حيز التنفيذ سنة 1991م يفرض على القنوات التلفزيونية الأوروبية أن تكون أغلبية البرامج التي تبثها 60٪ من إنتاج أوروبي، وفي فرنسا تقوم الدولة باتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية اللغة والثقافة الفرنسيين من التأثير الأمريكي

(1) العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية، أعمال الملتقى الدولي للجزائر، الصحيفة 355.

(2) الإسلام والعولمة، سامي محمد صالح الدلال، الصحيفة 65.

(3) الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، عبد الرشيد عبد الحافظ، الصحيفة 92.

ومنها إصدار قانون يلزم محطات البث التلفزيونية بـ"ألا يزيد نسبة البرامج الأجنبية عن 30٪ من إجمالي البث. وفي اتفاقية التبادل التجاري الحر بين أمريكا وكندا اشترطت الحكومة الكندية على الإدارة الأمريكية استثناء كل المواد الثقافية والإعلامية من الاتفاق المذكور"⁽¹⁾.

وإليك نسبة بث المواد الأجنبية في التلفزيونات العربية: "تذكر إحصائيات منظمة اليونسكو، أن شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين 33٪ إجمالي البث كما في مصر وسورية، و50٪ من إجمالي البث كما في تونس والجزائر، أما في لبنان فإن البرامج الأجنبية تزيد على ذلك حيث تصل النسبة إلى 58,5٪ من إجمالي البث، وتبلغ البرامج الأجنبية في لبنان 69٪ من مجموع البرامج الثقافية وأغلبها بث من غير ترجمة"⁽²⁾، وفي لبنان تعرض نصف البرامج الأجنبية دون ترجمة إلى العربية، وثلاث برامج الأطفال تبث بلغة أجنبية، وغالبيتها لا تقدم ترجمة لمشاهديها من الأطفال. ولاشك أن هذه الأوضاع تثير مخاوف الكثير في منطقتنا العربية والإسلامية باعتبارها تهدد الهوية الثقافية التي هي حق من حقوق الإنسان.

ولابد من الإشارة إلى القنوات الدينية الإسلامية حيث "أشارت الإحصائيات إلى تزايد عدد القنوات الدينية التي وصلت إلى 80 محطة مطلع العام 2009م الأمر الذي أثار قلق المتابعين من استغلال هذه المساحة لممارسة أنشطة مشبوهة وإطلاق فتاوى من خارج شروط الإفتاء"⁽³⁾.

وقد حصل أن تم السماح لبعض الفرق المشبوهة والضالة عن التعاليم الإسلامية لتقديم الإسلام بطريقة مشوهة وغير صحيحة، وذلك عن طريق فتح قنوات خاصة بفرقهم وأبرز مثال على ذلك هو سماح السلطات الإعلامية في بريطانيا لفئة القاديانية، بإنشاء قناة فضائية لبث برامج تلفزيونية على نطاق واسع من العاصمة لندن، وتسمى M.T.a للدعاية لمذهبهم الضال، باسم الإسلام، ويعدة لغات منها العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية والروسية والبوسنية، ويتم بث هذه البرامج على أحد الأقمار الصناعية الأوروبية، يغطي أوروبا الغربية كلها وجزءاً من شرق أوروبا.

(1) الآثار السلبية للعملة على الوطن العربي، عبد الرشيد عبد الحافظ، الصحيفة 93.

(2) الإسلام والعملة، سامي محمد صالح الدلال، الصحيفة 66.

(3) مجلة العربي العدد 628، الصحيفة 196.

ويمكن حصر الأثر الخطير لهذه القناة في نقطتين أساسيتين:

1- لغير المسلمين: تقوم القناة بتشويه الإسلام وتعاليمه وتشكك في قيمه ومبادئه.

2- للمسلمين: خاصة المسلمين المحدودي الثقافة الإسلامية، فإنهم عرضة للتصديق والانبهار والخداع، لأن مظهرها وشكلها هو أولاً وقبل كل شيء إسلامي، فالمسلم يبحث عن حضور إعلامي إسلامي وسط الكم الهائل من القنوات والمحطات التلفزيونية التي تعرض ثقافة مغايرة تماماً لثقافة المسلم الذي انقطعت صلته بالإسلام وتعاليمه، أو كان حديث العهد بالإسلام وما زال في طريقه لمعرفة قيم ومبادئ الإسلام⁽¹⁾.

ولكن يجب ألا ننسى الدور الإيجابي الذي تحققه هذه القنوات الدينية إذا كان القائمين والعاملين عليها، على وعي وأمانة علمية، وضيوف برامجهما من مشائخنا وعلمائنا الذين نثق بهم وبعلمهم.

ومما يجب التنويه عنه بأنه في ظل العولمة، بات التعامل مع الإعلام ومنتجات الثقافة منظور أنه سلعة وبمنطق الاستهلاك والربح، "ففي ظل الزيادة الهائلة في عدد الإذاعات وقنوات التلفزيون دفع إلى شراء أو استئجار مضامين إعلامية ومنتجات ثقافية ترفيهية رخيصة ورديئة لتغطية ساعات الإرسال الطويلة، وقد أفاد ذلك صناعة السينما والتلفزيون الأمريكية بحكم استحواذها على النصيب الأكبر من الإنتاج العالمي"⁽²⁾.

ولكن ماذا أفاد العالم الإسلامي ذلك؟؟!!

الانترنت:

للعولمة تحديات كثيرة وخصوصاً من الناحية الإعلامية، ولكن اليوم ونحن نعيش ثورة التكنولوجيا والاتصالات السريعة تكاد تكون شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) هي من أهم وأبرز هذه التحديات وأشدّها خطورة وتأثيراً وخصوصاً أنها تستقطب فئة الشباب.

(1) صورة الإسلام في الإعلام الغربي، د. محمد بشاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1425 هـ - 2004 م، دمشق، الصحيفة 134.

(2) العولمة ندوة، محمد شومان، الصحيفة 87.

"فالانترنت هي أحدث منجزات الثورة التكنولوجية والاتصالية في العالم اليوم، وقد استطاعت باعتبارها شبكة عالمية تربط بين شبكات الكمبيوتر، أن تضمّ رحابها الناس الذين يستخدمونها، وهؤلاء الذين يستخدمون الشبكة يخلقون في الواقع مجتمعاً كونياً، يقوم أساساً على الاتصال. والشبكة في الواقع قد تجاوزت الآلات المستخدمة فيها لتصبح مجتمعاً متكاملًا له عاداته وتقاليده بل وله لغته الخاصة، مما سمح لبعض الباحثين أن يقرروا أن الانترنت أصبح التعبير الأمثل عن ثقافة ما بعد الحداثة"⁽¹⁾. وبفضل التطور العلمي والتقني الهائل في نظم الاتصال الالكترونية، أصبحت وسائل الاتصال الحديثة من تليكس وفاكس وشبكات الكمبيوتر والأقمار الصناعية المخصصة لأغراض الاتصال ممكنة ومتاحة في جميع الدول "مما سمح للولايات المتحدة الأمريكية الأكثر تطوراً في وسائل الاتصال الفضائية والالكترونية والتي تملك أوسع شبكة كمبيوتر منتشرة عالمياً (الانترنت)، لاحتلال موقع المسيطر في هذا المجال الحيوي للاتصال في العالم، وعلى سبيل المثال في عام 1981/ كانت الولايات المتحدة الأمريكية وحدها مسؤولة عن نقل وتوزيع 80٪ من البيانات والمعلومات في العالم، بفضل ثورة الحاسبات الالكترونية التي توغلت في كل مناحي الحياة وامتزجت بكل وسائل الاتصال واندجت معها، ولعل شبكة الانترنت الأمريكية الشهيرة تمثل جوهر ذلك الامتزاج حيث يتم تخزين معلومات واردة من 21 ألف شبكة معلومات بشكل منظم منسق يسهل عملية استرجاعها بواسطة أي مستخدم، من خلال الحاسبات الالكترونية، ثم تقوم بعد ذلك بواسطة تقنيات الاتصال المتطورة التي توظف الخطوط الهاتفية والأقمار الصناعية في توصيلها إلى 33 مليون مشترك في جميع أنحاء العالم"⁽²⁾.

وبما أن الانترنت هي نتاج المجتمع الغربي وثمرات التطور التكنولوجي الهائل الذي شقّ طريقه بقوة في المجتمعات الغربية وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية.

فلا بد لنا من التساؤل عن الآثار التي ستترتب على اتساع شبكة الانترنت واتساع دائرة من يستخدمونها:

(1) العولة وانعكاساتها على الوطن العربي، السيد يسين، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، السنة

الثالثة، العدد 17، 1998م، الصحيفة 35.

(2) العولة والتبادل الإعلامي الدولي، د. صابر فلهوط ود. محمد البخاري، الصحيفة 90.

"يرى بعض الباحثين أن هناك أربعة افتراضات أساسية لهذا الصدد:

- الافتراض الأول: أن الانترنت ستغير إلى الأفضل بيئة العمل.
- الافتراض الثاني: أنها ستقضي في مجال التعليم على فكرة الفصل الدراسي المحبوس في مكان محدد.

• الافتراض الثالث: أنها ستعمق الديمقراطية.

• الافتراض الرابع: أنها ستعمق من المساواة بين البشر.

وهذه الافتراضات الأربعة يدور حولها جدل محتدم. إذ يرى بعض الباحثين أن الانترنت لن تستطيع توسيع دائرة الديمقراطية من خلال ممارسة النقاش المفتوح، أو أنها ستعمق المساواة بين البشر، ذلك لأنها ستعكس موازين القوى القائمة اليوم داخل المجتمعات الصناعية ذاتها بين الأغنياء والفقراء، وبين خطاب الهيمنة السائد والخطابات الهامشية، كما أنه على المستوى الكوني ستعمق الفروق بين الشمال والجنوب"⁽¹⁾.

وجهة نظر الجنوب في الانترنت:

بالرغم من أن الانترنت يفتح عصراً جديداً من التواصل الإنساني، إلا أن هناك عقبة حقيقية على مستوى الأفراد في معظم مجتمعات دول الجنوب ألا وهي تكاليف استخدام الانترنت الباهظة مقارنة بدخل الفرد في ذلك المجتمع، وبالتالي ستظهر الفروق بين دول الشمال ودول الجنوب، "مما يؤكد هذا أن أكثر من نصف الحاسبات الالكترونية المترابطة ببعضها في العالم توجد في الولايات المتحدة الأمريكية، في حين أنه في إفريقيا يوجد أقل من عشرة أقطار مرتبطة مباشرة بالانترنت، وإذا كانت الانترنت من شأنها أن تتيح الإطلاع على المعلومات، ومن هنا طابعها الديمقراطي، إلا أن هناك مخاطر ظهور نخبوية إعلامية جديدة، حيث تستأثر بلاد معينة بالمعلومات وتحرم منها بلاد أخرى وخاصة في الجنوب لعدم توافر الوسائل، وهكذا يمكن القول أن الفجوة بين الشمال والجنوب وخاصة بالنسبة لإفريقيا في الأجل القصير يمكن أن تزيد"⁽²⁾.

(1) العولة وانعكاساتها على الوطن العربي، السيد يسين، الصحيفة 37.

(2) التربية وتحديات العولة في الوطن العربي، ضياء نمر العوايشة، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2004م،

الصحيفة 74.

"وإذا كانت الوثائق المتاحة على شبكة الانترنت تصل الآن إلى ما يزيد عن ستة ملايين وثيقة، فإنه يمكن تصوّر موقف أقطار الجنوب التي تقف على هامش هذه الثروة من المعلومات، والتأثير السلبي لهذا الموقف ونتيجة لما يمكن أن تطلق عليه الفقر المعلوماتي"⁽¹⁾.

وهذه دراسة حول تواصل الجمهور العربي مع الانترنت، "حيث تكشف الأرقام أن المؤسسات المعنية بأمور الثقافة عربياً معزولة عن أغلب جمهور الانترنت نتيجة الحضور الضعيف لهذه المؤسسات على الشبكة، كما يؤكد التقرير أن ثمة فجوة هائلة بين معدل إنتاج الثقافة العربية واستهلاكها على شبكة الانترنت، إذ لا تتجاوز مشاركات الجمهور نصفاً في المئة من حجم المدونات والمواقع، ويورد أن نصف مليار عملية بحث عن الأغاني والأفلام قام بها العرب على شبكة الانترنت خلال العام 2009م بينما لم يتجاوز البحث عن قضايا الثقافة الأخرى 386 ألف عملية بحث، واللافت أن اهتمامات العرب إلكترونياً توزعت بين أربع قضايا أساسية هي: فلسطين كقضية مركزية وقضايا الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان"⁽²⁾.

- ومن آثار الانترنت أيضاً؛ تغيير أساليب الشراء والتي تتم الآن عن طريق الانترنت وازدياد التعاملات التجارية عبرها، "وإذا أخذ في الاعتبار أن هناك الآن ما يزيد على 80000 شركة مرتبطة بالانترنت فإنه يمكن إدراك شكل التعامل العالمي القادم في مجال التجارة. ومن الواضح أن أغلب دول الجنوب ليست لديها فرصة للاشتراك في هذا التوسع الاقتصادي، والذي يطلق عليه الآن عصر ما بعد الصناعة، ومن هنا إذا كانت دول الجنوب ما زالت تشكو من الفجوة الصناعية بينها وبين دول الشمال، فإنها معرضة لفجوة ما بعد عصر الصناعة أيضاً"⁽³⁾.

-ومن الآثار أيضاً: أنه اعتبر بعض الباحثين أن الانترنت يمكن أن يقلل أو يحدّ من هجرة العقول من الجنوب إلى الشمال "فيرى البعض أن الانترنت قد تخفّض من هذه النسبة إذا أحسن المتخصصون والباحثون من أهل الجنوب أنهم يمكن أن يطلعوا على المعلومات الحديثة من خلال الانترنت"⁽⁴⁾.

(1) العولة وانعكاساتها على الوطن العربي، السيد يسين، الصحيفة 38.

(2) مجلة العربي، الصحيفة 195.

(3) العولة وانعكاساتها على الوطن العربي، السيد يسين، الصحيفة 38.

(4) الترية وتحديات العولة في الوطن العربي، ضياء نمر العوايشة، الصحيفة 74.

ولكنني لا أرى ذلك لعدة أسباب منها:

أولاً: مازال الانترنت في الدول النامية ودول الجنوب غير متاح بها فيه الكفاية وما زال مستخدموه يواجهون صعوبات في استخدامه من حيث السرعة ومن حيث عدم إتاحة بعض المواقع الالكترونية ومن ناحية التكلفة المرتفعة بالنسبة للبعض والأهم من ذلك كله عدم مصداقية المعلومة التي تنشر على الانترنت دائماً.

ثانياً: إن العلوم والاختصاصات العالية كالتب والطب والهندسة والصيدلة لا يكفي لتحصيلها الجلوس على مواقع الانترنت بل لابد من مراكز علمية متخصصة وأساتذة مشرفين للتعليم والتدريب.

ثالثاً: أن معظم العقول المهاجرة ليس هدفها فقط التحصيل العلمي بل هدفها العيش في الغرب والتنعم في حضارتها وتقديمها وتطويرها وتحررها الزائف.

- ومن آثار الانترنت: تعميق التفاوت الطبقي، "يرى بعض الباحثين أن استخدام الانترنت في الجنوب سيؤدي إلى خلق نخبة جديدة من القادرين على تحمل تكاليفها، مما سيعمق الفجوة الطبقة في بلاد الجنوب"⁽¹⁾.

ومن المخاوف السائدة في الجنوب أن الانترنت قد تنقل إليه قيم وأماليب المجتمع الاستهلاكي الغرب، وكذلك هيمنة الثقافة الغربية، مما يؤثر على نمو الثقافات المحلية"⁽²⁾. وعلى الخصوصية الثقافية.

وأخيراً "إن الدخول في العولمة تقنياتها وحقوقها ومبادئها، أمر حتمي ومفروض على كل مجتمع يريد أن يبقى في دائرة المجتمعات التاريخية، ولا ينسحب من الفعالية الدولية المشتركة، ويعيش في عالم خاص به ولكن هذا الدخول لا يقدم بصورة تلقائية فرصاً أكبر للتقدم والمشاركة الفاعلة في المصائر العالمية، إذا لم يترافق بإرادة وذاتية مستقلة وخصوصية تسعى إلى وضع التقدم التقني الموضوعي في خدمة أهداف التنمية المحلية، وما دام من غير الممكن للعرب في حدود تطورهم العلمي والتقني الراهن التأثير على الطابع التقني للعولمة، أي الدخول فيها من زاوية المشاركة الفعالة في ثورة المعلوماتية والاتصالية، فلا يمكن لهم الاستفادة الفعلية منها إلا إذا نجحوا في توفير شروط تسمح

(1) العولمة وانعكاساتها في الوطن العربي، السيد يسين، الصحيفة 38.

(2) التربية وتحديات العولمة في الوطن العربي، ضياء نمر العوايشة، الصحيفة 75.

بفتح إمكاناتها لديهم، وبلورة استراتيجية تتيح لهم السيطرة على بعض عناصرها أو على عناصر أساسية فيها"⁽¹⁾.

ومن آثار عولمة التقنية: "احتكار تصنيع وتصدير الأجهزة التقنية في شركة عالمية كبرى، لتكون تحت سيطرة القطب الواحد، وفيما إذا حاولت هذه الشركة أن تستقل في قرارها تتدخل المصالح العليا لتوجيهها إلى مصالح الذاتية"⁽²⁾.

(1) ثقافة العولمة، برهان غليون وسمير أمين، الصحيفة 29.

(2) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 75.

المبحث الثامن

الاتجاه نحو نشر ثقافة الاستهلاك

"إن تعميم النمط الاستهلاكي الأمريكي الغربي، الذي تسود فيه السلع الكمالية والوسائل الترفيهية يشكل الهدف الأساسي الذي تسعى أمريكا إلى تحقيقه بواسطة الاختراق الثقافي الذي يمثل أحدث آليات الهيمنة العالمية المعاصرة، والتي تتوج وتستكمل الدور الذي تقوم به الشركات المتعددة الجنسية، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، إضافة إلى أن الاختراق الثقافي الاتصالي يقوم بدور تكريس منظومة معينة من القيم الوافدة تتفاعل داخل المجتمعات النامية والعربية، وتسري ببطء وبثبات داخل منظومة القيم المحلية لتفتتها وتزقيها من الداخل وإحلال القيم الأمريكية الترفيهية محلها، بهدف إعاقه نمو تلك المجتمعات النامية والعربية"⁽¹⁾ من الناحية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

لقد جاء الإعلام بكافة وسائله ليروج إلى سلع كمالية لتصير هذه السلع أساسية لا يمكن الاستغناء عنها، وبالتالي لتتحول الذات الإنسانية إلى ذات معولة إعلامياً أي ذات مستهلكة، "وإن الذات المعولة هكذا إعلامياً ذات قد تشتت تحت فوضى الرموز التي تلتقطها الحواس فإذا هي تطلب الرمز فلا تنتهي عند واحد بعينه، لاسيما وأن الرموز متجددة وتجددها يتجدد الطلب فيتجدد الاستهلاك مما يحول الذات إلى ذات همها الاستهلاك وينحصر الوجود في كوجيتو التسوق"⁽²⁾.

وبفضل الإعلام وبسبب تأثيراته يصبح "الحكمة كل الحكمة أن تندر في استهلاك الرموز، فمعجون الأسنان قوة وجمال، وأدوات الخلاقة نعومة وكياسة، والعطور رومانسية وخيال، ورائحة القهوة حيوية ونشاط، ثم الملابس احترام وتبجيل، ومواكبة للحدثة الواردة من هوليوود، أو موضة باريس، تكتسب الذات بعد هذه السلسلة من الحركة قوتها تندفع إلى الشارع بعد استهلاك سلة الرموز بحثاً عما هو ضروري للسلطة من جديد وهكذا تتخذ الحركة صورتها الدائرية وما علينا إلا أن تتنافس في احتكار الرموز الأكثر قدرة على مركزة الذات وجعلها تتأله"⁽³⁾.

(1) أعمال الملتقى الدولي للجزائر، الصحيفة 354.

(2) حقيقة العولة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 170.

(3) حقيقة العولة، أحمد العربي المشرقي، الصحيفة 170.

ومما يلفت الانتباه أن الإعلام الترويجي أي الإعلانات لها تأثيرها لا وقتي وبالنسبة لنجاحات وقتية فمثلاً:

"إن موسيقا الروك، شأن الشطائر وشرب الكولا تجذب بقوة المراهقين لفترة من الزمن بفعل إعلام مكثف سرعان ما يملونها ويتطلعون إلى أذواق أخرى، ونجد أيضاً أن أبناء الحضارة التي ظهرت فيها الروك وكتاكي والكولا يقبلون على تجريب أذواق أخرى، وتلفتنا أمثلة كثيرة تدلل على أن للإعلام الترويجي تأثيره الوقتي، وعلى أن ما يث فيها تعسفاً لتنميط حياة المشاهد سرعان ما يهجر، وسرعان ما يعود الناس للبديل الأصيل، وقد سجلت دراسة علمية أجريت في مصر توزيع مليون شريط غنائي لمنشد ديني في صعيد مصر، وهو يغني روائع الشعر الصوفي بالفصحى، كما سجلت تحركه على مدى أيام العام لإحياء الحفلات والمثل نفسه في بلاد كثيرة، وما لنا نتحدث عن ظاهرة اعتزاز أناس كثيرون بمشروباتهم؟ وما لنا لا نضع تأثير CNN في حجمه الطبيعي وبرز إعلام إلى جوارها أشد جذباً والأمر نفسه يصدق على الثياب والجيزز"⁽¹⁾.

إذن إن محاولات تنميط حياة البشر عسفاً وتسلطاً قد تحقق نجاحات ولكنها نجاحات وقتية وبقية فإن هناك ردود أفعال على هذه المحاولات ومضاعفات وتداعيات.

إن الثقافة الغربية أو الأمريكية على الخصوص، والتي يراد لها أن تسود وتهيمن تعتبر ثقافة استهلاكية رغم ما لها من بريق أخاذ يخطف الأبصار وذلك لأن هذا البريق لا يتغلغل في الشعور والوجدان، لأن كل ما يأتي سريعاً خاطفاً يذهب ويتلاشى بريقه بالسرعة نفسها التي أتى بها.

لذا نراها في كل ساعة تأتينا بجديد لتبقينا في حالة الدھول المستمرة التي لا نفيق منها ليس وحدنا نحن أبناء العالم الإسلامي وإنما جميع الشعوب وإذا أردنا الحديث عن بعض نماذج ثقافة الاستهلاك فإننا نراها في الأفلام الأمريكية التي تهيمن ليس على شاشة السينما فقط بل على شاشة التلفزة أيضاً، وليس في البلدان السائرة في طريق التنمية أو في البلدان الأقل نمواً وإنما أيضاً بين دول أوروبا نفسها، وليزداد انتشار الأفلام الأمريكية وأفكارها وثقافتها المادية نرى اليوم عدة قنوات فضائية خاصة بنشر الأفلام الأجنبية

(1) العولة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 37. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

عموماً والأمريكية خصوصاً وعلى مدار الـ 24 ساعة وطبعاً مثل هذه القنوات تعتبر فرصة ثمينة لمحبي الأفلام الأمريكية لتابعيتها ومجاناً في بيوتهم.

وبعد أن زادت هيمنة المؤسسات الأمريكية في العديد من أقطار العالم، أصبح من المتكرر ملاحظة ترجمة الأدب الأمريكي في العالم المتقدم والمتخلف سواء بسواء، "وهو ما خلف تغييرات كثيرة في السلوك الحركي والأداء النفسي، والإقبال على رموز مضمرة خطيرة في المسلسلات الأمريكية التي لا تكاد تخلو منها أي بلد في العالم كله اليوم"⁽¹⁾.

وفعلماً شهد العالم الإسلامي وخصوصاً العالم العربي إقبالاً شديداً من قبل أبنائه على المسلسلات الأمريكية أولاً، وفي ظل السرعة التي لا يفيق منها أبناء العالم العربي، تحولت المشاهدة إلى المسلسلات المكسيكية المدبلجة إلى اللغة العربية الفصحى والتي استقطبت انتباه الجماهير العربية بشدة، حتى صارت أساء المحلات التجارية تسمى بأسماء المسلسلات وأبطالها، ناهيك عن موضة الملابس والمجوهرات والماكياج التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بملابس وموضة أبطالها.

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نحدد سمات ثقافة الاستهلاك:

- 1- ثقافة تبريرية، وتحذيرية، تنمي روح الاستهلاك والابتذال والسلبية.
 - 2- ثقافة تجزئية، براجماتية وضعية نفعية تفتقد الأسس الموضوعية والرؤية الكلية الشاملة والحس الاجتماعي والوطني.
 - 3- ثقافة لحظية آنية جامدة أحادية الاتجاه تفتقد الحس التاريخي الشامل والخبرة المتراكمة.
 - 4- ثقافة شكلية خالية من العمق الإنساني والإبداعي.
 - 5- ثقافة سطحية فردية مبتذلة تفتقد الحس العميق بالهوية الذاتية والوطنية، وتهدف إلى تزييف الوعي والتقليل من أهمية التراث والقيم عامة.
- كما تهدف أيضاً إلى اقتلاع ثقافات الشعوب الأخرى من جذورها وإبدالها بثقافة براقة الظاهر، ولكنها خاوية المضمون⁽²⁾.

وهناك دراسات عن انتشار ثقافة الاستهلاك عند الأسر التي فيها أطفال (أو أبناء) أكثر من الأسر التي يقل فيها عدد الأبناء، فالأسر التي فيها أطفال هي التي تستهلك

(1) مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة، د. نجاح قدور، الصحيفة 17.

(2) مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة، د. نجاح قدور، الصحيفة 19.

بدون حساب أو بدون قدرة على الاحتساب والترشيد في زمن العولمة وخصوصاً تحت وطأة الإعلام والإعلان، حيث تشير بعض الإحصائيات إلى أن 56٪ من الأسر التي فيها أطفال تمتلك حاسوباً مقابل 24٪ في الأسر من دون أطفال.

- 14٪ من الأسر بأطفال تشترك في الانترنت مقابل 6٪ من الأسر بدون أطفال.

- 77٪ من الأسر بأطفال تمتلك تلفوناً نقالاً مقابل 50٪ من الأسر بدون أطفال.

هذه التكلفة تحولت أساساً في توجيه الحراك الاجتماعي فإذا كانت الأسر المتوسطة الدخل قادرة على شد الحبال وتلبية طلبات استهلاك أبنائها على حدود الدفاع الأخيرة والتحصن ضد الأزمة المالية فإن الأهل في الأسر الفقيرة يوغلون في الانهيار النفسي والعصبي والإحباط الشديد أو أنهم يدخلون دائرة السلوك العنيف والمدمر ضد الذات وضد المجتمع بسلوك جنائي متعدد المظاهر أو أنهم يقعون في دائرة الديون الباهظة⁽¹⁾.

(1) انظر دينامية الأسرة في عصر العولمة، عباس محمود مكّي، الصحيفة 220.

المبحث التاسع

ثقافة الاختراق

وكما ذكرنا أن من آثار العولمة نشر ثقافة الاستهلاك، فيرى بعض الباحثين أن من آثار العولمة، ما سمي بالاختراق الثقافي أو ثقافة الاختراق، وقد اقترن هذا المفهوم بالتطور التقني في مجال الاتصالات والمعلومات أو ما نسميه بالعولمة التكنولوجية أو الإعلامية وعلى ضوء ذلك عُرِف الاختراق الثقافي بما يلي: "مجموعة من الأنشطة الثقافية والإعلامية والفكرية التي تواجهها جهة أو عدة جهات نحو مجتمعات وشعوب معينة، بهدف تكوين أنساق من الاتجاهات السلوكية والقيمية أو أنماط وأساليب من التفكير والرؤى والميول لدى تلك الشعوب والأمم، بما يخدم مصالح وأهداف الجهة أو الجهات التي تمارس عملية الاختراق"⁽¹⁾.

فالعولمة تهدف إلى نشر ثقافة يكون من شأنها اختراق ثقافة الشعوب الأخرى وسلبها خصوصيتها، وإن الاختراق الثقافي "يستهدف أول ما يستهدف السيطرة على الإدراك اختطافه وتوجيهه وبالتالي سلب الوعي، والهيمنة على الهوية الثقافية الفردية والجماعية"⁽²⁾.

وفي زمن الاختراق الثقافي نجد أن وسيلة السيطرة على الإدراك هي الصورة السمعية البصرية التي تسعى تسطيح الوعي وجعله يرتبط بما يجري على السطح من صور ومشاهد ذات طابع إعلامي إشهاري مثير للإدراك مستفز للانفعال حاجب للعقل..! "وبالسيطرة على الإدراك، وانطلاقاً منها يتم إخضاع النفوس، أي تعطيل فاعلية العقل وتكليف المنطق والتشويش على نظام القيم وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق وقولية السلوك، والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع"⁽³⁾.

وإن أيديولوجيا الاختراق تقوم على نشر وتكريس مجموعة أوهام، هي نفسها مكونات الثقافة الإعلامية الجماهيرية في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد حصرت ضمن

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، د. عابدين الشريف، الصحيفة 35.

(2) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 123.

(3) مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة، نجاح قدور، الصحيفة 14.

أوهام خمسة وهي: وهم الفردية، وهم الخيار الشخصي، وهم الحياء، وهم الطبيعة البشرية التي لا تتغير، وهم غياب الصراع الاجتماعي. وفيما يلي توضيح لهذه الأوهام⁽¹⁾:

أ- وهم الفردية: يعني اعتقاد المرء أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته، وأن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه، إنما يعمل هذا الوهم على تخريب وتمزيق الرابطة الجماعية.

ب- وهم الخيار الشخصي: وهو مرتبط بالوهم السابق ويكمّله فهو باسم الحرية يكرس النزعة الأنانية ويعمل على طمس الروح الجماعية سواء كنت على صورة الوعي الطبقي أو الوعي الوطني أو الشعور الإنساني.

ت- وهم الحياء: وهو مرتبط بما سبق فما دام الفرد وحده الموجود، وما دام حراً مختاراً فهو محايد وكل الناس والأشياء إزاءه محايدون، أو يجب أن يكونوا كذلك. وهذا من شأنه أن يكرس التحلل من كل التزام أو ارتباط بأية قضية.

ث- وهم الاعتقاد في الطبيعة البشرية التي لا تتغير: ويرمي إلى صرف النظر عن رؤية الفوارق بين الأغنياء والفقراء، بين البيض والسود، بين المستغلين وبين من هم ضحايا الاستغلال. وقبل هذه الفوارق الطبقية باعتبارها أموراً طبيعية كالقوارق بين الليل والنهار والصيف والشتاء، وبالتالي شل روح المقاومة في الفرد والجماعة.

ج- وهم الاعتقاد في غياب الصراع الاجتماعي: ومعناه الاستسلام للجهات المستغلة، من شركات ووكالات وغيرها من أدوات العولمة، وبعبارة أخرى التطبيع مع الهيمنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري الذي يشكل الهدف الأول والأخير للعولمة.

"ويمكن أن يأخذ الاختراق الثقافي معنى هيمنة الثقافة القوية (ثقافة دول المركز) على الثقافة الضعيفة في محاولة منها لتغيير ملامحها، وذلك بهدف تكوين مجموعة من الاتجاهات السلوكية والقيمية والرؤى والميول بما يخدم مصالح أصحاب الثقافة المسيطرة"⁽²⁾، ولقد وعى المجتمع الغربي وكثير من الحكومات الغربية هذا الاختراق الثقافي الذي يهدد ثقافة الآخر وسلبه خصوصيته، فالتخوف على الهوية وعلى عادات

(1) التنمية الاجتماعية من الحداثة إلى العولمة، طلعت مصطفى السروجي، المكتب الجامعي الحديث، 2009م، الصحيفة 109 (بتصرف).

(2) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمثاثر، عابدين الشريف، الصحيفة 35.

وتقاليد وقيم شعبه هي التي جعلت وزير الإعلام والفنون في سنغافورة، يصدر قراراً يمنع المغنية الأمريكية مادونا من إقامة حفل لها في بلده. ومن نفس المنطلق أيضاً: رابط السكان، في إحدى القرى الصغيرة بمقاطعة (ساري) الإنكليزية أمام إحدى البنايات على مدى 552 يوماً متواصلة لمنع إحدى الشركات الأمريكية من إقامة فرع لمطاعمها (ماكدونالدز) باحتساب أن ذلك نوع من الاختراق والعدوان على نمط الغذاء المحلي وبالتالي اعتداء على خصوصيتهم وهويتهم، فاضطرت الشركة بعد هذه المقاومة العنيدة إلى التراجع والانسحاب وإلغاء العقد.

وأما حامل لواء مقاومة العولمة الأكبر وهما فرنسا وألمانيا، البلدان اللذان بدءا بتحسان جداً من السعي الأمريكي الدؤوب لأمركة العالم وعلى الأخص في المجال الثقافي، مما حدا بالفرنسيين إلى إطلاق مشروع (الاستثناء الثقافي) لمواجهة الهيمنة الثقافية الأمريكية⁽¹⁾.

هذا المشروع حصل عليه الفرنسيون أثناء تجديد اتفاقيات الجات في عام 1993م من أجل وضع حد لاستيراد المنتجات السمعية البصرية ذات التصنيع الأمريكي. وكل ذلك بهدف المحافظة على الثقافة وبالتالي المحافظة على سيادة الدولة، "إن الثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع ثم إن المجتمع لا يقوم ولا يبقى إلا بالثقافة، ومن الطبيعي أن الدولة لا تقوم إلا بوجود مجتمع، ومن هنا كان ارتباط الثقافة بالدولة وبيادتها على الرغم من أن دراسة الثقافة تقع في إطار علوم الاجتماع والانثروبولوجيا، ولا تقع في إطار العلوم السياسية، لكن الثقافة قد تكون جزءاً من العلاقات الدولية عندما تراها دولة ما موضوعاً لتهديد السيادة أو للغزو.

"ومثل الفرنسيين يرى المحافظون في إيران أن الخطر الذي سينجم عن علاقتهم بالولايات المتحدة الأمريكية هو خطر ثقافي بالدرجة الأولى وسيهدد الثورة ومنتجاتها"⁽²⁾.

ولعل إيران هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي تنبعت إلى مخاطر الاختراق الثقافي، مع أن الدول المسلمة يجب أن تتخذ خطوات كالتى اتخذتها فرنسا ضد العولمة. وذلك

(1) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، د. خليل مسيهر العاني، الصحيفة 174.

(2) العولمة وأثرها في المجتمع والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الصحيفة 49. (معلومات الكتاب في الصحيفة 3).

لأن، "الهوية الإسلامية باتت على رأس المطلوب عولمتهم، أو بالأحرى إلغائهم، ولا نستغرب بعدها عندما تعلم أن مذكرة وقع عليها 30 عضواً في الكونغرس الأمريكي، تقترح على الدول العربية والإسلامية شطب البسملة في المراسلات العامة، وافتتاح الأعمال الرسمية والمؤتمرات والندوات، وذلك باسم الحرية والديمقراطية والإخاء والإنسانية ونبد التعصب والتطرف"⁽¹⁾.

وأخيراً يجب أن تكون مواجهة مخاطر العولمة وما تمثله من اختراق ثقافي انطلاقاً وقبل كل شيء من العمل داخل الثقافة العربية نفسها ومن داخل البلدان العربية ذاتها، ذلك لأنه سواء تعلق الأمر بالمجال الثقافي أو بغيره فمن المؤكد أنه لولا الضعف الداخلي لما استطاع الفعل الخارجي أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطراً على الكيان والهوية، إننا في حاجة إلى تنمية بشرية وإلى الدخول في عصر العلم والتقانة كفاعلين مساهمين، كما أننا في حاجة كذلك إلى مقاومة الاختراق وحماية هويتنا الوطنية وخصوصيتنا الثقافية من الانحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا وعلى العالم أجمع بوسائل العلم والتقانة⁽²⁾.

وخلاصة ما سبق: "إن العولمة تمثل فعل اعتداء على الثقافة العربية من خلال اختراقها والتأثير على مكوناتها، فنجد العولمة تستهدف إلغاء الهوية القومية، والعمل على تفكيك الدولة القومية التي تقوم على أساس ثقافي كما تستهدف الدين الإسلامي باعتباره مكوناً رئيسياً للهوية القومية وهي بذلك تدمر النسيج الثقافي اللازم للحياة الاجتماعية، ويتراجع عندئذ استخدام اللغة العربية لتحل محلها لغة ثقافة المركز، وتستبدل قيمنا الثقافية بقيم الثقافة الغربية، في ضوء مراجعة وإعادة النظر في التراث القومي، ويفتح المجال أمام الأقليات العرقية والدينية للصراع"⁽³⁾.

(1) الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية، د. خليل مسيهر العاني، الصحيفة 165.

(2) مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة، نجاح قدور، الصحيفة 54.

(3) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 139.

الفصل الرابع

الآثار الاجتماعية

المبحث الأول: العوالة الاجتماعية

المبحث الثاني: عوالة الإجرام

المبحث الثالث: أثر العوالة على الأسرة

المبحث الرابع: أثر العوالة على الشباب

المبحث الخامس: أثر العوالة على الطفل

المبحث الأول

العولمة الاجتماعية

تمهيد:

"المجتمع هو مجموعات متناسقة متكلفة من البشر ذات علائق وسلوكيات في بيئة محددة تحمل سمات هوية محددة تبدأ بروابطها من الأسرة والعائلة ثم الحي، وهكذا تتسع حتى تشمل مؤسسات الدولة، وبذلك تبرز التربية والمؤسسات الرسمية والاجتماعية باعتبارها الوسيلة الأساس في صياغة أنماط الفكر والسلوك والقيم والأخلاق، أي تكوين الشخصية للفرد والمجتمع... فتوضع التربية كمستهدف على جدول أعمال العولمة الثقافية"⁽¹⁾.

إذا كان مفهوم العولمة يتمثل بداية من الناحية الاقتصادية فإن العولمة الاجتماعية يمكن أن نعتبرها أثراً للعولمة الاقتصادية، حيث إن العولمة الاقتصادية المتمثلة بمؤسساتها ومنظمتها وقراراتها تؤدي حتماً إلى تخفيض أجور العاملين وارتفاع نسب البطالة وزيادة ساعات العمل، وهذا كله يجعل من الصعب سيطرة الوالدين على تربية أبنائهم بسبب انهماكها بلقمة العيش، "كان يمثل الحزب الاشتراكي في البرلمان ورئيس اللجنة البرلمانية للشؤون الداخلية قد حمل الآباء المسؤولية إذ قال: إن العوائل تحمل التربية، إلا أن ملايين العوائل ترد على هذه التهمة ولسان حالها يقول كم هو الوقت الذي يتبقى للوالدين المنهكي الأعصاب، اللذين يتعين على كليهما أن يكدا في العمل حتى يوفر للعائلة سبل العيش النعيم. كم هو الوقت الذي تبقى لهما لتربية الأبناء؟ و كم هو عدد الأطفال الذين يترعرعون في كتف عوائلهم أصلاً"⁽²⁾.

وقد ذكر علاقة بين العولمة الاقتصادية والعولمة الاجتماعية من ناحية أخرى أيضاً والتي تتمثل في المتاجرة بالمخدرات وانتشار التدخين: "يتنفع مرتكبو الجرائم متعددة الجنسية أيضاً من إلغاء القيود القانونية المفروضة على الاقتصاد فعلى مستوى كل البلدان الصناعية تتحدث دوائر الشرطة والقضاء عن طفرة بيئة في نمو الجريمة المنظمة"، "ففي الولاية كاليفورنيا التي تحتل بمفردها المرتبة السابعة في قائمة القوى الاقتصادية العالمية،

(1) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، دار يونس، الطبعة الأولى 2111 م، الصحيفة 34.

(2) فح العولمة، هانس بيتر مارتين و هارالد شومان، الصحيفة 275. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

فإن الإنفاق على السجون يساوي المجموع الكلي لميزانية التعليم، فهناك 28 مليون مواطن أمريكي أي ما يزيد على عُشر السكان، قد حصنوا أنفسهم في أبنية وأحياء سكنية محرومة⁽¹⁾. وكان أحد موظفي الشرطة الدولية في الولايات المتحدة الأمريكية قد أشار: "إن ما هو في مصلحة التجارة الحرة هو في مصلحة مرتكبي الجرائم أيضاً"⁽²⁾.

تجارة المخدرات:

تُعد تجارة المخدرات المحظورة هذه الأيام أحد أكبر مجالات كسب المال في العالم، إذ تبلغ قيمتها بالمفرق حوالي 500 مليار دولار في العام، والتجارة الدولية بالمخدرات تفوق تجارة النفط وتأتي في المرتبة الثانية بعد تجارة الأسلحة.

ويتم إنتاج معظم المخدرات في الأقطار النامية، لسدّ الطلب عليها في البلدان الصناعية، والمصدر الرئيسي لها من حيث الإنتاج أو التجارة، هي أفغانستان وبوليفيا⁽³⁾ وكمبوديا وإيران وميانمار⁽⁴⁾ وباكستان وبيرو وتايلاند⁽⁵⁾. وقد جلبت المخدرات فوائد مالية كبيرة للبلدان المنتجة، فصناعة بوليفيا للكوكايين، مثلاً تقدر بما يصل إلى 2٪ من مجمل الإنتاج القومي في البلاد، ففي أوساط الثمانينات سدّ فائض دولار المخدرات عجزاً كبيراً في حاجة بوليفيا إلى الدولار، وساعد في إعادة الاستقرار إلى اقتصاد البلاد⁽⁶⁾.

(1) فخ العولة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 330. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) فخ العولة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 330.

(3) بوليفيا: إحدى جمهوريات أمريكا الجنوبية اللاتينية، وتنفرد بأنها دون غيرها محرومة من السواحل منذ أن استولت جمهورية شيلي على المنطقة التي كانت المنفذ البحري لها بعد حرب عام 1879م- 1883م، مساحتها 3,3 ألف م.م. عدد سكانها 3,6 مليون نسمة. (القاموس السياسي، أحمد عطية الله، الصحيفة 239).

(4) اتحاد ميانمار: يقع في قارة آسيا، مساحته 678500 كم، عدد سكانها 42238000 نسمة، العاصمة: يانغون، اللغة يورمية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 92).

(5) مملكة تايلاند: تقع في قارة آسيا، مساحتها 514000، عدد سكانها 62355000 نسمة، العاصمة بانكوك، اللغة: زاي+لوسية. (موسوعة أطلس العالم، مازن مغايري، الصحيفة 91).

(6) انظر: حالات فوضى الآثار الاجتماعية للعولة، ترجمة عمران أبو حجلة، الطبعة الأولى 1997م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الصحيفة 126.

وقد صارت صناعة المخدرات في ظل العولمة الآن بالغة التعقيد والتطور، فهي تستخدم وعلى نطاق واسع أنظمة اتصال بمساعدة الكمبيوتر لإدارة عملية وتوزيع وتحريك الأرباح حول العالم، وقد ارتفع حجم المبيعات في السوق العالمية للهرويين حتى عام 1990 إلى عشرين ضعفاً، أما المتاجرة بالكوكايين فقد ارتفعت إلى خمسين ضعفاً، بالإضافة إلى المتاجرة بالسجائر المهربة عن أنظار الدوائر الضريبية وبالأسلحة والسيارات المسروقة، وقد ارتفع عدد السجائر غير المجرمة التي صادرتها السلطات الألمانية خلال عامين من 347 مليون سيجارة إلى 750 مليون سيجارة في عام 1995 لیساوي هذا العدد حسب تقديرات موظفي الجمارك 5٪ من مجموع المبيعات⁽¹⁾.. مع العلم بأن مصدر البضاعة الأصلي هو المصانع الأمريكية لإنتاج السجائر.

وإن التهريب لم يقتصر على المخدرات والكوكايين والسجائر بل توسع ليطال البشر أيضاً، "فتهريب النازحين على نحو غير شرعي هو صيغة حديثة من صيغ المتاجرة بالرقيق حيث درّ بمفرده على بعض العصابات الصينية الناشطة في الولايات المتحدة الأمريكية أرباحاً تصل إلى 2,5 مليار دولار في العام الواحد بناء على تقدير إحدى الدوائر الحكومية الأمريكية"⁽²⁾.

"وفي منظور الخبراء أضحى اليوم الجريمة المنظمة عالمياً أكثر القطاعات الاقتصادية نمواً، إنه يحقق أرباحاً تبلغ خمسة مليارات دولار في العام، كما تنبأ الخبراء بأن جرائم من قبيل المتاجرة بالبشر وإعارة العاملين على نحو غير شرعي وسرقات السيارات وعمليات الابتزاز ستتم في ألمانيا حتى عام 2000 بمعدل يبلغ 35٪، وبالنظر إلى ما في حوزتهم من رصيد مالي تزداد على نحو متصاعد أيضاً، قدرة كارتيلات الإجرام على إفساد نزاهة بعض الشركات الشرعية وبعض الإدارات الحكومية،...، إن مخاطر هذا الاحتمال تكون أكثر وطأة، كلما كانت أجهزة الدولة أقل كفاءة"⁽³⁾.

السعي في هذا الموضوع بأن المحققين غالباً يستطيعون إلقاء القبض فقط على الأعوان المناط بهم التوزيع وأولئك الناشطين في مجال النقل، أما أرباب العمل فبالرغم من معرفة أسماؤهم يصعب على الشرطة إثبات التهم عليهم، وإيطاليا مثلاً "لم تستطع

(1) فغ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 331. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) فغ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 331.

(3) فغ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة، 334.

كسب الجولة في حربها ضد المافيا على الرغم من كل النجاحات الباهرة التي حققتها في إلقاء القبض على بعض أعضائها، فرأسمال الزعماء القدماء انتقل بسلام إلى أيدي ورثة مجهولي الهوية لا يتعين عليهم أكثر من تحديث تنظيماتهم الإرهابية⁽¹⁾.

- ومن ناحية أخرى، في ظل العولمة "ليس هناك قانون قادر مهما كان صارماً في مكافحة غسل أموال الجريمة، على وقف تغلغل المستثمرين الناشطين في الإجرام في القطاعات الاقتصادية الشرعية، فهم إذا كانوا يريدون غسل الأموال التي حصلوا عليها من طريق الإجرام فإنهم قادرون على ذلك اليوم في كل أرجاء المعمورة ودونها عقبة تذكر"⁽²⁾.

- وقد ذكرت صحيفة FINANCIAL TIMES حلاً لتخفيض معدلات الإجرام وهو عزل النساء العاملات، وذلك لأن النساء العاملات يستحوذن على ما يقرب من ثلثي فرص العمل غير المتطلبة لمهارة ما، أي ينافسن الشبان في الحصول على فرصة عمل، وبما أن الشبان يميلون إلى العنف والإجرام حين لا تتاح لهم فرصة عمل فإن الحل بالحد من عمل النساء لأنهن أقل ميلاً للإجرام⁽³⁾.

ومن مفرزات العولمة الاجتماعية، عقد عدة مؤتمرات عالمية تخص المرأة والأسرة منها:

- مؤتمر البيئة والتنمية في ريودي جانيرو 1992 م.

- مؤتمر حقوق الإنسان في فيينا 1993 م.

- مؤتمر الإسكان والتنمية في القاهرة 1992 م.

- مؤتمر التنمية الاجتماعية في كوبنهاغن 1995 م.

مؤتمرات المرأة:

في نيو مكسيكو 1975 م، في كوبنهاغن 1980 م، في نيروبي 1985 م، في بكين 1995 م، في ندوة البديل الثالث جامعة نيويورك سبتمبر 1998 م، المؤتمر العالمي للعولمة في دافوس السويسرية 1999 م (حضره حوالي 1500 شخصية عالمية متخصصة).

(1) فسخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 334. (معلومات الكتاب في الصحيفة 29).

(2) فسخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 333.

(3) فسخ العولمة، هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، الصحيفة 344.

- مؤتمر الذهب النازي في بريطانيا 1999م (شارك فيه 46 دولة و 6 منظمات دولية غير حكومية على رأسها المجلس اليهودي العالمي).
- مؤتمر الصحة الإنجابية القاهرة، فبراير 1999م.
- مؤتمر الشباب بانكوك، مارس 1999م.
- مؤتمر سفراء الشباب سان فرانسيسكو، يونيو 1999م.
- مؤتمر العنف ضد النساء نيويورك، مارس 1999م.
- منظمات شبابية بأسماء "منظمة اليوم الواحد" و"متدى الشباب" و"مؤسسة جسر الحياة"⁽¹⁾.

وأخيراً : يمكن القول إن العولمة في جانبها الاجتماعي لا تتمثل بمؤسسات وأنظمة معينة وقرارات كما هي العولمة الاقتصادية، بل هي حالة معنوية تسيطر على الفرد وسلوكه وبالتالي تسيطر على الأسرة ثم المجتمع ككل.

(1) الإسلام والعولمة، د. سامي محمد صالح الدلال، الصحيفة 54.

المبحث الثاني عولمة الجريمة

"العولمة ليست وصفاً للأوجه الرئيسية للتحويلات الاقتصادية والثقافية فقط، بل هي أيضاً عولمة تجارة المخدرات والإرهاب، ونقل المواد النووية، وعولمة الإجرام والتنظيمات الإجرامية، وعولمة أنماط للحياة متجذرة في الأرباح السهلة"⁽¹⁾.

من المحتمل أن تشتد الجريمة نتيجة العولمة، ففي نوفمبر 1994م ذكر المشاركون في مؤتمر الأمم المتحدة لوزراء دول العالم حول الجريمة المنظمة، "أن هناك زيادة ملحوظة في الجريمة الدولية مشيرين إلى تأثير وسائط النقل الحديثة، والاتصالات المتقدمة وتخفيف الرقابة على الحدود، فتوسيع الاتحاد الأوروبي مثلاً، خلق فرصاً لعصابات الجريمة المنظمة في إيطاليا وروسيا، وأمريكا الجنوبية، واليابان، حين يسهل لها أن تمتد إلى أسواق جديدة خارج بلدانها. كما وقر لها فرصاً أوسع للقيام بغسل الأموال المتحصلة من تجارة المخدرات واستغلال الدعارة، وإدخالها في أعمال تجارية مشروعة في البلدان الأخرى ويقدر حجم الأموال التي تم غسلها في أوروبا وأمريكا الشمالية بنوف عن 1 مليار دولار في العقد الماضي"⁽²⁾.

"في إحصاءات إسبانية تبين أن 39٪ من الأحداث المنحرفين اقتبسوا أفكار العنف من مشاهدة الأفلام والمسلسلات والبرامج الإعلامية، وفي دراسة سلبية التلفزيون العربي جاء أن 41٪ ممن أجري عليهم استبيان يرون أن التلفزيون يؤدي إلى انتشار الجريمة، و47٪ يرون أنه يؤدي إلى النصب والاحتيال، وذكر الدكتور حمود البدر أنه من خلال إحدى الدراسات التي أجريت على 5000 فيلم طويل، تبين أن موضوع الحب والجريمة والجنس يشكل 72٪ منها، وتبين من درامة أخرى حول الجريمة والعنف في مئة فيلم وجود 168 مشهد جريمة أو محاولة قتل، بل قد وجد في 13 فيلماً فقط 73 مشهداً للجريمة، وقد قام الدكتور "تشار" بدرامة مجموعة من الأفلام التي تعرض على الأطفال عالمياً فوجد أن 27,4٪ منها تتناول الجريمة"⁽³⁾.

(1) الحداثة وما بعد الحداثة، فتحي التريكي وعبد الوهاب المسيري، الصحيفة 196.

(2) حالات الفوضى الآثار الاجتماعية للعولمة، ترجمة عمران أبو حجلة، الطبعة الأولى، 1997م،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الصحيفة 114.

(3) الإسلام والعولمة، د. سامي محمد صالح الدلال، الصحيفة 66.

كما يمكن أن تزداد الجريمة جراء الهجرة الدولية، "فعصابات الجريمة الدولية تتعاطى تهريب المهاجرين أيضاً، ففي ولاية تايبوان الصينية، وهونغ كونغ، وجنوب شرق آسيا، تتعاطى العصابات حوالي 25 ألف دولار عن كل مهاجر لتأمين وصوله إلى الولايات المتحدة"⁽¹⁾.

"ومعظم الدراسات تربط ما بين سلوك الجريمة والانحراف من ناحية والأمية وحالات الطلاق في أسرة المجرم من ناحية ثانية، بحيث أن الأمية والمشاكل الأسرية هي من الدوافع الأساسية لسلوك الجريمة"⁽²⁾.

كما تؤكد الدراسات أيضاً على الرابط بين الجريمة والبطالة والعنف: "ففي المملكة المتحدة على سبيل المثال لا الحصر، أشارت تقارير سنة 1994م إلى أن 70٪ من المجرمين الذين صدرت بحقهم أحكام كانوا عاطلين عن العمل"⁽³⁾.

وقد ازداد العنف العنصري في ألمانيا مع زيادة البطالة في البلاد، ويقدر ما تركز دوائر الشرطة اهتمامها على المجتمعات الفقيرة والمهمشة، فهي تركز أيضاً على تجمعات المهاجرين: "ففي بروكسل، تدعي الشرطة أن 75٪ من الجرائم الخطيرة يقترفها المهاجرون، وإن اصطدامات حدثت بينها وبين الشباب المهاجرين العرب"⁽⁴⁾.

وإن الدراسات الكثيرة التي أجريت حول سلوك الانحراف والإجرام تشير إلى أن سلوك الجريمة هو بالإضافة إلى كونه يؤدي المجتمع، سلوك يعاقب عليه القانون الجزائي، والقانون هو الذي يحدد سلوكاً ما كونه جرمًا أو انحرافاً، "وعلى هذا فالجنسية المثلية والسرقة الاغتصاب واستعمال السلاح غير المرخص وتعاطي المخدرات والإخلال بالآداب العامة وتزوير الهوية، والنصب، والاحتيال والقتل وإيذاء الآخر بالانتحار أو الإهمال كلها عينات من سلوك الانحراف التي يعاقب عليها مجتمعنا من ناحية والتي يمكن أن يقوم بها الراشد والقاصر من ناحية أخرى في مجتمع آخر"⁽⁵⁾.

(1) حالات الفوضى الآثار الاجتماعية للعولمة، ترجمة عمران أبو حجلة، الصحيفة 114.

(2) دينامية الأسرة في عصر العولمة، أ.د. عباس محمود مكي، الصحيفة 132.

(3) حالات الفوضى الآثار الاجتماعية للعولمة، ترجمة عمران أبو حجلة، الصحيفة 122.

(4) حالات الفوضى الآثار الاجتماعية للعولمة، ترجمة عمران أبو حجلة، الصحيفة 114.

(5) دينامية الأسرة في عصر العولمة، أ.د. عباس محمود مكي، الصحيفة 131.

وهناك أوجه أخرى للجريمة تنتشر نتيجة العولمة هو "انتشار السوق السوداء لبيع التكنولوجيا المسروقة مما يشجع على السلوك التالي، إذا لم تجد ما تستطيع شراءه أسرقه وبإمكانك تصريفه في السوق السوداء، ويمكنك بيعه عبر الانترنت وليس في غرفة عرض، وهذه السرقات التكنولوجية تحصل ما بين الأصحاب والأصدقاء بدون أدنى شعور بالعيب والذنب والخطأ وهذا يحصل بسبب إشباع الجوع والعطش والشبق إلى السلوك الاستهلاكي المحرض والقاتل للشعور الإنساني السليم بالأخلاق والكرامة"⁽¹⁾.

(1) دينامية الأسرة في عصر العولمة، أ.د. عباس محمود مكي، الصحيفة 226.

المبحث الثالث

أثر العولمة على الأسرة

"الأسرة قيمة من القيم الإسلامية، وعلى صلاحها يبنى صلاح الأمة والاجتماع والحفاظ عليها فطرة إنسانية فطر الله تعالى عليها الفطر السوية، وهذه الأسرة مفهوم إسلامي يقيمها على الزواج الشرعي الذي يحقق الاختصاص بين ذكر وأنثى لضم بعد ذلك البنين والبنات والحفدة، في ظل علاقات وواجبات وحقوق الأبوة والأمومة والبنوة، وفق منظومة من القيم الإسلامية جعلت هذه المؤسسة (الأسرة) واحة السكن والسكينة والمودة والرحمة، المحكومة بالميثاق الغليظ"⁽¹⁾ قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: 21).

ولكن العولمة بالتأكيد لن تترك الأسر الإسلامية على الحال الذي يريده الإسلام "بل أدت العولمة إلى تغير القيم الاجتماعية وطبيعة العلاقات داخل الأسرة وخارجها بما يتفق وصور العلاقات والقيم الفردية المتحررة في الدول الغربية"⁽²⁾ وبالتالي طرأ على الأسر الإسلامية المعولمة تحولات هي:

"إن الأسرة العربية ليست أسرة نواتية أي أنها لم تتفكك بالكامل وذلك بالرغم من التحول الهائل الذي حصل في بنى المجتمعات العربية من حيث الطفرة الاقتصادية والانتقال من قيم الريف إلى قيم المدينة، وذلك أن هذا الانتقال لم يحصل كما حصل في أوروبا مع النهضة الصناعية الكبرى وإنما الذي حصل في العالم العربي هو عبارة عن حركة أدت إلى تزييف المدينة، وتمدين الريف بحيث اختلطت القيم وتداخلت ولم تتغير بالكامل عن طريق الانتقال من الشيء إلى ضده،... فالأسرة العربية تعيش حالة من التراخي الذي يميل نحو التفكك الذي لم يستقر بعد على قرار نهائي، وذلك يعود إلى أن المجتمع العربي كله يعيش هزة اجتماعية اقتصادية ثقافية عميقة وتتنازع الهبات المتجاذبة للأصالة والتجديد"⁽³⁾.

(1) مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، محمد عمارة، الصحيفة 23.

(2) تأثير العولمة على ثقافة الشباب، محمود عرابي، الصحيفة 62.

(3) دينامية الأسرة في عصر العولمة، عباس محمود مكي، الصحيفة 130.

لقد حاول الغرب جاهداً لاختراق نظام الأسرة الإسلامية، بخصوصياتها وعاداتها وتقاليدها بداعي التقدم والحداثة، "حيث لا مكان للأسرة المستقرة في ثقافتهم، إنما يوجهون إلى عنصر اللذة في العلاقات بين نوعي بني آدم، وقد شرعوا الأبواب للإباحية، من احتقار العفة إلى المساكنة بلا زواج إلى المثلية في العلاقات الجنسية، إلى الإجهاض"⁽¹⁾، بالإضافة إلى تحرر المرأة، المساواة بين الرجل والمرأة، موضوع حقوق الإنسان، وحقوق الطفل.

ومن خلال الدعوة إلى تحرر المرأة سعى دعاة العولمة إلى استغلال جسد المرأة في الترويج لمنتجاتهم من خلال الدعاية والإعلان، حتى لا يكاد ألا توجد مطبوعات أو إعلان أو دعاية تخلو من استغلال المرأة وجسدها بطريقة تثير الغرائز في معظم الأحيان، وفي رسالة ماجستير أعدها الباحثون بعنوان (صورة المرأة في إعلانات التلفزيون)، ذكر فيها أنه قام بتحليل 356 إعلاناً تلفزيونياً، بلغ إجمالي تكرارها 3409 خلال 90 يوماً فقط وقد توصل بحثه إلى ما يأتي:

- استخدمت صورة المرأة في 300 إعلان من 356 إعلاناً كررت قرابة 3000 مرة في 90 يوماً.

- 42٪ من الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة لا تخص المرأة.

- سنّ النساء اللاتي ظهرن في الإعلانات من 15 إلى 30 سنة فقط.

- اعتمدت 76٪ من الإعلانات على مواصفات خاصة في المرأة كالجمال والجاذبية، و 51٪ على حركة جسد المرأة، و 12,5٪ استخدمت فيها ألفاظ جنسية⁽²⁾.

ويريد العالم الغربي تعميم هذه الأفكار والثقافات على العالم أجمع، "بل ويجبر على ذلك من خلال الضغوطات الاقتصادية والسياسية، وأيضاً من خلال الضغط القانوني! ذلك إن العالم الغربي وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية، قد سخرت المؤسسات الدولية وعلى رأسها منظمة الأمم المتحدة لعقد المؤتمرات العالمية التي تبشر بهذه الأفكار

(1) ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، أسعد السحمراني، دار النفائس، الطبعة الأولى،

1423هـ-2002م، الصحيفة 86.

(2) الإسلام والعولمة، د. سامي محمد صالح الدلال، الصحيفة 67.

والرؤى، تحت إشرافها وباسمها، وفرض مقررات هذه المؤتمرات على الدول التي توقعها وإنزال العقوبات الاقتصادية والسياسية بمن يخالف هذه المقررات أو يجحد عنها، ومن أشهر تلك المؤتمرات العالمية: مؤتمر السكان في القاهرة عام 1994م ومؤتمر المرأة في بكين عام 1995م، ومؤتمر السكان والتنمية في اسطنبول عام 1996م، ومن هنا كانت اتفاقيات حقوق الإنسان وحقوق المرأة والقضاء على جميع أشكال التمييز ضدها، وحقوق الطفل⁽¹⁾.

وهي اتفاقيات في ظاهرها وعناوينها توحى بالعدل والرحمة والإنسانية، "لكن وثيقة مؤتمر السكان تسعى لعولمة التحلل والتفكك الأسري، الذي نخر وينخر في عظام المجتمعات الغربية، التي عزفت عن الزواج واستبدلته بالرفقة والتي أصبح 40٪ من طفولتها تولد خارج الأسر الشرعية، أي عن طريق الزنا، و50٪ من هؤلاء الأطفال يعيشون خارج الأسر الشرعية أي مع رفيق الأب أو الأم، وتسمى وثيقة مؤتمر السكان لعولمة منظومة القيم الغربية المدمرة للأسرة، فتدعو صراحة "وبالحاح الحكومات والمنظمات الحكومية الدولية، والمنظمات غير الحكومية المعينة ووكالات التمويل، والمؤسسات البحثية إلى إعطاء أولوية للبحوث الحيوية المتعلقة بتغيير الهياكل الأسرية"⁽²⁾، وتحدث هذه الوثيقة عن اقتران لا يقوم على الزواج، وهو ما يشيع في العلاقات المحرمة دينياً بين رجلين أو امرأتين عند الشواذ، بل وتتجاوز إباحة ذلك إلى ترتيب الحقوق لهذه الأنواع من الأسرة فتقول: "وينبغي القضاء على أشكال التمييز في السياسات المتعلقة بالزواج وأشكال الاقتران الأخرى، وتدخل في عداد الأسرة ذات الحقوق؛ الأعداد الكبيرة من الأفراد غير المتزوجين والناشطين جنسياً"⁽³⁾.

"وتتجه المجتمعات الغربية نحو تفكيك الأسرة الكلاسيكية لصالح بنى أسرية بديلة، فقد اعترفت الحضارة الغربية بحقوق الجنسين المثليين بالزواج والتبني والتوريث، وهي في طريقها إلى الاعتراف بهم وبحقوقهم المدنية في الحياة العامة"⁽⁴⁾.

(1) مستقبل الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، الصحيفة 167.

(2) مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، محمد عمارة، الصحيفة 24.

(3) مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، محمد عمارة، الصحيفة 24.

(4) دينامية الأسرة في عصر العولمة، عباس محمود مكي، الصحيفة 230.

ومن آثار العولمة على الأسرة أيضاً حالات الطلاق، "حيث تشير الدراسات الحديثة في مجال الأسرة إلى أن المجتمعات الأوروبية تشهد حركة طلاق كبرى بحيث أن من كل حالتي زواج حالة واحدة تؤدي إلى الطلاق، وهذا ما يحصل أكثر في أجواء التعايش الحريين الرجل والمرأة خارج نطاق الزواج مما يؤدي إلى الترك حتى بوجود أولاد طبيعيين أي خارج الزواج"⁽¹⁾.

أما حول سليات العولمة الإعلامية على الأسرة بسبب متابعتها للقنوات الفضائية وخصوصاً النساء:

"- 85% يحرصن على مشاهدة القنوات التي تعرض المشاهد الإباحية.

- 53% قلّت لديهن تأدية الفرائض الدينية.

- 32% تأخر تحصيلهن الدراسي.

- 42% يتطلعن للزواج المبكر ولو كان عرفياً"⁽²⁾.

وقد ترتب عن شيع الفاحشة في المجتمعات الغربية والتي تدعو إليها العولمة، شيوع الأمراض والأوبئة العقلية والنفسية والاجتماعية، "لقد أضحي الإيدز سمة من سمات عصر العولم الذي يتحدثون عنه، وإذا كانت المجتمعات الغربي قد نجحت في خفض معدلات انتشاره، فإن المجتمعات المختلفة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية فشلت في ذلك باستثناء الدول المسلمة التي تحرم الزنا واللواط، فإذا نحن سرنا في قبول العولمة إلى مرحلة إباحة الزنا واللواط فعلينا أن نتقبل النتائج اللازمة عن ذلك، ولا أذكر الإيدز فقط بل ملايين المواليد من سفاح، وهم الذين يشكلون جيوش المجرمين في الغرب، في شكل عصابات المافيا وغيرها، وبمارسون الجريمة المنظمة وغير المنظمة"⁽³⁾.

أما المساواة: فإن الإسلام قد سن سنة المساواة بين الإناث والذكور في الخلق والتكريم والتكليف والحساب والجزاء، مع الحرص على توزيع العمل ليحافظ على فطرة

(1) دينامية الأسرة في عصر العولمة، عباس محمود مكي، الصحيفة 229.

(2) الإسلام والعولمة، د. سامي محمد صالح الدلال، الصحيفة 67.

(3) الإسلام والعولمة، محمد إبراهيم مبروك، الصحيفة 99.

التمييز بين الذكورة والأنوثة، فجعل هذه المساواة هي مساواة الشقين المتكاملين، وليس الندين المتماثلين، حفاظاً على دواعي الاقتران والشوق والسعادة للنوع الإنساني، فإن وثيقة مؤتمر السكان تسعى إلى انقلاب في علاقات المرأة بالرجل، فبدلاً من توزيع العمل بين الرجال والنساء وفق فطرة وطبيعة الذكورة والأنوثة، حيث تدعو الوثيقة إلى دمج الرجل في المنزل، ودمج المرأة في المجتمع دمجاً متكاملًا، فتقول: ويتعين على الحكومات والزعماء الوطنيين والمجتمعيين أن يشجعوا مشاركة الرجل الكاملة في تنظيم الأسرة وتربية الأطفال والعمل المنزلي وتمكين المرأة واستقلالها وإدماجها بشكل تام في الحياة المجتمعية⁽¹⁾.

(1) مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، د. محمد عمارة، الصحيفة 26.

المبحث الرابع

أثر العولمة على الشباب

من الناحية السياسية: "تؤثر العولمة على صياغة الثقافة السياسية للشباب وفقاً للمنظومة السياسية للدول المسيطرة والتي تتمثل في قيم المشاركة والديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني، وسيطرة المؤسسات الدولية"⁽¹⁾.

أما من الناحية الدينية والأخلاقية: حاول الغربيون إفساد أخلاق أبناء المسلمين "بكل ما أوتوا من مكر ودهاء وبكل ما استطاعوا وأوتوا من وسائل مادية وشيطانية ليفككوا قواهم المتناسكة بالأخلاق الإسلامية العظيمة، وذلك لتفتيت وحدتهم الصلبة، فالغربيون لما عرفوا من قديم الزمان عند اختلاطهم بالمسلمين وأهل ذمتهم أثناء فترة الاستعمار أن الأخلاق الإسلامية تمثل معابد القوة، فجنّدوا لها جيوش الفساد والفتنة ضمن مصطلح العولمة أو القرية الواحدة وغيرها من المصطلحات ولقد كانت مواجهتهم للأخلاق الإسلامية من عدة جهات:

1- علموا أن المحور الذي تدور عليه أخلاق المسلمين وتزودهم بها هو: الإيمان بالله واليوم الآخر، فعمدوا العزم على هدمه وذلك بزرع بذور الشك والإلحاد وتغيير فكر الشباب المسلم بالأفكار والمفاهيم والفلسفات الباطلة التي توحى بالاستهزاء والاستخفاف بأركان الإيمان وذلك بتشجيع أمثال سلمان رشدي وغيره من أعداء الأخلاق الإسلامية وقرروا بأن التصدي هؤلاء انتهاك لحقوق الإنسان وظلامية وأصولية.

2- علم الغرب وعلى رأسه أمريكا أن فهم الشريعة الإسلامية فهماً سليماً هو الذي يمدّ المسلمين بما يحتاجونه من معارف فمكروا بها تارة بالحجب والرفض والتلاعب بمفاهيمها، وأخرى بالتشويه والمضايقة لاتباعها ومرة بالمنع وأخرى بالحرب⁽²⁾. ومثال ذلك ما قاله المنصر صموئيل زويمر في مؤتمر القدس الذي عقد برئاسته في نيسان عام 1935م إبان الاحتلال البريطاني لفلسطين: "إنكم أعددتُم شباباً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في

(1) تأثير العولمة على ثقافة الشباب، محمود عرابي، الصحيفة 64.

(2) العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية، أعمال الملتقى الدولي للجزائر، الصحيفة 331

المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار، لا يهتم للعظائم، ويحبّ الراحة والكسل، ولا يصرف همّه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلّم فللشّهوات، وإذا جمع المال فللشّهوات، وإن تبرّأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يعود بكل شيء⁽¹⁾.

كما شكك أعداء الدين في ظل العولمة في حكمة الله تعالى في أوامره ونواهيه، وسهّلوا لبعض المتسّين إليه الاعتراض على شرعه، "فوجد من أبناء المسلمين ممن وقع في فخ العولمة من يعترض على شرع الله تعالى، ويرى أن الحدود، من قطع يد السارق، وقتل القاتل، ورجم الزاني أو جلده، كلها مرفوضة، وأن التعدد في النكاح جريمة، وأن جعل القوامة للرجل كبت للحريات، وانتهاك لحقوق المرأة، ونحو ذلك"⁽²⁾.

3- قمة الفساد العملي التطبيقي: "وذلك بإغواء أبناء المسلمين شبابهم وشاباتهم في بيئات مشحونة بالانحلال الخلقي وذلك بالزجّ بهم في بؤرة الرذائل لتعمّ العدوى ويستشري الفساد وتنحكم الشهوات وتتحلّ الرذيلة محل الفضيلة، ومثال ذلك، النظر إلى أخلاق شبابنا وشاباتنا في الطرقات والحدائق العامة وأماكن التجمع المختلطة كالثانويات والجامعات ومراكز التكوين والعمل. وهذا ما يسمّى عندهم بالتقدم والرقي واحترام حقوق الإنسان"⁽³⁾.

"تؤثر العولمة على ثقافة التدين حيث يساعد على نشر وتمجيد سمات ثقافية لا تتفق وقيم وممارسات الدين، وتنتشر هذه القيم والمظاهر بصفة خاصة بين الشباب لارتباطها بالإباحية والتحرر من القيم"⁽⁴⁾. واليوم من أهم ما يلاحظ على شبابنا في معظم المجتمعات الإسلامية، "تخلّي عدد كبير من الأفراد ولا سيما الشباب عن تمسّكهم بقيمهم، وعاداتهم المستمدة من تعاليم دينهم، شعوراً منهم بأنّ هذا التفلت ييسّر لهم مواكبة التقدم، وبذلك أمامهم الصعوبات التي تعيقهم عن ملاحقة التطوّرات العلميّة

(1) آثار العولمة على عقيدة الشباب، عبد القادر بن محمد عطا صوفي، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد 215، عام 1427هـ-2006م، الصحيفة 51.

(2) آثار العولمة على عقيدة الشباب، عبد القادر بن محمد عطا صوفي، الصحيفة 51.

(3) العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية، أعمال الملتقى الدولي للجزائر، الصحيفة 331.

(4) تأثير العولمة على ثقافة الشباب، محمود عرابي، الصحيفة 61.

والتكنولوجية، وإيماناً منهم بأن المجتمعات المعاصرة تقدر القيم المادية أكثر من تقديرها للقيم الدينية والتعاليم السماوية⁽¹⁾.

وقد حاول بعض الباحثين من تتبع تأثيرات العولمة على بعض القيم الأخلاقية الدينية كالعفة والإخلاص والصدق وصلة الرحم، وذلك بطرح سؤال، هل يؤثر التعرض للفضائيات والانترنت على القيم الدينية؟ وكانت نتيجة الدراسة كالآتي:

"العفة: ترتفع نسبة من يرون أنها تؤثر سلباً عند من يتعرض بدرجة قوية لتصل إلى 46,6% يليها من يتعرض بدرجة ضعيفة بنسبة 42% ويأتي في المرتبة الأخيرة من لا يتعرض بشكل مباشر بنسبة 30,2%.

الإخلاص: تشير البيانات الميدانية إلى ارتفاع نسبة من يرون أن العولمة تؤثر سلباً عند من لا يتعرض بشكل مباشر بنسبة 67,4% يليها من يتعرض بدرجة ضعيفة بنسبة 49,2% ومن يتعرض بدرجة قوية بنسبة 42,6%.

الصدق: تؤكد البيانات الميدانية على ارتفاع نسبة من يرون بتأثيرات العولمة السلبية عند من يتعرض بدرجة قوية لتصل إلى 64,2% ويليه من يتعرض بدرجة ضعيفة 54%، ويأتي في المرتبة الأخيرة من لا يتعرض بشكل مباشر 37,2%⁽²⁾.

ومن آثار العولمة على الشباب وخصوصاً المراهقين، انتصار ثقافة موسيقا RAP الراب، وهي في الأصل عبارة عن موسيقا بوتيرة حادة وعنيفة ومتقطعة تستند إلى كلمات متقطعة أيضاً تترافق معها بشكل يضرب الحس والأذن ويستثير الكيان ويبني مناخاً من الضوضاء والفوضى العنيفة، وهي نمط موسيقا أدمن عليه مراهقو العصر وتوسع وتعمم لكي يصبح ثقافة العصر عند المراهقين في زمن العولمة. وقد حصل نوع من التعميم لهذه الثقافة بوتيرتها الحادة والمستفجرة حيث غزت كامل مرافق الحياة عند المراهقين والشباب إجمالاً وبدت لوناً وجودياً بات يغزو بنية الذات نفسها.

إنها ثقافة ثورة أبناء ضواحي البؤس التي يعيش فيها المهاجرون والمضطهدون من أفارقة وعبيد، بغزو ثقافة المركز، وقد تخطى ذلك المجتمعات الأوروبية ليكون عاماً وشاملاً في عصر العولمة.

(1) آثار العولمة على عقيدة الشباب، عبد القادر بن محمد عطا صوفي، الصحيفة 12.

(2) تأثير العولمة على ثقافة الشباب، محمود عرابي، الصحيفة 181-183-184. للاستزادة يمكن العودة للمرجع.

وفي هذا المناخ العالمي تحولت ثقافة الراب إلى مهنة: حيث نشأت دور أزياء خصيصاً على قاعدة ثقافة الراب، فصنعت أزياء تتوافق مع مناخ هذه الثقافة الجديدة، ثياب فضفاضة وواسعة فيها إشارات ملفتة، ونذكر منها مؤسسة NIKE مثلاً، وتم إنتاج قبعات على طريقة الراب يضعها المراهق على الرأس وبالمقلوب ليلاً ونهاراً، وبالتالي فإن ثقافة الراب تحولت إلى مصدر هام للغنى وتكوين الثروة نظراً لغزارة الاستهلاك ولضغط الطلب الشبابي والمراهق في الثياب والموسيقا وكل شيء يستهلك.

والمراهق العربي مسكون أيضاً بهذه الثقافة عبر العولمة في بلداننا عبر السفر إلى الغرب والولايات المتحدة هذا ما يشكل خطراً على الثقافة العربية وبناء الأسرة العربية، وهذا ما يفسر الكثير من مظاهر حالات الرفض والثورة الوجودية في العلاقة ما بين الأسرة وأبنائها ومراهقيها المأزومين، إنها موسيقا احتجاجية ورافضة تحولت إلى نمط الحياة متوترة يمكن أن تشكل أحياناً مناخاً جنائياً حاداً⁽¹⁾.

- أخيراً يمكن اختصار آثار العولمة على الشباب المسلم عامة والعربي خاصة بالآتي:
- زيادة الإباحية بين الشباب وانتشار الزواج العرفي وسيادة الاتجاه العلماني عند بعض الشباب، الذي يقصد منه فصل الدين عن الجوانب الحياتية، وزيادة التعصب الديني عند البعض الآخر وذلك كرد فعل لانتشار الثقافة العلمانية.
 - ارتفاع نسبة تشابه الشباب المسلم مع الشباب الأجنبي في بعض المظاهر كالزني والسلوك.
 - ارتفاع موافقة الشباب على بعض سمات الثقافة اللادينية مثل الصداقة مع الجنس الآخر والحديث مع الجنس الآخر في الجنس وإقامة ملاهي ليلية والجلوس مع من يشرب الخمر، ومشاهدة مشاهد الجنس بالفضائيات والانترنت... كل ذلك بارتفاع درجة التعرض لآليات العولمة.
 - ضعف تمسك الشباب بالتعاليم الدينية، كما أن متابعة الفضائيات والانترنت يؤدي إلى الانشغال عن أداء بعض الفرائض الدينية كالصلاة.

(1) انظر: دينامية الأسرة في عصر العولمة، عباس محمود مكي، الصحيفة 150-151.

المبحث الخامس

أثر العولمة على الطفل المسلم

الطفل هو البنية الأساسية لدعائم المستقبل وهو العقل الدبر والموجه لمجرياته، والتوجه لتخصيص جزء من حياتنا للعناية بالطفل ودراسة كل ما يفيدوه هو أمر يدخل في نطاق الحفاظ على الحياة وتحقيق ديمومتها.

"وقد جاء تأسيس منظمة الأمم المتحدة للأطفال يونيسيف في إطارها من حيث إعداد برامج طويلة الأمد لحياة صحية ومنتجة لأطفال العالم ضمن مفهوم التطور الاقتصادي والاجتماعي العام، كم أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الطفل في عام 1958م هذا الإعلان الذي يشمل عشرة مبادئ بعنوان: "إن البشرية مدينة للطفل بأفضل ما لديها"، أكدت حق الطفل في التمتع بالحماية وإتاحة الفرص والإمكانات كي ينشأ في جو صحي وسليم، وفي ظروف ملائمة من الحرية والاحترام وتأمين الغذاء والسكن والخدمات الصحية والتعلم والترفيه.

كما أقر مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل في عام 1990م إعلاناً عالمياً لبقاء الطفل ونمائه، أكد فيه على الالتزام بوضع برامج تحذ من الأمية وتوفير الفرص التعليمية لجميع الأطفال مدى الحياة من بدء النمو حتى بلوغ سن الرشد ضمن إطار ثقافي واجتماعي تتوفر فيه ظروف الدعم والحماية والتربية الحسنة"⁽¹⁾.

إن العولمة الإعلامية أو عولمة الصورة تكاد تكون أشد أنواع العولمة خطورة على الطفل، ففي دراسة لمجموعة من الأفلام التي تُعرض على الأطفال عالمياً وُجد أن: "29,6٪ تتناول موضوعات جنسية، و27,4٪ تتناول الجريمة، و15٪ تدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري المكشوف"⁽²⁾.

وفي دراسة أخرى "أن 45٪ من الحالات المدروسة قد تركت أبطال قصصها دون عقاب أي أنها تركت السلوك العدواني العنيف دون أن يلقي صاحبه جزاءه، الأمر الذي يؤدي إلى إغراء الصغار بهذا النمط السلوكي، كما دلت الدراسة على أن قصصاً كثيرة

(1) العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية، أعمال الملتقى الدولي للجزائر، الصحيفة 113.

(2) الإسلام والعولمة، د. سامي محمد صالح الدلال، الصحيفة 68.

قدمت للأطفال أشاعت أنماطاً سلوكية تشجع على الخضوع والتبعية بدلاً من الاستقلالية والاعتزاز بالشخصية المنتجة⁽¹⁾.

هذا وإن دَلَّ، فإنه يدلّ على وجود نقص كبير في تأمين حقوق الأطفال من الناحية الثقافية والإعلامية في الوطن العربي تتحملها المؤسسات الحكومية والأهلية على حد سواء، ونحن لا ننسى وجود بعض برامج الأطفال العربية الناجحة والتربوية مثل "افتح يا سمسم" والذي حقق نجاحاً كبيراً وانتشاراً واسعاً، وشكل نقطة تحول للانطلاق في إنتاج برامج أطفال متخصصة، وإن "الإنتاج الدرامي للأطفال هو مجال رحب وهام ويحتاج إلى جرأة في الإنتاج بدعم من مؤسسات عربية مليئة تتوفر فيها الكفاءة والهدف الوطني والقدرة على استقطاب نجوم الفن العربي القادرين على تحقيق جاذبية خاصة للأطفال⁽²⁾"، بالتعاون مع التربويين وعلماء النفس والأدباء.

لقد تحول المجتمع المعولم إلى مجتمع استهلاكي كثرت فيه متطلبات الحياة، والتي لم تكن موجودة في مجتمعاتنا سابقاً، بالإضافة إلى غلاء أسعارها وبالتالي ثمة تداخل ما بين حب الأهل للأبناء وقدرتهم على ترجمة هذه المحبة إلى سلوك فاعل وصادق، من حيث الاستجابة لطلباتهم وتحمل تكاليفها، "وما أكثر المستلزمات الميدانية التي تترجم حب الأهل لأبنائهم: الحاسوب، الهاتف النقال، الاشتراك في الانترنت، دون أن ننسى أقساط المدرسة والجامعة وأنشطة الرياضة والتسليّة والثياب والعطور وهدايا الأعياد.. مما جعل (سعر تربية الطفل خارج نطاق الاحتمال المالي والنفسي بخاصة عند الأهل، وهذا هو المدخل الممتاز للآزمات النفسية لعصر العولمة، وهذا ما يبدأ تدريجياً إما بنزف على المستوى المادي والأحشائي أو بظهور المشاعر النفسية بعذاب تأنيب الضمير والشعور بالتقصير والذنب"⁽³⁾.

ولكي يتم ملء فراغ القدرة الاستهلاكية "تأتي ألعاب الفيديو المتخيلة لكي تفعل ذلك بطريقة الأوهام والخيال (مثل الإدمان) عن طريق (الوصلة) التي تنقل من الواقع المر إلى الخيال الخصب، ألعاب تبتكر فيها شخصيات متخيلة يلعب معها أدواراً مريحة

(1) العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية، أعمال الملتقى الدولي للجزائر، الصحيفة 116.

(2) العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية، أعمال الملتقى الدولي للجزائر، الصحيفة 115.

(3) دينامية الأسرة في عصر العولمة، عباس محمود مكي، الصحيفة 219.

تاريخية أو اجتماعية وما سواها... نبنى بيتاً أو قلعة أو مشروعاً، ويمكن أن ندمره بعد ذلك بسلوك عنيف يعبر عن الألم العميق الذي يصيب أبناء العولمة من جراء القهر والللث وراء الاستهلاك السرابي"⁽¹⁾.

(1) دينامية الأسرة في عصر العولمة، عباس محمود مكي، الصحيفة 226.

الفصل الخامس

الموقف المطلوب من العوالة

المبحث الأول: اتجاه القبول التام

المبحث الثاني: اتجاه الرفض المطلق

المبحث الثالث: الاعتدال

تمهيد

لقد تعددت الآراء حول مدى قبول العولمة بين رفض قاطع للعولمة وبين قبول تام للعولمة بكل جوانبها واعتبارها بأنها الحل الأمثل لتقدم الأمة الإسلامية وتطور الدول العربية، وجعلها قابلة للدخول في ركب التطور، كما أدرج بعض الباحثين اتجاهات القبول والرفض ضمن عدة تيارات مثل:

"التيار الليبرالي: ويذهب أصحابه إلى أن العولمة ظاهرة غير قابلة للارتداد أو الانتكاس وأن التوفيقية هي الأسلوب الإجرائي الذي يجب أن يتحكم في التعامل معها. تيار قومي: قلق أمام تقلص الأهداف الكبرى للأمة العربية متسائل في حيرة ما العمل أمام الظاهرة الجديدة؟ ويرى من أبرز ميزات أسلوب معالجته عدم فصلها عن العربية لكن يؤخذ على هذا التيار أنه ترك جوهر الموضوع وأسهب في الحديث عن الظاهرة وأمركة العالم.

تيار إسلامي: ينطلق من موقع الدفاع عن الخصوصية الثقافية المهددة من قبل موجات العولمة المتدفقة...

تيار ماركسي: يلاحظ أن أنصاره يعتمدون على منهج المادية التاريخية في معالجتهم للظاهرة، ولكن البون الشاسع بين رؤية معاصرة تنطلق من المعطيات الجديدة وفي مقدمتها جوهر الفكرة للظاهرة نفسها، وبين الوقوع تحت نظرية قديمة انكشفت أخطاؤها"⁽¹⁾.

وسأذكر بعض وجهات النظر لكل اتجاه:

(1) إشكالية التحدي الحضاري بين الإسلام والغرب، ثقافة ازدراء وحوار مفقود وعولمة استيلاء، محمد إبراهيم الفيومي، الصحيفة 75.

المبحث الأول

اتجاه القبول التام

"المؤيدون للعولمة معظمهم من أنصار الفكر الليبرالي والرأسمالي ومن المعجبين بالنظام الأمريكي وهؤلاء يرون أن العولمة هي التعويذة التي ستحل بها كافة مشاكل العالم وهي القدر المحتوم الذي لا مفر منه"⁽¹⁾.

يرى بعض الباحثين أن "نهضة المسلمين لا تتحقق إلا إذا تحققت نهضة الغرب، وأن الثقافة تراث بشري، ليس خاصاً بقوم دون قوم، أو منطقة دون أخرى أو جهة دون جهة، فعلينا أن نفتح الأبواب على مصارعها للثقافات الوافدة من أجل أن يلحق المسلمون بالركب العالمي، ومن أجل أن تتلاقح الثقافات، ويتوحد العالم حول ثقافة واحدة، وهذا أدعى لتحقيق السلام والتقدم العلمي"⁽²⁾.

ويرى أيضاً الداعون للإبحار في محيط العولمة، "أن المجتمع العربي الذي ترتفع صيحات بعض كتابه للتنديد بها، والتحذير من أخطارها، هو أشد ما يكون بحاجة لكي تغزوه موجات العولمة، فالمجتمع العربي في رأيهم يعيش في ظل أنظمة سياسية مستبدة، تقوم أساساً على قمع مؤسسات المجتمع المدني، وقهر المواطنين، وأخطر من ذلك أن عديداً من هذه الأنظمة ربطت مصالحها السياسية بدول أجنبية، ويغض النظر عن المصالح الوطنية أو القومية في بعض الحالات، هذا من جهة ومن جهة أخرى، إن التيار الذي يقبل العولمة يعتبر أن المجتمعات العربية أكثر حاجة من غيرها للتدفق الحر للمعلومات، ولتوطين التكنولوجيا، وتوسيع آفاق حرية التعبير، وإيجاد ضمانات دولية لتطبيق حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، والحفاظ على التنوع الإثني الثمر، الذي لا يتحول إلى عائق وعاهة إلا في ظروف الاستبداد السياسي وسيادة النظرة الأحادية المتعصبة، التي تجهض كل حوار إنساني خلّاق"⁽³⁾.

(1) العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، د. يوسف المراهدة، الطبعة الأولى، دار الكندي، 2008م، الصحيفة 32.

(2) العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية، أعمال الملتقى الدولي للجزائر، الصحيفة 277.

(3) العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي، السيد يسين، الصحيفة 23.

والمتحمسون للسير في طريق العولمة: "يَعِدُّون البلدان العربية بأن هذه السياسات الجديدة سوف تحقق آمالهم في التصنيع، والنهوض بأحوال الفقراء، ولن تشكل خطراً على الثقافة الوطنية، وفي هذا يتخذ كثير من المحللين العرب للأسف الموقف نفسه ولكن الزعم نفسه القديم، سمعناه من قبل ولم يتحقق، لقد قال المستعمرون الأوائل كلاماً مشابهاً عندما قدموا على بلادنا لأول مرة منذ قرنين، تحت شعار التمدين ونقل الحضارة، قال خلفاؤهم في منتصف القرن الحالي تحت شعار التنمية الاقتصادية، ثم قالوه مرة أخرى في الثمانينات تحت شعار إصلاح ما أفسده الماضي والتصحيح الهيكلي، ويقولونه الآن تحت شعار العولمة"⁽¹⁾.

ويقول أنصار العولمة: "إن ديمقراطية التكنولوجيا جعلت تايلاند تتحول على مدى 15 عاماً من منتج للأرز إلى ثاني أكبر دولة منتجة لسيارات نصف النقل ورابع دولة مصنعة للدراجات البخارية"⁽²⁾.

إن دعاة العولمة وأصحاب موقف القبول التام للعولمة يدرجون الاختراق الثقافي والاستتباع الحضاري الذي تخلفه العولمة تحت شعار براق وهو "الانفتاح على العصر"، حيث يرون أن ثقافة الاختراق وأيديولوجيا الارتقاء في أحضان العولمة والاندماج فيها ثقافة تنطلق من الفراغ، أي من اللاهوية، وبالتالي فهي لا تستطيع أن تبني هوية ولا كياناً، فيقولون: "إنه لا فائدة في المقاومة ولا في الالتجاء إلى التراث، بل يجب الانخراط في العولمة من دون تردد لأنها ظاهرة حضارية عالمية لا يمكن الوقوف ضدها ولا يمكن تحقيق التقدم خارجها، أن الأمر يتعلق بقطار يجب أن نركبه وهو ماضٍ في طريقه بنا أو بدوننا"⁽³⁾. ولا يخفى بأن أبناء هذا الرأي يعتبرون أن العولمة ضرورة حتمية تسري في جسد العالم شاء أم أبى.

ويؤكد أنصار العولمة "أنها لا تهدد السيادة القومية للدول، وهم يرون أن حرية التجارة وحرية انتقال رأس المال لا يمنعان أي مجتمع من تبني سياسات نشطة للضمان

(1) أمتابين قرنين، د. يوسف القرضاوي، الصحيفة 239.

(2) العولمة ماها وما عليها، د. محمد عبد القادر حاتم، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1426هـ-

2005م، الصحيفة 63.

(3) مستقبل الثقافة العربية في ظل العلوم، نجاح قدور، الصحيفة 54.

الاجتماعي والتوقيع على اتفاقيات تجارية مع دول أخرى لا يعني فقدان الدولة لسيادتها لأن الدخول في هذه الالتزامات يتم بأسلوب ديمقراطي ولا يتضمن أي انتهاك لحرية المواطن ولا لسيادة الدولة⁽¹⁾. وقد أثبت في هذا البحث بأن العولمة تهدد سيادة الدولة، كما أن ثمة إجماعاً على ذلك، مما يؤكد خطأ هذا الرأي.

(1) العولمة ما لها وما عليها، د. محمد عبد القادر حاتم، الصحيفة 67.

المبحث الثاني

اتجاه الرفض المطلق للعولمة

في مؤتمر العولمة وقضايا الهوية الثقافية الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة في مصر في الفترة من 12-16 إبريل 1998م، تحدّث أعضاء المؤتمر الراضون للعولمة عن سلبيات العولمة تعليلاً لرفضهم لها: "وأهم هذه السلبيات تحكم الشركات المتعددة الجنسيات في الإرادة الاقتصادية العالمية، وتراكم أرباحها على حساب شعوب دول الجنوب، ومن خلال إضعاف السيادة القومية للدول، والتي تتكفل بها المؤسسات المالية الدولية كالبنك الدولي، وفي قائمة سلبيات العولمة التي سردوها أيضاً أنها لن تؤدي بالضرورة إلى رخاء مجتمعات دول الشمال، لأنها عملت على تفكيك هذه المجتمعات، وزيادة الهوة الطبقة بين من يملكون ومن لا يملكون، ويشهد على ذلك ازدياد معدلات الفقر بصورة غير مسبوقة، بالإضافة إلى تهيش طبقات اجتماعية بكاملها واستبعادها من نطاق الفاعلية الاجتماعية والسياسية، ويضيفون إلى ذلك مخاطر الغزو الثقافي التي تضاف إلى مصائب التبعية الاقتصادية والسياسية"⁽¹⁾.

وجاء أيضاً أن موقف الرفض "يبتني على أن العولمة شرّ خطير يداهم الأمة الإسلامية ويهدّد وحدتها وكيانها واستمراره فعلينا أن نغلق دونها الأبواب ونحصّن مجتمعاتنا بالدعوة إلى الرجوع إلى أصول هذه الأمة الثقافية ومنها بصفة خاصة، الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، والعمل على إبعاد الشباب، عن التعرّض لوسائل العولمة الثقافية الغازية من صحف وتلفاز ومحطات فضائية، بل وحتى السفر إلى البلاد الغربية أو الدراسة في جامعاتها"⁽²⁾.

إن موقف الرفض المطلق سلاحه: الانغلاق الكلي، بالرغم من أن الانغلاق التام موقف سلبي غير فاعل في زمن العولمة، وأسبابه: سلبيات العولمة حيث يرون أنها "فقر وبطالة وسيطرة وتحكم، إخضاع وتركيع للفقراء والضعفاء، دكتاتورية الأغنياء والقادرين، وهيمنة أمريكية"⁽³⁾.

(1) العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي، السيد يسين، الصحيفة 18.

(2) العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية، أعمال الملتقى الدولي الجزائر، 20 و21 و22 ربيع الأول 1425 هـ منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الصحيفة 277.

(3) العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، يوسف مرشدة، الصحيفة 33.

ومن الأسباب التي ذكرها بعض الباحثين الراضين للعولمة: أن تأثيرات العولمة غير مؤكدة أو غير عادلة، فتراها وكأنها نظرية معقولة كنظرية غربية تطبق على عدد محدود من البشر، فلا نجد كل أفراد العالم من نواحيه المختلفة يتصلون فيما بينهم هاتفياً مثلاً لأن نسبة كبيرة من سكان الأرض ربما لم يستخدموا الهاتف في حياتهم، وبعبارة أخرى فإن نظرية العولمة تنطبق فقط على العالم المتقدم، ويكون من المبالغة بل ومن الضرورة تقدير مدى وعمق العولمة بأكثر من الواقع.

ومن نماذج المعارضة للعولمة: القول بأنها مجرد مرحلة أخيرة أو المرحلة الأطول للإمبريالية الغربية وإنها لا تختلف عن نظرية التحديث القديمة إلا بوجه أو قناع جديد، ونقطة أخرى هامة، أن ليست جميع قوى العولمة طيبة أو صالحة بالضرورة، لأن العولمة تتيح المجال لتفشي عصابات تجارة المخدرات والجماعات الإرهابية، إلى جانب ما يثيره فوضى الاتصالات من خلال شبكة ويب العالمية من محاذير الرقابة ومنع الوصول إلى أنواع معينة من المواد أو المعدات⁽¹⁾.

ولن أذكر كثير من آراء أصحاب هذا الموقف لأن الفصول السابقة من هذا الباب تحدثت عن سلبات العولمة بشكل كافٍ.

(1) انظر: العولمة ما لها وما عليها، د. محمد عبد القادر حاتم، الصحيفة 70.

المبحث الثالث اتجاه الاعتدال

وهناك موقف ثالث لقبول العولة:

وهو مذهب الأغلبية من الباحثين والمفكرين العرب والمسلمين، والذي ينص على القبول والأخذ بها في العولة من المنافع والإيجابيات، ورفض وترك ما فيها من المساوئ والسلبيات وهناك من ينتقد هذا الرأي بالآتي: "إن هذا الموقف هو من أسوأ المواقف وأكثرها بعداً عن الصواب ذلك أن أصحاب هذا المذهب فاتتهم حقيقة أنهم لم يعودوا يعيشون في زمن الغزو الثقافي المكتوب، وبالتالي فإن مسألة قبول أو رفض الأفكار والمفاهيم والمبادئ لم تعد قائمة، إننا نعيش الآن في زمن ثقافة الصورة والمعلومة والآليات التي تنتقل وتنتشر فيها هذه الثقافة، والتي أصبح انتشارها بين الناس على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم من الممكن بحيث يستحيل أن نحد من انتشار هذه الأفكار والمفاهيم والثقافات وأن نقبل أو نرفض منها ما نشاء، وإن القول بأن نأخذ من العولة آلياتها ونرفض إيديولوجياتها هو قول مجانب للصواب، لأن إيديولوجيا العولة وثقافة العولة ومفاهيمها إنما تنتقل عبر هذه الآليات، والأشخاص الذين يملكون أو يستخدمون آليات العولة هم المرشح الأكثر احتمالاً من غيره للتأثر بثقافة العولة بل وتبنيها، وفي النهاية يصبح هذا الموقف أشبه بالموقف الأول بل إنه في النتيجة لا يختلف عنه"⁽¹⁾.

أما الرأي المعتدل في قبول العولة أو رفضها يتمثل؛ بحفظ الهوية الإسلامية وتعزيز الانتماء إليها وتوظيفها في مواجهة العولة الثقافية من خلال تحشيد الطاقات وترسيخ القناعات لدى الحكومات والشعوب بمختلف مستوياتهم بخطورة العولة الثقافية وجديتها في القضاء على الهوية والثقافة الإسلامية، والعمل على نشر القيم والثقافة الإسلامية وترسيخ الاعتزاز والافتخار بها في النفوس وأيضاً الاستغلال الأمثل لما توفره التقنية الحديثة من آليات لنشر هذه الأفكار والمبادئ، إن الهجمة التي تتعرض لها أمتنا كبيرة وخطيرة، وهذه المرة تختلف عن سابقتها، وتتميز عنها بشمولية الأهداف، والإمكانات الفائقة والسعي الدؤوب، والرغبة الملحة، والأهم من هذا، الضعف المتوفر فيها والذي يؤدي إلى القابلية للاستعمار، فما لم تكن الاستعدادات على أعلى المستويات، كما

(1) الهوية الإسلامية في زمن العولة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، الصحيفة 186.

ونوعاً وما لم يكن ردّ الفعل موازياً للفعل القابل، فإننا نعيش حقاً على شفا خطر عظيم⁽¹⁾.

ويعد ذكر آراء واتجاهات بعض الباحثين أقول:

من خلال بحثي إني أؤيد الرأي القائل بحتمية العولمة وأتأ لا خيار لنا في قبولها أو رفضها، وليس لنا قدرة أصلاً على مواجهتها كأفراد، من حيث أنها منظمة الأمم المتحدة كمؤسسة من مؤسسات العولمة السياسية، ومن حيث كونها شركات متعددة الجنسيات وهي أهم مكونات العولمة الاقتصادية، ومن حيث انتشار الفضائيات ومواقع الانترنت من ناحية العولمة الثقافية، كل ذلك لا خيار لنا في تغييره ولا قدرة لنا فذلك من مهمة الحكومات ولكن ذلك لا يعني الاستسلام لها والإعجاب بها والتأييد لها وخصوصاً بعدما علمت أنها ذات بعد استعماري، وتحاول ضرب العقيدة الإسلامية ومسح هويتنا الثقافية، وبالتالي يجب التصدي لها قدر المستطاع وخصوصاً من الناحية الإعلامية والتربوية، وذلك بالإشراف على تربية أبنائنا والانتباه إلى نوعية البرامج التي يتابعونها في التلفاز، والمواقع الالكترونية التي يشاركون فيها، والحرص على الصحة الحسنة ومساعدتهم باختيار أصدقائهم، والأهم من ذلك تربية الأبناء تربية دينية صحيحة وذلك بوضعهم عند شيخ مربٍّ أو داعية تحببهم بالمسجد وبالدين الإسلامي.

(1) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، الصحيفة 186.

الفصل السادس

العالمية في الإسلام

المبحث الأول: مفهوم العالمية الإسلامية والأدلة عليها

المبحث الثاني: الفرق بين العولمة والعالمية

المبحث الأول

مفهوم العالمية الإسلامية والأدلة عليها

من المعلوم أنه لا يوجد لدينا في الإسلام مصطلح بلفظ العولمة بل لدينا لفظ أشمل هو العالمين وقد جاء هذا اللفظ في كتاب الله تعالى 73 مرة، وفيها يخص موضوعنا سأذكر بعض الآيات مما ورد فيها لفظ العالمين:

- قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: 86).

- قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 90).

ومعنى الآية؛ أي "قل أيها النبي لمن أرسلناك إليهم: لا أطلب على تبليغ القرآن أجراً من مال ولا غيره من المنافع الخاصة، وما هذا القرآن إلا تذكير وموعظة للعالمين من الإنس والجن، وإرشاد وهدى للمتقين"⁽¹⁾. أي أن هذا المنهج متحرر من ضغوط المصلحة الشخصية.

- وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

وقد اختلف أهل العلم في "العالمين" الذي أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رحمة لهم، "فقال بعضهم: عني بها جميع العالم المؤمن والكافر فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف.

وقال آخرون: "بل أريد بها أهل الإيثار دون أهل الكفر. وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم"⁽²⁾. وعلى هذا يكون والمعنى: "وما أرسلناك أيها النبي محمد بشريعة القرآن وهدية وأحكامه ودستوره إلا لرحمة جميع العالم من الإنس والجن، في الدنيا والآخرة. أما رحمة للمؤمنين فهي بينة تتجلى في تحقيق إسماعدهم في

(1) التفسير الوسيط، د. هبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1427هـ - 2006م، الصحيفة 578، الجزء الأول.

(2) انظر: تفسير الطبري (18/ 551-552) وتفسير ابن كثير (5/ 385) وتفسير السعدي الصحيفة

(532) نقلاً عن موقع (www.islam-qa.com).

دنياهم، ونجاتهم في آخرهم، وأما رحمته للكافرين: فتظهر في أن الله تعالى رفع عن مختلف الأمم أنواع العذاب الشامل المستأصل، كالطوفان وغيره⁽¹⁾.

وعموم رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بتعيين من الرحي، وإنها موجهة إلى الناس جميعاً، وهذه ثابتة منصوصة في القرآن والسنة عدة مرات ومواطن كثيرة، ومنها:

- ومنها قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبا: 28).

وبناءً على ذلك نقول: أن الإسلام دين للعالمين، فهو دين عالمي بالمعنى الشمولي، ولا يسع أي من البشر أن يتبع غيره، فأصل العالمية إلى الرسالة المحمدية، "ولما كانت هذه الرسالة ذات هدف عالمي شامل كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأموراً بأن يخاطب بها الناس على وجه العموم دون تفريق بين قوم وقوم ولا بين فئة وأخرى فكل من بلغته دعوته فهو داخل في عموم خطابه"⁽²⁾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِمِيعَةٍ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِرُ بِاللَّهِ وَكَأَمْرِهِ. وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: 158).

ومن الآيات المكية الدالة على عالمية الرسالة الإسلامية، قول الله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ نَزَّلَ الْفُرْقَانُ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: 1).

وهذا النص المكي له دلالة على إثبات عالمية هذه المسالة منذ أيامها الأولى، فهي منذ نشأتها رسالة للعالمين، طبيعتها طبيعة عالمية شاملة، ووسائلها وسائل إنسانية كاملة، وغايتها نقل هذه البشرية كلها من عهد إلى عهد، ومن نهج إلى نهج، عن طريق هذا الفرقان الذي نزل الله على عبده ليكون للعالمين نذيراً. فقد جاء في السنة النبوية ما يلي:

(1) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، الصحيفة 1621، الجزء الثاني.

(2) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حنكة الميداني، دمشق، ط 1، 1970م، الصحيفة 128.

- قوله صلى الله عليه وسلم: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاً وضعت هذه اللبنة؟" قال: "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"⁽¹⁾.

- وقوله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أمة وأسود..."⁽²⁾ وفي رواية البخاري: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"⁽³⁾.

"وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله ورسائله إلى الملوك والرؤساء في أنحاء العالم، فأسلم من أسلم وصالح من صالح وحارب من حارب، وأقام الدولة الإسلامية وواصل وظائفها الخلفاء من بعده، واتسعت الفتوحات حتى تكونت الدولة العالمية التي تحكمها الشريعة العالمية الكاملة، وإنشاء المجتمع المدني الرباني التطبيقي، والشريعة الإسلامية الكاملة تقوم على العدالة الإلهية المطلقة للعالمين جميعاً"⁽⁴⁾، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: 8).

(1) صحيح البخاري، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 3342، الجزء 3، الصحيفة 1300. واللفظ له.

و: (صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، رقم الحديث 2286، الجزء 4، الصحيفة 1790.

و: صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414 هـ/ 1993 م، الطبعة 2، تحقيق شعيب أرنؤوط، باب ذكر صلى الله عليه وسلم النبيين قبله معه بما مثل به، رقم الحديث 6405، الجزء 14، الصحيفة 315.

(2) صحيح مسلم، باب كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث 521، الجزء 1، الصحيفة 370.

(3) صحيح البخاري، باب التيمم، رقم الحديث 328، الجزء 1، الصحيفة 128.

(4) عالمية الإسلام والعولمة، طه مرقاتي، الصحيفة 189.

وقامت الحضارة الإسلامية على "أساس العقيدة الصحيحة والشرعية العادلة والأخلاق الكريمة واستفادت منها الأمم والشعوب الذين دخلوا في رحاب الدولة الإسلامية العظيمة، ونجح الإسلام في التوفيق والتنسيق بين قوى الحياة وطاقات الإنسان وحاجات البشرية على وجه العموم"⁽¹⁾.

ومن الفوائد التي حققتها الحضارة الإسلامية للحضارة الغربية، أن كتاب القانون في الطب لابن سينا بقي يدرس في جامعة بروكسل حتى سنة 1909 م، لذلك قال د. أوسلر: لقد عاش كتاب القانون مدة أطول من أي كتاب آخر كمرجع أوحده في الطب. لقد وصلت عدد طبعاته إلى خمس عشرة طبعة في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الخامس عشر، وعشرين طبعة في القرن السادس عشر، وقد ازداد عدد الطبقات أكثر في القرن السابع عشر.. فابن سينا مكن علماء الغرب من الشروع بالثورة العلمية، التي بدأت فعلاً في القرن الثالث عشر، وبلغت مرحلتها الأساسية في القرن السابع عشر⁽²⁾. "وفي مؤتمر الحضارة العربية الإسلامية الذي عقد في جامعة برنستون في واشنطن عام 1953 م تقرر أن كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الحضارة العربية الإسلامية"⁽³⁾.

وأكدت المستشرقة الألمانية زيغريد فضل العرب المسلمين على الحضارة الغربية، حيث تقول: "أما أن تكون ثمة شعوب أخرى، وأطراف من الأرض لها شأن عظيم في التاريخ بل وفي تاريخنا الغربي خاصة فذلك أمر لم يعد بالإمكان تجاهله في حاضرنا قد طاول النجوم عظمة، لأجل ذلك إن الوقت قد حان للتحدث عن شعب قد أثر بقوة على مجرى الأحداث العالمية ويدين له الغرب كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير، وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفح مئة كتاب تاريخي لا يجد اسماً لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها"⁽⁴⁾.

(1) عالمية الإسلام والعولمة، طه مرقاتي، الصحيفة 190.

(2) الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو خليل، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الصحيفة 400.

(3) الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو خليل، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الصحيفة 401.

(4) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، الطبعة الأولى، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1964، راجعه مارون عيسى الخوري، الصحيفة 11.

ولكن الغرب عندما اقتبس من الحضارة الإسلامية كان اقتباساً مادياً، حيث أخذوا الجانب العلمي المادي وتركوا الروحي الإنساني، فهم تركوا الحضارة الإنسانية الأصيلة كالعقيدة، والنظام السياسي (الشورى)، والنظام المالي (الزكاة)، واحترام المرأة وخرجوا بنظريات مادية كالاشتراكية والديمقراطية والعدالة، وتححرر المرأة إلى درجة السفور.

ونحن لا ننكر بأن المسلمين أخذوا من الحضارات السابقة ولكن لم يبقوها كما هي، "إنَّ ما ورثه المسلمون إلى أوروبا يختلف كثيراً عما ورثوه من سابقهم، والعلوم هي أجل خدمة أسدتها الحضارة الإسلامية إلى العالم الحديث، فالإغريق (اليونان) اقتبسوا ونظّموا وعمّموا ووضعوا النظريات، ولكن روح البحث والتدقيق والتحقق للوصول إلى المعرفة اليقينية كانت غريبة في المزاج الإغريقي والمسلمون هم أصحاب الفضل في تعريف أوروبا بهذا كله، فالعلم الأوروبي مدين بوجوده للمسلمين"⁽¹⁾. فالمسلمون هم الذين ابتدعوا طريق البحث العلمي الحق القائم على التجربة.

"إن المسلمين لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال وحسب، بل ونظموها ورتبوها ثم أهدوها للغرب، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع، وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم والتي سرق أغلبها ونسب لآخرين، لقد قدّم المسلمون أثمن هدية، وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم"⁽²⁾.

كيف لا والإسلام أمر بالعلم وحض عليه، وأول آية نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تأمر بالعلم ﴿اقْرَأْ بِأَمْرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝۱ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق: 1-2) حيث تجمع هذه الآية في أسلوب معجز بين التعلم "اقرأ" وبين ربطه بخالق الأكوان ﴿بِأَمْرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وبين نفاذه إلى أسرار خلقه ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾⁽³⁾.

(1) الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو خليل، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، الصحيفة 116.

(2) الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو خليل، الصحيفة 117.

(3) عالمة الإسلام والعولة، طه مرقاتي، الصحيفة 121.

وطلب الإسلام من جميع الناس أن يتفكروا ويمعنوا النظر بالكون من حولهم، فللعقل في الإسلام أهميته ودوره في الحياة، وكثيرة هي الآيات التي دلت على ذلك، أذكر منها:

- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية: 17-20).

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ اللَّيْلِ نَكْمٌ وَالزَّيْكُمُ ﴿٢٢﴾﴾ (الروم: 22).

- ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿٢٣﴾﴾ (فصلت: بعض آية 53).

"والإسلام هو المبدأ الوحيد الذي وافق الفطرة الإنسانية، حيث أوجب الإيمان بوجود خالق لهذا الكون وهذا الإيمان يتوافق وغريزة التدين لدى إحساس الإنسان بالعجز والنقص والاحتياج إلى مدبر لهذا الكون يضع له نظام حياته الذي يحدد علاقته بخالقه من جهة وبينه وبين الكون والحياة من جهة أخرى، فالإسلام اعترف بالفطرة بشقيها الحاجات العضوية والغرائز⁽¹⁾."

ففي الإسلام تجد أن الناس متساوون في غريزة التدين وهم متساوون في الانتساب إلى الله تعالى فهو خالقهم وخالق جميع ما في الكون، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿٢٥﴾﴾ (لقمان: 25)، والخالق الذي يساؤون في الانتساب إليه واحد غير متعدد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ (البقرة: 163).

كما تتجلى العالمية في تساوي الناس في خصائصهم، فكلهم خلقوا من سلالة من طين، فلا تمييز بين جنس ورجس أو لون ولون قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات: 13).

فالإسلام نفى التعصب للون أو الطبقة أو الجنس أو القوم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابي جليل⁽²⁾ غير مسلماً آخر بقوله يا ابن السوداء: "إنك امرؤ فيك

(1) الواقع الفاسد وضرورة التغيير، محمد نبهان، الطبعة الأولى 1991م، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، الصحيفة 85.

(2) الصحابي الجليل هو أبو ذر الغفاري.

جاهلية"⁽¹⁾ فجاءت هذه العبارة لتكون حداً فاصلاً بين العلم والجهل، بين الحضارة الإنسانية والحضارة الجاهلية.. "وفي الحج تلتقي العناصر البشرية كلها من بيضاء وملونة على صعيد واحد وبشباب واحدة من غير تمييز بين أبيض أو أسود أو استعلاء من البيض على السود، ولقد بلغت النظرة الإنسانية مذاها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً الحبشي أن يؤذن فوق الكعبة يوم الفتح، يعلن كلمة الحق بين النامس، والكعبة أشرف بيت عند العرب في الجاهلية، وقبله المؤمنين بعد الإسلام، وقد اختار الرسول بلالاً ذا البشرة السوداء من بين سائر المسلمين وفيهم أشرف قريش ونبلاؤها، ليصعد على الكعبة المقدسة، وكان هذا العمل تأكيداً على كرامة الإنسان ومكانته التي يستحقها لعلمه وأخلاقه وإيمانه لا لبشرته وبياضه"⁽²⁾.

ومن أمثلة المساواة في اللون في الحضارة الإسلامية حادثة بعث عمرو بن العاص⁽³⁾ إلى المقوقس عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت⁽⁴⁾، وكان طوله عشرة أشبار وأمره

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ-1987م، الطبعة 3، تحقيق مصطفى ديب البغا، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، رقم الحديث 30، الجزء 1، الصحيفة 20.
و: صحيح مسلم، باب سنان المملوك مما يأكل والباسة مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، رقم الحديث 1661، الجزء 3، الصحيفة 1282.

و: مسند أبي عوانة، أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني، دار المعرفة، بيروت 1998م، الطبعة 1، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، رقم الحديث 6070، الجزء 4، الصحيفة 73.
(2) معالم الثقافة الإسلامية، د. عبد الكريم عثمان، الطبعة الأولى 1421هـ-2001م، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة، الصحيفة 124.

(3) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن هُصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبو محمد، كان إسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر، أسلم عام خيبر. (أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق الشيخ خليل مأمون شبحا، بيروت، لبنان، دار المعرفة، الطبعة 3، 1428هـ-2007م).

(4) عبادة بن الصامت بن قيس: شهد بدرًا وشهد المشاهد كلها بعد بدر، وكان أحد النقباء الذين يابعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي مرثد الغنوي. (الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، راجعه صدقي جميل العطار، دار الفكر، الطبعة 1، 1421هـ-2001م، بيروت لبنان الصحيفة 142، الجزء 3).

عمرو أن يكون متكلم القوم، وكان شديد سواد البشرة، "فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا إليه تقدّم عبادة، فهابه المقوقس لسواده وقال: نحوا عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني. فقالوا جميعاً: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعِلماً وهو سيّدنا وخيرنا والمُقدّم علينا. وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه، وقد أمرّه الأمير دوننا بما أمره، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله، فقال: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغي أن يكون دونكم؟ قالوا: كلا! إنّه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقةً وعقلاً ورأياً وليس يُنكر السواد فينا، فقال المقوقس لعبادة: تقدم يا أسود وكلمني برفق فإنني أهاب سوادك، وإن اشتدّ كلامك عليّ ازددتُ هيبةً. فتقدم إليه عبادة وقال: قد سمعت مقالتك وإنّ فيمن خلّفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي وأشدّ سواداً مني، وأفظع منظرأً، ولو رأيتهم كنت أهيب لهم مني..."⁽¹⁾.

بينما في أمريكا بلد الحرية والعلم الذي يضع الإنسان على القمر، والتي تدعي الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، لا تزال تجري مأساة من أكبر مآسي التاريخ الإنساني، وهي مأساة اضطهاد الزوج، وعدم الاعتراف للعناصر الملونة بالمرتبة الإنسانية التي يتمتع بها الأبيض، ومع أن الزوج يعتبرون مواطنين في هذه الدولة التي تحمل أعلام الحضارة الحديثة المعاصرة، إلا أنهم لا يستطيعون أن يارسوا عملياً حقوق المواطن الأبيض، ومن أمثلة ذلك:

المدارس "تقوم في معظم الولايات وخاصة في الولايات الجنوبية على أساس الانفصال الكامل بين الزوج والبعض، فلا يسمح لأطفال الزوج أن يتعلموا مع أطفال البيض وإنما لكل فريق مدارسه الخاصة وكتبه الخاصة، وقد تحدّث بعض المدارس أوامر حكومة الولايات المتحدة حين رفضت أن تطبق حكم المحكمة الفيدرالية العليا بإلزامها بالسماح لأبناء الزوج أن يتعلموا في مدارس البيض، واضطرت الحكومة المركزية إلى أن ترسل الحرس الوطني ليقوم بحراسة أبناء الزوج الذين سيدخلون هذه المدارس بناء على حكم القضاء، وقد كان موقف أبناء البيض الإضراب عن تلقي العلم مع هؤلاء"⁽²⁾.

(1) نظرات في التاريخ الإسلامي، العهد الراشدي، أ. مروان شيخ الأرض، الطبعة الأولى 1426 هـ -

2005 م، دار العصماء، الجزء الثاني، الصحيفة 23.

(2) معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، الصحيفة 127.

في الانتخابات: "لم يكن كل المواطنين يتمتعون بحق الانتخاب، ففي بعض الولايات لا ينتخب إلا الرجال، وفي بعضها لا يتمتع بحق الانتخاب إلا من يملك ضيقة، ويقال أنه بواسطة انتصارات حركات الدفاع عن الحقوق المدنية سنة 1960 تمكن النساء والأقليات بعد الكفاح القوي من المساواة في الحقوق المدنية، فالملونون في الولايات المتحدة،...، ليس لهم حق في الانتخابات إلى سنة 1960"⁽¹⁾.

في ميدان الزواج، "فإن معظم الولايات تمنع زواج البيضاء بالزنجي أو الأبيض بالزنجية وتنص على بطلان مثل هذا الزواج، وحتى ممارسة الشعائر الدينية تقوم على الانفصال أيضاً، إذ لا يسمح للزوج بدخول كنائس البيض، وقد حدث أن دخل زنجي من جمهورية بناما كنيسة كاثوليكية في واشنطن، وفيها هو مستغرق في صلاته سعى إليه أحد القسوس وقدم له قصاصة من ورق كتب فيها عنوان كنيسة زنجية كاثوليكية، وحين سئل القس عن سر هذا التصرف أجاب: إن في المدينة كنائس خاصة بالكاثوليك الزوج يستطيع هذا المرء الأسود أن يقف فيها بين يدي ربه"⁽²⁾.

"أما في أوروبا في العصور الوسطى أي في الوقت الذي كان العالم فيه يتعم بإنسانية الإسلام، فقد كانت تخضع لنظام من الطبقات يفصل أفراد الأمة بعضها عن بعض، ويجعل منها ثلاث طبقات: النبلاء أو الأشراف، ورجال الدين، والشعب، وكانت هذه الطبقات متميزة بمعدة المعالم يختلف بعضها عن بعض بصورة واضحة بحيث لا يخطئ الإنسان معرفتها بمجرد النظر إليها"⁽³⁾. بينما الإسلام ألغى كل أنواع التمايز الطبقي والعصبية والتفاخر بالأرض أو بالنسب أو بالقبيلة الجاهلية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب وليتهن قوم يفخرون بأبائهم أوليكون أهون على الله من الجعلان"⁽⁴⁾، ويعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليس من الإسلام في

(1) عالمية الإسلام والعولمة، طه مرقاتي، الصحيفة 122 بتصرف.

(2) معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، الصحيفة 127.

(3) معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، الصحيفة 134.

(4) مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق محفوز الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت 1409 هـ الطبعة 1، رقم الحديث 2938، الجزء 7، الصحيفة 340. وفيه الحسن بن الحسين العربي وهو ضعيف.

و: مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، 1407 هـ الجزء 8 الصحيفة 86.

شيء من دعا إلى عصبية " ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية"⁽¹⁾ كما يصف صلى الله عليه وسلم العصبية القبلية بالتشنج "دعوها فإنها متنة"⁽²⁾.

والقرآن أشار إلى أن الناس متساوون في كثير من الخصائص كالضعف والعجلة.. وغيرها ومن هذه الآيات:

- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 28).

- ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: 11).

- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝٩١ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٩٢ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٩٣﴾ (المعارج: 19-21).

"فأما الحاجات العضوية فقد تكفلت تشريعات الإسلام بإشباعها كالغذاء والكساء والسكن وما شابه ذلك بوضع تشريع عام يكفل إشباعها ويجعلها من مسؤوليات الدولة والمجتمع.

وأما الغرائز فضمن الإسلام إشباعها بوضع أنظمة تكفل إشباعها، الإشباع الملائم بالإنسان لا كيفما اتفق فأشبع غريزة النوع بالزواج، وأشبع غريزة التدين بوضع نظام للعبادات تحدد العلاقة بين الخالق والمخلوق وتبين له كيفية العبادة كما أشبع غريزة البقاء ومظاهرها كالتملك والخوف بوضع أنظمة تكفل على إشباعها، فحرم الاعتداء والقتل بغير حق"⁽³⁾.

فالإسلام وصف العلاقة الزوجية بالأمان والاستقرار والمودة والستر، قال تعالى:

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: 21).

- ﴿هُنَّ لِيَكُمْ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: 187).

(1) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، باب التفاخر بالأحساب، رقم الحديث 5121، الجزء 4، الصحيفة 332.

(2) صحيح البخاري، باب قوله يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، رقم الحديث 4624، الجزء 4، الصحيفة 1863.

(3) الواقع الفاسد وضرورة التغيير، محمد نبهان، الصحيفة 85.

ووضع الإسلام القواعد الأخلاقية في التعامل مع الناس ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً مبنياً على الحب والمساواة، فالسلوك المذهب والأدب الجميل والمعاملة الطيبة كلها تشيع في جو الحياة الاجتماعية رضاء وبشاشة وطمأنينة وسلام... وأمثلة ذلك:

- فالإسلام يكره الكبر والخيلاء: قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَتْنِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿﴾ (لقمان: 18-19).

- الإسلام يحرم كل ما يمس كرامات الناس وأحاسيسهم وخصوصياتهم، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِقَسْوَةِ الْأَلْسُنِ أَلْفُسُوفٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّنْ ظَنَّ أَنْ يَكُ بَعْضُ الظَّنِّ إِنَّهُ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴿﴾ (الحجرات: 11-12).

- الإسلام يحرم المنّ على الصدقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا بُطْلُوا صِدْقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدْنَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿﴾ (البقرة: 264).

- الإسلام يدعو إلى إفشاء السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴿﴾ (النساء: 86).

- ويدعو إلى الصفح والعفو: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴿﴾ (آل عمران: 134).

ومما سبق نجد أن العالمية الإسلامية ذات أبعاد تنفيذية عالمية منضبطة بالكتاب والسنة، تهدف إلى المحافظة على كرامة الشعوب والأفراد وخصوصياتهم، وفي جميع مناحي الحياة وذلك وفق الصبغة الربانية، "الإسلام يقي بل يحترم الخصوصيات الثقافية ما لم تعد على الأصول بالتحريف أو الهدم. لقد دخل في دين الله أفواج من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، وما قضى الإسلام على المقومات الثقافية لأي مجتمع من المجتمعات، وما كان يقدم نمطاً جاهزاً يحمل عليه الداخلين فيه" (1). روى البخاري في صحيحه بسنده إلى هشام بن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار

(1) عالمية الإسلام والعولمة، طه مرقاتي، الصحيفة 118.

يعجبهم الله. وما علق به ابن حجر أنه في رواية شريك أنه قال: "فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني،..."⁽¹⁾ فعائشة رضي الله عنها سارت على عادة القرشيين المهاجرين، فأشار عليها النبي صلى الله عليه وسلم، أن تجري على عادة الأنصار في الاحتفال بأعراسهم. مما يشير إلى مبدأ من مبادئ التعامل بين المسلمين وبين من يتصلون بهم: أن تحترم ثقافة الشعوب. وتتميز عالمية الإسلام بما يلي:

- 1- "مرجعيتها إلى منهاج، وهو الكتاب والسنة، (العولمة ليس لها مرجعية محددة).
- 2- منهاجها رباني (العولمة منهاجها البشرية).
- 3- قيميتها وصلاحياتها لكل مكان وزمان وفرد وشعب (العولمة تفتقر إلى ذلك).
- 4- استيعابها لكل المتغيرات التي تطرأ على سير البشرية (العولمة قاصرة في ذلك).
- 5- لها رصيدها التاريخي الزاخر باستحقاقاتها التطبيقية وإثراءاتها المعرفية المستقلة بالانتماء للمنهج الرباني (العولمة لها أيضاً رصيد كبير، لكنه مستغل بالانتماء للمناهج البشرية).
- 6- السير التوافقي مع السنن الربانية"⁽²⁾.

ليتمكن الإسلام من تحقيق العالمية يتحتم:

"أولاً: تغيير مناهجنا من التلقين إلى تحريك العقول لتنفذ إلى الأسرار. ومن عزل علوم الدين عن علوم الدنيا إلى الوصل بينهما. وأن لا تقل عنايتنا بتربية العقول عن تربية السلوك وتهذيب النفس.

ثانياً: الإصلاح الاجتماعي المبني على تربية الأجيال على حب العدل والتزامه مما تذوب معه الأنانية الطاغية، حتى يستحي الفرد من الظلم ويمقت في أصغر الأشياء وأعظمها على السواء. ويشمل ذلك أيضاً العلاقات الاجتماعية في المدينة والدولة والمملك العام والمملك الخاص"⁽³⁾.

(1) مجمع الزوائد، الجزء 4، الصحيفة 289.

و: المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415 هـ رقم الحديث 3265، الجزء 3، الصحيفة 315.

(2) الإسلام والعولمة، سامي محمد صالح الدلال، الصحيفة 88.

(3) عالمية الإسلام والعولمة، طه مرقاني، الصحيفة 121.

المبحث الثاني

الفرق بين العولمة والعالمية

1- "عرفنا أن العولمة تهدف إلى هيمنة أميركا على العالم، وبخاصة العالم الثالث، سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً. ومن المعلوم أن الإسلام دين ذو نزعة عالمية، لكنه يختلف اختلافاً جذرياً في الوسائل والغايات عن العولمة، فالعولمة تعني تحقيق عالمية الأمر ولو قسراً ومن غير تدرج، واقتحام المجتمعات والشعوب والدول اقتحاماً دون تحضير، وتطوير هذه المجتمعات بحيث لا يمكن لأحد أن يعزل نفسه عنها أو البعد عن تأثيراتها، وغايتها: فرض منطق الغرب وثقافته وعاداته وتقاليده وتصدير أنظمته الديمقراطية والمعلوماتية، وفتح أسواق جديدة أمام منتجاته وسلعه الاستهلاكية، والحرص على زيادة الثراء والغنى، على حساب الدول الضعيفة أو الفقيرة، وإبقاء الهيمنة الأميركية ذات القطب الواحد على العالم بأسره. أما عالمية الإسلام: فأساسها الوفاء بحاجات الإنسان والإنسانية، ومنهجها تعليمي، عقدي، وتربوي تعني بتكريم الإنسان وتحقيق سعادة الإنسانية ونجاتها في الدنيا والآخرة، ووسيلتها: بناء الإنسان الفاضل، والأسرة المتهاذلة، وتصحيح العقيدة بالله واليوم الآخر، وإقامة الدولة الرشيدة لحراسة العقيدة والإيمان والأخلاق، وتنمية الوعي الاجتماعي، وصون عزة الإنسان وكرامته وقوة المجتمع والدولة، وتعميم كل ما يؤدي إلى رقي المدينة وإعلاء صرح الحضارة الإنسانية، والترفع عن ثروات الأمم والشعوب، ومناصرة المستضعفين في العالم، وتنمية قدرات الإنسان الاقتصادية دون إيقاعه في حال من البؤس والفقر والمرض والجهل وبقيّة مظاهر التخلف"⁽¹⁾.

2- "تختلف العولمة عن العالمية، فالعولمة مطبقة حالياً تشارك العالمية في الشكل بينما تناقضها في المضمون، فالعالمية تقوم على التعاون والتشارك، وتكافؤ الفرص بين مختلف المجتمعات والدول، العالمية والعولمة تمثلان أعلى مراتب الانفتاح، لكن هنا

(1) عالمية الإسلام، طه مرقاتي، الصحيفة 354.

يتوقف الشبه، العالمية تنادي بالأخوة الإنسانية، بينما العولمة تطبق أسوأ أنواع الاستغلال إذ لا يكفي زيادة الإنتاج والسلع بل يجب أن تصل نَعْمُ الإنتاج إلى الجميع وليس احتكارها من قبل حفنة من الدول أو الشركات أو الأشخاص⁽¹⁾.

3- ينظر إلى العالمية بأنها محاولة للارتقاء بالخصوصية والإبقاء عليها في إطار عالمي، بينما يُنظر إلى العولمة على أنها فعل قمع وإقصاء لكل ما هو خصوصي، وقد تقوم العالمية على نشر فكرة أو عقيدة معينة كالدعوة للاشتراكية أو الديمقراطية، وهي بذلك خصوصية ثقافية يتم عرضها لا فرضها، بينما العولمة تلغي الفواصل والحدود وتمارس الاعتداء على الثقافات، فالفرق جوهري بين الاختيار والهيمنة، وبين احترام الخصوصيات الثقافية والعمل على إلغائها⁽²⁾.

4- "في العالمية كان العالم يُصنع عبر الأفكار والنظريات، أو عبر السلع والأدوات الميكانيكية، إذا كان الواقع يُحتزل عبر تصوّر أو رؤية أو نظرية أو إشكالية فكرية، بينما في العولمة لا تحل الأفكار محل الواقع، بل يُصطنع واقع جديد بواسطة الحواسيب وبنوك المعلومات ويتحول العالم عبرها إلى أرقام وأعداد، عبر بنيات وشبكات إلكترونية، الصورة والعدد، الشاشة وشرائط الصور، والبرامج والشفيرات"⁽³⁾.

5- العولمة لها علاقة بآليات السوق والتقنية وأنظمة الاتصال، أما العالمية فمعنية بالحريات وقضايا الثقافة والقيم الداعية للديمقراطية وحقوق الإنسان⁽⁴⁾.

عندما نقول عالمية الإسلام، فإن ذلك يتضمن فيما يتضمنه انتشار الإسلام في العالم، غير أن هذا الانتشار منوط بما يقدمه المسلمون من جهد، وما يبذلونه من عطاء. صحيح أن واقع المسلمين على ضوء شعب الإيمان في وضع متدهور، ولكن صحيح أيضاً أن حال المسلمين اليوم هو أفضل مما كان عليه قبل أربعين عاماً، لكنه أدنى بكثير مما ينبغي أن يكون عليه ليخوضوا غمار التدافع بكفاءة، إن العمل الإسلامي اليوم فيه إنجازات وفيه سليات.

(1) الإنسان العالمي، العولمة والعالمية والنظام العالمي العادل، فضيل أبو النصر، دار بيان، الطبعة 1، 2001م، بيروت لبنان، الصحيفة 152.

(2) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 79.

(3) ربيع العصر العولمة ثقافياً، بشار إبراهيم، الصحيفة 47.

(4) الثقافة العربية والعولمة، محمد حسن البرغثي، الصحيفة 77.

من إيجابياته: النهضة العلمية بالعلوم الشرعية، والدراسات البحثية لواقع المسلمين، وإنشاء المراكز الدعوية والثقافية في مختلف بقاع العالم، وتأسيس اللجان الخيرية، والاهتمام بالجوانب الاقتصادية كانتشار الشركات والبنوك،... والاهتمام بالجوانب الدعوية الإعلامية من نشر للكتب والصحف والمجلات الإسلامية، والإذاعات والقنوات الفضائية.

أما من أبرز سلبياته: فهو أخذ معظم الجماعات الإسلامية بمناهج الغرب في إحداث التغيير الذي يرمون إليه، ومن أبرز تلك المناهج الديمقراطية وهي من أقوى أسلحة العولمة وأفتكها، محاولة التصدي لأنظمة الحكم التي لا تحكم بما أنزل الله في البلاد الإسلامية باستعمال القوة المسلحة، وهو خطأ فادح ناجم عن تغليب العاطفة على مقاييس الموازنة بين المصالح والمفاسد، ونم عن الجهل بمقاصد الشرع من جهة وفقه الواقع من جهة⁽¹⁾.

"إن العولمة كمفهوم إنساني يهدف إلى انفتاح وتعاون الشعوب والدول، هي ظاهرة صحية لكنها استخدمت لتنفيذ مآرب وأهداف مشبوهة من قبل اللاعبين الرئيسيين على الساحة، فلكي تجد العولمة سبيلها القويم على الساحة الدولية يجب أن يواكبها نظام عالمي عادل قائم على المشاركة يدعمه إحساس عميق بالمسؤولية الإنسانية"⁽²⁾. وهذا النظام العادل لا يمكن أن يكون إلا بتطبيق الإسلام بعالميته.

"فالعالمية تعني الانفتاح أو الاتصال والانتفاء بإيجابية كاملة وبعبدة كل البعد عن أساليب الفرض والهيمنة على العالم، وإنما العملية بينهما كما تكشف المصادر تتم بشكل إرادي وطوعي، أي تتم عن طريق إفساح الفضاء العالمي للإنسان وأفكاره ومعلوماته، وإخراج ممارساته وأفكاره وتوجهاته من محيطها الضيق بكل حرية (الموطن أو المولد) إلى فضاء أرحب وأوسع، ينتقل عبره الإنسان وجميع الأفكار والمعلومات والمذاهب والأديان بلا قيود ولا معوقات ولا حدود، ليصبح الفكر البشري عاملاً مؤثراً ومتأثراً في نفس الوقت بالمحيط العالمي كله، ويمضي هذا التوجه كما تقول المصادر، في منحى العالمية إلى

(1) الإسلام والعولمة، سامي محمد صالح الدلال، 257.

(2) الإنسان العالمي، فضيل أبو النصر، بيروت، لبنان، دار بيان، الطبعة 1، 1406هـ - 1985م،

حد الحلم بأنها ينبغي أن تكون بديلاً للمواطنة وعالم الحدود والجنسيات ليصبح العالم كله للإنسان وطناً شامع الأرجاء ويطلق المختصين على هذا الاتجاه اسم Universal، كما يطلق على نزعة تعميم الانتماء إلى مجموع العالم Universalism⁽¹⁾.

"للعالمية هدف رئيسي واحد وهو جمع شتات الشعوب والأمم تحت مظلة نظام عالمي عال، نظام يحافظ على خصوصية كل شعب وأمة، وفي الوقت ذاته يؤكد على التعاون والمشاركة في علاقات المجتمعات القومية المتعددة"⁽²⁾. فالعالمية وعلى خلاف العولمة تسعى إلى المحافظة على خصوصيات الشعوب كما "تسعى إلى تعميق الخصوصية الثقافية وإظهارها والمحافظة على الهوية الوطنية للشعوب، فكل الأعمال الخالدة كما يقول المختصون، كتبت انطلاقاً من الخصوصية المحلية لهذه الشعوب والمجتمعات، ثم أخذت طابعاً شمولياً حتى ارتقت إلى العالمية من خلال الأشكال والمواضيع المطروحة، وباختصار، العالمية تعني اتحاد شعوب العالم في جميع أمورها على نحو واحد وهيئة واحدة في الجملة، ويغدو الانتماء للعالم كله بدلاً من الانتماء لدولة وطنية ذات سيادة فهي باختصار إعطاء الشيء صفة العالمية من حيث النطاق والتطبيق"⁽³⁾.

وأخيراً إن العالمية الإسلامية هي السبيل الوحيد للمحافظة على العدالة واحترام الإنسانية، ونشر العلم الذي يتوافق مع حاجات الإنسان الروحية والجسدية، كما هي السبيل الوحيد لاحترام الخصوصيات الثقافية لكل المجتمعات، وتوفير البيئة المناسبة لحوار الحضارات بين الثقافات المختلفة.

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 41.

(2) الإنسان العالمي، فضيل أبو النصر، الصحيفة 110.

(3) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 42.

الخاتمة

وفي نهاية البحث يمكن تلخيص الآثار السلبية للعولمة على دول العالم الإسلامي بالنقاط التالية:

- 1- تناقص صادرات الدول العربية من الموارد الطبيعية وبعض الصادرات الأخرى التي كانت تتميز بها الدول العربية في النفاذ إلى أسواق الدول الصناعية المتقدمة.
- 2- ارتفاع أسعار المنتجات الزراعية وخصوصاً السلع الاستهلاكية الزراعية.
- 3- ارتفاع تكلفة برامج التنمية العربية.
- 4- تناقص الإنتاج وتدهور الصناعة العربية ونوعيتها.
- 5- فشل القدرة العربية على وضع استراتيجية وسياسة تنمية تتفق مع خصوصيتها وظروفها وأهدافها القومية.
- 6- الترويج للاستثمار الأجنبي المباشر وتسهيل قدرة رأس المال على النفاذ إلى خارج موطنه مقابل الحصول على ملكية أصول ثابتة.
- 7- المعونات الخارجية الغربية التي تتلقاها المنظمات الأهلية العربية والتي لها سلبيتان، الأولى: تجعلها أدوات لنشر الثقافة الغربية المختارة للشعوب الإسلامية حصراً، والسلبية الثانية: تعطي هذه المنظمات القوة التي تجعلها تقف بقوة أمام حكومات دولها وتهميشها لدور الدولة في إدارة شؤون المجتمع.
- 8- عقد المؤتمرات العالمية التي تختص بقضايا البيئة والسكان والفئات المهمشة كالمرأة والتي ينظر إليها من منظور غربي يراد من ذلك إعادة تشكيل العالم الثالث على نحو يسمح للمسؤولين عن الشركات المتعدية الجنسيات والمستثمرين الأجانب بالعيش في بيئة تشبه بيئتهم حيثما انتقلوا بغض النظر عن احتياجات الدول العربية.
- 9- الأزمات الاقتصادية في الدول الاقتصادية الكبرى تظهر آثارها على دول العالم الآخر وبما فيها دول العالم الإسلامي مما يتسبب بحدوث مشاكل كبرى لعدم استطاعتها مواجهة هذه الأزمات القادمة من تلك الدول الكبرى.
- 10- زيادة الفجوة بين أجور العمال الأقل مهارة وأجور العمال الأكثر مهارة وازدياد نسب البطالة بسبب إحلال الآلات محل العمال.
- 11- تصفية القطاع العام تحت مسمى الخصخصة أدى إلى حرمان الكثير من الأفراد من وظائفهم والاستغناء عنهم وإحلال الآلات مكانهم مما نشر البطالة في داخل المجتمع العربي.

- 12- انتشار الروح الاستهلاكية العالية وانتشار النمط الاستهلاكي الترفي بين الأغنياء والحلم به، والمبالغة في الصرف حيث وصل الأمر إلى حد التبذير من جهة وإلى حد الحرمان عند شعوب الجنوب الفقيرة من جهة أخرى.
- 13- غرس قيم غربية عن طريق ما يسمى بالثقافة العالمية، وإشاعة مفاهيم تنفق ومقومات الحضارة الغربية والتغلغل داخل المجتمعات العربية لإضعاف أساسها⁽¹⁾.
- 14- زعزعة المخزون الثقافي والحضاري للشخصية العربية وبالتالي تؤدي إلى فقدانها الثقة بهويتها وتاريخها وغرس قيم غربية عن طريق الثقافة العالمية وإشاعة مفاهيم تنفق ومقومات ثقافية وحضارية غربية.
- 15- تقديس الفردية وإطلاق العنان للأنا، فثقافة العولمة تشكل فيها الدولة دور الحارس لمصالح الأفراد والغلبة فيها للأقوى نفوذاً، مالياً أو إعلامياً أو سياسياً..
- 16- توليد مناخات للعنف لأنها تعمل للسيطرة والاختراق وتحقيق الأطماع، وكل هذا لا يكون بغير القوة، لذلك نجد أن عماد العولمة، ثقافة حق القوة، بينما الأصل أن تكون القاعدة المعتمدة قوة الحق، لهذا تتحمل ثقافة الهيمنة ومحاولات الاختراق والسيطرة والاعتصاب للحقوق التي تمارسها الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية وسن يقف معها المسؤولية عن كل الحروب والجرائم وظواهر العنف والإرهاب.
- 17- ثقافتهم بطابعها المادي هذا لا اعتبار فيها للقيم الأخلاقية السامية، بل نراها تنشر ثقافة وضعية وفناً هابطاً نتيجة هوليوود، ومطاعم الوجبات السريعة، فثقافتهم لا تتخاطب النخب الواعية والواعدة لأنهم يخافونها وإنما يتوجهون إلى الفئات الوضيعة يستثيرون غرائزها ليستقطبوها سن خلال التلويح بالمصالح، أو الوعود بالإشباع المادي⁽²⁾.
- 18- العولمة تهدد الثقافة الإسلامية بتشويه القرآن الكريم والسنة النبوية وبالتالي تشويه التعاليم الإسلامية وإشاعة أن الإسلام دين التطرف والإرهاب وإيجاد تسميات

(1) انظر: العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، يوسف المرشدة، الصحيفة

121 - 128 - 129 - 130.

(2) انظر: ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، أسعد السحمراني، الصحيفة 85 - 86.

جديدة عن الإسلام تدل على التطرف كالأصولية الإسلامية، والإسلاميين، والإسلام فوريا.

19- إن من نتائج العولمة الغربية شيوع المحرمات، والمتمثلة في تزايد تعاطي المشروبات الكحولية المسكرة والمغذية للعقل وانتشار وتوزيع أنواع المخدرات انتشاراً هائلاً، وازدياد أعداد المدمنين، وكثرة استعمال السلاح، وقتل بعضهم البعض، وتردي الأخلاق وهبوط وسقوط القيم الأخلاقية، والمثل والمبادئ الإنسانية⁽¹⁾.

إن العولمة تؤدي لضياح الهوية الثقافية لشعوب العالم، وإلى الذوبان في الثقافة الأمريكية، في السلوك والتصرف والمأكل والملبس...، إن العولمة هي التي تؤثر في الإعلام وهي الصانعة له، هي التي تنتج الفن الهابط، هي التي تنتج التسلية... هي التي تبكر برامج المسابقات، الرياضة، كأس العالم، الأولمبيات، وبالتالي هي التي تشغل العالم الإسلامي بتلك التفاهات، ففي فترة كأس العالم لكرة القدم لا تجد في ذهن الناس سوى من سينال الكأس؟! وليت الأندية المشاركة تكون إسلامية، لا بل التشجيع يكون لأندية دول معادية للعرب والمسلمين، تجد عيون العرب والمسلمين تركض وراء الكرة بين أقدام اللاعبين وتنسى قضايا الأمة الإسلامية، تنسى متابعة الجرائم التي ترتكبها إسرائيل في فلسطين، تنسى العراق المحتل من قبل أمريكا وكذلك أفغانستان ولن أطيل في ذكر أمثلة أخرى، ولكن لا أعتقد أن هذا التغيب الإعلامي لقضايا العالم الإسلامي وهذا الإلهاء من قبل الإعلام الغربي للشعوب الإسلامية بريء وغير مقصود، بل هو خطة استعمارية مقصودة، والعولمة في هذا المعنى تتفق مع ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الثالث عشر الذي يقول: "ولكي نصرف أذهان الجمهور المزعج الشكس، عن مناقشة الأمور السياسية فإننا نجيء إليه بما ندعيه بأنه الجديد المختار، في باب الصناعات وما إليها، وندعه يخوض في هذا ويسبح ما يشاء، واعتادت الجماهير ألا تستسلم إلى الاسترخاء وتتفرض يدها عما تعده من متاعب السياسة إلا إذا توافرها من الأعمال المناسبة الأخرى ما تعاض به عما تتخلى عنه من شواغل السياسة، ولكي تبقى الجماهير في ضلال، لا تدري ما وراءها وما أمامها، ولما يراودها، فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباحج، والمسليات، والألعاب الفكهة، وضروب أشكال الرياضة، واللهو، وما به الغذاء للذات وشهواتها... والإكثار من القصور المزوقة والمباني

(1) الإعلام والعولمة والهوية بين المؤثر والمتأثر، عابدين الشريف، الصحيفة 221.

المزركشة ثم نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنية رياضية ومن كل جنس فتوجه أذهانها إلى هذه الأمور وتنصرف عما هيأناه، فنمضي به إلى حيث نريد، فيسلم موقفنا، وهو الموقف الذي لو أعلنه بارزاً مكشوفاً، بغير اصطناع هذه الوسائل الملهية، لوقعنا في التناقض أمام الجمهور⁽¹⁾. وهكذا تظهر الثقافة الغربية في حياتنا بشكل واضح وجلي، يضاف إلى ذلك التأثير اليهودي على الثقافة الغربية التي تصل إلينا، محاولون بعولتهم الهدامة الانتقام من عالمية الإسلام البناءة، لقد أوهوا الناس أن هلاكتنا معناه سيطرتنا على العالم بالسيف وأن جهادنا ودفاعنا عن أراضينا ومقدماتنا إرهاب وعنف، وأن رسولنا رسول الرحمة والإنسانية مقاتل عنيف نشر رسالته بحد السيف، أنشؤوا جامعة الدول العربية لتقسيم وحدة المسلمين، وأنشؤوا المغرب العربي ومجلس التعاون الخليجي لتقسيم العرب إلى مشرقين ومغربيين.

حذرنا الله من النزاع فقال: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ تَذَهَبَ بِكُمْ﴾ (الأنفال: 46) ولكن المسلمين تنازعوا واختلفوا وتفرقوا ومضت عليهم قرون من التناحر والتصادم فكانت النتيجة أن زرع الغرب الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي، غير أن هذا الكيان انقلب عليهم وصار يملئ عليهم سياسة العولمة بهيمته على الإعلام والمال والقوة، وعانى الغرب منهم فاغتال رؤوسائهم (كندي) وشهر بسمعة بعضهم مثل كليتون ومونيكا، يعاقب من يشاء من الدول عن طريق الكونغرس، ويملي شروطه عليهم في التعليم والإعلام بإنشاء قنوات إسرائيلية كالحرة في مواجهة قنوات إسلامية كالمنار، وتحت شعار حرية التعبير يروج ويدافع عن كتاب آيات شيطانية لسلطان رشدي، والذي يشكك بالقرآن الكريم، وكما يدافع عن رسوم كاريكاتيرية مسيئة لرسولنا الكريم صلوات الله عليه، أو كاريكاتير يمثل إبليس يبول على الكعبة الشريفة.

لقد وضعوا منظمة لحماية حقوق الإنسان والذي فسره الإعلام بالتدخل في الدول لحماية الأفراد متهكة السيادة الوطنية للدول المرغوب في السيطرة عليها، ولكن طبعاً يستثنى من حقوق الإنسان شعوب وأفراد كالفلسطينيين والأفغان وسجناء غوانتانامو وأبو غريب كل هؤلاء وغيرهم لم يستفيدوا من حقوق الإنسان، ولم نسمع بحقوقهم أي تصريح.

(1) بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة 4، 1996م، الصحيفة 241.

لقد دخلت العولمة إلى عالمنا الإسلامي، لا بل إلى وطننا العربي، لا بل إلى كل أسرة، وكل ذلك يتم شتاً أم أرباباً، ولكن ما الحل لمواجهة العولمة والتي هي بمعنى الهيمنة والاستعمار والغزو العسكري على بعض الدول الإسلامية، والفكري أو الثقافي على البعض الآخر؟ الإجابة تكون من خلال النقاط التالية:

- السعي لتحسين الموقع الدولي للدول الإسلامية وزيادة فعاليتها تأثيرها من خلال تغيير رؤيتها النمطية إلى العمل والنشاط الدولي، وذلك لأن تغيير الرؤية والوعي العميق بالتغيرات الإقليمية والدولية يشكل مادة خصبة لتحليل مستوى الإدراك لتغيرات الوضع العام التي يجري في إطاره سياسات ومشروعات النظام الدولي الجديد⁽¹⁾.
- لا بد من الوزارة المسؤولة عن الإعلام من اتخاذ التدابير المناسبة لمواجهة الغزو الثقافي والإعلامي الأجنبي، وذلك بالحرص على حسن انتقاء ما يتم بثه وعرضه من مواد أجنبية، وتشجيع الإنتاج الثقافي والإعلامي المعبر عن هويتنا، واتخاذ إجراءات هائية على غرار ما قام به البرلمان الأوروبي في فيفري 1996م، عندما قرر إلزام صناعة السينما والتلفزيون بتخصيص 51٪ من برامجها للإنتاج الأوروبي.
- قيام المثقفين العرب بدورهم في التوعية بمخاطر عولمة الإعلام، والسعي في الوقت نفسه للاستفادة من الفرص التي تتيحها، وتعظيم مشاركتهم فيها.
- التوعية الدينية السليمة التي لا إفراط فيها ولا تفريط، سواء أكان ذلك في المناهج المدرسية أو في الإعلام بتخصيص قنوات معتدلة وسليمة، أو في الجوامع والمساجد...
- تبني مشاريع اقتصادية ضخمة لتكون من شأنها استيعاب طاقات أبناء العالم الإسلامي.
- إقامة منظومة تعليمية تواكب العصر وتلبي الطموحات، وإعادة النظر في المناهج التعليمية وتحديثها بصور مستمرة، والاستفادة من التقنية المتقدمة في المجال التربوي والتعليمي، والقضاء على الأمية.
- الاهتمام بالبحث والتطوير، والاهتمام بالكفاءات العلمية والتأهيل والتدريب.

(1) العولمة وتحولات العالم، إشكالية التنمية في زمن العولمة وصراع الثقافات، محمود محفوظ، الصحيفة 42.

الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأماكن
- فهرس الأشخاص
- فهرس المحتويات

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. إبراهيم، بشار: ربح العصر العولمة ثقافياً. الطبعة الأولى، 2000م، دار السوسن.
3. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق الشيخ خليل مأمون شيخا. بيروت، لبنان، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، 1428هـ-2007م.
4. أبو النصر، فضيل: الإنسان العالمي العولمة والعالمية والنظام العالمي العادل. بيروت، لبنان، دار بيان، الطبعة الأولى، 2001م.
5. أبو حرب، محمد خير: المعجم المدرسي. تدقيق ندوة النوري. الجمهورية العربية السورية، وزارة التربية، الطبعة الأولى، 1406هـ-1985م.
6. أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية. منشورات كلية الدعوة، طرابلس.
7. الأسفرائيني، أبي عوانة يعقوب بن إسحاق: مسند أبي عوانة. تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي. بيروت، دار المعرفة، الطبعة 1، 1998م.
8. أعمال الملتقى الدولي الجزائر: العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية، 20 و21 و22 ربيع الأول 1425هـ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى.
9. أعمال ندوة الإرهاب والعولمة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م.
10. آل شليل، عون بن علي عبد الله: العالم العربي والإسلامي بين العولمة الأمريكية والإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر. المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة 1، 1427هـ-2006م.
11. البخاري الجعفي، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله: صحيح البخاري. تحقيق مصطفى ديب البغا. بيروت، دار ابن كثير، الطبعة 3، 1407هـ-1987م.
12. البرغثي، محمد حسن: الثقافة العربية والعولمة. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2007م.
13. بريجنسكي، زبغنيو: الفوضى: الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين. ترجمة مالك فاضل. الأردن، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

14. التريكي، فتحي والمسيري، عبد الوهاب: الحداثة وما بعد الحداثة. دمشق، دار الفكر، 2003.
15. تشومسكي، نعوم: الحادي عشر من أيلول والعولمة. ترجمة عابد إسماعيل. بيروت، دار الكنوز الأدبية، 2002م.
16. التل، عبد الله: جذور البلاء. القسم الأول، المكتب الإسلامي، الطبعة 2، 1398هـ - 1978م.
17. التميمي البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم: صحيح ابن حبان. تحقيق شعيب أرناؤوط. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة 2، 1414هـ / 1993م.
18. توركاناي، حسن: العولمة بين الاختيار والاختبار. دمشق، مركز الدراسات الاستراتيجية، 2005م.
19. الجابري، محمد عابد: كتاب قضايا في الفكر المعاصر. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1997م.
20. جريدة الوطن، رامي منصور، العدد 1118، 16/3/2011.
21. حاتم، د. محمد عبد القادر: العولمة مالها وما عليها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1426هـ - 2005م.
22. حالات الفوضى الآثار الاجتماعية للعولمة. ترجمة: عمران أبو حجلة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1997م.
23. حبنكة الميداني، عبد الرحمن: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها. دمشق، ط 1، 1970م.
24. الحسيني، محمد علي: المصطلحات والتعابير السياسية. بيروت، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004م.
25. الحمد، تركي: الثقافة العربية في عصر العولمة. بيروت، لبنان، دار الساقى، الطبعة الأولى، 1999م.
26. حنفي، حسن، والعظم، د. صادق جلال: ما العولمة. دمشق، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، 1999م.
27. خليل، خليل أحمد: ملحق موسوعة سياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2004م.

28. الدلال، د. سامي محمد صالح: الإسلام والعولمة العالمية الإسلامية والعولمة البشرية بين السنن الربانية والتدافع الإنساني. الرياض، سلسلة تصدر عن مجلة البيان الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004م.
29. ديب، يونس كامل: العولمة اقتصادياً. دار السوسن، دمشق الطبعة الأولى، 2000م.
30. الذواودي، محمود: التخلف الآخر عولمة أزمة الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث. الأطلسية للنشر، الطبعة الأولى، 2002م.
31. رشوان، د. عبد المنصف حسين: العولمة وآثارها رؤية تحليلية إضافية. المكتب الجامعي الحديث، 2006م.
32. رواء، أوليفيه: عولمة الإسلام. ترجمة لارا معلوف. بيروت، لبنان، دار الساقى، الطبعة الأولى، 2003م.
33. روبرتس، تيمونز وهيت، إيمي: من الحداثة إلى العولمة. ترجمة سمر الشيشكلي. مراجعة أ. محمود ماجد عمر. الكويت، عالم المعرفة، 2004م.
34. الزحيلي، وهبة: التفسير الوسيط. دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1427هـ - 2006م.
35. السجستاني الأزدي، سليمان بن الأشعث أبو داود: سنن أبي داود. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر.
36. السحمراني، أسعد: ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة. دار النفائس، الطبعة الأولى، 1423هـ - 2002م.
37. سراج الدين الحسيني، عبد الله: سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خصاله المجيدة، حلب، دار الفلاح، الطبعة الأولى، 1427هـ - 2006م.
38. سرحان، محمد علي: أمركة العولمة في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى. دمشق، سوريا، صفحات للدراسات والنشر، 2007م.
39. السروجي، طلعت مصطفى: التنمية الاجتماعية من الحداثة إلى العولمة. المكتب الجامعي الحديث، 2009م.
40. سعيد، سعاد جبر: القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني. إربد الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م.
41. السنبلي، عبد العزيز بن عبد الله: التربية والتعليم في الوطن العربي. وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، منشورات، دمشق، 2004م.

42. الشريف، د. عابدين: الإعلام والعولمة والهوية المؤثر والمتأثر. بنغازي، ليبيا، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، 1340هـ-2006م.
43. شيخ الأرض، أ. مروان: نظرات في التاريخ الإسلامي، العهد الراشدي. دار العصماء، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، 1426هـ-2005م.
44. شيخاني، د. محمد: البعد الديني للغة العربية وأثرها في التضامن العربي والإسلامي. دمشق، دار قتيبة، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.
45. شيخاني، د. محمد: التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام. سوريا، دمشق، دار قتيبة، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م.
46. صوفي، عبد القادر بن محمد عطا: آثار العولمة على عقيدة الشباب. سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد 215، عام 1427هـ-2006م.
47. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة، دار الحرمين، 1415هـ.
48. العاني، د. خليل نوري مسيهر: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية. جمهورية العراق، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، 2009م.
49. عبد الرحمن، د. عواطف: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث. بإشراف أحمد مشاري العدواني. الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1423هـ-1990م.
50. عبد الرحمن، طه: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية. المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 2006م، بيروت، لبنان.
51. عبد الحافظ، عبد الرشيد: الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها: مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى 2005.
52. عثمان، د. عبد الكريم: معالم الثقافة الإسلامية. بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.
53. عرابي، محمود: تأثير العولمة على ثقافة الشباب دراسة ميدانية. الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م.
54. العسقلاني، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت، دار الجليل، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م.

55. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق صدقي جميل العطار. الجزء 3، بيروت، لبنان، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1421 هـ- 2001 م.
56. العسل، د. إبراهيم، الصباغ، ود. بسام: الدعوة والجهاد. لبنان، دار بيروت، الطبعة الثانية، 1428 هـ- 2007 م.
57. عطوان، ثناء: مجلة العربي. الكويت، العدد 628، مارس 2011 م.
58. عطية الله، أحمد: القاموس السياسي. دار النهضة، الطبعة الثالثة، 1968 م.
59. عمارة، محمد: مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية. مصر، دار نهضة للطباعة والنشر والتوزيع، يناير 2001 م.
60. عمر، د. حسين: الموسوعة الاقتصادية. القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الرابعة، 1412 هـ- 1992 م.
61. العوايشة، ضياء نمر: التربة وتحديات العولمة في الوطن العربي. عمان، دائرة المكتبة الوطنية، 2004 م.
62. عيساني، رحيمة: أطروحة دكتوراه: الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية. إشراف: د. خليل دليو، للعام الدراسي 2005/ 2006 م.
63. فلحوط، د. صابر، والبخاري، د. محمد: العولمة والتبادل الإعلامي الدولي. دار علاء الدين، الطبعة الأولى 1999.
64. الفيومي، محمد إبراهيم: إشكالية التحدي الحضاري بين الإسلام والغرب ثقافة ازدراء وحوار مفقود وعولمة امتيلاء. دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1427 هـ- 2006 م.
65. الفيروز آبادي، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا، الطبعة الأولى، 1406 هـ- 1986 م.
66. قاموس الفكر السياسي. ترجمة د. أنطون حصي. تأليف مجموعة من المختصين. الجزء الثاني سورية، وزارة الثقافة، دمشق 1994 م.
67. قدور، د. نجاح: مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة. بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى 2005 م.

68. القرضاوي، د. يوسف: أمتنا بين قرنين. الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م، دار الشروق، القاهرة.
69. القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين: صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت، دار إحياء التراث العربي.
70. الكبرا، محمود يوسف: التلقيق الصهيوني- الأكذوبة الكبرى. دار الشجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006م.
71. الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة. الجزء 5، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1994.
72. الكيلاني، ماجد عرسان: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس. الإمارات العربية المتحدة، دبي، دار القلم، الطبعة الثانية، 1439هـ-2009م.
73. كيلاني، ماجد: الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي. دار السعودية، الطبعة الثانية، 404هـ-1984م.
74. مارتين، هانس بيتر، وشومان، هارالد: فسخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والإرهاب. ترجمة وتقديم: عدنان عباسي علي. مراجعة: رمزي زكي. الطبعة الثانية، 2003م، عالم المعرفة، الكويت.
75. مبروك، محمد إبراهيم: الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية.
76. محفوظ، محمد: العولمة وتحولات العالم إشكالية التنمية في زمن العولمة وصراع الثقافات. بيروت لبنان، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2003م.
77. محمد، د. غربي: تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي. مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا. جامعة الشلف الجزائر العدد السادس.
78. محمود، حواس: التكنولوجيا والعولمة الثقافية. دمشق، 1423هـ-2003م.
79. مراد، عبد الفتاح: موسوعة مصطلحات الجات. مصر.
80. المرشدة، د. يوسف: العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير. دار الكندي، الطبعة الأولى، 2008م.
81. مرقاقي، طه: عالمية الإسلام والعولمة. تأليف نخبة من الباحثين. مراجعة عثمان يوسف. إيران طهران، مطبعة المبتكران للطبع، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.

82. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية: العولمة وأثرها في المجتمع والدولة. الإمارات، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2002م.
83. المسيري، عبد الوهاب محمد: موسوعة اليهود واليهودية. دار الشروق، الطبعة الأولى، 1999م.
84. المشرقي، أحمد العربي: حقيقة العولمة. دمشق، سوريا، دار قتيبة، الطبعة الأولى، 1423هـ-2003م.
85. مغايري، مازن: موسوعة أطلس العالم. راجعه ودققه عبد الله سعيد. تدقيق لغوي: عبد الله سنده. حلب، دار الرضوان.
86. مكّي، عباس محمود: دينامية الأسرة في عصر العولمة من مجالات الكائن الحي إلى تكنولوجيا صناعة الجينات. بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م.
87. ملحم، إياد: صناعات الحضارة أعلام القرن العشرين. بيروت، لبنان، دار الحسام، الطبعة الأولى، أيلول، 1993م.
88. منصور، أحمد: قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد. بيروت لبنان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1425هـ-1994م.
89. مهنا، محمد نصر: العلاقات الدولية بين العولمة والأمركة. المكتب الجامعي الحديث: 2006م.
90. موكاي، موريس: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. بيروت، لبنان، دار الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1991م.
91. بعلبكي، منير: المورد. بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1978م.
92. الميثاق الإسلامي، الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
93. النبهان، محمد فاروق: الثقافة الإسلامية والنظام العالمي الجديد. حلب، دار الرفاعي، 2004م.
94. نبهان، محمد: الواقع الفاسد وضرورة التغيير، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، الطبعة الأولى 1991م.
95. نشوان، د. يعقوب: التربية في الوطن العربي. الأردن، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م.

96. النقري، د.معن: عولمة و(الكوكبة) وجوها وأبعادها. مطبعة اليازجي، دمشق 1999م
97. النقيب، أ.د عبد الرحمن عبد الرحمن: مشروع الشرق الأوسط الكبير. مصر، القاهرة، دار السلام، الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م.
98. النملة، علي بن ابراهيم: فكر الانتهاء في زمن العولمة. الرياض، دار العبيكان، الطبعة الأولى، 2006م-1427هـ.
99. نويهض، عجاج: بروتوكولات حكماء صهيون. بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، الطبعة 4، 1996م.
100. هاشم، محمد: صحيفة الوسط البحرينية. العدد 1667، مارس آذار، 2007م.
101. الهرامة، د.عبد الحميد: كتاب ورقات في البحث العلمي. مقررات كلية الدعوة الإسلامية، السنة الرابعة.
102. هنتغتون، صاموئيل: صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي. ترجمة طلعت الشايب. تقديم د. صلاح قنصوه، الطبعة الثانية، 1999..
103. هوزباوم، ايريك: العولمة والديمقراطية والإرهاب. ترجمة أكرم حمدان ونزهت طيب. الدار العربية للعلوم، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى 1943هـ-2009م.
104. الكرمي، حسن سعيد: المغني الأكبر. لبنان، بيروت، مكتبة لبنان، 1987م.
105. هونكه، زيفريد: شمس العرب تسطع على الغرب. راجعه مارون عيسى الخوري. بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1964م.
106. الهشمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد. الجزء 8، القاهرة، دار الريان للتراث، 1407هـ.
107. يسين، السيد: العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي. المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، السنة الثالثة، العدد 17، 1998م.
108. خريطة العالم الإسلامي: طبعت بمباركة دار الإفتاء الديني وإطلاع مديرية الثقافة في حلب وتحقيق جامعة حلب، وبموافقة الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية وبموافقة المؤسسة العامة للمساحة وبموافقة وزارة الإعلام رقم 91255.

المواقع الالكترونية:

- 1- www.islamtoday.net
- مقالة المستقبل الاقتصادي للعالم الإسلامي إلى أين، جبريل محمد.....
- 2- [www. Wikipedia.org](http://www.Wikipedia.org)
- 3- www.alawsat.com
- 4- www.arabic.rt.co
- 5- [http: //eljaidi1.maktoobblog.com](http://eljaidi1.maktoobblog.com)
- 6- www.marefa.org
- 7- www.ikhwanonline.com
- 8- www.lyceeemir.55.com
- 9- www.aksalser.com عكاش عشير....
- 10- www.delta-school.com
- 11- www.sdnj.jo-com
- 12- www.Ibtesama.com
- 13- www.elnashra.com
- 14- <http://ejabat.google.com>
- 15- www.un.org.com موقع الأمم المتحدة
- 16- www.dorar.net الدرر السنية
- 17- www.islam-qa.com
- 18- موقع صوت الكويت.

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	رقم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	2	﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَحْدَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْزَعْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	163	320
البقرة	2	﴿مَنْ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسَ لَهُمْ﴾	197	324
البقرة	2	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	264	325
آل عمران	3	﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾	134	325
النساء	4	﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾	21	291
النساء	4	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	28	324
النساء	4	﴿وَإِذَا حُيِّمْتُمْ بِهِ بِحَبِيبٍ فَحَبِيبًا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رَدُّهَا﴾	86	325
المائدة	5	﴿وَلَا يَجْعَلْ مَنَعَكُمْ شَنَاةً قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	8	317

اسم السورة	رقم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الأنعام	6	﴿قَدْ لَّا آمَنَّاكُمْ عَلَيْهِ آجَرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾	90	315
الأعراف	7	﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	86	315
الأعراف	7	﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	158	316
الأنفال	8	﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾	46	334
الإسراء	17	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾	11	324
الأنبياء	21	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	107	315
الفرقان	25	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	1	316
الروم	30	﴿وَمَنْ ءَايَنِيهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾	21	324

اسم السورة	رقم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الروم	30	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السِّنِينَ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارَ﴾	22	320
لقمان	31	﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَتْنِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾	19-18	325
لقمان	31	﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾	25	320
سبا	34	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	107	316
فصلت	41	﴿سَرَّيْهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ يَتَّبِعُونَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾	بعض آية 53	320
الحجرات	49	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَخَرَّ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَمَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَمَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ يَسُّ الِإِثْمِ الْفُسُوقِ بَعْدَ	12-11	325

اسم السورة	رقم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
		الْأَيْمَنِ وَمَنْ لَّمْ يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأْتُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴿١٢﴾		
الحجرات	49	﴿يَتَأْتُوا النَّاسَ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾	13	320
المعارج	70	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الْفَرْجُوعَا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾	19-21	324
الغاشية	88	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾	17-19-20	320
العلق	96	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾	1-2	319

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	رقم الصفحة
"أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي،..."	317
"إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي..."	317
"إنك امرؤ فيك جاهلية"	320
"تعلم كتاب يهود - أي كتابتهم ولغتهم - فإني ما آمنهم على كتابي.."	232
"دعوها فإنها منتنة"	324
"فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني.."	326
"كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب..."	323
"ليس منا من دعا إلى عصبية..."	324

فهرس المصطلحات

المصطلح	رقم الصفحة
استاتيكية	*219
البروتستانتية	*33
البلوتونيوم	210
البتاغون	*87
البورصة	*7
التروستات	*55
التقويم الجريجوري	*23
دول الجنوب	309 - 269 - 140 - 47 - *35
دول الشمال	269 - 140
دول العالم الثالث	47 - *34
الدول النامية	*35
ديناميكية	*219
الرايكيالي	*250
الرأسمالية	*33
الشيوعية	*34
الفاشية	*34
الفدرالي	*249 - 212
الفينيقيون	*19
الكاثوليكية	*33
الكارتيلات	285 - *55
الكسمبوليتية	*28
الكنعانيون	*21
الكونفرس	93 - 80 - 78 - *71
النازية	*34
الجات	136 - 49 - *7
الليبرالية	218 - *26

فهرس الأماكن

الاتحاد السوفيتي: 194 - 198

أذربيجان: 35* - 130

الأردن: 35* - 49 - 131 - 135 - 245

أريتريا: 39*

إسبانيا: 20* - 54 - 56 - 122 - 196 - 202 - 240 - 248

استراليا: 53* - 196 - 202 - 245 - 260

أفغانستان: 30 - 35 - 36* - 87 - 175 - 191 - 194 - 195 - 198 - 199 -

333 - 284 - 211 - 204 - 201 - 200

ألبانيا: 42*

ألمانيا: 33* - 53 - 22 - 60 - 61 - 64 - 72 - 132 - 167 - 196 - 202 -

278 - 241

الإمارات: 36* - 49 - 132 - 133 - 173 - 174

أمريكا: 22 - 29* - 30 - 53 - 59 - 60 - 61 - 69 - 71 - 72 - 76 - 80 -

171 - 148 - 145 - 141 - 132 - 127 - 113 - 105 - 93 - 83 - 81

333 - 265 - 258 - 245 - 241 - 212 - 210 - 201 - 196 - 190

أوزبكستان: 36*

أوغندا: 39* - 149

إثيوبيا: 39*

إيران: 36* - 57 - 80 - 81 - 132 - 133 - 166 - 167 - 175 - 186 - 253 -

284

إيرلندا: 54* - 108

أيسلندا: 54*

إيطاليا: 33* - 53 - 60 - 196 - 202 - 204 - 241 - 288

الباكستان: 37* - 38 - 131 - 133 - 137 - 139 - 175 - 192 - 195 - 196

284 - 256 - 202 -

البحرين: 36* - 49 - 135 - 174

البرتغال: 20* - 54

بروناي (دار السلام): 36* - 242

بريطانيا: 33* - 53 - 167 - 197 - 210 - 241 - 246

بلجيكا: 54*

البلقان: 166* - 254

بنغلادش: 36* - 149

بنين: 39*

بورкина فاسو: 40* - 149

بولندا: 196 - 202 - 204

بوليفيا: 164 - 284*

بيرو: 164* - 284

تايلاند: 135 - 284* - 307

تركستان: 36*

تركمانستان: 37*

تركيا: 42* - 54 - 130 - 131 - 132 - 133 - 134 - 142

تشاد: 40*

التشيك: 231*

تنزانيا: 39*

توغو: 40*

تونس: 40* - 92 - 133 - 137 - 265

تيمور الشرقية: 78*

الجزائر: 40* - 49 - 131 - 132 - 133 - 134 - 137 - 173 - 211 - 246 -

253 - 265

جزر القمر: 40*

جزر المالديف: 37* - 242

جمهورية أدموريتا: 37*

جمهورية إندونيسيا: 35 - 37* - 57 - 128 - 129 - 131 - 132 - 133 - 134 -

135 - 141 - 142 - 231

البوسنة والهرسك: 42* - 174 - 175 - 211

جيبوتي: 40*

الدانمارك: 54* - 241

روسيا: 88

ريودي جانيرو: 169*

السعودية: 39* - 49 - 92 - 130 - 132 - 133 - 135 - 173 - 174 - 243 -

سنغافورة: 72* - 278

السنغال: 41*

السودان: 41* - 49 - 131 - 133 - 137 - 157 - 167 - 205 -

سورية: 37* - 50 - 137 - 167 - 234 - 265

سورينام: 42* - 130

السويد: 54* - 60

سويسرا: 52* - 54 - 60

سيراليون: 41* - 149

الشيكان: 37* - 89 - 91

الصومال: 41* - 49 - 76 - 92 - 137 - 205 - 242

الصين: 19* - 21 - 38 - 57 - 66 - 153 - 168

طاجيكستان: 37*

العراق: 30 - 35 - 38* - 50 - 57 - 84 - 87 - 130 - 166 - 176 - 178 -

246 - 211 - 203 - 202 - 201 - 199 - 192 - 191 - 187 - 186

عمان: 38* - 130 - 135 - 173 - 174

الغابون: 41*

الغامبيا: 40* - 149

غويانا: 42* - 242

غينيا بيساو: 41*

غينيا: 41*

فرنسا: 33* - 53 - 60 - 108 - 121 - 167 - 191 - 196 - 202 - 203 -

278 264 - 246 - 210

فلسطين: 35 - 38* - 78 - 91 - 209 - 210 - 269 - 333

فنلندا: 54* - 241

قبرص: 64

قطر: 38* - 49 - 174

قيرغيزيا: 38*

كازاخستان: 38* - 132 - 133

الكاميرون: 40*

كشمير: 38* - 91

كمبوديا: 231 - 284

كندا: 53* - 60 - 196 - 202 - 245 - 260 - 265

كوت دي فوار: 41*

كوريا الجنوبية: 135* - 196 - 202 - 260

كوريا: 56* - 135 - 166

كولومبيا: 164*

الكويت: 38* - 49 - 81 - 83 - 105 - 132 - 133 - 173 - 174 - 178 -

243 - 187 - 186

لبنان: 38* - 50 - 91 - 92 - 133 - 205 - 206 - 245 - 246 - 265

ليبيا: 35 - 41* - 92

ليتوان: 62

كريت: 21*

كينيا: 39* - 195

مالي: 41* - 139 - 149 - 242

ماليزيا: 38* - 131 - 133 - 135 - 238

مصر: 40* - 49 - 82 - 83 - 92 - 131 - 133 - 134 - 135 - 139 - 164 -

265 - 246 - 245 - 244 - 243 - 234 - 209 - 191

المغرب: 41* - 49 - 137 - 246

المكسيك: 53* - 56

موريتانيا: 41* - 137

موزامبيق: 42* - 149

ميانمار: 284

مينداناو: 39*

النرويج: 54*

النمسا: 54*

النيجر: *42 - 149

نيجيريا: *42 - 131 - 132 - 134 - 149

نيوزلندة: *54 - 202

الهند: *37 - 38 - 62 - 92 - 120 - 135 - 172

هولندة: *20 - 54 - 241

اليابان: *23 - 53 - 58 - 59 - 60 - 61 - 127 - 231 - 258 - 260 - 288

يزنبرغ: 62

اليمن: *39 - 49 - 137

اليونان: 231 - 248

فهرس الأعلام

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
إدوارد كينيدي	*203	جوليوس رويتر	*102
إدوارد لوتاك	64	جون ب ديكنسون	242
أسامة بن لادن	195-196-197	جيمس كارفيل	71
إسماعيل صبري عبد الله	*26	دونالد لامبرو	*198
إلداد ريغف	173 - 206	رايين	*92
ألفونس داماتو	*79	راجيف غاندي	*92
أنور السادات	*91	السيدة غاندي	*92
آية الله مهاجرني	172	رولاند روبرتسون	23
إياد قزاز	240	ريتشارد نيكسون	*122
إيهود باراك	*165	زيجينو برجينسكي	*46 - 113
إيهود غولد فاسر	173 - 206	زيد بن ثابت	232
باراك أوباما	164 - 190	زيغريد هونكة	318
برنارد وولف	102	سوهارتو	*128
بطرس غالي	*76	شارل هافاس	*102
بيريز	*110	صادق جلال العظم	182-183-26
بيل كليتون	*70-78-163-144	صدام حسين	*79-187-201
جاك شرودر	*198	صموئيل هنتغتون	*81-110-221-212
جلادستون	104	عائشة رضي الله عنها	325
جورج بوش الأب	*169-177	عابدين الشريف	22
جورج بوش الابن	*163-165-190-197-205	عبادة بن الصامت	*321

الاسم	رقم الصفحة	الاسم	رقم الصفحة
عباس يرادة السني	29	كريستوف كولومبوس	*119
عبد الله أوجلان	*167	كوفي عنان	*161
عبد الوهاب المسيري	32	لورنس براون	104
عمرو بن العاص	*321	مارغريت بيكيت	*200
عابد الجبري	224	ماركو بولو	*119
فريدمان	*27	محمد عابد الجابري	*27-181-216
فوكويوما	69	نبيل مرزوق	26
كارين بروتنتس	*82	نجيب محفوظ	*217

فهرس المحتويات

رقم الصفحة

الباب الأول

العولمة ومبادئها الاقتصادية والسياسية والثقافية

17	الفصل الأول : تعريف العولمة ونشأتها وتاريخها
19	المبحث الأول: تاريخ العولمة ونشأتها
25	المبحث الثاني: تعريف العولمة
31	المبحث الثالث: العولمة والحدائق
31	المطلب الأول: نشأة الحدائق
31	المطلب الثاني: تعريف الحدائق
33	المبحث الرابع: التعريف بالعالم الإسلامي
35	الدول الإسلامية الآسيوية
39	الدول الإسلامية الإفريقية
42	الدول الإسلامية الأوروبية
42	الدول الإسلامية في أمريكا الجنوبية
43	الفصل الثاني: العولمة الاقتصادية
45	تمهيد
48	المبحث الأول: مؤسسات العولمة الاقتصادية
48	المطلب الأول: صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير
49	المطلب الثاني: منظمة الجات ومنظمة التجارة العالمية
51	نادي روما
52	متدى دافوس

53	منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية
55	المبحث الثاني: الشركات المتعددة الجنسيات
58	عدد الشركات المتعددة الجنسيات
59	إيرادات الشركات المتعددة الجنسيات
61	المبحث الثالث: آثار مؤسسات العولمة
61	سيادة أنماط عالية في أسلوب الإنتاج والتسويق
61	انخفاض الأجور
62	التهرب الضريبي
64	السرعة والتطور
67	الفصل الثالث: العولمة السياسية
69	المبحث الأول: العولمة السياسية وعلاقتها بالعولمة الاقتصادية
74	المبحث الثاني: مؤسسات العولمة السياسية
78	المبحث الثالث: العولمة التشريعية
78	تمهيد
78	مظاهر الممارسة الأمريكية
82	السياسة التي أظهرت أمريكا مظهر المعادي للعرب
84	المبحث الرابع: الحروب في ظل العولمة
84	قتل المدنيين
86	الأمركة
88	العنف والإرهاب
88	مراحل العنف السياسي
95	الفصل الرابع: العولمة الثقافية
97	المبحث الأول: العولمة الثقافية

107	المبحث الثاني: ثقافة العولمة
111	خصائص ثقافة العولمة
112	المبحث الثالث: عولمة التقنية
114	نظرة العولمة إلى المبدع والمثقف
115	كلمة أخيرة

الباب الثاني

آثار العولمة

119	تمهيد
125	الفصل الأول: الآثار الاقتصادية للعولمة
127	تمهيد
128	المبحث الأول: التعامل التجاري في ظل العولمة
129	التضخم
130	الديون الخارجية
131	التجارة العربية البينية
132	الصادرات والواردات على مستوى الوطن العربي
132	الصادرات والواردات على مستوى العالم الإسلامي
135	المبحث الثاني: القطاع الصناعي في ظل العولمة
137	المبحث الثالث: القطاع الزراعي في ظل العولمة
141	المبحث الرابع: تخفيض أجور الأيدي العاملة
144	المبحث الخامس: البطالة
148	المبحث السادس: الفقر
151	المبحث السابع: العولمة والبيئة
152	طرق تلوث الهواء

155	الأمراض الناتجة عن تلوث البيئة
156	التكامل البيئة العربي
159	الفصل الثاني: الآثار السياسية للعولمة
161	المبحث الأول: التحديات السياسية للعولمة
170	المبحث الثاني: تجارة الأسلحة والإنفاق العسكري
177	المبحث الثالث: النظام العالمي الجديد
180	المبحث الرابع: بروز مفهوم الحكم كبديل للحكومة
181	المبحث الخامس: تراجع قوة الدول القومية وتضاؤل دورها
184	المبحث السادس: تراجع مبدأ السيادة الوطنية
186	حرب الخليج 1991 م
187	أثر الحصار الاقتصادي على العراق بعد حرب الكويت
188	المبحث السابع: الحرب على الإرهاب
194	الحرب على أفغانستان
201	الحرب على العراق 2003 م
206	الإرهاب الذي تقوم به إسرائيل
206	حرب تموز
208	حصار غزة
213	الفصل الثالث: الآثار الثقافية
215	توطئة: تعريف العولمة الثقافية ومفهومها وأهدافها
219	المبحث الأول: الهوية الثقافية في ظل العولمة
224	المبحث الثاني: أثر العولمة على المثقف
228	المبحث الثالث: المثاقفة
230	المبحث الرابع: أثر العولمة على اللغة العربية

236	المبحث الخامس: أثر العولمة على التربية والتعليم
237	واقع التربية والتعليم في الوطن العربي والدول الإسلامية
240	واقع التربية والتعليم في الدول الغربية
242	البحث العلمي في العالم العربي
244	الإنفاق العربي على البحث العلمي
244	هجرة العقول
247	معدلات الأمية في الدول العربية
247	واقع الشعر والأدب في الوطن العربي
250	المبحث السادس: العولمة والتخطيط السلبي ضد الدين
257	المبحث السابع: أثر العولمة على الإعلام
259	التلفزة
266	الانترنت
272	المبحث الثامن: الاتجاه نحو نشر ثقافة الاستهلاك
276	المبحث التاسع: ثقافة الاختراق
281	الفصل الرابع: الآثار الاجتماعية
283	المبحث الأول: العولمة الاجتماعية
284	تجارة المخدرات
288	المبحث الثاني: عولمة الجريمة
291	المبحث الثالث: أثر العولمة على الأسرة
296	المبحث الرابع: أثر العولمة على الشباب
300	المبحث الخامس: أثر العولمة على الطفل المسلم
303	الفصل الخامس: الموقف المطلوب من العولمة
305	تمهيد

306	المبحث الأول: اتجاه القبول التام
309	المبحث الثاني: اتجاه الرفض المطلق للعملة
311	المبحث الثالث: اتجاه الاعتدال
313	الفصل السادس: العالمية في الإسلام
315	المبحث الأول: مفهوم العملة الإسلامية والأدلة عليها
327	المبحث الثاني: الفرق بين العملة والعالمية
331	الخاتمة
337	الفهارس
339	فهرس المصادر والمراجع
348	فهرس الآيات القرآنية
352	فهرس الأحاديث
353	فهرس المصطلحات
354	فهرس الأماكن
360	فهرس الأعلام
362	فهرس المحتويات

